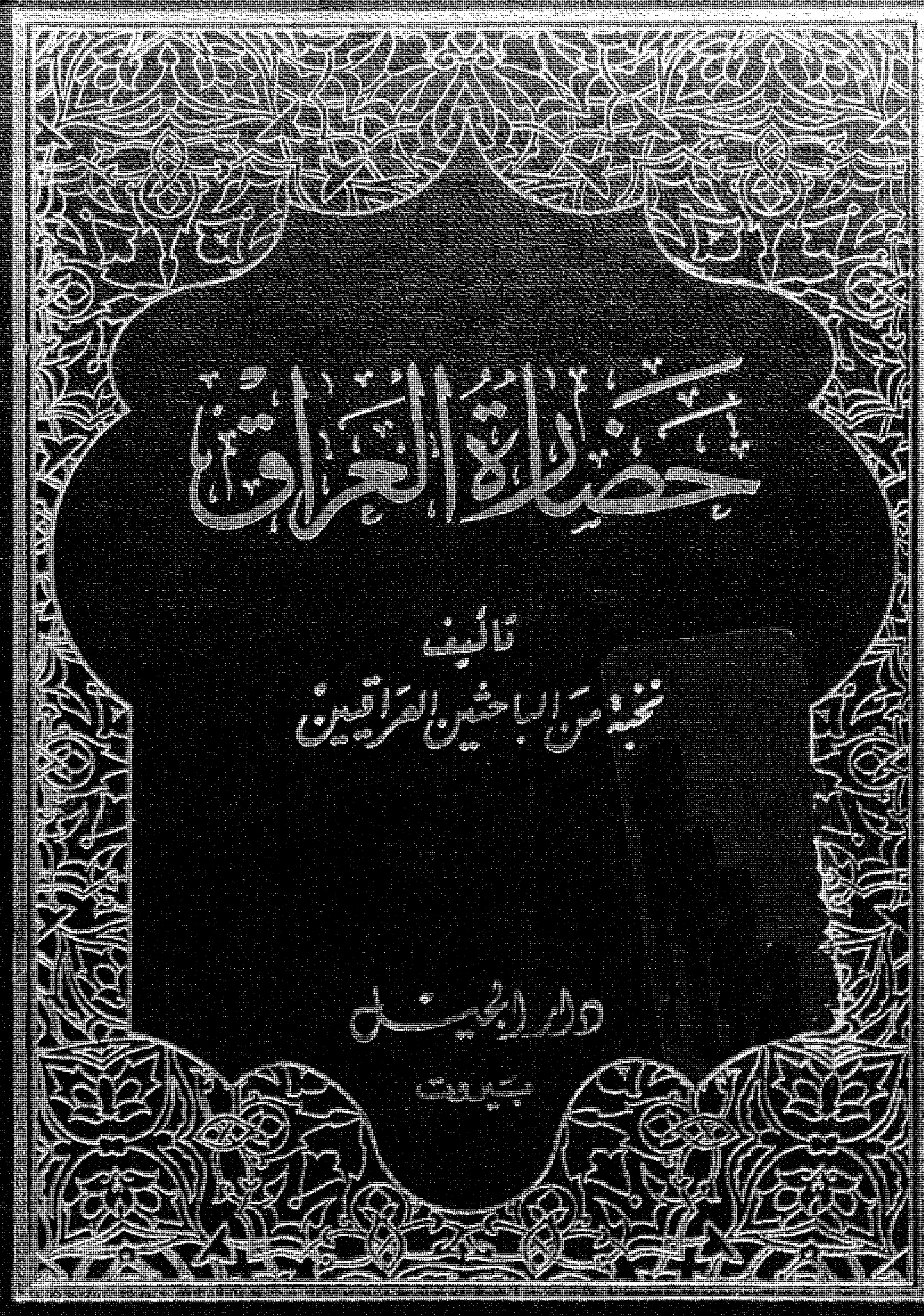

حضارة العراق
تأليف
نخبة من الباحثين العراقيين
دار الجيل
بيروت



تاليف

نخبة من الباحثين العراقيين

الجزء الثالث

بغداد ١٩٨٥



العصور القديمة

(٣)



الفصل الأول

الفخار في عصور ما قبل التاريخ

د. تقي الدباغ

استاذ الآثار القديمة ـ جامعة بغداد

ظل الانسان في معظم عصور قبل التاريخ التي بلغت زهاء المليوني سنة يجهل صنع الفخار واستمر طيلة الحقبة الطويلة من الزمن يصنع أوانيه من غير مادة الطين المفخور لحفظ حاجاته كالاواني الحجرية والخشبية والسلال والاكياس الجلدية ثم اخترع القرويون الفخار في ظل حياتهم الزراعية والرعوية الجديدة التي ظهرت بداياتها في الالف السابع قبل الميلاد .

ويبدو من نتائج الحفريات التي جرت في قرية جرمو بشمال العراق ان اهل القرية استخدموا الاواني الحجرية وغير الحجرية قبل ان يتعلموا في النهاية الصناعة الفخارية فالطبقات الاحدى عشرة السفلى وجدت خالية تماما من الفخاريات واقتصر ظهورها على الطبقات الخمس العليا فقط .

وللفخار فوائد كثيرة لمن صنعه ولمن يدرسه من الاثاريين فقد استفاد منه القرويون في طبخ الطعام وتبريد الماء ونقله وحفظ السوائل كالزيوت والخمور وخزن الحبوب ونقلها ولاستعماله في الطقوس والاحتفالات الدينية

ولدفنه مع الاموات لحاجتهم اليه بعد الموت ولدفن الاطفال والبالغين احيانا في الجرار ، وكانت الاواني الفخارية مفضلة على الاواني الحجرية لخفة وزنها ولسهولة صنعها ولسرعة تحضيرها وهي ذات مسامات تساعد على تبريد الماء اذا دعت الحاجة ، وفيما عدا الاواني الفخارية فقد صنع القرويون في المراحل الاولى مناجل من الطين المفخور ذات جانب حاد يصلح لحصد نباتات القمح والشعير وغيرها وعندما دخلت المعادن في الصناعة اختفت هذه المناجل بالتدريج ، كما صنعوا المسامير والاوتاد من الفخار ايضا . وصنعوا مخاريط فخارية صبغوا رؤوسها بالوان مختلفة وثبتوها في الطين الذي سيعوا به جدران المعابد فابتكروا بذلك زخارف جميلة بتنظيم مجاميع منها باشكال هندسية منسقة ، ومن الفخار صنعوا ايضا الدمى واصنام الالهة والبشر والحيوانات وكثيرا من لعب الاطفال ، هذه هي اهم مجالات استخدام الفخار في حياة القرويين القدماء ، اما الاثاريون ففي كثير من الاحيان يعثرون في مرحلة التفتيش عن الاثار على قطع فخارية صغيرة على سطح المواقع الاثرية ووجود هذه القطع الفخارية بكميات كبيرة برأيهم دليل على ان المكان هو موقع اثري سكنه الانسان القديم في عصر من العصور او في عدة عصور متتالية او متقطعة ذلك لان القطع الفخارية لا تفنى بل تبقى تعاند الزمن وتحمل معها اثار من صنعها ، ووجود القطع الفخارية ذات الاهمية الخاصة من حيث النوع الفريد او الغريب بين اللقى الاثرية المكتشفة يستوجب اجراء الحفر ولهذا تعتبر قطع الفخار المكسورة في الغالب مفتاحا للتنقيبات الاثرية في مواقع العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني لان انتشار هذه القطع على سطح الموقع يدل على وجودها في باطنه ايضا ومواقع الشرق الادنى القديم كمواقع قطرنا العراقي غالبا ما تعود لاكثر من دور حضاري واحد وسبب ذلك يتعلق بطبيعة المكان وبتقاليد السكن القديمة فاذا كان المستوطن في بقعة زراعية خصبة وعلى مقربة من مورد ماء وطرق سهلة للمواصلات يسكنه الناس للاستفادة من خيراته وعندما يهجره اهله لسبب من الاسباب

تفد عليه جماعة ثانية وتسكن في نفس المكان على انقاض المباني الطينية للجماعات السابقة التي دمرتها الفيضانات او الامطار او الحروب وهكذا يتطور المكان حتى يغدو تلاً من الانقاض الاثرية التي تجمعت من مختلف العصور ، وفي الحالات الطبيعية تكون هذه الانقاض منثرة فوق بعضها بشكل منظم ومتعاقب ومتسلسل اعتبارا من التربة البكر حتى سطح الموقع الحديث وفي هذه الانقاض توجد الاواني الفخارية وكسراتها ممثلة تعاقب العصور وتسلسل الادوار الحضارية لان الاواني الفخارية وكسراتها تبقى سالمة تحمل معها اثار التغييرات التي حدثت في المكان ، ويستفيد المنقبون الاثاريون من ظاهرة هذا التعاقب الطبقي لمعرفة تتابع الحضارات في الازمنة المتعاقبة ، وباستطاعتهم ان يستخدموا نتائج هذا التعاقب لتأريخ اثار مواقع اخرى يعثر فيها على فخاريات مماثلة اذا كان تاريخها مجهولا ، ولكي يكون التاريخ اكيداً يجب الحصول على بعض المواد العضوية الموجودة مع الفخاريات كالفحم والخشب والصدف وغيرها لتاريخ المكتشفات بطريقة كربون ١٤ الاشعاعي واذا فشلت التنقيبات في الحصول على مثل هذه المواد العضوية فمن الممكن الاعتماد على تاريخ نسبي بالمقارنة مع مواقع اخرى يعرف تاريخها وانتجت نفس الصنف الفخاري واذا عرف تاريخ هذا الصنف الفخاري يمكن استخدامه وسيلة لتاريخ اثار مواقع اخرى تنتج هذا الصنف تاريخا نسبيا .

ويستفاد من الفخار لدراسة هجرات الاقوام القديمة من مكان لاخر ولدراسة العلاقات التجارية فالاصناف الفخارية الدخيلة المصنوعة من طينة محلية او طينة اجنبية التي يعثر عليها في مواطن الاثار دليل على هجرة سلمية الى ذلك الموقع او الى غزوة حربية مدمرة لها . ان الاصناف الدخيلة تدل ايضا على تبادل التجارة بين جماعة صنعت الفخار للتصدير وجماعة استوردته للاستعمال ، ولما كان الفخار سهل الكسر ووسائط النقل عند اقوام عصور قبل التاريخ بدائية ومحدودة فان تصدير الفخار لم يكن بكميات كبيرة بل

على نطاق ضيق ، ومع ذلك فان الكشف الذي جرى على الكثير من المواقع القديمة وخصوصا في اقطار الشرق الادنى يشير الى انتشار الفخار بواسطة المسافرين او التجار المتجولين وكان هؤلاء التجار المحترفون يوزعون الاصناف الفخارية البسيطة والاصناف ذات الاهمية الفنية من حيث جودة الصناعة وفن التلوين والزخرفة .

ويستفيد الاثاريون من استعمال الفخاريات في الطقوس والشعائر الدينية التي مارسها الانسان عصور قبل التاريخ ، فقد استعمل القرويون بعض الاواني الكبيرة لدفن اطفالهم الصغار فيها ومن امثلة ذلك ما وجد في قرية حسونة وفي بعض الاحيان استعملوها لدفن البالغين فيها ، وفي حالات اخرى دفن الاحياء اواني الفخار نفسها مع الاموات لاعتقادهم بان الميت يستفيد منها في الحياة الاخرى . ومما يلاحظ ان مكان هذه الاواني في القبور بالنسبة الى الهياكل العظمية ثابت في كل عصر حضاري ولايتغير الا بتغير الجماعات التي استوطنت الموقع وربما كان لمكان هذه الاواني صلة بتقاليد الدفن ، ويظهر ان بعض هذه الاواني الفريدة الشكل استعملت في الاعياد والمراسيم الدينية ، ويعثر مع هياكل الموتى في القبور اضافة الى الاواني الفخارية ادوات فخارية اخرى اهمها التماثيل وبعض الكماليات .

ويدرس الاثاريون من الاواني الفخارية فنون الزخرفة القديمة وطرق صناعة الجرار والاقداح والاباريق والصحون وفي عصور قبل التاريخ عبر الخزافون عن مهاراتهم برسم نقوش هندسية بديعة كما نقلوا من الطبيعة صورا جميلة للنباتات والحيوانات والطيور والبشر باسلوب واقعي او رمزي ويهتم المختصون بالفنون بدراسة هذه الاساليب الفنية .

كانت الاواني الفخارية في معظم عصور قبل التاريخ تصنع باليد اذ لم تكن عجلة الخزاف قد اخترعت بعد وكانت طريقة الصنع تتم بتحوير كتلة من الطين بالاصابع الى الشكل المرغوب فيه اذ يفتح ثقب بابهام اليد في مركز

الكتلة ثم تبنى الجدران بالثخن المطلوب بواسطة الضغط على جوانب الثقب ورفع هذه الجوانب بنفس الوقت الى الاعلى بمساعدة الترطيب بالماء ، وبالطريقة اليدوية الثانية كانت الآنية تبنى باقسام منفصلة كالقاعدة والجسم والعنق ثم توصل هذه الاقسام ببعضها وتجرى تسوية جدرانها بالترطيب ، وبالطريقة اليدوية الثالثة كان بناء الانية يتم على هيئة لوالب من الطين اذ يوضع لولب فوق الآخر حتى الارتفاع المطلوب ثم تسوى سطوح اللوالب بالترطيب وبالضغط عليها وفي المرحلة الاخيرة تضاف الملحقات كالقاعدة والعروة والمقبض والصنبور وغيرها ويظهر من فحص الاواني العراقية القديمة ان هذه الطرق الثلاث استخدمت من قبل الخزافين ومن المحتمل انهم استعملوا المسند والمضرب لتسوية وتعديل السطوح قبل ان تجف الاواني جفافا تاما ويظهر من دراسة الاواني الفخارية انها صنعت باليد الى ان اخترعت العجلة في الوركاء في عصر الوركاء وهناك من يعتقد ان هذه العجلة اخترعت قبل هذا الوقت في عصر العبيد .

وبعد تحوير كتلة الطين الى شكل آنية عميقة او جرة او صحن او قدح او اي شكل اخر تجري عليها عمليات منها الدلك والطلاء والتلوين والزخرفة واخيرا التسخين ، والغرض من الدلك تسوية سطح الآنية وصقله وجعله لماعا بقطعة من الجلد او بكتلة من الحجارة الملساء بعد جفاف الطين وتبقى الحفر والشقوق بعد الدلك ولاتختفي هذه العيوب الاعند حكها بآلة حادة ، اما الطلاء فيحضر من طين مصفى جيدا ويضاف اليه قليل من الماء ويمزج حتى يغدو معجونا مخففا يطلى به سطح الانية الخارجي او الداخلي واحيانا يطلى به السطحان فتمتلىء المسامات والشقوق والحفر وتصبح سطوح الجدران ناعمة ملساء ، ويحضر الطلاء في الغالب من نفس طينة الانية وفي النادر من طينة تختلف عن طينتها وتطلى بها الانية قبل تسخينها في الكورة وفي هذه الحالة يكون الطلاء ثابتا لا يزول واذا اضيف الى الانية بعد التسخين يزول بسهولة عند فركه باليد او غسله بالماء .

ولونت نقوش فخاريات عصور قبل التاريخ بالوان من اصل عضوي او معدني واستخلصت الالوان العضوية من عصير النباتات او الكربون والمعدنية من اكاسيد الحديد والمنغنيز .

واللون الناتج من استعمال عصير النباتات يكون أسود اذا كانت حرارة الكورة قليلة ومدتها قصيرة واذا كانت الحرارة شديدة ومدتها طويلة فان الكربون يحترق ويترك قليلا من الرماد الابيض ، والالوان الشائعة في الفخار العراقي القديم هي اللون الاسود واللون الاسود المائل الى اللون البني بمختلف درجاتهما ويحصل عليهما من اوكسيد الحديد واوكسيد المنغنيز ومن عصير النباتات والكربون ، اما اللون الاحمر والبرتقالي والاصفر والارجواني والبني بمختلف درجاتها فيحصل عليها من اكاسيد الحديد واللون الابيض يحصل عليه من كربونات الكالسيوم ، اما طرق التلوين التي استخدمها الخزافون القدماء في العراق فقد تعددت حسب عدد الالوان المستخدمة في الزخرفة واكثر الاواني لونت بلون واحد هو اللون الاسود في الغالب ولكن بعض الاواني مزدوجة اللون استعمل في تلوينها الصبغ مرتين مرة بلون داكن واخرى بلون فاتح وتوجد اواني ثنائية اللون ينتج اللون الاول من الصبغ المضاف قبل التسخين واللون الثاني من الصبغ المضاف بعده ويمكن انتاج التلوين الثنائي باضافة نوعين من الصبغ في درجات حرارة مختلفة اثناء التسخين وبالاضافة الى ذلك توجد اواني متعددة الالوان وبعض هذه الاواني ذات لونين من صبغين مختلفين على طلاء ابيض او بانتاج صبغين مختلفين في اللون في درجات حرارة مختلفة واضافة الصبغ الثالث بعد التسخين او باستعمال ثلاثة اصباغ مختلفة الالوان في مراحل مختلفة من التسخين. ولمعرفة نوع الاصباغ التي استعملت في تلوين الفخاريات يحيل الاثاريون مكتشفاتهم عادة الى المختبرات الكيمياوية ويقوم المختصون باجراء التحاليل ويكتبون تقارير يذكرون فيها نوع الاصباغ المعدنية او العضوية التي حضرها الخزافون ،

ويستطيع الاثاريون بمساعدة الفيزياويين معرفة طريقة تسخين الاواني في الكورة لفخرها في جومؤكسد اومختزل فالجو المؤكسد هوالجو الذي يوجد فيه الاوكسجين في منطقة مكشوفة او في تنور او كورة مفتوحة يدخلها الهواء . فتتأثر مركبات الحديد والكربون بالاوكسجين اثناء التسخين وتتأكسد مركبات الحديد ويتغير لونها باختلاف درجات الحرارة اما الكربون فيحترق ويتحول الى غاز ثاني اوكسيد الكربون اذا كانت الحرارة شديدة واذا كانت ضعيفة لا تطرد المواد الكربونية بل تبقى في وسط جدران الانية بلون اسود اما الجو المختزل فهو الجو الذي يمنع فيه الاوكسجين من الوصول الى الاواني الفخارية ويتم هذا في تنور اوكورة مغلقة وفي هذه الحالة لاتجد المواد الكربونية المتطايرة منفذا للخروج فتترسب في مسامات الاواني ويصبح لونها أسود . لقد استعمل الخزاف في العراق القديم طريقة الاختزال بشكل بدائي فكان يضع الاواني في جو مؤكسد في الكورة ثم يغطيها بالسماد او الاعشاب فالمواد المحترقة المتطايرة كانت تتحول الى دخان اسود ثم تترسب في مسامات الاواني لعدم وجود منفذ لخروجها فتصبح الاواني سوداء او رمادية اللون تبعا لمدة الاختزال ويدل لون طينة الاواني على جو التسخين في الكورة فاذا كان الجو مؤكسدا تنتج اكاسيد الحديد اللون الاصفر والبرتقالي والاحمر والبني واذا كان مختزلا يكون اللون رماديا او أسود .

ويستفيد الاثاريون من دراسة اشكال الاواني اذ يعتبرونها دليلا على تبادل العلاقات اذا وجدت نماذج متشابهة منها في منطقتين او في عدة مناطق ، واكثر الاشكال اهمية لمعرفة هذا التبادل هي الاشكال الفريدة ذات الصفات المتميزة ، اما الاشكال البسيطة فيمكن صنعها بشكل مستقل وهي غير مهمة لتتبع الصلات ، ويستفيد الاثاريون من دراسة نقوش الزخارف ايضا لمعرفة المستوى الفني للخزافين ولمعرفة علاقاتهم بالاخرين والنقوش التي رسمها

الخزافون القدماء لتجميل أوانيهم كانت نقوشا شكلية او ملونة او شكلية وملونة في آن واحد • والنقوش الشكلية كانت بهيئة حزوز وهي في الغالب زخارف هندسية كالخطوط المستقيمة او المتموجة أو المتقاطعة ، اما النقوش الملونة فكانت مصبوغة بلون واحد او بلونين او اكثر من ذلك •

وتشمـل النقوشـس الملونة المشاهـد الطبيعية لاوراق النباتـات والاشجار والحيوانات والطيور والاسماك والزواحف والصور الادمية التي رسمت باسلوب رمزي او حياتي ، اما النوع الثالث من النقوش فكان تركيبا منسجما من الزخارف الشكلية والملونة بنفس الوقت وتشمل زخارف هندسية وطبيعية •

الخلاصة ان الفخار اخترع في القرى الزراعية المبكرة وحل بالتدريج محل الاواني الحجرية التي كانت تصنع في العصور السابقة ودراسة الفخاريات تزودنا بمعلومات قيمة عن عصور ما قبل التاريخ وخصوصا لتتبع هجرات الاقوام ولتاريخ الاثار تاريخا نسبيا بالمقارنة ولمعرفة الطرق الصناعية والفنية التي مارسها الخزافون القدماء ، والتغيرات التي تلاحظ على الفخاريات المنتشرة في طبقات المواقع المتعاقبة تدل على اتجاه تطور العصور الفخارية التي يتميز فخارها بخصائص يخلف بعضها بعضا فجأة او بالتدريج لان التفاصـيل والمهارة الصناعية والاشكال وعناصر الزخرفـة كلهـا تخضع للتغيير بتغيير الحضارات ، والدراسة الموضوعية للاصناف الفخاريـة تحتـاج لتحليلات كيمياوية للطينة والاصباغ ولاختبارات فيزياوية لمعرفة طرق التسخين كما تحتـاج لجداول احصائية لتوضح تطـور وتوزيع الاشـكال والزخارف فالاختبارات التي تخص الطينة تميز الفخار المحلي عن الفخار المسـتورد والتحليلات الكيمياوية للاصباغ واعادة تسخين قطع الفخار تميز الاصباغ المعدنية عن العضوية ، ولون طينة الاواني الفخارية يرشدنا الى معرفة جو التسخين المؤكسد او المختزل والاشكال الجديدة هي نتاج طرق صـناعية

جديدة والنقوش تتأثر بمبادىء الزخرفة التي تتغير بتغير الطراز والاساليب ، والاواني الفخارية المستوردة تلقي ضوء على العلاقات بين الجماعات المتجاورة والاواني الدفنية تدل على علاقات الانسان بخالقه .

فخار جرمو

ظهر فخار العصر الحجري الحديث لاول مرة في قرية جرمو في الطبقات الخمس العليا فقط . اما الطبقات الاحدى عشرة السفلى فكانت خالية منه فقد وجدت في هذه القرية مجموعة من الاواني كانت سمجة الصنع سميكة الجدران هشة المقاومة لانخفاض درجة الكورة التي فخرت فيها ، كثيرة الشوائب غير نقية وغير مدلوكة واكثرها فخار عادي غير ملون وغير مزخرف اما الفخار الملون فكان قليلا جدا وتتألف نقوشه من خطوط متقاطعة مصبوغة باللون الاسود .

ان صناعة الفخار لاول مرة في قرية جرمو تعتبر واحدة من الصناعات الرئيسية المكملة لطبيعة المجتمع الزراعي وخاصة في مراحل ممارسة الزراعـــة المبكرة ، واهتداء الافراد الممارسين للزراعة المبكرة في المناطق الشمالية من العراق لصناعة الفخار كان بعد انتقالهم من الكهوف الى بيوت بسيطة من الطين أي بعد استقرار التجمعات السكانية في مستوطنات ثابتة نوعا ما ، وتعتبر صناعة الفخار واحدة من الخطوات المهمة التي تحدد طبيعة تعامل الافراد مع البيئة الجديدة والدافع الرئيسي لصناعة هذه الاواني بشكل عام كان نفعيا بالدرجة الاساسية فقد توصل أهل جرمو الى استخدام الاواني المصنوعة من الفخار للطبخ وحفظ السوائل وخزن مواد مختلفة اضافة الى نقلها والتجارة بها . واستخدام الفخار بديلا عن الاواني الحجرية اصبح عمليا ويدل هـذا التطور على وعي جديد كما ان استخدام التلوين والزخارف يدل على اكتساب خبرة وتجربة وبالرغم من ان صناعة الفخار في جرمو تتميز بصــورة عامــة بالسماحة والبساطة وبالضعف الا ان بعض النماذج تبدو متميزة في زخارف

هي اقرب ماتكون الى اشكال الحيوانات المحورة وتبدو في بعض الحالات وكأنها في حالة حركة •

فخار حسونة

اسفرت التحريات في قرية حسونة عن بقايا ست عشرة طبقة من ادوار السكن تنتظم في أربعة عصور حضارية ، وكانت فخاريات حسونة منتشرة في الطبقات الست السفلى منها ، اما الطبقات الاخرى فقد احتوت فخاريات من عصر حلف وعصر العبيد بل والعصر الاشوري •

وقد تميزت في فخار حسونة ثلاثة انواع نوع قديم سمج او مدلوك او ملون ونوع خاص (نموذجي) محزوز او ملون أو ملون ومحزوز في آن واحد ونوع متطور يسمى (فخار سامراء ايضا) •

١ ـ فخار حسونة القديم

فخار مصنوع باليد ، النوع السمج منه خشن من طينة غير نقية تكثر فيها الشوائب • سطوحه ليست مستوية وغير منتظمة تكثر فيه قطع التبن التي اضيفت للشد ومنع التشقق ، ويدل لون طينه على جو مؤكسد في الكورة اثناء التسخين فهي في الغالب وردية وبرتقالية وبنية اللون ، توجد في جدرانها طبقة سوداء احيانا بسبب ضعف درجة حرارة الكورة ، اشكاله قدور وجرار بعضها كبيرة خاصة بالخزن ذات جدران سميكة وهي رديئة الصناعة ولها عنق قصير واحيانا بدون عنق وتنتهي بقاعدة مستوية وتوجد ايضا طاسات واقداح وصحون صغيرة الحجم ذات قواعد مستوية او مدورة واعناق قصيرة والاواني المدلوكة مصنوعة باليد وتكثر فيها الشوائب الطبيعية وصناعتها جيدة وسطوحها مستوية وملساء وعليها طلاء مصقول لماع احيانا ، اعدت في جو مؤكسدفي الكورة وتدل على ذلك الوان الطينة الفاتحة ولكن قليلا منها صنعت بطريقة الاختزال ، اما الاواني الملونة فهي ذات لون واحد كاللون الاحمر

والوردي والبني وتوجد لهذه الالوان عدة ظلال سببها مقدار الصبغ المستعمل ومدة التسخين في الكورة وهي في الاصل من المغرة الحمراء واكاسيد المنغنيز ، اما النقوش الزخرفية فقوامها في الغالب الخطوط المتقاطعة والمثلثات والاشرطة •

٢ ـ فخار حسونة الخاص

ويسمى بالفخار النموذجي ايضا ، اوانيه لها الوان اكثر عمقا ونقوشها اكثر اتقانا وجدرانها اكثر صلابة واعد تسخينها في جو مؤكسد بالكورة ، الاواني المحززة مصنوعة باليد وناعمة ومدلوكة ومطلية بطلاء من نفس طينة الآنية ، الوان الطينة تدل على تحضيرها في مكان غير مغلق والحزوز غير عميقة ، حزت بآلة حادة من الزجاج البركاني او حجر الصوان والاواني الملونة ناعمة ومدلوكة ومطلية وملونة بلون واحد هو البرتقالي او الاحمر او البني او الاسود ، واستعملت الفرشة واصابع اليد للتلوين • والاصباغ اصلها معدني ، اما الاواني الملونة والمحزوزة فهي تركيب منسجم من النوعين والاشكال هي طاسات ذات قواعد مستوية وجدران مدورة او مائلة للخارج وجرار ذات قاعدة مستوية واعناق قصيرة او عالية وجرار كروية الشكل اما الزخارف فهي حزوز قليلة العمق مائلة او مستقيمة او متجمعة في صفوف او في خطوط متكسرة والنقوش الملونة خطوط متقاطعة واشرطة ومثلثات ومربعات ودوائر •

٣ ـ فخار حسونة المتطور

وعلى غرار النوعين السابقين فان فخاريات هذا النوع مصنوعة باليد وتحوي شوائب طبيعية وسطوح الآنية مدلوكة وناعمة وذات طلاء ذاتي ، والوان الطين تدل على جو مؤكسد اثناء التسخين ، والالوان من عدة ظلال من اللون الاحمر والتبني والبني والاسود واصلها معدني ، واهم شيء يربطها بالانواع الاخرى هو التلوين والتحزيز بنفس الوقت •

اما الاشكال فهي في الغالب طاسات وجرار بعضها ذات قاعدة مدورة وبعضها ذات قاعدة مستوية وبعضها ذات قاعدة حلقية او تقف على قوائم واجسامها مدورة او مستقيمة الجدران او متعرجة تميل الى الداخل او الى الخارج وبعضها ذات اعناق طويلة او قصيرة او بدون عنق ، اما زخارفها فاغلبها هندسية تتألف من سلسلة من المثلثات المتعاقبة على بعضها او المرصوفه الى جوار بعضها او من مربعات او اشكال محورة لحيوانات وطيور وحشرات واسماك وبشر .

انتشرت فخاريات حسونة في القرى الشمالية فقط من القطر .

فخار حلف

ينسب هذا الفخار الى التل المسمى حلف وهو موقع اثري يطل على نهر الخابور بالقرب من قرية العين على الحدود التركية السورية .

وجد فيه المنقبون الالمان قبل الحرب العالمية الاولى نوعا من الفخار الجميل لم ينل شهرة في حينه لانفخاريات عصور قبل التاريخ لم تكن موضع اهتمام الباحثين آنذاك ، ولم تعرف اهمية هذا الفخار ولا تسلسله الحضاري الا بعد اجراء التنقيبات في مواقع اخرى مثل الاربجية وبانا هلك ونينوى وتل حسونة وتبه كورا وغيرها .

وتعتبر قرية الاربجية افضل المواقع لدراسة هذا الفخار فالدلائل المبينة على تعاقب الطبقات وتقنية العمل والاشكال والزخارف ميزت فترتين رئيسيتين في هذا العصر ، وفي كل فترة صنع نوع من الفخار واكتشفت فخاريات الفترة الاولى في الخندق العاشر والتاسع والثامن في التل ، وفي الانقاض السفلى من سفح التل ، اما فخاريات الفترة الثانية فقد وجدت في الخندقين السابع والسادس وفي الانقاض العليا من سفح التل ، وكانت فخاريات الخندق الخامس مختلطة مع فخاريات عصر العبيد اللاحق . ولوحظت هذه النتائج

المتعاقبة اثناء الحفريات في مواقع اخرى ايضا ، صنعت فخاريات الفترة الاولى باليد وهي ناعمة مدلوكة ومطلية بطلاء من نفس طينة الانية ، وقليل من الاواني لها طلاء تبني او ابيض اللون ، وتدل الوان طينة الاواني على جو مؤكسد في الكورة٠الاصباغ معدنية الاصل والاواني ملونة بلون واحد هواللونالاصفر او البرتقالي او الوردي او البني او الاسود ويبدو بعضها لماعا بسبب الدلك او الصقل الشديد ، واستعمل الخزافون فرشة ربما من الشعر للتلوين كما استخدموا اصابعهم بدليل طبعاتها الباقية في الزخارف ، وكان التلوين بلون واحد فقط ٠

ووجدت اوان اعتيادية غير ملونة ايضا واستمر صنعهـــا في الفتـــرة اللاحقة ، وفي الفترة الثانية استمر صنع الاواني باليد ولكن التسخين كان افضل والطلاء اكثر ثباتا والعمل ادق ، واهم تغيير حصل في هذه الفترة هو التلوين باكثر من لون واحد فكانت هناك اواني لونت بلون مزدوج وذلك باستخدام نفس اللون مرة من صبغ داكن واخرى من صبغ فاتح كما استخدم لونان وثلاثة الوان مثل التبني والاحمر العميق والبني الفاتح والبني العميق والدارسيني والاسود والابيض ٠

اما الاشكال فكانت قدورا وجرارا وصحونا واطباقا واقداحا قواعدها مستوية او حلقية وجوانبها كروية او متعرجة او مستقيمة وحافاتها مدببة تميل الى الخارج او الى الداخل وللبعض منها كالاقداح مثلا قوائم عالية ٠

اما الزخارف فتقع في صنفين هندسية وطبيعية ، والهندسية تتألف من أشرطة ملونة او خطوط متصالبة او متقاطعة او متموجة او منكسرة مرسومة بشـــكل عمودي او افقي ومن مثلثات ومربعات ومعينات ونجوم واقمار وشموس وزخارف بهيئة اوراق نباتات وازهار واشجار وطيور وغزلان وأفاع

ورأس الثور او قرن الثور الذي اتخذ في الفترة الثانية شكلا محورا رمزيا رسمت مجموعات منه في ترتيب عمودي او افقي • اقتصرت صناعة هذا الفخار على شمال القطر ، وهو فخار عراقي نشأت صناعته في القرى الشمالية وانتشرت منها الى سورية وتركية •

فخار العبيد

سمى بهذا الاسم بعد اكتشافه لاول مرة في تل العبيد بالقرب من مدينة اور القديمة وقد اتضحت انواعه بصورة دقيقة بعد التحريات التي جرت في مواقع قروية اخرى مثل اور واريدو وحاج محمد في الجنوب وتبه كورا وتل الاربجية وتل حسونة في الشمال ، لقد انتشرت صناعته في جميع ارجاء القطر العراقي وفي الاقطار المجاورة مثل سورية وتركية وسواحل الخليج العربي وايران •

وعلى غرار فخار حلف يمكن تمييز فترتين في عمر هذا الفخار الذي كانت صناعته من البداية وحتى النهاية يدوية من طينة تكثر فيها الشوائب الطبيعبة غير ان الانواع الجيدة صنعت من طينة مصفاة • جدران الاواني مدلوكة وناعمة الملمس ولكنها خالية من الطلاء والاواني الكبيرة فيها شوائب كثيرة لشد الطين ومنع تشققه ، الوان الطينة تدل على جو مؤكسد للفخر في الكورة والاصباغ اصلها معدني والتلوين بلون واحد هو اللون الاسود او اللون البني وفي الفترة الثانية كانت الصناعة افضل وتنفيذ التفاصيل ادق واللون واحد ولكن استعمال الصبغ الاسود ازداد في هذه الفترة وبصورة عامة كانت مهارة الخزاف في مستوى ادنى •

اما الاشكال فهي على غرار اشكال فخاريات حسونه وحلف فدور وجرار واقداح واطباق وصحون لا تختلف اجسامها واعناقها وقواعدها عن سابقاتها في عصر حلف كما ان معظم النقوش الزخرفيه التي رسمت على الاواني الحلفية رسمت على الاواني العبيديه ايضا فهناك الخطوط والمثلثات والمربعات والدوائر وقرص الشمس والنجوم واوراق النباتات والازهار والطيور والاسماك لكن لااثر لرأس الثور وقرنه •

ان الفخاريات العبيدية هي انتاج عراقي اصيل فقد وجدت فوق طبقات عصر حلف كما وجدت مختلطة معها في طبقات انتقاليه في مواقع كثيرة ومن غير المعقول ان يكون هذا الاختلاط وليد الصدفة اوالنقل بعوامل طارئة لأنه وجد في طبقات متعددة في اكثر من موقع واحد ومنطقة واحدة في شمال العراق وسورية واسيا الصغرى وبصورة عامة تمثل صناعه الاواني الفخاريه العبيدية ضعفا وتدهورا في المستوى اذا قورنت باواني عصر حلف السابق • ويظهر هذا الضعف في تقنية الصناعة والزخارف •

فخار الوركاء

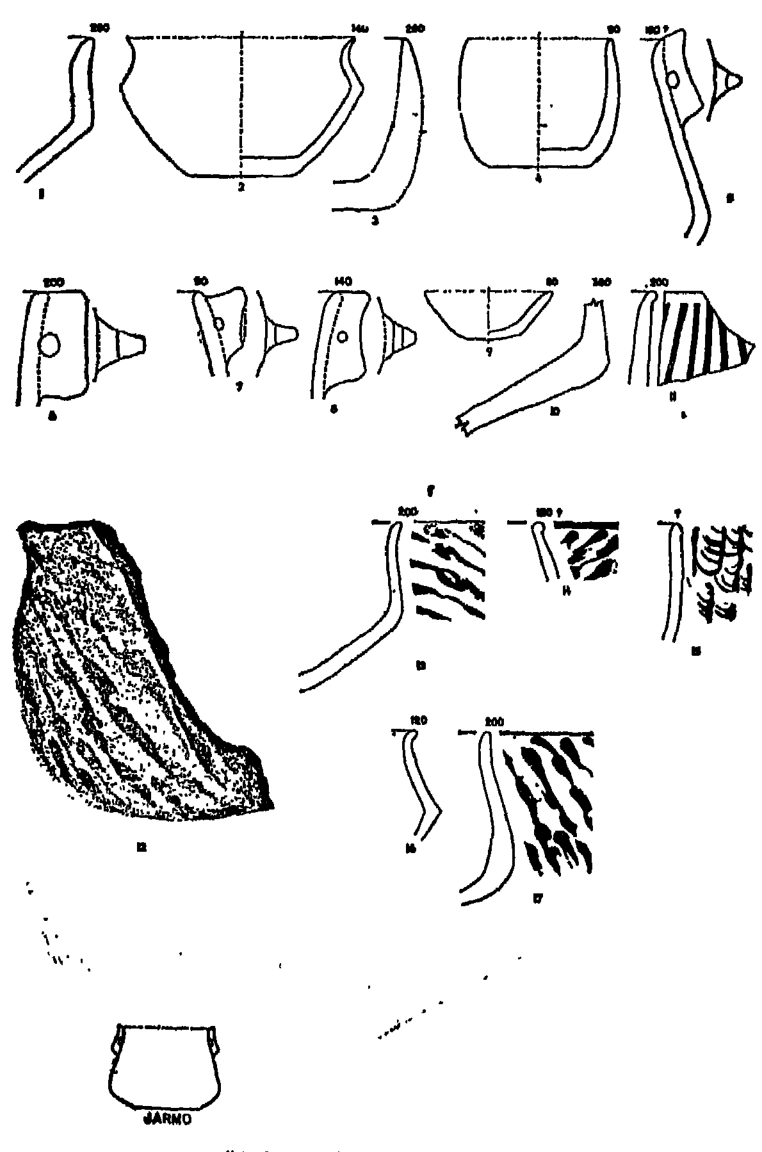
فخاريات الوركاء سمجة الصناعة سميكة الجدران معمولة على الدولاب والقليل منها معمولة باليد، وهي ليست ملونة وليست مزخرفة بل مطلية بطلاء ناعم من نفس الطينة التي صنعت منها الانية وتتميز فيها ثلاثة انواع نوع له طلاء احمر اللون وتتفاوت ظلال هذا اللون الاحمر من الاحمر الفاتح الى الاحمر البرتقالي والاحمر العميق والاحمر البني ، والنوع الثاني له طلاء رمادي اللون وفي حالات نادرة يكون هذا الطلاء أسود بسبب درجات الحرارة العالية اثناء الفخر في الكورة ، اما النوع الثالث فهو بسيط وعادي

ويخلو من الطلاء والزخارف ، سطوح الاواني ناعمة ومدلوكه ولكن الأواني التي استخدمت في الطقوس الدينية كانت خشنة ، اغلب الاشكال جرار واواني كبيرة الحجم وصغيرة الحجم .

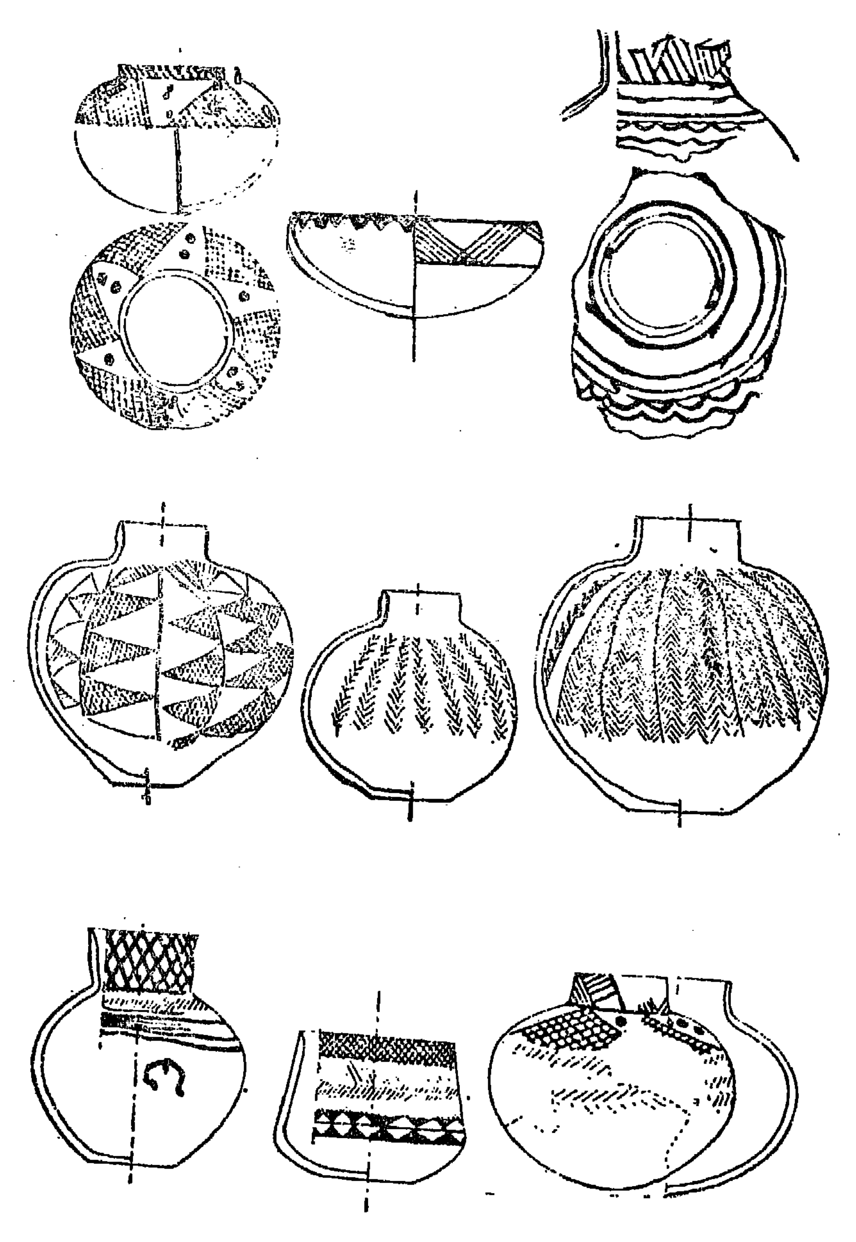
والجرار منتفخة الجسم ذات قاعدة مستويه ولها اعناق قصيرة جدا وحافات معوجة او مائلة للخارج او لها فم واسع وللقليل منها فتحتان وللكثير منها ولا سيما للصغيرة الحجم صنبور مثلما في الابريق اما الاواني فهي قدور وطاسات وصحون وتختلف في حجمها بين الكبير والصغير ، وبعضها كرويه الشكل او ذات جوانب مستقيمة وحافات معوجه مقلوبه نحو الخارج وللقليل منها عرى . سميت بهذا الاسم نسبة الى قرية الوركاء (اورك القديمه) وشاعت صناعتها في كافة انحاء العراق وفي الاقطار المجاورة مثل سوريه والاناضول .

فخار عصر فجر التاريخ

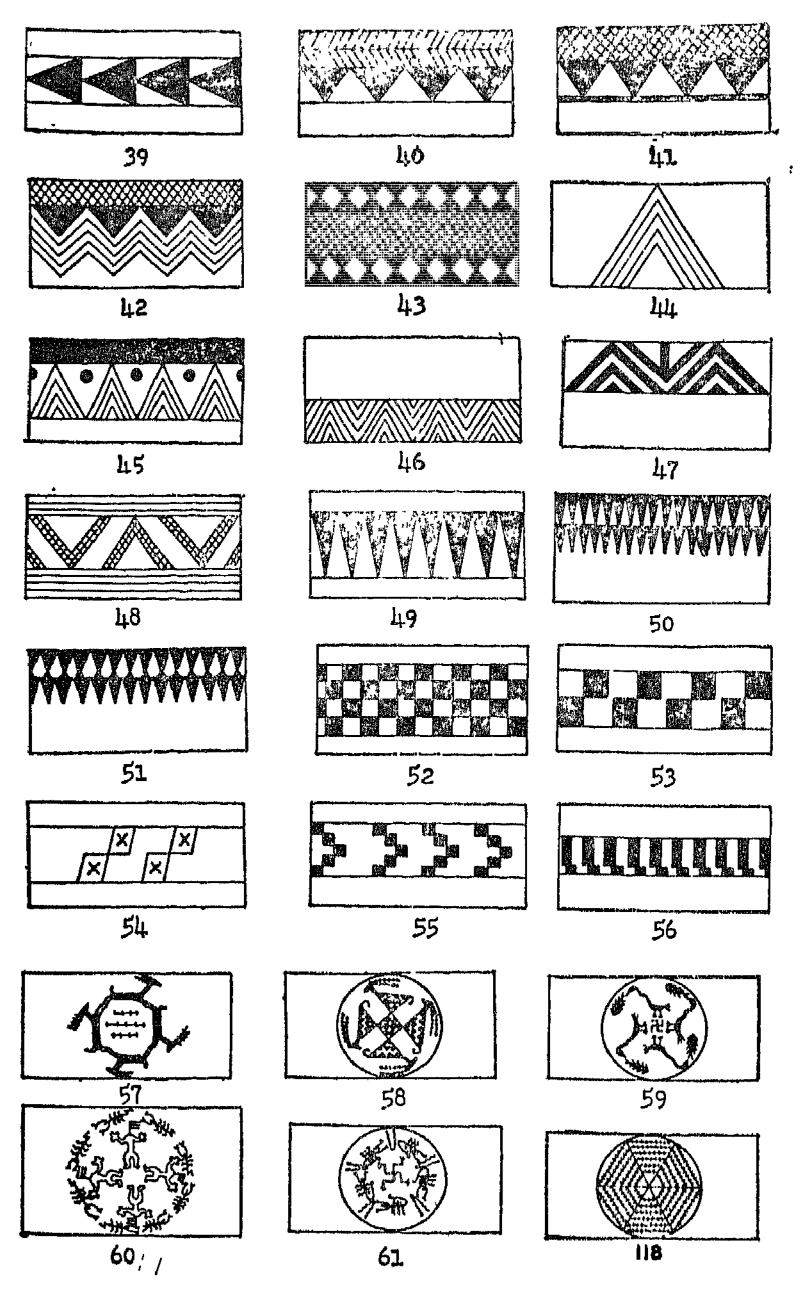
فخاريات هذا العصر وجدت لاول مرة في الطبقة السادسة عشرة في نيبور (نفر) القريبة من عفك وفي الوركاء وفي جمدت نصر (تل النصر) القريب من قرية كيش ، الاواني جيدة الصنع جميلة المنظر ناعمة الملمس ذات طلاء اجاصي اللون ومدلوكة ومعمولة على الدولاب وملونة بعدة الوان ، وتغلب على الاشكال الجرار الكبيرة والطاسات والاقداح والاواني العميقة المزينة بزخارف هندسية او زخارف طبيعية بلون اسود او احمر او بكلا اللونين على سطح الاناء ذي اللون الاصفر الفاتح . بعض الجرار لها اربع عرى ، وقد حلت هذه الصناعة الفخارية محل فخاريات العصر السابق الخالية من النقوش والزخارف وشاع استعمالها في كافة انحاء القطر العراقي وفي الاقطار المجاورة .



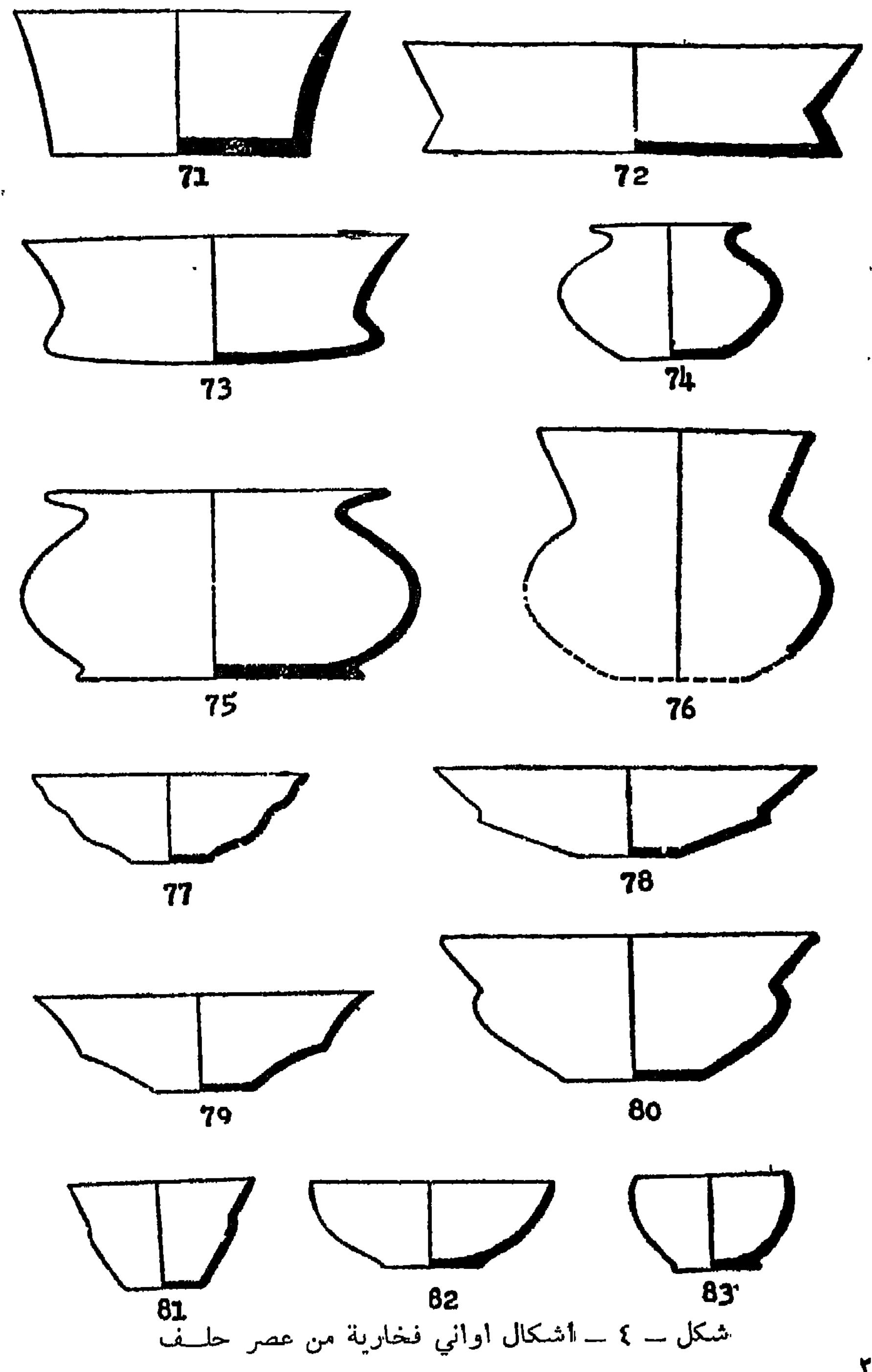
شكل ــ ١ ــ اواني فخارية غير ملونة من جرمــو



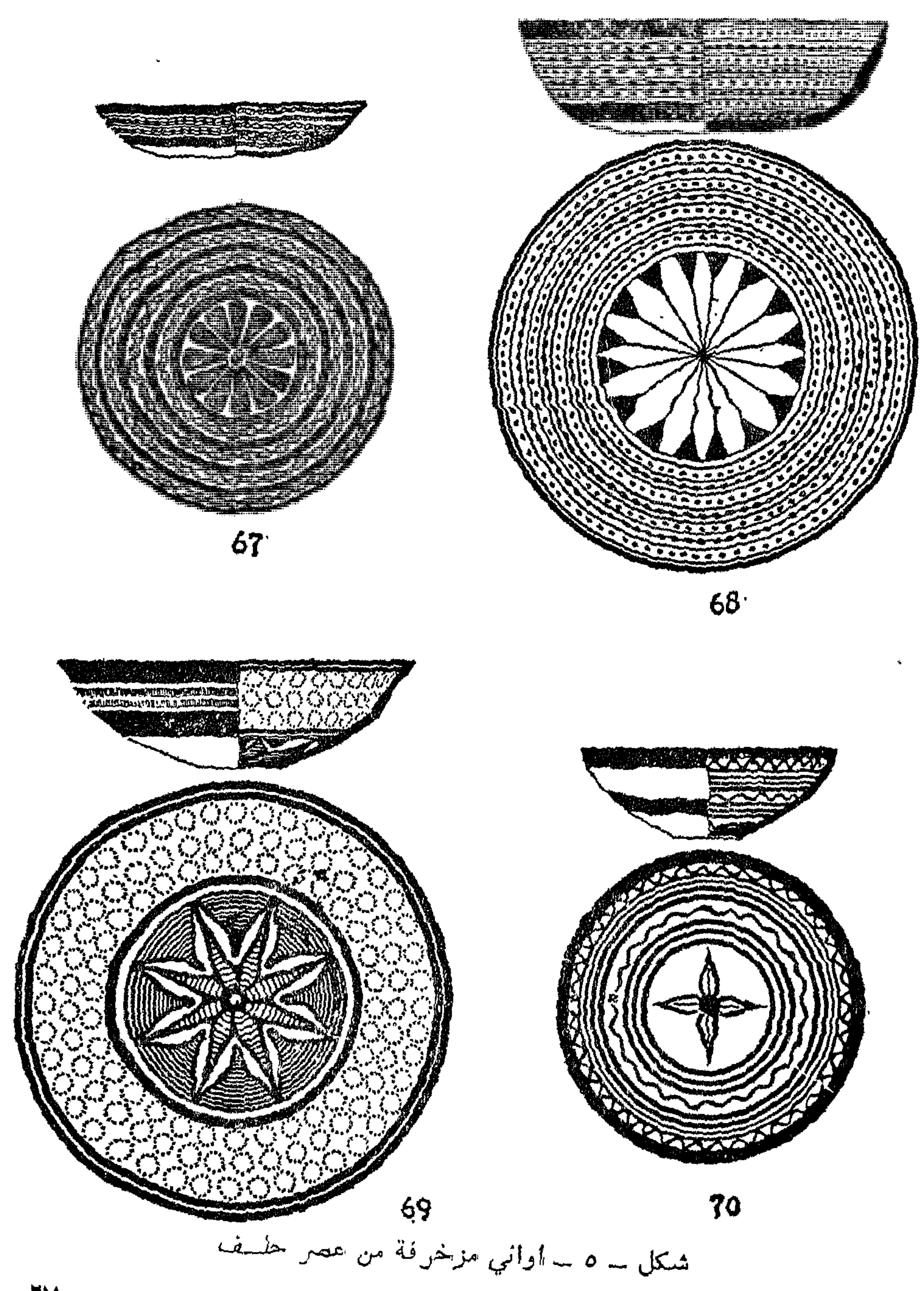
شكل ـ ٢ ـ نماذج من فخار حسونة المحزز والملون (الطبقات ٢ـ٦)



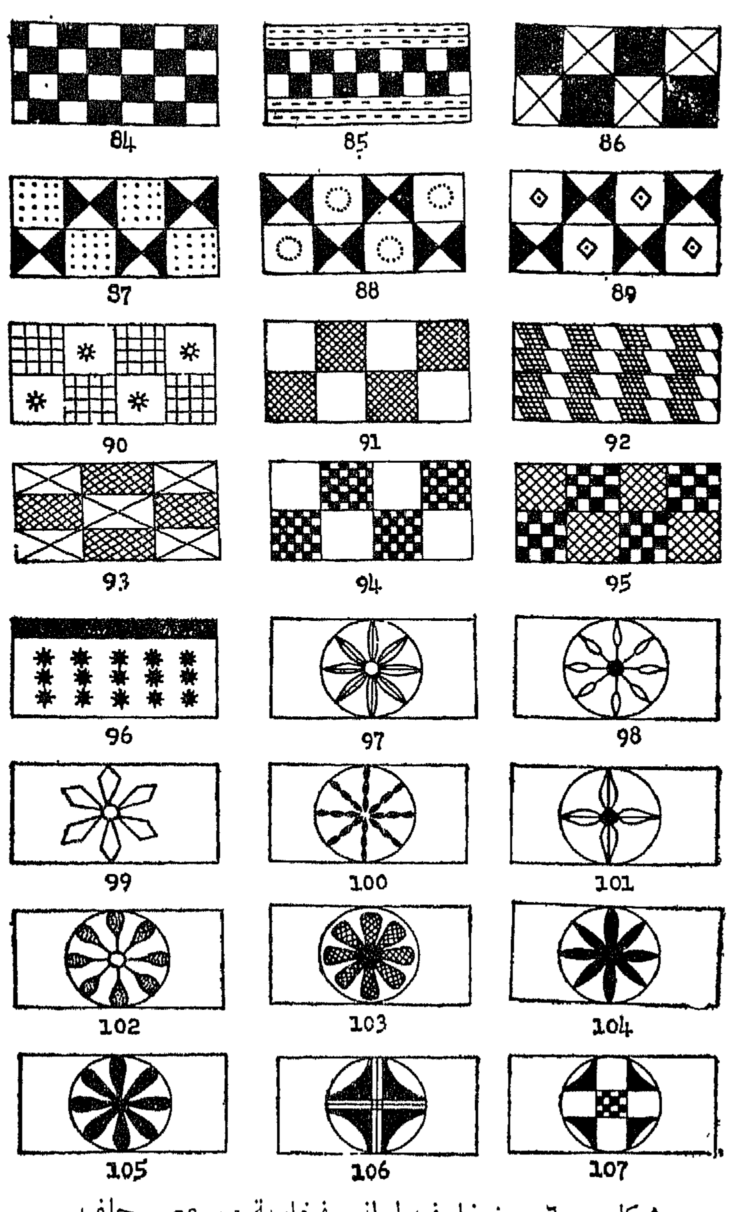
شكل ــ ٣ ـ زخارف اواني فخارية من عصر حسونة



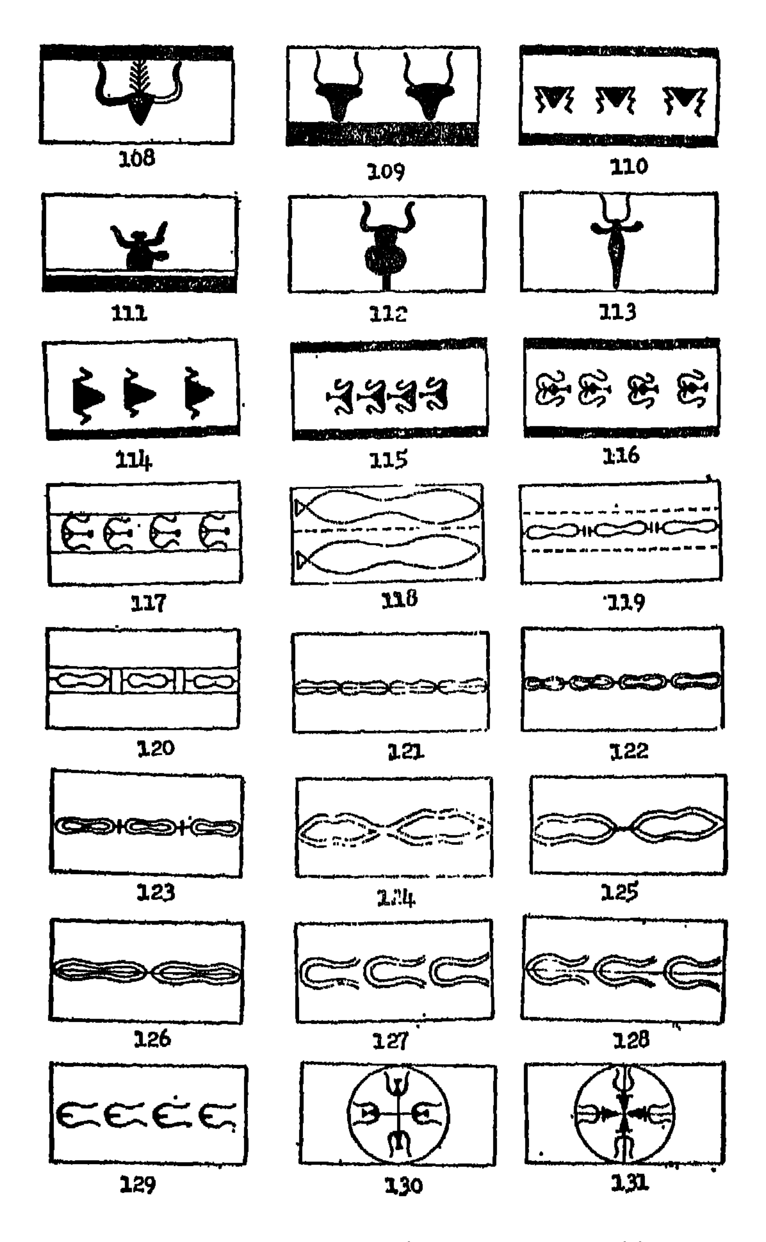
شكل ــ ٤ ــ اشكال اواني فخارية من عصر حلــف



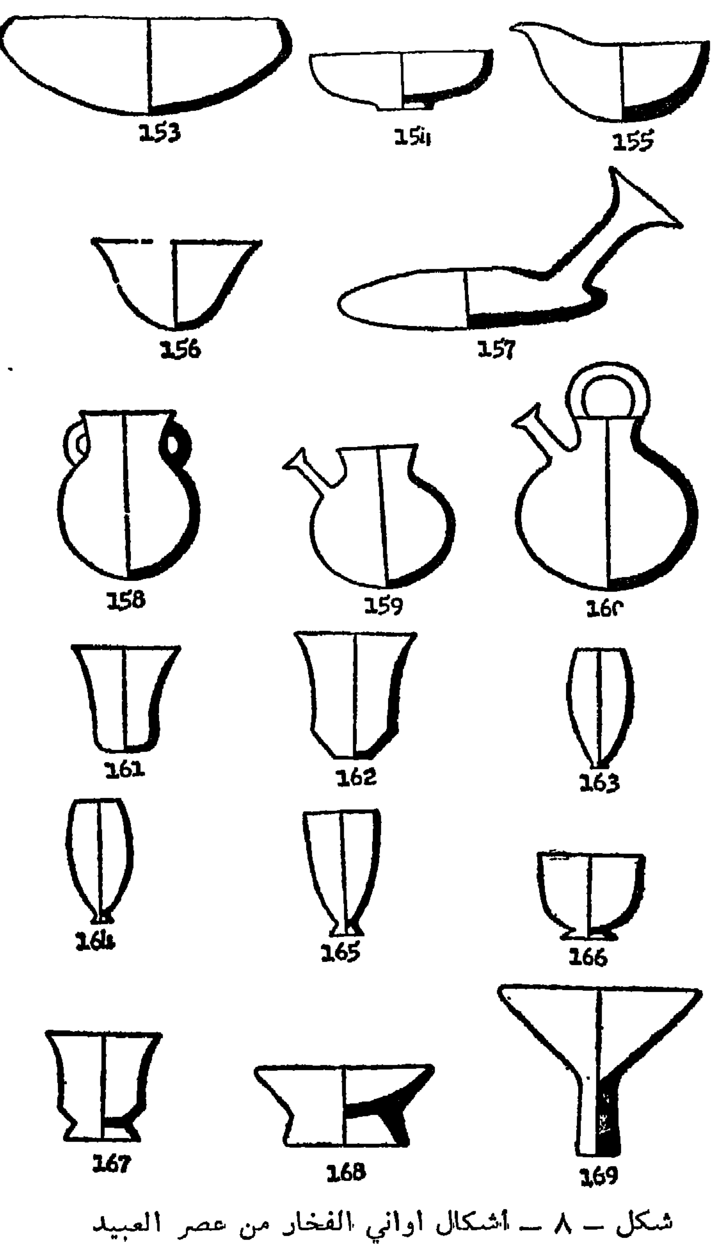
شكل ــ ٥ ــ اواني مزخرفة من عصر حلــف



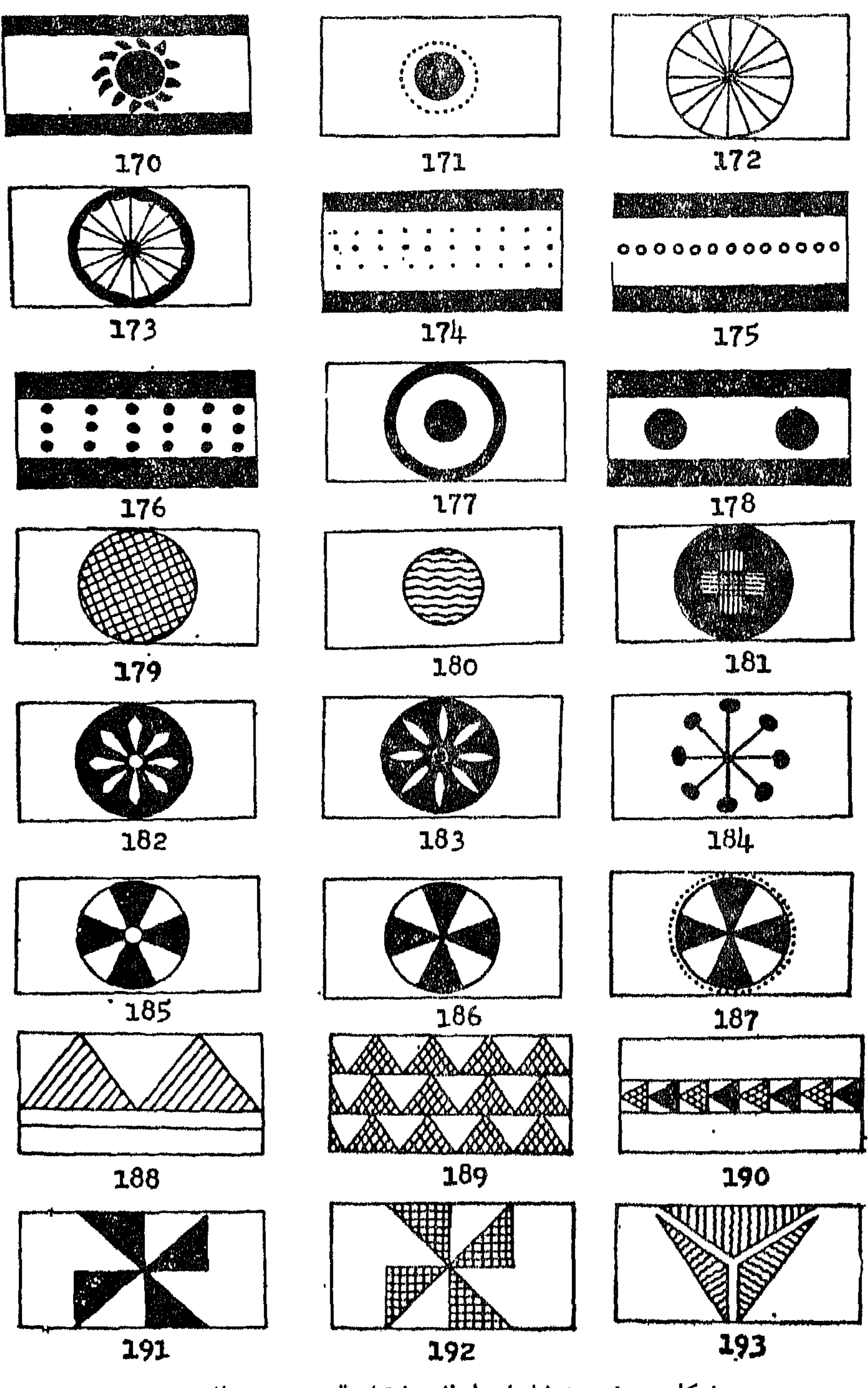
شكل — ٦ — زخارف اواني فخارية من عصر حلف



شكل ـ ٧ ـ زخارف اواني فخارية من عصر حلف



شكل ــ ٨ ــ أشكال اواني الفخار من عصر العبيد



شكل ـ ٩ ـ زخارف أواني فخارية من عصر العبيد

المصـــادر

تقي الدباغ . الفخار القديم . مجلة سومر ، ١٩٦٧ .

تقي الدباغ ووليد الجادر واحمد مالك الفتيان . طرق التنقيبات الاثرية ، بغداد ١٩٨٣ .

Braidwood R., Tulane, L., and Perkins, A., New Chalcolithic Material of Samarra Type and its Implications, JENS, Vol. 11, No. I, 1944.

Cole, S., The Neolithic Revolution, London, 1965.

Colton, H., Potsherds. Museum of Northern Arizona Bulletin 25, Flagstaff, 1953.

Dabbagh, T., Ceramics in Archaeology, Bulletin of the College of Arts, University of Baghdad, 1966.

Delaugaz, P., Pottery from the Diyala Region, OIC, Vol. LXIII, 1952.

Frankfort, H., Studies in Early Pottery of the Near East I, London, 1924.

Garstang, J. The Story of Jericho, London, 1940.

Lloyd, S., Tell Uqail, Vol. 11, No. 2, 1943.

Mallowan, M. and Rose, J., Prehistoric Assyria, The Excavations at Tell Arpachiya, Iraq, Vol. 11, 1935.

Perkins, A., The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia, 1947.

Safar, F., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945.

Safar, F., Excavations at Eridu, Sumer, Vol. III, No. 2, 1947.

Shepard, A., Ceramics for the Archaeologist. Carnegi Institution of Washington, Publication No. 609, Washington D.C., 1956.

Thompson, R., and Mallowan, M., The British Museum Excavations at Nineveh 1931-1932, AAA, Vol. XX, 1933.

Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. 11, 1950.

Wailly, F. and Abu es-Soof, B., The Excavations at Tell Es-Sawwan, First Preliminary Report, 1964.

Woolley, R., Ur Excavations, Vol. IV, 1956.



المبحث الثاني

الفخار منذ عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم

د. مؤيد سعيد

المؤسسة العامة للاثار والتراث ـ بغداد

عصر فجر السلالات

تمتد فترات هذا العصر من بداية الالف الثالث ق ٠ م وحتى حوالي ٢٤٠٠ ق ٠ م ونظرا لان الخصائص المحلية للفخار المعروف من هذا العصر والقادم من منطقة نهر ديالى في المسافة الممتدة بين تلال حمرين وحتى نهر دجلة هي المعروفة اكثر ، خاصة بعد التنقيبات الانقاذية الاخيرة في حوض سد حمرين على نهر ديالى ٠ لذا ما زالت انواع الفخار المعروفة بفخار ديالى او (فخار شرق دجلة) هي الاساس في التعرف على صناعات فجر السلالات الاول والثاني بالدرجة الاولى ٠ ولاعجب من ذلك ، لان عصر فجر السلالات في منطقة ديالى هو عصر انطلاقة حضارية واسعة على الصعيد المحلي ٠ فلقد انتشرت صناعات التعدين وبالذات استخدام النحاس والبرونز ٠ وعرف الانسان العمارة ذات الطابع الخاص الذي يعطي شخصية مستقلة لكل مبنى

منفرد . كما توسعت الحركة الاقتصادية ، فانتشرت عشرات المدن الصغيرة والمتوسطة الحجم وعلى ابعاد متناسبة عن بعضها البعض لتشكل شبكة حضرية نغطي اقليما واسعا على حافتي نهر ديالى .

ان هذا لم يمنع بالطبع انتشار حضارة هذا العصر في الوركاء واور ونفر وكيش ومدن الجنوب الاخرى على نهر الفرات . ومن الملاحظ ان الفخار في عصر فجر السلالات الاول كان استمرارا لفخار عصر جمدة نصر .

وهذا الفخـــار متعدد الالوان Polychrome ويغلب عليه اللون الاحمر ومشتقاته . وهو ذو اشكال متوسطة الحجم على هيئة جرار ذات بدن مكور او ذات سطح منكسر في الجزء العلوي يشـــكل كتفا دائريا يبدو وكأنه غطاء لقدر كبير في وسطه فوهة دائرية .

وأرضية هذا الفخار حمراء غامقة وملونة بخطوط ونقوش ورديـــة متعددة بالاضافة الى اللون البني او الاسود .

اما الاشكال المرسومة فكانت عبارة عن مثلثات متقالبة او متتالية تحصر بينها مساحات رباعية ، وبها رسوم لسنابل او سعف نخيل او شـــبكات هندسية كما كانت الفوهة والقاعدة تلونان بالاحمر الصلد . اما بدن الاناء فكان يزدان برسوم حيوانات تشبه الكباش او الغزلان وتدور باتجاه واحد حول الاناء ، وفي معظم الاحيان باتجاه اليمين .

وقد تزدان بطيور او اسماك تملأ الفراغات الصغيرة ، او براقصـــات عاريات البدن يحملن الطـــار او الدف او المرايا باليد الواحدة . ويتحركن باتجاه اليمين ايضا . وفي حالة واحدة نرى ان طيورا تقف فوق بعضها تتجمع على جانبي شجرة (وكأنها شجرة الحياة المعروفة لدى الاشوريين بعد اكثر من ١٥٠٠ سنة) .

وهناك مناظر لاحتفالات او لعربة تسحبها حيوانات لعلها حمر وحشية وبالاضافة الى الفخار القرمزي استمر استخدام نوع اخر من الفخار وهو ما يسمى بالفخار المشطب الكساء (Reserved-Slip-Ware) وهو نوع يغمس بحمام طين خفيف كي يأخذ كساء اضافيا ، ثم يشطب بالطين بالاصابع تاركا الطبقة الجديدة الرقيقة مشطبة بخطوط عفوية .

ومن الفخار المعروف في هذه الفترة ولاول مرة هو القدح الطويل دو القاعدة الصلبة . بالاضافة الى الجرار الابريقية ذات انبوب المصب القصير ، والجرار عريضة الفوهة الدائرية وذات العرى القصيرة الاربع . ومن اهم فخار هذه الفترة فخار رمادي اللون مسود محزز برسوم هندسية ونباتية وحيوانية والحزوز مليئة باللون الابيض .

ومن فخار هذه الفترة أيضا الاناء طويل القاعدة الاسطوانية الذي ينتهي بصحن عريض فوقه يسمى بصحن الفاكهة .

كما ظهرت المطارة او قنينة الماء الدائرية المضغوطة وكأنها مطارة الماء التي يحملها الحجاج عادة .

ولقد استمرت طيلة فترات فجر السلالات الثلاث اواني الفاكهة والاباريق ذات المصب القصير .. الا ان الفخار القرمزي اختفى في نهاية هذا العصر تماما او اختفت منه الرسوم والزخارف . (انظر لوح رقم ١)

الفخار الاكدي والسومري

استمرت السلالة الاكدية في الحكم لمدة ١٥٠ عاما تقريبا ولم يستطع المنقبون حتى الان الكشف عن مواقع أكدية تستطيع ان تقدم لنا نماذج الفخار

لـوح ـ ١



نمـاذج من فخـار فجـر السلالات

الاكدي الرئيسية • وانما جاءنا الفخار من الطبقات السكنية الاكدية في مواقع اعمها من منطقة ديالى بالذات •

ولقد ظهر الصحن العميق الكبير ذو الفوهة المقطوعة الحافة باتجاه مائل نحو الخارج •

كما ظهرت الكأس الكبيرة الطويلة ذات الجدار الرقيق • وظهرت جرار صغيرة ذات قواعد دائرية • واخرى لفوهاتها حافات مسحوبة الى الخارج قليلا كما ظهرت القناني ذات القاعدة الدائرية والفوهات ذات الحافة المائلة المسحوبة الى الخارج أيضا •

وفي نهاية العصر الاكدي ظهرت الجرة الكبيرة التي تزينها حلقات دائرية متداخلة •

ولقد انقرض الفخار الملون في هذه الفترة • وظهر الفخار ذو الالوان الطبيعية للطين المشوي • وخاصة هذه المتأثرة باللون الرمادي • وهو كما يشير الدكتور فرج بصمه‌جي يكون « مزخرفا بألوان القرنصات والحزوز والتشطيبات وتتوءات اضافية على شكل الحبل او القرص وباشكال هندسية او حيوانية كالحية » •

ولقد بدأت الاباريق بالاختفاء في هذه الفترة • كما افتقدت الجرار ذات العرى والتي أستمر استخدامها طيلة ٦٠٠ سنة سابقا •

وعموما فان معظم فخار هذه الفترة خال من اية اضافات او نقوش ومطلى بطبقة خفيفة من الطين نفسه وقد تضاف اليه طبقة اخرى بواسطة غمرها في حمام من الطين السائل الخفيف او بمحلول صبغة الهيميتايت السوداء •

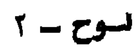
وفي نهاية العصر الاكدي ظهر نوع من الفخار الشبيه بالقدور الصغيرة

الاسطوانية ذات العرى الاربع المثقوبة ، ويتساوى قطر الفوهة فيها مع قطر القاعدة تقريبا وهي من لون اسود او رمادي غامق محززة برسوم مختلفة بمادة بيضاء وقد تضاف هذه المادة على شكل نقاط صغيرة متتالية فوق الخطوط المحززة للاشكال كي تبدو الخطوط بارزة فوق سطح الاناء •

ولقد اعتقد الاثاريون سابقا انها من فترة التسلط الگوتي على جنوب العراق ولذا فلقد كانت تسمى (بالفخار الگوتي) اما الآن وبعد اكتشاف مجموعة جديدة منها في التنقيبات الانقاذية في منطقة حمرين ومنطقة سد حديثة في اعالي الفرات الاوسط فلا بد وان يحدد ارتباط هذا النوع من الفخار بالفترة في نهاية العصر الاكدي لان انتشارها خارج منطقة لجش في جنوب العراق يؤكد عدم كونها گوتية وانما فخار خاص بوظيفة دينية او احتفالية معينة • (انظر اشكال اللوح رقم ٢)

استمر الفخار الاكدي في الاستعمال طيلة الفترة السومرية الحديثة • الا ان الفخار اصبح اصغر حجما واكثر رقة منه في الفترات السابقة • وبدأ الانسان يبحث عن الطينة الافضل نوعية • ويقوم يغسلها وتصفيتها قبل تشكيلها واستمر استخدام الجرار الكروية والاقداح المخروطية الشكل والحباب الكبيرة الحجم التي استخدمت للدفن •

كما استمر استخدام الصحون العميقة ذات الفوهة العريضة المنقوشه والقاعدة الضيقة • كما ظهر صحن صغير له فوهة ذات حافة مشوية عريضة ومثله القنينة الصغيرة ذات القاعدة الدائرية •



لـوح ـ ٢

نمـاذج من الفخـار الاكـدى

ويمكن احصاء (٣٠) نوعا من انواع الفخار من هذا العصر الا انها كلها مستمرة حتى في العصر البابلي القديم . (انظر لوح رقم ٣)

الفخار البابلي القديم

عرف العراق في الفترة الانتقالية من العصر السومري الحديث الى العصر البابلي القديم بالاضافة الى الانواع المستمرة الاولى انواعا جديدة من الفخار ومنها قدح الشرب الاسطواني او المقعر الجدران قليلا ومن طينة صفراء شاحبة او مائلة الى الاحمرار . وقد تكون هناك حلقة سوداء تحيط بالفوهة .

اما طينة الفخار فكانت نقية وناعمة . واستخدمت احيانا في صناعه الجرار الاكبر من الاقداح ذاتها .

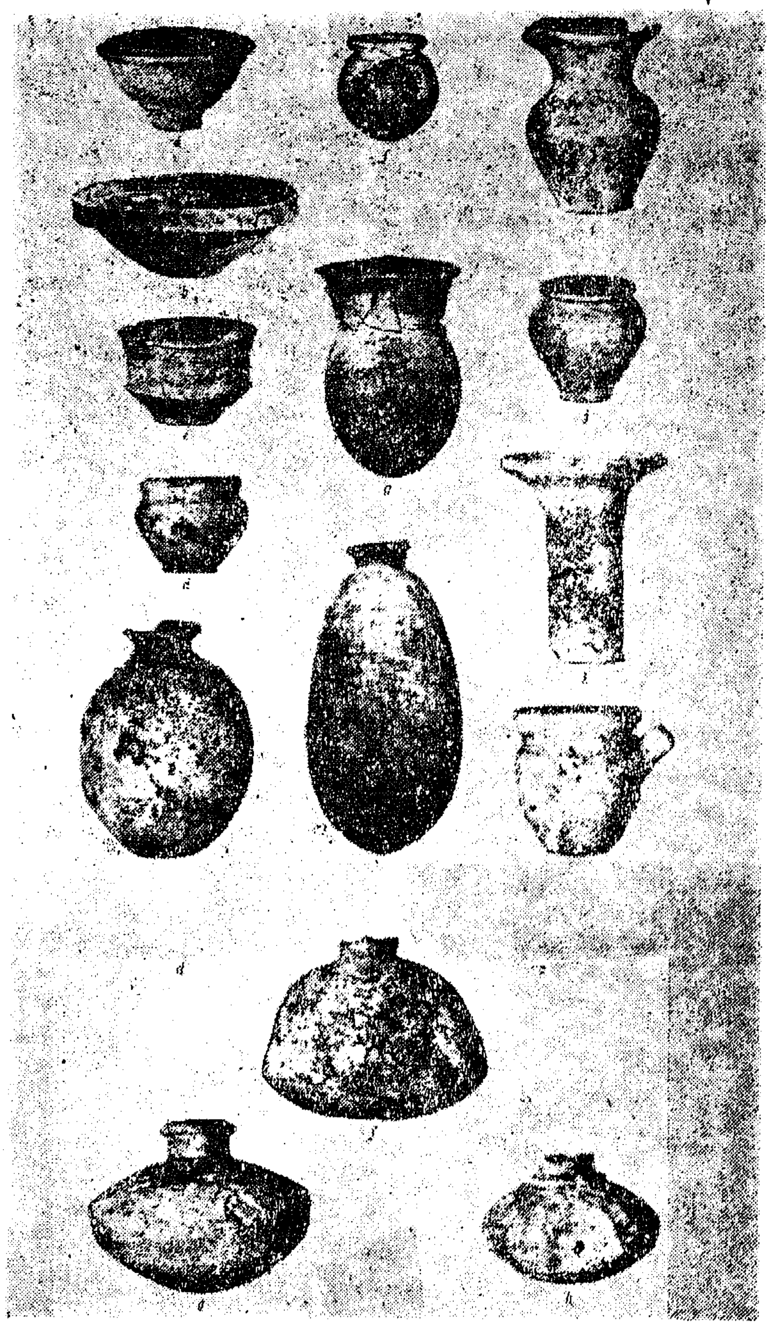
ظهرت في هذه الفترة جرار وسطية ذات قاعدة حلقية محدبة الوسط مع تقعر في الجوانب الداخلية للحلقة . ولقد ظهر كثير من الفخاريات التي استخدمت كمصاف او انابيب مجار من فخار رديء الحرق .

ولقد ظهر فخار غير ملون مزخرف بواسطة التحزيز او الضغط على الطين كما استخدمت لاظهار الحزوز الهندسية اصباغ بيضاء طباشيرية تملؤها .

اما في العصر البابلي القديم فان اهم فخار مميز هو اقداح الشرب البيضوية ذات القاعدة الضيقة الصلدة والحلقية والرقبة المطولة والتي تقرب من الفخار الحوري ـ الميتاني في شكلها الا انها غير ملونة بالحلقات السوداء أو الجرار البنية كما تمتاز بجدرانها الرقيقة نسبيا . كما أشتهرت من هذا العصر الجرة الطويلة النحيفة والجرة ذات الفوهة العريضة والقاعدة الثخينة .

ومن الملاحظ ان الفترات الحضارية اعتبارا من نهاية عصر فجر السلالات

لـوح ـ ٣



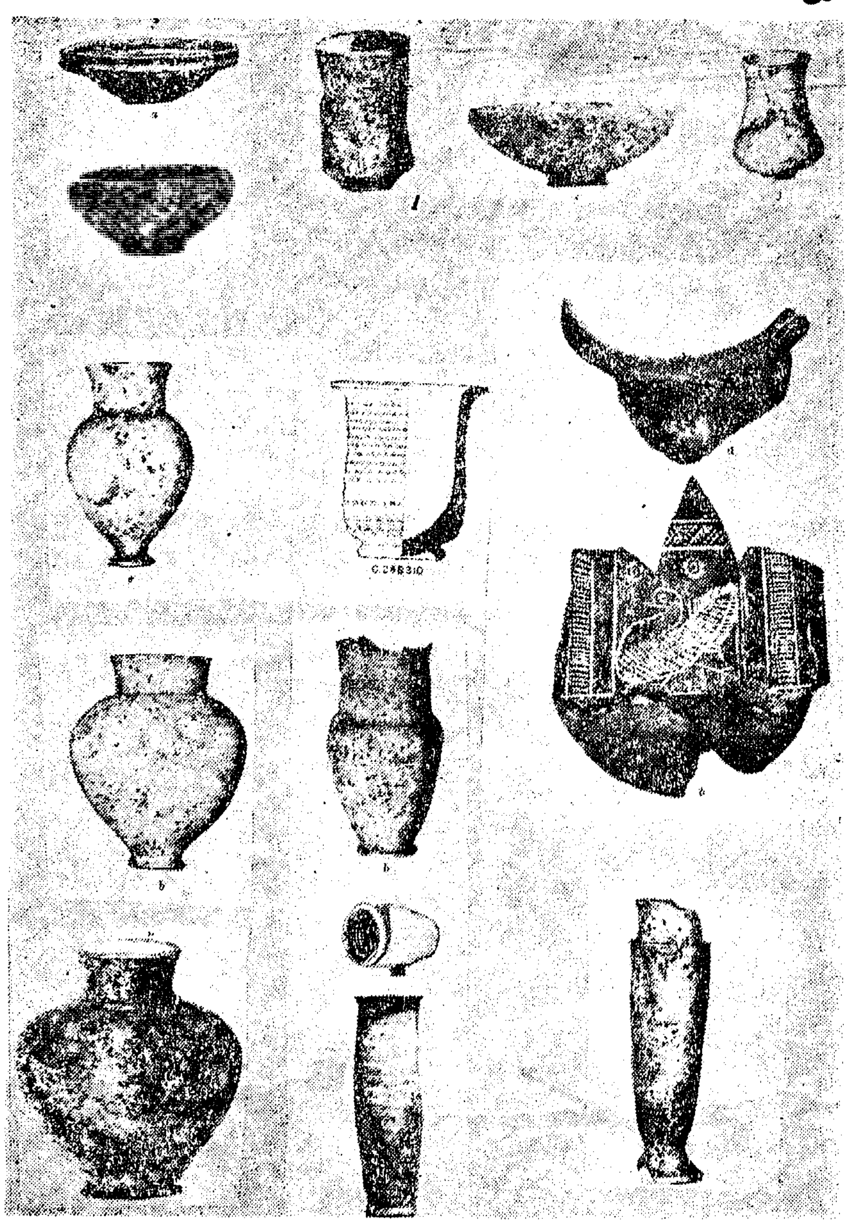
نماذج من فخـار أور الثالثة (العصر السومري الحديث)

حتى نهايـــة العصـر البابلي القديـم •• قـد حافظت على اشكالهـــا المبسطة من دون انتاج انواع لها خاصية جمالية او تشكيلية معينة كمـا هو الحال في العصور الاقدم • ويعود السبب الى أن اكتشاف المعادن وتطوير التعدين للنحاس والفضة والذهب ساعد على استخدام اكثر ترفا لهذه المواد كبدائل للفخار الرقيق او الملون •

ولقد ظهـرت هذه الاواني المعدنية في عصر فجر السـلالات الثاني واستمرت فيما بعد ولذلك ايضا اختفت الفخاريات المتعددة الالوان في نهاية هذا العصر وفي فجر السلالات الثالث ايضا •

ولقد بقي الفخـار المنزلي الاعتيادي سائدا لاغراض الحيـاة اليومية واستخداماتها لانه الاقل كلفة والاكثر تلفا عند الاستخدام • (انظر اللوح رقم ٤)

لـوح ـ ٤



فخـــار لارســـا والفخار البابلي القـــديم

المصـــادر

R. Ehrich, Chronologies in Old World Archaeology London 1984,

Donald Hansen, The relative Chronology of Mesopotamia. Part II. P. 61, P. 201.

فرج بصمهجي ، بحث في الفخار ، سومر العدد الرابع (١٩٤٨) .

Pinhas Delougaz, Pottery from the Diyala Region OIP 48. Chicago 1952.

Hrouda, Handbuch Archaologie vorderasien 1, Munchen, 1971.

المبحث الثالث

الفخاريات العصر البابلي الحديث (الكلدي) والعصر الاسلامي

د. جابر خليل ابراهيم

كلية الآداب ـ جامعة الموصل

الفخــار فى العصر البابلي الحديث(الكلدي)

(لوح ـ ١)

سبق الحديث في المباحث السابقة عن نشأة صناعة الفخار وتطورهـا وأهمية هذه الصناعة في دراسة الادوار الحضارية في العراق القديم وتحديد ازمنتها ومواقع انتشارها ، ونتناول في هذا المبحث هذه الصناعة في العصور المتأخرة من تـاريخ العراق القــديم بدءا من العصـر البــابلي الحديث (٦٢٦ـ٥٣٩ ق ٠ م) وحتى بداية العصور الاسلامية ٠ ومما يؤسف له انه ليس هناك مؤلف شامل عن صناعة الفخار في هذه الفترة الطويلة ولكن يمكن للباحث متابعة تطورها وصفات الفخاريات العامة من خلال مراجعة نتـائج تنقيبات الهيئات الفنية في مواقع العـراق القديمـة المختلفة التي تم نشرها في المجلات العلمية وبعض الكتب المتخصصة ٠

اما فخـاريات العصر البابلي الحديث فقد تم الكشــف عنها اما في الطبقات العليا من المواقع الاثرية في وسط وجنوبي العراق مثل مدينة بابل

والوركاء واور ونفر والدير وكيش وغيرها أو انها التقطت من سطح بعض المواقع الاثرية اثناء المسح الاثاري في منطقة ديالى ٠ ولا يوجد حتى الان ادلة اثارية تشير الى وجود فخاريات العصر البابلي الحديث في مواقع القسم الشمالي من العراق باستثناء ما وجد في مدينة النمرود (كلخو) والتي لا يزال هناك شك في نسبتها ٠

على الرغم من ارتفاع شأن مدينة بابل في هذه الفترة وصيرورتها مركزا سياسيا وحضاريا في غرب اسيا الا أن الملاحظ ان صناعة الفخار والاساليب الفنية المتبعة فيها استمرت على ما كانت عليه منذ العصر البابلي القديم حتى أن من الصعوبة ان نجد اشكالا فخارية مميزة لهذه الفترة باستثناء عدد محدود جدا من الأواني الفخارية كالصحن المكتشف في مدينة الوركاء والمتميز بعنقه وبقاعدته البارزة (لوح ١ : شكل و) ٠ وقد تميزت فخاريات هذه الفترة بطينتها الناعمة في حين كانت طينة الفخاريات المكتشفة في المدافن تبنية خشنة ٠ وقد استخدم التزجيج الابيض اللون او الاخضر المبيض وبطبقة سميكة حول العنق كما استخدم التزجيج باللونين الاخضر والاصفر وبدون زخارف باستثناء حزوز ناتئة على اعناق الأواني وابدانها ولم يستخدم التزجيج على الفخار فقط بل استخدم في الطابوق ايضا ٠

ومن اشكال الأواني الفخارية المكتشفة والمنسوبة الى هذه الفترة صحون قليلة الغور ذات حافات بارزة الى الخارج عليها بعض الزخارف المختومة ومنها الجرار والاكواب ذات الاشكال البيضوية والقواعد المسطحة والسميكة والاعناق القصيرة والفوهات الصغيرة التي لا تتناسب مع سعة ابدانها ٠ اما الجرار الصغيرة فاعناقها اسطوانية وقواعدها قرصية ٠ ومن بعض الانواع الاخرى المكتشفة الجرار الطويلة ذات الفوهات الواسعة التي وجدت قرب اسس السور الداخلي لمدينة بابل والتي تميزت حافات فوهاتها بانها مائلة الى الخارج كما تميزت بقواعدها البارزة ٠ اما الاشكال

الكأسية فقد تميزت بيدنها المغزلي او المكور ونهاياتها المدببة التي هي اكثر طولا من الكعب المنسوب الى العصر البابلي القديم او عصر الاحتلال الكشي . وكان من بين الآنية الصغيرة جرار ذات مقابض وقواعد مدببة ومزججة بطينة رقيقة تميل الى الزرقة .

الفخار في عصر الاحتلال الاخميني

(لـوح ٢ و ٣)

على الرغم من وقوع العـراق (بلاد بابل واشـور) تحت الاحتـلال الاخميني الفارسي منذ سقوط بابل عام ٥٣٩ ق . م حتى مجيء الاسكندر المقدوني عام ٣٣١ ق . م الا ان الملاحظ ان مختلف المظاهر الحضارية في بلاد بابل واشور قد استمرت على ما كانت عليه في العصور السابقة ومنها صناعة الفخار التي ظلت تتبع الاساليب نفسها وتستخدم الاشكال ذاتها لذا فليس من الصواب تسمية فخار هذه الفترة بالفخار الاخميني وهذا ينطبق على الفخار المنســوب الى فترات الاحتلال اللاحقــة وحتى بداية العصــور الاسلامية .

ان فخاريات هذه الفترة في مواقع جنوبي العراق غير واضحة بوجة عام اما في وسط العراق وخصوصا في منطقة ديالى فان قلة الفخاريات واللقى السطحية قد فسرت بانها أشارة الى ان الحياة في هذه المواقع كانت بطيئة واستمرت كذلك الى القرن الاول ق . م اما في شمال العراق فقد ألقت الحفائر الاثرية التي جرت في العواصم الاشورية الضوء على ان المدن في هذه الفترة كانت قد هجرت ولم تستوطن ثانية الا في العصور السابقة للاسلام كما أوضحت تنقيبات اواسط الفرات مثل قلعة عانة وجزيرة بيجان الظاهرة نفسها اضافة الى ان المسوحات الاثارية التي قامت بها بعض الجهات العلمية في اعالي العراق تشير الى ان هذه المنطقة كانت قد هجرت او قل استيطانها خلال الاحتلال الاخميني وان نسبة بعض الفخاريات المكتشفة في مدينة النمرود الى هذه الفترة غير اكيدة بعد .

اما اشكال الآنية الفخارية التي شاع استعمالها في هذه الفترة فسماتها في الواقع وثيقة بسمات الفخار البابلي القديم والاشوري والبابلي الحديث • بل واستخدمت بنفس اشكالها •

ومن ابرز جرار هذه الفترة هي الجرار ذات البدن المغزلي القصير والفوهة البارزة قليلا الى الخارج والرقبة القصيرة وعلى كتفها حزوز مستقيمة (لوح ٢ : شكل أ) • اما الصحون االمكتشفة في نفر فانها ذات فوهات بارزة ليست كالبروز الظاهر في فوهات آنية العصر البابلي الحديث • وهنـــاك صحون عميقة وكؤوس جميلة رقيقة تشبه بقشرة البيضة رمادية وخضراء مصفرة ظهرت في العصر البابلي الحديث واستمرت صناعتها بهذه الخصائص الى عصر الاحتلال الفرثي •

اما الملتقطات الفخارية في مواقع منطقة ديالى ، فمن ميزات فوهات وصحن آنيتها كونها سميكة كما تميزها ايضا الحزوز الدائرية على القســـم العلوي منها (لوح : ٣) وكذلك وجود الاختـــام الدائرية التي تشـــبه الزهرة ، اوالورقة او الخطوط التي تبتديء من دائرة وسطية مكونة ما يشبه اشعة الشمس (لوح ٢ : شكل ح ـــ ع) •

وهناك عدة جرار ذات بدن مغزلي قصير وعنق قصير ، وعلى بداية الكتف مقبضان ينتهي كلمنهما من الأسفل بشكل رأس حيوان، كما وتنتهي الجرةبكعبمدبب ، طينتها حمراوية ـــ تبنية عليها طلاء رقيق بعضها مزجج باللون الاخضر ، كشفت في مواقع بالعراق وسوريا وايران وافغانستان • فالنماذج المكتشـــفة منها في تل بلا في منطقة الموصـــل قد ارخت بحدود ١٦٠٠ ـــ ١٢٠٠ ق•م وبذا يكون هذا الشكل اقدم انواع هذا الفخار واستمرت انواعه تكتشف في الطبقات الآشورية وفي الفترات ما بين الاخمينية والفرثية كالتي عثر عليها في شاملو بمنطقة شهرزور وماحوز ودورايوربس الصالحية) •

الفخار في العصر السلوقي

(لـوح ٤ و ٥)

تم العثور على فخاريات من فترة الاحتلال السلوقي في عدد من المدن المهمة وفي مقدمتها سلوقية (تل عمر) والنمرود ونفر والوركاء وبابل ونينوى . وقد تمت دراسة فخاريات النمرود بشكل خاص ودقيق وأرخت ما بين ٢٤٠ ـ ١٤٠ ق . م وقد أفادت هذه الدراسة في تصنيف الفخاريات المماثلة المكتشفة في مواقع اخرى وخاصة في سوريا والخابور .

مما لا شك فيه ان سمات فخار هذه الفترة هي السمات نفسها التي تميز بها فخار المدن الاغريقية في شرق البحر المتوسط مثل فخار المدينة دورايوربس (الصالحية) وطرسوس وانطاكيا . فالطينة المستخدمة في صناعة الفخار هي التبنية غالبا وقد تميز وجه الأواني الداخلية بكونه صقيلا كما تميز بطلائه الاحمر الفاتح من الخارج وفي بعض الآنية كان الوجه يطلى من الداخل بهذا اللون وتتفاوت درجات هذا اللون حسب درجات الحرق وقد يتحول اللون الاحمر الى اللون البني الغامق ان كانت درجة حرارة الحرق عالية .

اما جرار الخزن الكبيرة فقد تحتوي معظمها على ثلاث مقابض زخرفت ابدانها بمثلثات ودوائر واشجار ومراوح نخلية ، وجدت بعض هذه العناصر الزخرفية على آنية في بابل ، كما وان الجرار الكبيرة ذات النهايات المدببة ، التي توضع عادة على قواعد دائرية ربما استخدمت لحفظ السوائل .

ومن بين الجرار النوع المعروف بالامفورا "Amphora" الذي كشف عن اعداد منها في بعض المواقع واستمر هذا الشكل يصنع حتى العصر الفرثي (لوح ٥) . الا ان الجرار الطولية ذات العرى الصغيرة على الكتف

لها تأثير بابلي حديث يبدو فيه تقليد الطراز الشـــائع في بلاد بابل بعض الشيء .

اما الزمزميات ذات المقبض او المقبضين والرقبة القصيرة والخالية من القاعدة فقد وجدت اعداد منها في بابل وكانت مسدودة الفوهة ومطلية بالقير ومختومة بحلقات دائرية . وقد ظلت صناعتها شائعة في هذه الفترة الا ان هناك نماذج منها عرفت منذ زمن نبوخذنصر .

ومسارج هذه الفترة ذات فوهة وبدن عاليين مع نهاية طويلة مثقوبة يعتقد انها مصنوعة باليد ، بعضها غير مزجج تبدو فيها الأساليب القديمة ذات الاصل العراقي واضحة كما ويلاحظ عليها التأثيرات الاغريقية بدرجة قليلة (لوح ٥) .

الفخار في عصر الاحتلال الفرثي

(لـوح ٦ و ١٥)

وجدت فخاريات الفترة الفرثية (١٣٩ ق . م ـــ ٢٢٦ م) في عدد كبير من مدن العراق القديم منها سلوقية والحضر وآشور والمدائن وكيش ونينوى ونفر وكاكزو (سعداوه) والوركاء وبابل ودورايوربس (الصالحية) ومن مواقع أثرية أخرى كجدالة وتل حيدر وتل ابو ذر وتل أسود اضافة الى عدد من مواقع منطقة ديالى في حوض سد حمرين .

ومن اكثر الأواني شيوعا في هذه الفترة هي الجرار البيضية الشكل ذات النهاية المدببة التي تغرس في الارض او ترتكز على قاعدة مجوفة . ونوع آخر من الفخار ذو عجينة هشـــة مزجج باللون الفضي اللماع او الازرق الفاتح ، اضافة الى نوع آخر من آنية فخارية ذات طلاء احمر كثير الانتشار في المواقع الاثرية الكائنة في منطقة الخابور بأعالي نهر الفرات نسبت مشابهات لها الى بلاد اليونان .

اما التوابيت الفخارية في هذه الفترة فابرز اشكالها النوع المعروف بشكل الحذاء "Slipper" المزجج باللون الازرق وعلى وجهه الخارجي تماثيل بارزة وجد معظمها في الوركاء وكاكزو . وقد درست الفخاريات المكتشفة في كل من سلوقية (تل عمر) ودورايوربس (الصالحية) دراسة مستفيضة ، الا ان فخاريات مدينة الحضر لم تدرس بل اشير اليها فقط في بعض المقالات . وقد تميزت فخاريات هذه المدينة بوضوح التأثيرات العراقية القديمة الآشورية والبابلية . وان معظم الفخاريات المكتشفة في الحضر وجدت في المعابد الصغيرة والبيوت الملحقة او ذات العلاقة بها كما عثر على بعض الفخاريات في الابار التي كانت اكبر حجما من الاواني المكتشفة في المعابد كما تميزت بصناعتها غير الدقيقة وبقواعدها المنبسطة وان لها مقبضا واحدا . اما الفخاريات المكتشفة في جدالة فينحصر تاريخها في الفترة من ١٤١-٢٤١م .

ومن الملاحظ في حفريات الحضر وجدالة قلة الفخاريات المكتشفة فيهما بالمقارنة مع مساحة هذين الموقعين الكبيرة ولا تظن ان ذلك هو بمحض الصدفة بل ربما كان لذلك أسباب خاصة منها البيئة شبه الصحراوية التي تنعدم فيها الاشجار والوقود المستخدمة عادة لفخر الاواني ومنها تفضيل السكان قرب الجلود لحفظ المياه لسهولتها في النقل من الاوعية الفخارية . اضافة الى ذلك فلربما كانت حقيقةوجود آبار في البيوت المنقبة في الحضر أشارة الى ان سكان تلك البيوت لم يكونوا بحاجة الى نقل المياه من اماكن اخرى لذلك لم يستخدموا الفخار بشكل واسع .

ابرز الجرار التي تميزت بها هذه الفترة هي الجرار ذات المقبضين ومن النوع المعروف بالامفورا "Amphora" المزججة منها وغير المزججة وهي

الشائعة تقريبا في الحضر ودورايوربس (الصانحية) واشور ونينوى وسلوقيا وجدالة واماكن متفرقة من سوريا والتي اعتبرها البعض ذات أصول اغريقية او انها تمثل الطابع الروماني لكن التأثير البابلي يبدو فيها واضحا اضافة الى التأثير المحلي كما في مثيلات لها من النمرود وتل ابو كباب في منطقة سد حمرين (لوح ٦) .

اما الأباريق فسواء أكانت مزججة ام غير مزججة فقد زخرفت أبدانها الا ان هذه الاشكال لم تقتصر على الحضر وانما وجدت مثيلات لها بدرجات مختلفة في اماكن اخرى في بلاد وادي الرافدين وخاصة عين سينو وتل اسود وسلوقية وتل ابو ذر في منطقة بغداد الجديدة ولكن اباريق الحضر تبقى ميزاتها بدرجات منفردة واكثر الاشـــكال شيوعا . اما الجرار الخالية من المقابض المزججة منها وغير المزججة ، والمزخرفة برسومات محزوزة فانها اقل شيوعا الا ان اشكالها ذات اصول عراقية قديمة . وهناك كسرة من الفخار تحمل كتابة ارامية (لوح ٨) وهي على الاغلب جزء من جرة وان شـــكلها مألوف في العراق القديم ويمكن مقارنته مع فخاريات مدينة سلوقية .

وقد وجد الكثير من الصحون الفخارية المزججة في البيوت السكنية في الحضر ، كما وكشف عن مثيلاتها في جدالة . والغالب في طينتها التبنية ومن ثم البنية اللـــون ومـــادة التزجيج المســـتخدمة هي اللون الاخضر المزرق (لوح ٩) .

والمسارج (لوح ٩) المزخرفة منها او الخالية من الزخرفة وجدت في المعبد الرئيسي والبيوت الرئيسة في الحضر وعين سينو وشكلها هو الشائع في اقطار شرق البحر المتوسط لكن مما يميز مسارج الحضر ان طينتها حمراوية عليها طلاء احمر مضاف بطبقة رقيقة .

وما يتعلق بالمادة التي صنعت منها هذه المواد فهي الطينة والطلاء والتزجيج • ففي آنية الحضر استخدمت طينة تبنية منها الجرار ذات المقبضين والاباريق والمسارج وغالبا ما كان الطلاء لهذه المواد من لون مغاير للون طينه المواد المصنوعة فهو اما بني او تبني اما التزجيج فهو اما ان يكون بلون واحد يميل الى اللون الاخضر او الاصفر ، واللون الاخضر هو الاكثر استعمالا او الاخضر المزرق • علما ان الفخار المزجج كثر استخدامه في وادي الرافدين منذ العصر المسمى بالعصر الشبيه بالكتابي ، وكثر استخدامه في العصر البابلي القديم وعند الاشوريين والعصر البابلي الحديث كما اشرنا لكن استخدامه في المواد الفخارية كثر في عصور ما قبل الاسلام فصاعدا في كل من العراق وغرب ايران •

وكان اللون الاخضر المزرق في التزجيج الشائع في الحضر واللون الأصفر يشبه اللون المستخدم على فخاريات النمرود من الفترة التي تسبق الحضر ويمكن مقارنته ايضا مع فخار عين سينو وكذلك مع اقسام العراق الشمالية اما في جنوب العراق فهناك بعض الاختلافات في لون التزجيج فقد استخدم اللون الفيروزي في المدائن واللون الاصفر المخضر والأزرق في تل ابو ذر والاصفر والاخضر في كيش، والاخضر الفاتح والعميق في فخاريات تل حيدر واللون الازرق والاصفر والابيض في تل اسود والمستخدم مع التزجيج المتعدد الالوان في منطقة ديالى • الا ان معظم هذه المواد المزججة من المواقع العديدة سواء من شمال العراق أم من وسطه كما في دورايوربس (الصالحية) واشور وكاكزو ونوزى وفي وسط العراق : سلوقيا وابو صخير وبابل ، ان معظم هذه المواد المزججة قد وجدت في المدافن •

اما النقوش على الاواني الفخارية من هذه الفترة فيمكن مقارنتها مع

الاواني الفخارية من مواقع في وسط وجنوبي العراق (لوح ١٠ - ١٣) فمن بين الاشكال هي الاشكال المحززة او المزخرفة • والشائعة جدا هي الخطوط التي تحيط بفوهات وأبدان الآنية وكذلك الدوائر الكبيرة والخطوط المتموجة والخطوط المتقاطعة واقلها شيوعا المثلثات واشكال المعينات المختومة التي شكل وحدة زخرفية • وقد وجدت هذه التحليات على فخاريات دورايوربس (الصالحية) وعين سينو والتي ترينا بشكل خاص كون الموقع الاخير قريبا من الحضر ولربما كانت بينهما علاقة تجارية • اضافة الى ذلك ، فقد تبين بأن فخاريات مواقع شمال العراق ذات شبه كبير بفخاريات الحضر وأشور •

اما الفخاريات المكتشفة في غرب ايران والتي تعود لهذه الفترة فانها ذات شبه كبير بفخاريات سلوقية (بتل عمر) ودور ايوربس (الصالحية) وفخاريات منطقة ديالى ايضا ذات الاصول البابلية والاشورية (لوح ١٤ و ١٥) •

الفخار في عصر ما قبل الاسلام

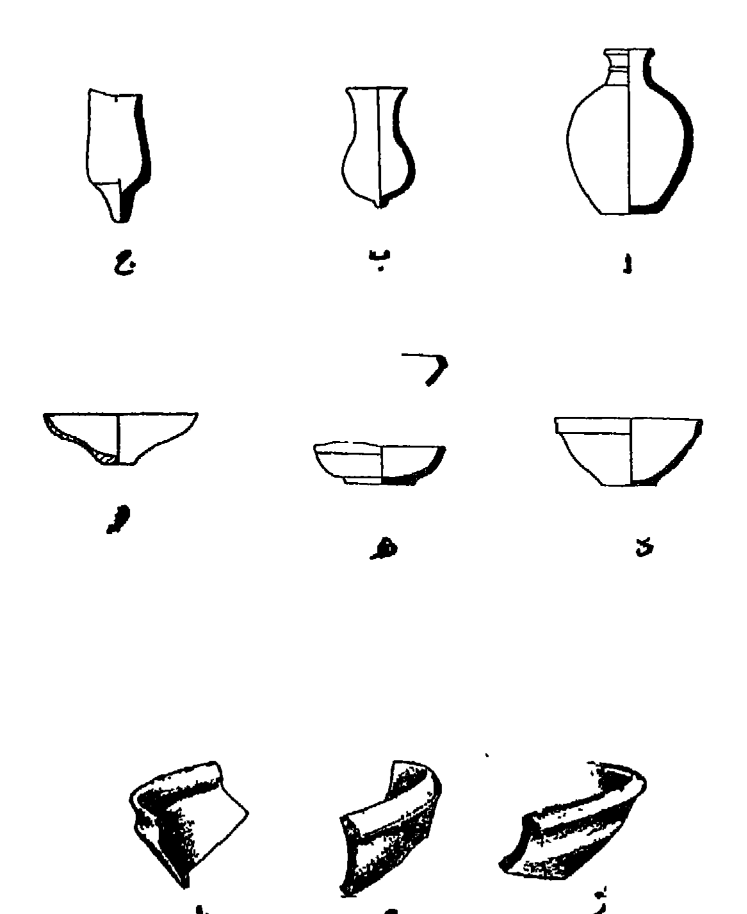
(لوح ١٦ و ١٧)

كشف عن فخاريات هذه الفترة في الطبقات العليا في عدد من المواقع العراقية القديمة منها نينوى وتل برغوثيات في كيش وتل ماحوز والمدائن •••

ان دراسة فخاريات هذه الفترة تبدو صعبة بسبب قلة المواقع الاثرية التي تم العثور فيها على فخاريات من هذه الفترة اضافة الى ان هذه الفخاريات ذات شبه كبير بالفخاريات من الفترة السابقة وهي الفرثية حيث لا يمكن التفريق بين فخاريات هاتين الفترتين فأشكال الاواني والتزجيج تشير الى أستمرارية الصناعة • فالتزجيج الاخضر اللماع قد أستخدم بطبقة سميكة وعلى بعض الاواني زخارف ناتئة صنعت قبل طلائها ،والذي استمر استعماله ،

لكن الآنية المزججة باللون الازرق هي غنية التزجيج ٠ أما التزجيج المتعدد الألوان فقد استمر معمولا به في هذه الفترة ايضا ٠ ويرى البعض ان الزخارف التي تزين فخاريات هذا العصر ذات علاقة وثيقة بالعناصر الزخرفية التي تزدان بها الفخاريات المكتشفة في اواسط اسيا والتي تعود للفترة ما بين القرن الثالث والقرن السابع الميلادي ٠ وقد زينت بعض ابدان الاوانى الفخارية ومعظمها من الجرار باشكال وعناصر معمولة بالقالب هي في الواقع اكثر تفصيلا من العناصر التي تميزت بها اواني الفترة الفرثية قوامها اختام دائرية تحوي اشكال حيوانات كالطيور والثيران والغزلان والخيول واشكالا اخرى ربما تكون لصلبان او لها علاقة باشكال الرايات المعروفة في الحضر ، اضافة الى الاشكال الهندسية ٠ وقد كشفت هذه الاواني المزخرفة في المدائن وبغداد وكشاف ونيليه وتكريت ومنطقة سامراء (لوح ١٧) ٠

لــوح ــ ١

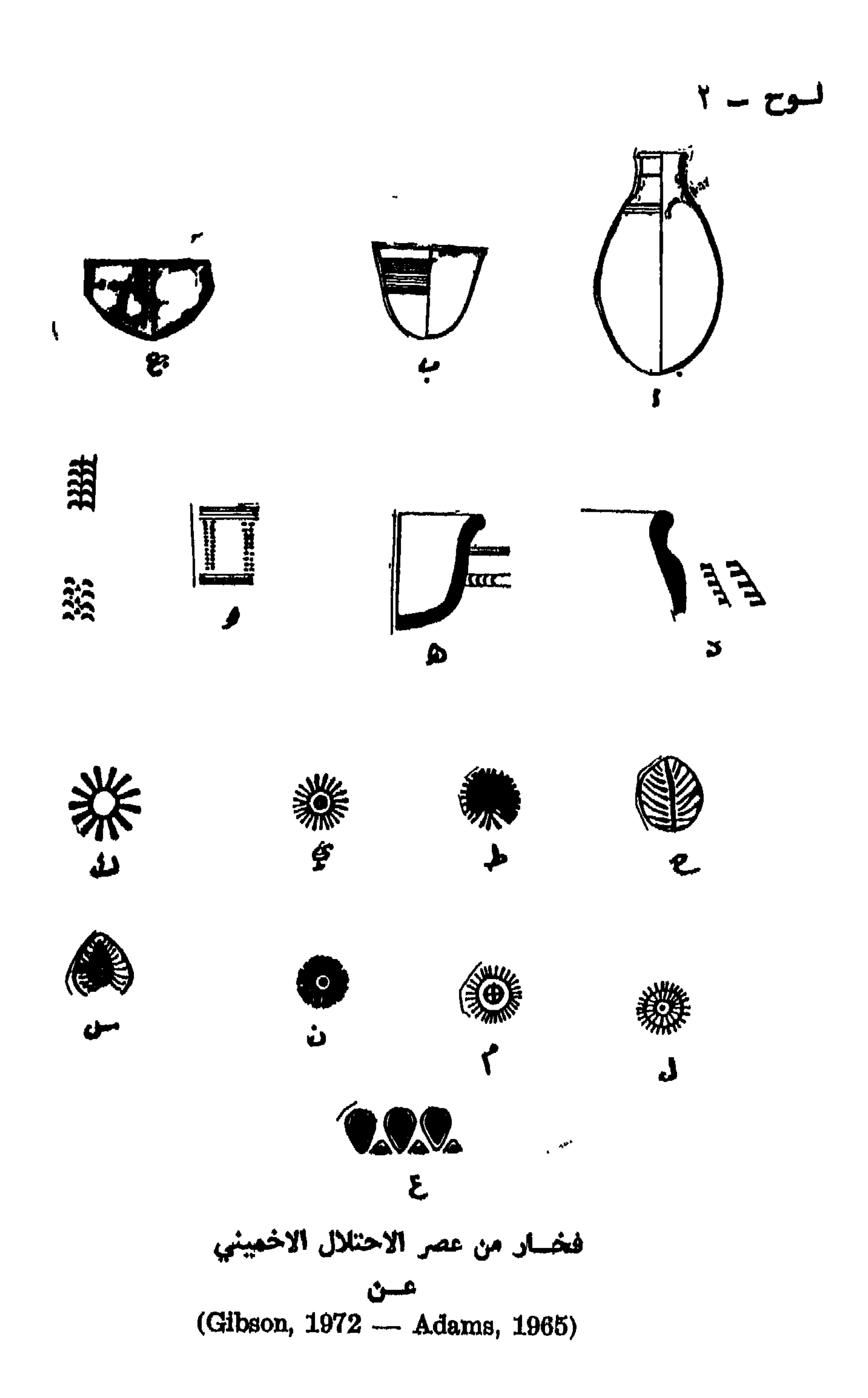


فخار من العصر البابلي الحديث

عــن

(Adams, 1965 — Adams, 1972 — Gibson, 1972)

لـوح ـ ٢

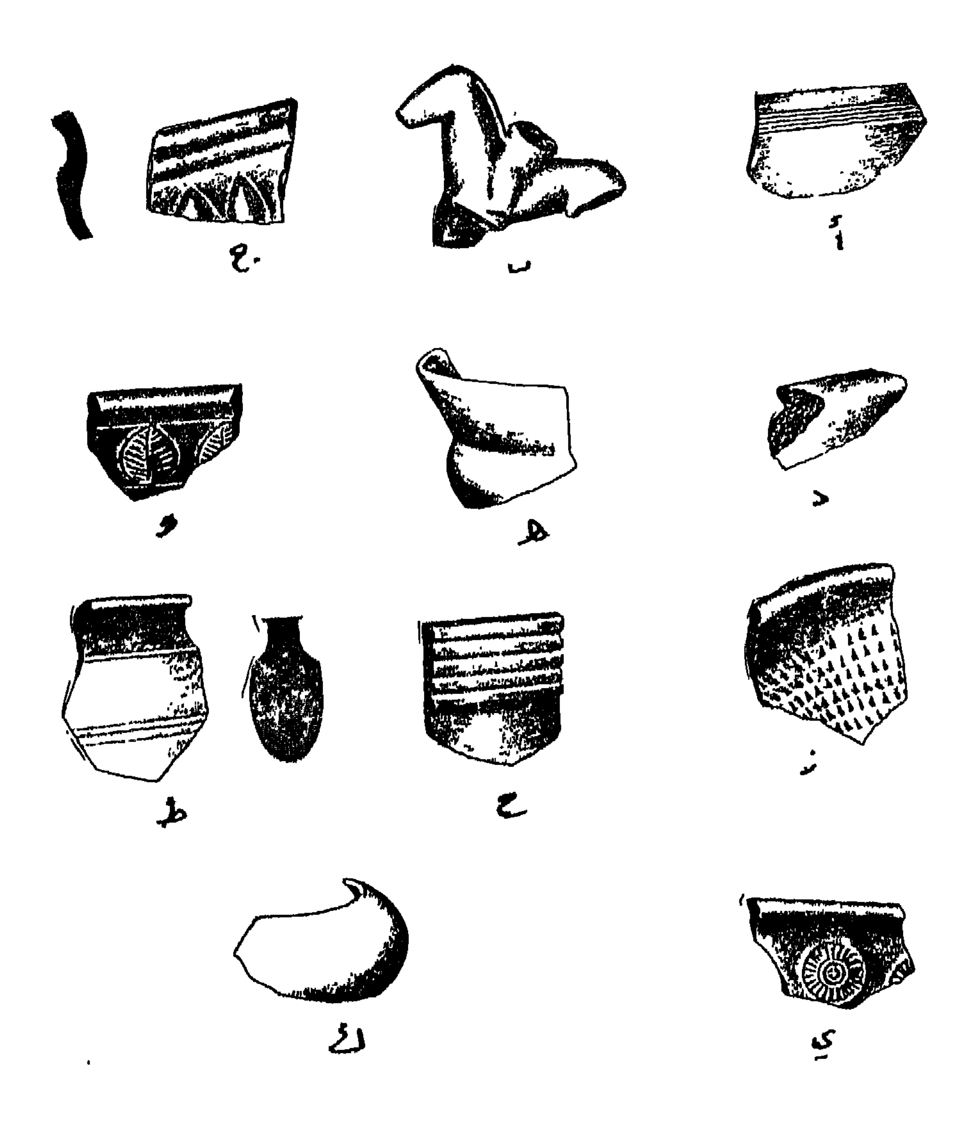


فخـار من عصر الاحتلال الاخميني

عـن

(Gibson, 1972 — Adams, 1965)

لـوح ـ ٣

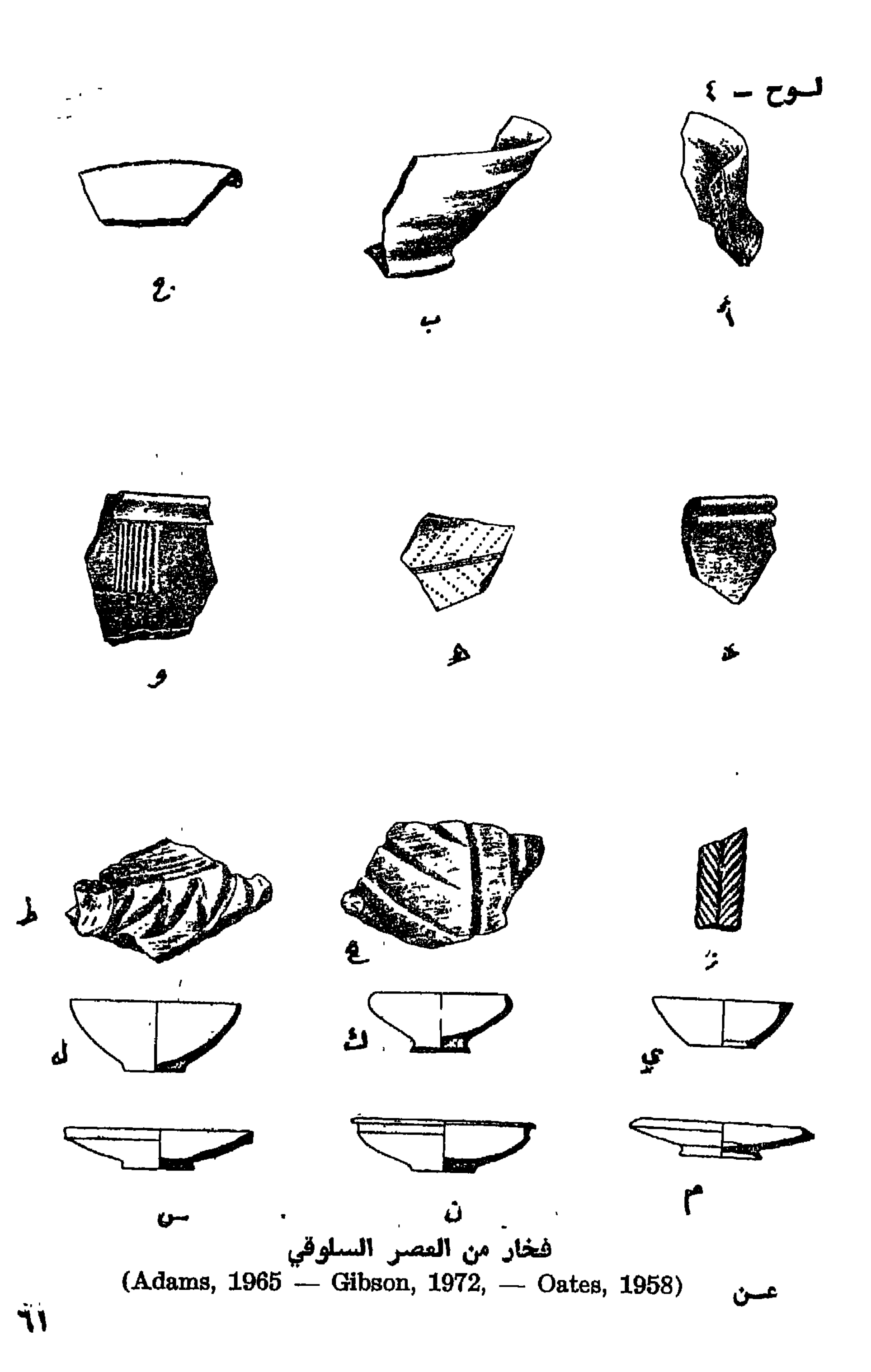


فخار من عصر الاحتلال الاخميني

عـن

(Adams, 1965)

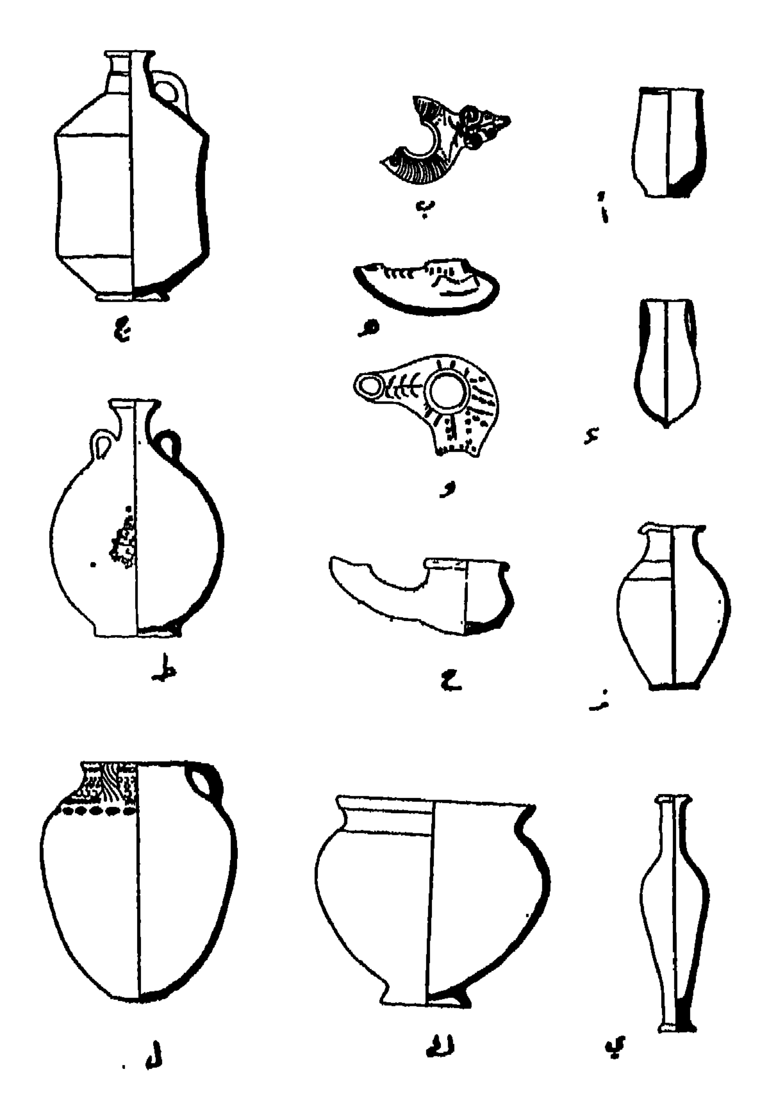
لوح ـ ٤



فخار من العصر السلوقي

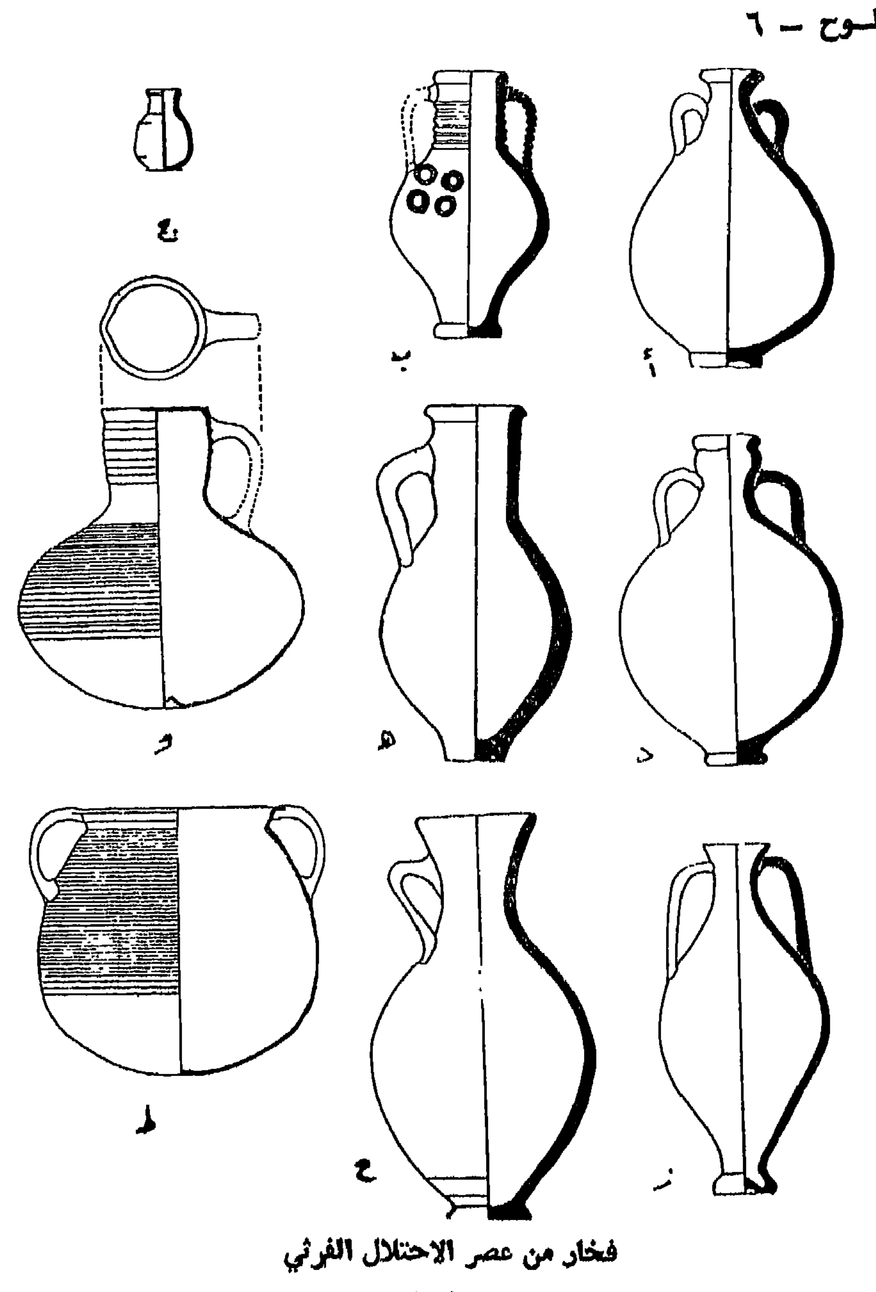
عن (Adams, 1965 — Gibson, 1972, — Oates, 1958)

لـوح ـ ٥



فخار من العصر السلوقي
عـن
(Oates, 1958 — Adams, 1972)

لـوح ـ ٦



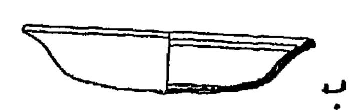
فخار من عصر الاحتلال الفرثي
عـن
(Oates, 1958 — Ibrahim, 1981)

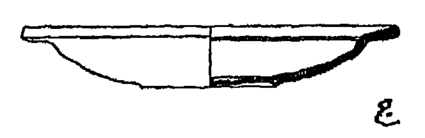
لـوح ـ ٧

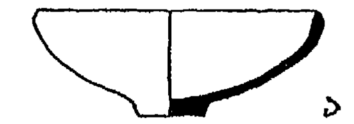
قطعة فخار من الحضر ـ عـن (Ibrahim, 1981)

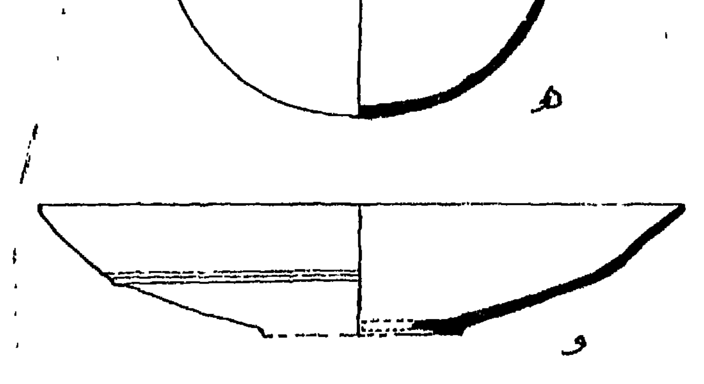
لـوح ـ ٨

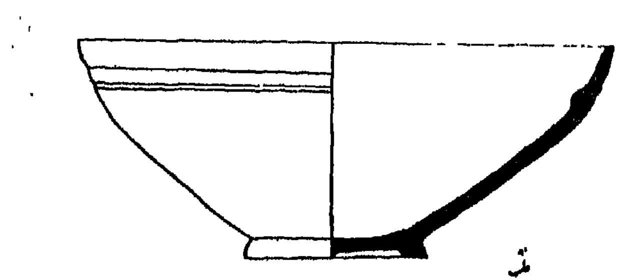






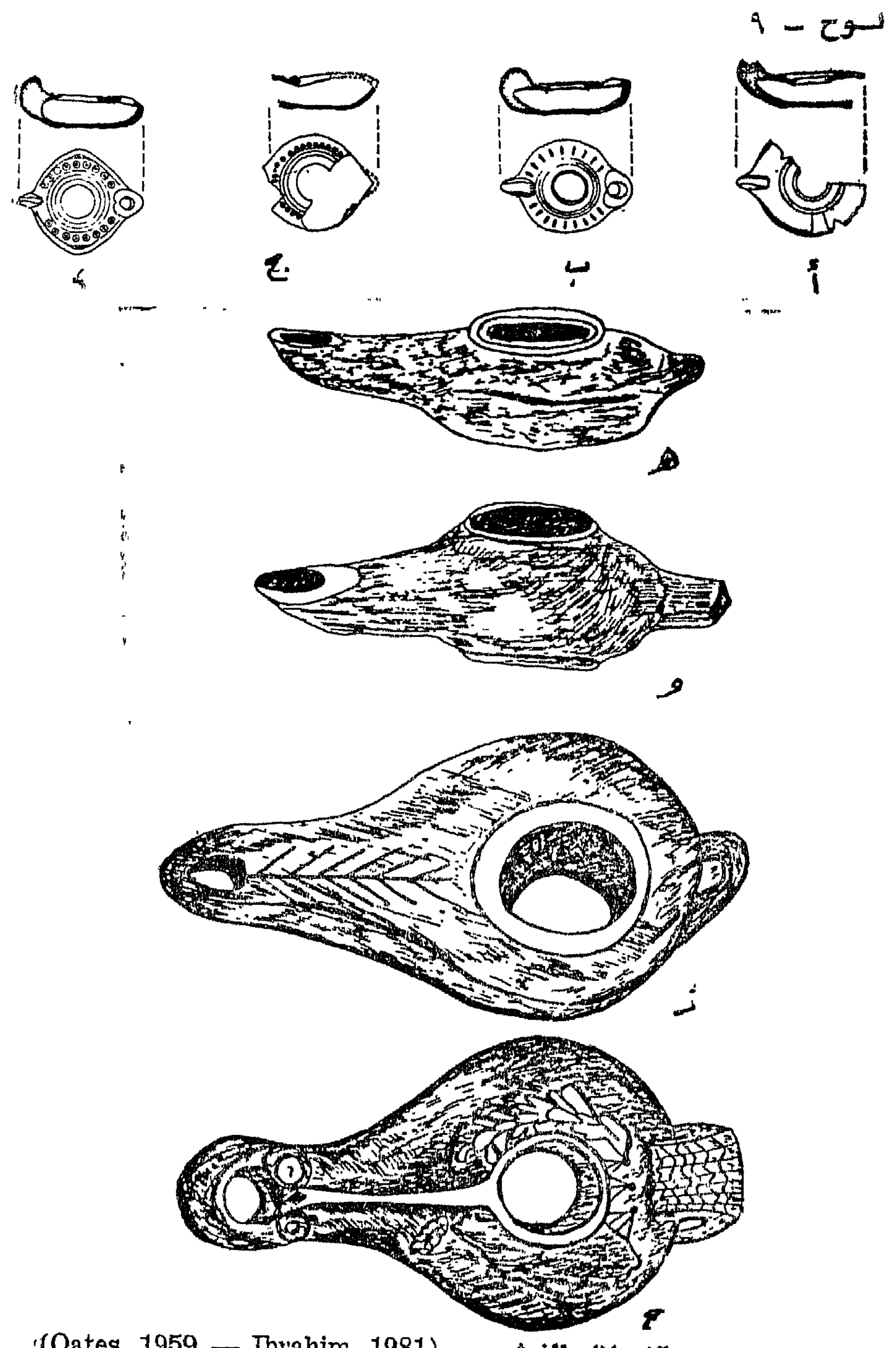






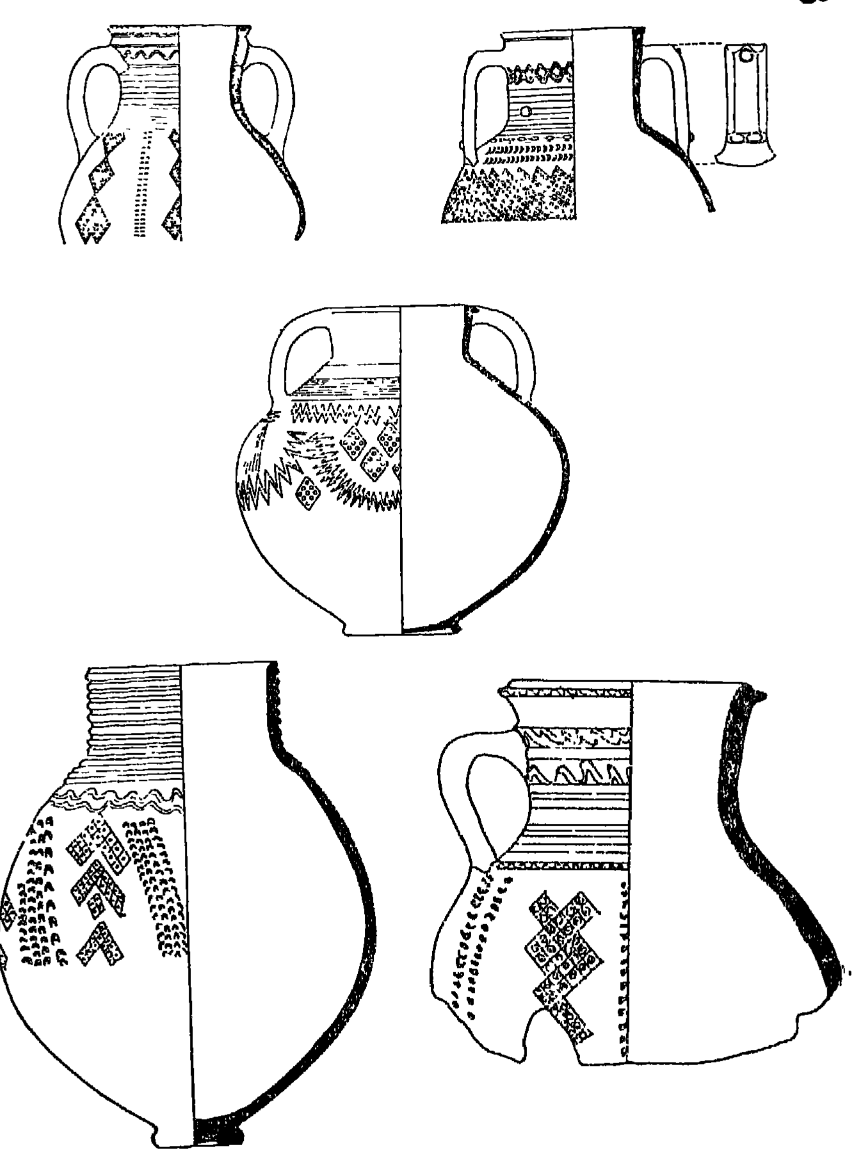
صحون من عصر الاحتلال الفرثي عن (Oates, 1959, — Ibrahim, 1981)

لــوح ــ ٩



مسارج من عصر الاحتلال الفرثي عن (Oates, 1959 — Ibrahim, 1981)

لــوح ــ ١٠

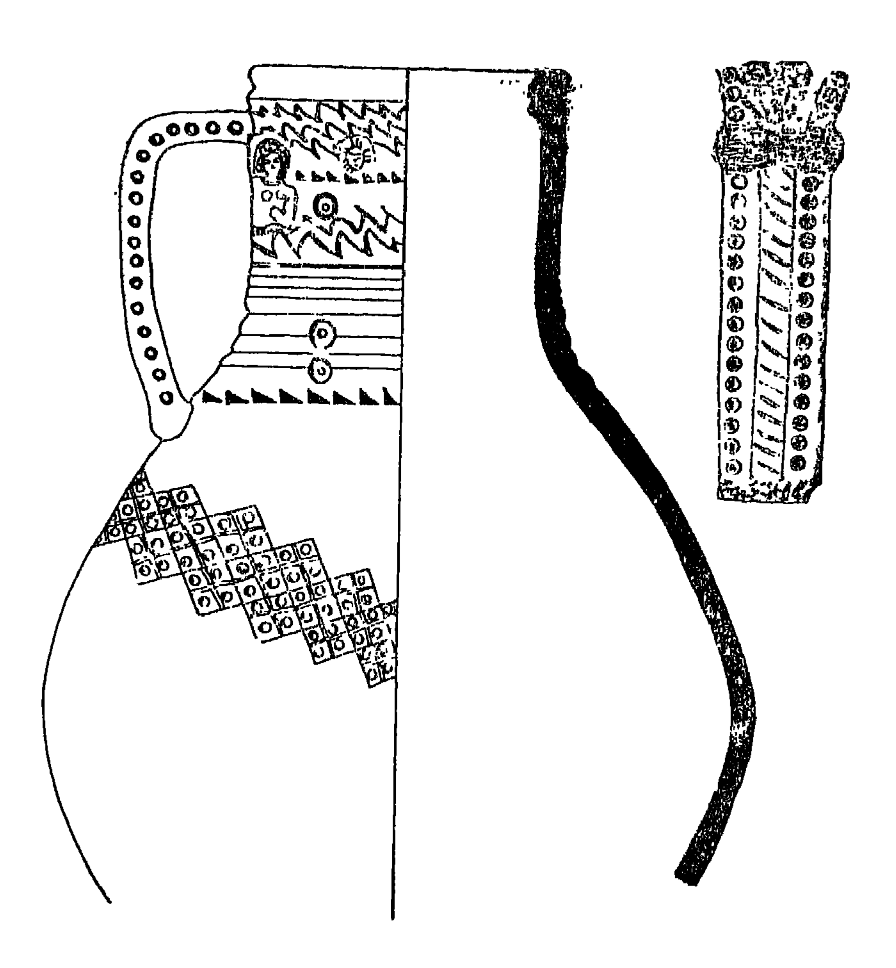


جرار من عصر الاحتلال الفرثي

عــن

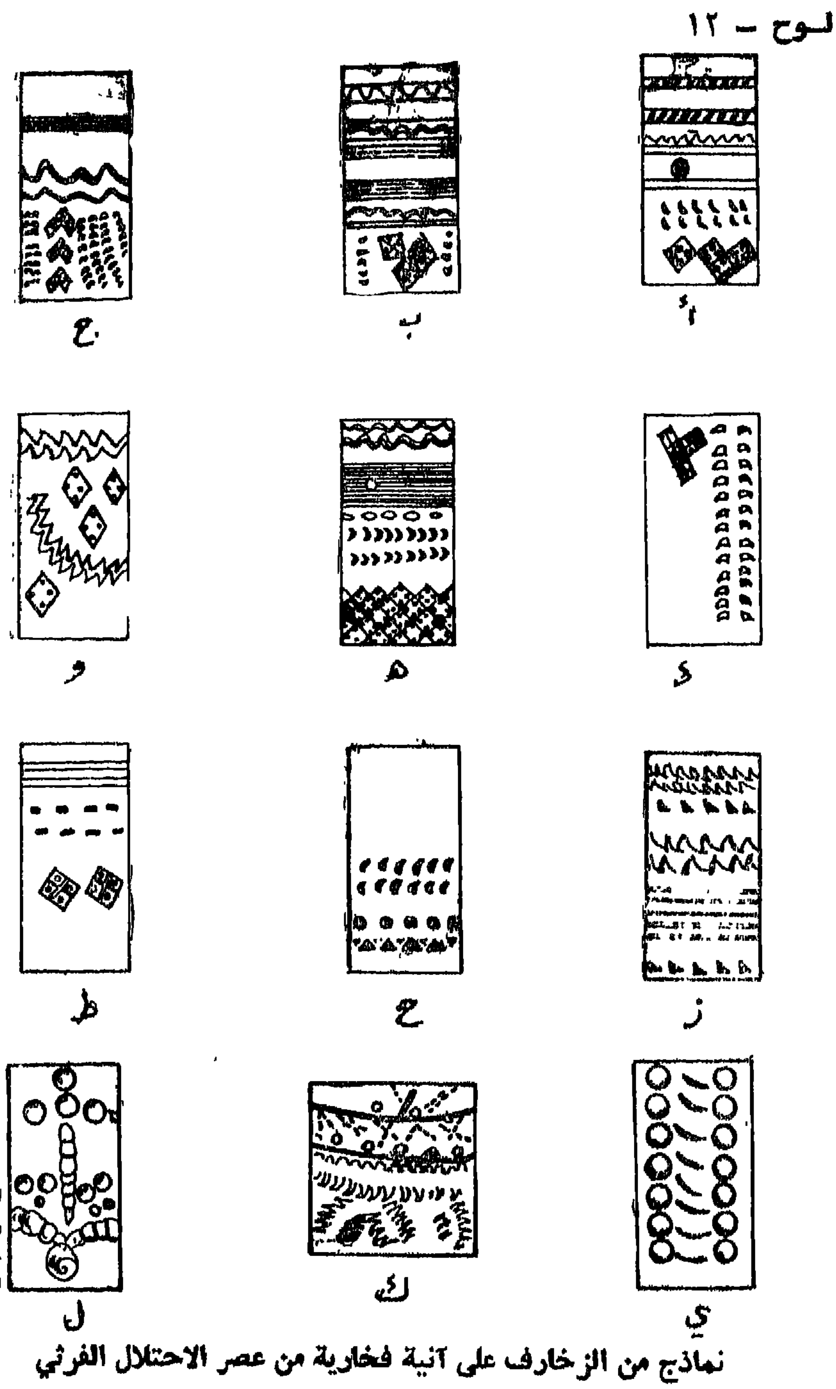
(Oates, 1959, — Ibrahim, 1981)

لـوح ـ ١١

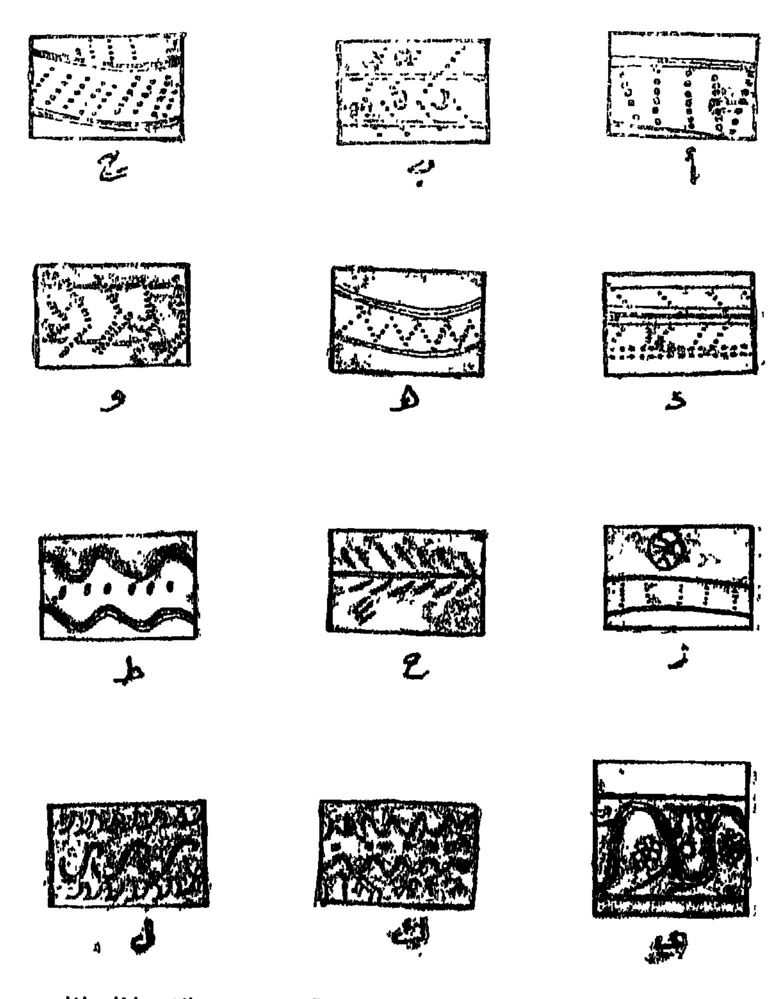


اناء فخاري من الحضر
عـن
(Ibrahim, 1981)

لــوح – ١٢

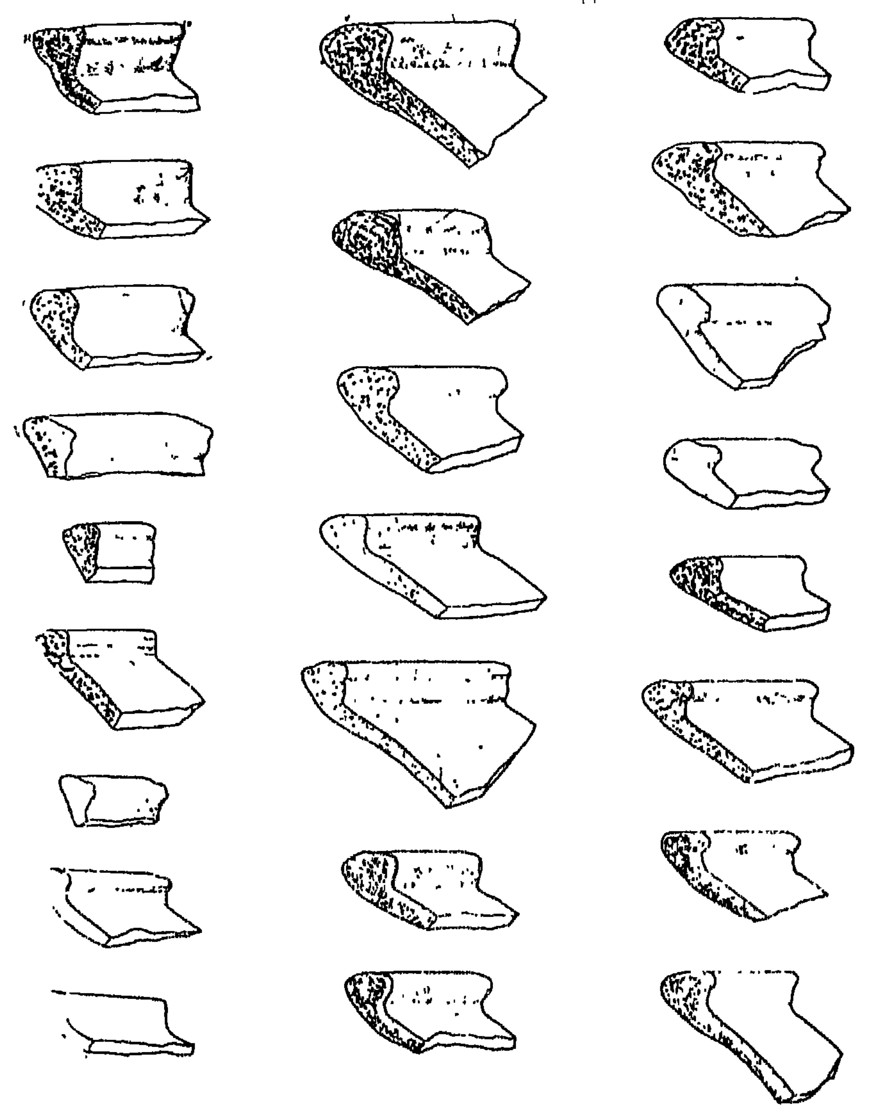


نماذج من الزخارف على آنية فخارية من عصر الاحتلال الفرثي



نماذج من الزخارف على آنية فخارية من عصر الاحتلال الفرتي

لــوح ــ ١٤



اجزاء من فوهات آنية فخارية من مواقع في العراق وايران متشابهة تقريباً من حيث اشكالها

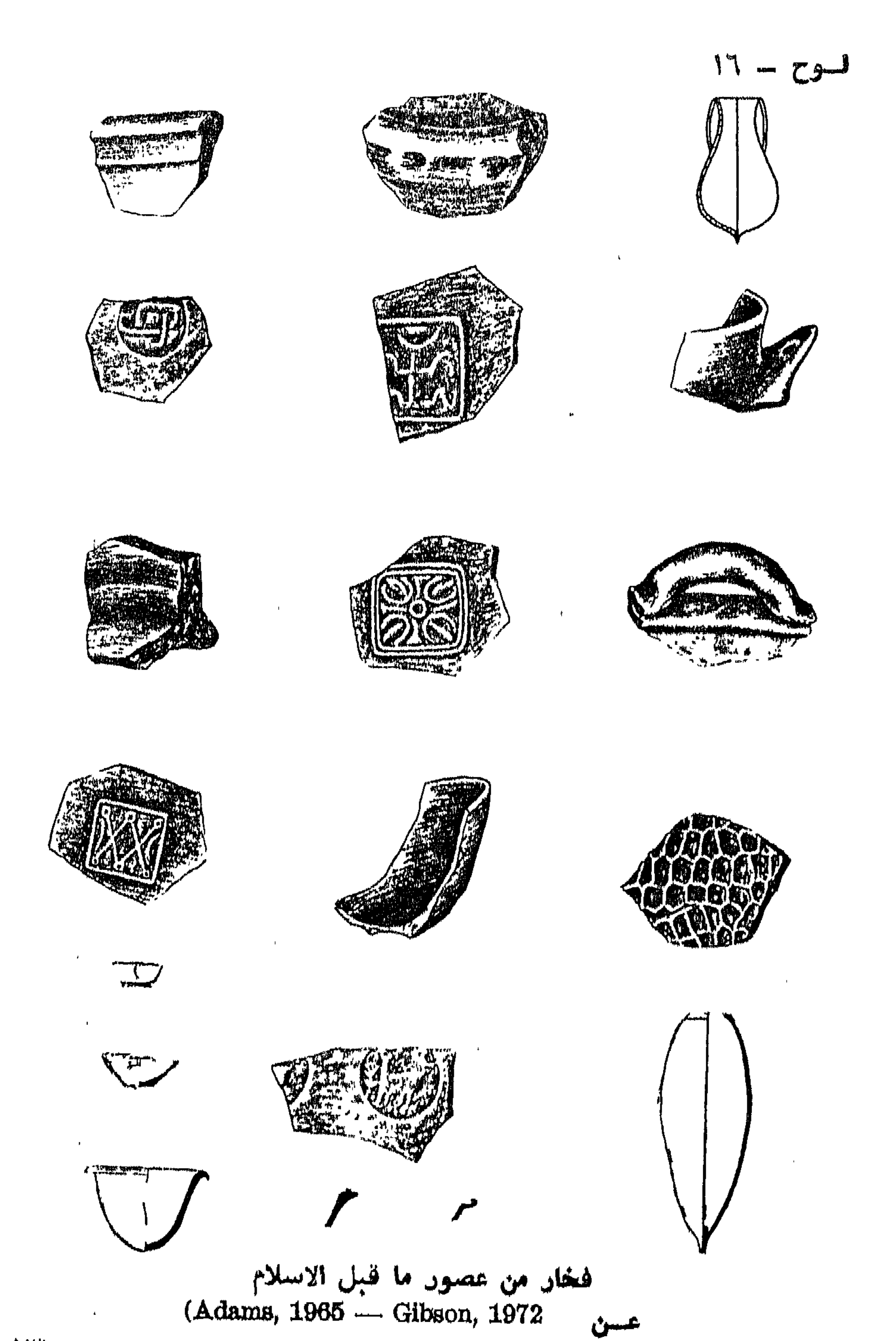
عــن

(Keall, 1981)

اللوح – ١٥

أجزاء من فوهات آنية فخارية من مواقع في العراق وإيران تبين التشابه الكبير في الشكل
عن (Keall, 1981)

لــوح ــ ١٦



فخار من عصور ما قبل الاسلام

عـــن (Adams, 1965 — Gibson, 1972

لـــوح - ١٧



اختام زخرفية على آنية من عصر ما قبل الاسلام عـــن (Adams, 1965)

المصــادر

د . بصمهجي ، فرج ، ١٩٤٨ « بحث ـ الفخار » مجلة سومر ، المجلد الرابع ص ١٥ ـ ٥٥ .

Adams, R. 1965 "Land behind Baghdad Chicago.

Adams, R. and Nissen, H. 1972 "The Uruk Countryside" Chicago.

Claimont, C. 1956-8 "Greek pottery from the Near East," Berytus 1-34.

Debevoise, N. 1934 "Parthian Pottery from Seleucia on The Tigris" Ann Arber, U.S.A.

Ettinghausen, R. 1938 "Parthian and Sasanian Pottery," in Pope, Vol. 2, 546-680.

Gibson, M. 1972 "The City and Area of Kish" Florida.

Hedges, R. and Moory, R. 1975 "Pre-Islamic Ceramic glazes at Kish and Nineveh in Iraq" Archaeology, Vol. 17, 25-43.

Ibrahim, J. kh. 1981 "New evidence on Settlement in the Jazira in Pre-Islamic period with Special reference to Hatra and Jaddalah" Unpublished thesis, University of London.

Keall, E. and M.J. 1981 "The Qalèh-l Yazdigird Pottery" Iran, Vol. 19, 35-80.

Langdon, S. and Harden, D., 1934 "Excavation at Kish in 1933", Iraq, Vol. 1, 113-136.

Oates, D. 1968 "Studies in the ancient history of Northern Iraq," London.

Ricciardi, R. 1967 "Pottery from Choche" Mesopotamia. Vol. 2,. 93-104.

Thompson, R. and Hutchinson, R. 1929 "The Excavation on the temple of Nabu at Nineveh." Archaeologia, Vol. 79, 103-148.

Toll, N. 1943 "The Excavation of Dura-Europos", Final Report, IV,. The Green-glazed Pottery, New Haven.

الفصل الثاني

العمارة

المبحث الأول

العمارة حتى عصر فجر السلالات

د . وليد الجادر

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

من المعروف الآن ان الشكل الاول من اشكال الفنون التي يمكن ان تلمس فيها تسلسلا متطورا واضحا في العراق القديم هو العمارة • ومع ارتباط العمارة بالعلوم الميكانيكية وبعلم طبقات الارض والجغرافية والعلوم الخاصة بدراسة الطقس والمناخ وبجانب كبير من علوم التقنية بشكل عام فان البدايات الاولى لتأسيس المباني في العراق يمكن ان تحدد في الفترة الانتقالية المحصورة مابين العصر الحجري القديم الاعلى والعصر الحجري الحديث وهذه الفترة تحدد بحوالي الالف العاشر قبل الميلاد وكانت قد حدثت خلال نفس هذه الفترة جملة تحولات مهمة من بينها انشاء مايعرف بمستوطنات او معسكرات الصيد في مرحلة يمكن تسميتها بمرحلة ماقبل الاستقرار السكاني في القرى حيث تم سكن افراد المجتمع في بيوت من الطين •

لقد كانت هذه الفترة من الناحية الثانية متزامنة مع التغيير المناخي الحاصل في نهاية عصر الجليد حيث يتميز بالدفء والجفاف النسبي في بعض مناطق جنوب غرب اسيا بشكل خاص مما ادى الى تحركات بشرية من منطقة الى اخرى والى ماعرفناه بالسكن المؤقت او الموسمي او بمعسكرات الصيد.

وفي الالف السابع والسادس قبل الميلاد كان الشكل الدائري لوحدة السكنية الاساس الذي تطور عنه الشكل المستطيل والمربع وكان الشكل الدائري اكثر ملاءمة مع نوعية وطبيعة المواد الاولية المستخدمة في البناء اضافة الى طبيعة الظروف التي استلزمت احترازا دفاعيا تجاه مجمل الظواهر الخارجية وخاصة عمليات الغزو .

وكانت بعض هذه البيوت معروفة في مناطق شمال العراق في زاوي جمي وملفعات وام الدباغية ويارم تبه وشاع استخدامها اثناء عصر حلف وانتشر استخدامها بكثافة في اطراف الجزيرة والمناطق المجاورة للموصل واستمر الاخذ بهذا المخطط حتى في دور سكن فترة الالف الخامس والرابع قبل الميلاد ولكن على نطاق محدد (شكل ـ ١)



شكل ـ ١
احد بيوت الفلاحين المستديرة في تل يارم تبه (عصر حسونة / الالف السادس ق . م)

تتميز هذه البيوت الدائرية الشكل باسسها المتيدة من كتل الحجر التي شيدت فوقها جدران الطين (الطوف) التي يبلغ ثخنها مترا واحدا في بعض الاحيان اضافة الى ذلك استخدم الطين الرائب (الملاط) في اكسائها . لقد وجد ان هذه البيوت مرتبة باتجاهات معينة مع ملاحظة امتدادات الشوارع او الازقة وظهور بوادر تحديد مجمل التجمع السكاني بسور والاخير ساهم بدون ادنى شك في نوع من الارتباط النفسي والاجتماعي بين سكنة التجمع اضافة الى الارتباط العضوي بين مجمل هذه الدور المشيدة . لقد ظهرت دلائل واضحة على بدايات لمفهوم تخطيط اولي للتجمع السكاني منذ عصر حلف وخاصة في نماذج بيوته الدائرية الشكل وعلى الرغم من كونها مستقلة عن بعضها احيانا فانها متجمعة بنفس الوقت ككل .

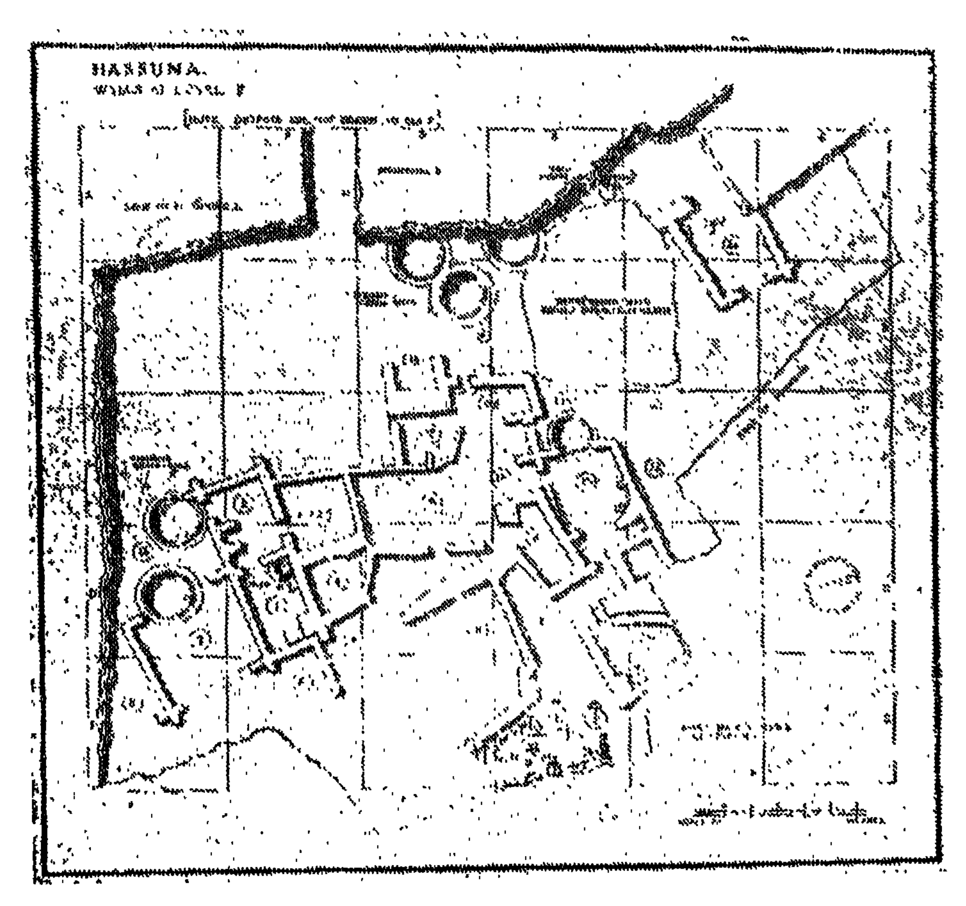
ان التحول او التطور العماري في بناء البيوت المستطيلة والمربعة مع بقاء البيوت الدائرية قد حدث بفعل تطور محلي وليس بتأثير خارجي وتؤيد ذلك طبيعة ونوعية الانتاج الصناعي اليومي للادوات المتطورة مع استمرار استخدام مواد اولية محلية باستثناء الحجر الزجاجي البركاني الاسود المستورد من مناطق مجاورة وقريبة تقع في جنوب اسيا الصغرى .

ويمثل مستوطن جرمو القروي من الالف السابع قبل الميلاد نموذجا للاستقرار السكاني حيث تتابع السكن فيه بشكل متسلسل اضافة الى ظهور اسلوب بناء الوحدات السكنية فيه منذ اقدم فترات الاستقرار في المنطقة ، ويقع هذا المستوطن في وادي جمجمال وفي بقعة تعلو حوالي ثمانمئة متر فوق مستوى سطح البحر .

ويضم المستوطن مساحة تقدر بنحو ثلاثة عشر الف متر مربع ويقدر مجموع السكان فيه حوالي مائة وخمسين نسمة وتم كشف خمس وعشرين دارا سكنية هذا علما باستمرار السكن في نفس المستوطن لفترة تقرب من حوالي الاربعمائة عام بلغ سمك بقايا تواجدهم اثناءها حوالي السبعة امتار .

ويعتبر مستوطن السكن في تل حسونة الواقع جنوب غرب الموصل بحوالي الثلاثين كيلو مترا نموذجا متطورا لاسلوب وطبيعة الاستقرار للمجتمع الزراعي في الالف السادس قبل الميلاد (الشكل ــ ٢) •

لقد وجد فيه تسلسل اخر لاسلوب السكن ابتداء من مرحلة السكن في المخيمات الدائرية الى مخططات البيوت المنتظمة •

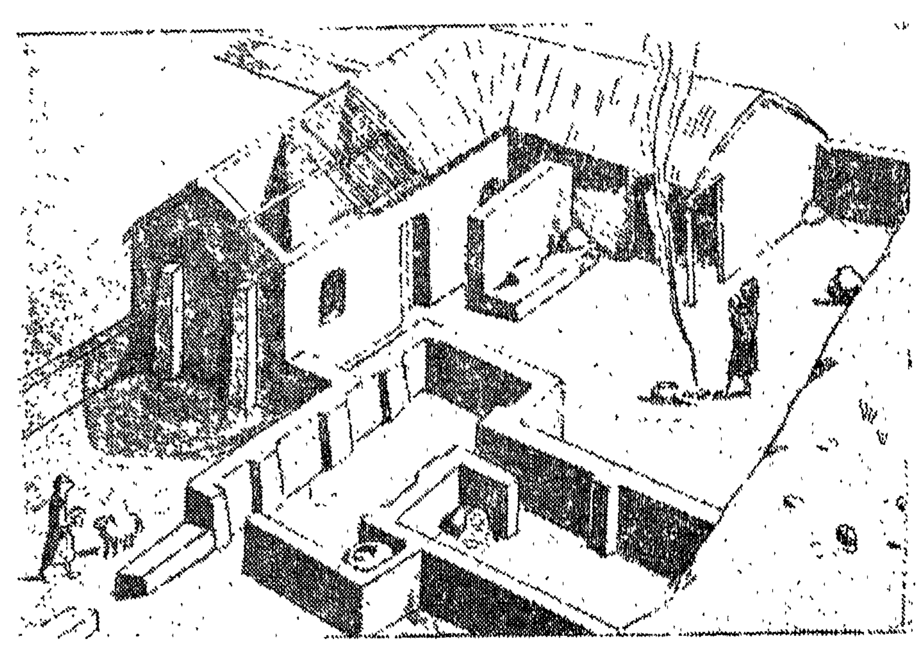


شكل ــ ٢

بقايا جدران وموجودات الطبقة الثانية من مستوطن حسونة

والمعروف ان منطقة الاستيطان كانت قد شملت مساحة بلغت ثلاثين الف متر مربع تركت بقاياها في خمس عشرة طبقة معيشة ضمت حوالي سبعة امتار.

لقد وجد ان مراحل تطور العمارة في تل حسونة واضحة في ثلاثة انواع من الابنية في الاولى كانت عبارة عن غرف صغيرة ذات جدران غير منتظمة مشيدة من مادة الطين (الطوف) وكانت هذه الغرف مرتبة حول فناء مفتوح. وفي المرحلة التالية اصبحت الغرف اكثر عددا واقرب الى الشكل المستطيل منه الى الشكل المربع وصارت هذه المرحلة ممهدة لمرحلة ثالثة تتميز فيها دور السكن بكونها ذات مخطط مستطيل (الشكل ـ ٣) .



شكل ـ ٣

صورة مجسمة لدار عثر على اسسها في تل حسونة (الطبقة الرابعة)

والبناء يتميز بانتظام اكثر في تشييد الجدران واحتوائها على مرافق عديدة اضافة الى وجود ممرات ومخازن داخل البيت الواحد وتكون

بعض الاضافات من المرافق كالمخازن والزرائب مفصولة بوساطة حوفات من الحصير او الشوك او الطوف ويلاحظ ان الدكاك والطلعات استخدمت على شكل دعامات داخل البيوت واستخدمت الحصر على ارضيات دور السكن •

واكتشفت مستوطنات عديدة اخرى تنبه قرية حسونة وتعود لنفس الفترة تقريبا وذلك في مواقع مطارة وتل قره يطغ الواقع جنوبي كركوك وشاغر بازار الواقع في حوض الخابور ومستوطن الخان في وادي الزاب الاعلى وفي يارم تيه القريب من تلعفر وفي الموقع الاخير وجد ان بيوت السكن تقع حول ازقة ضيقة وجدران بعض البيوت مقطعها دائري وسقفها مقبب (الشكل ـ 1)

ووجدت مستوطنات قروية اخرى في اكثر من خمسين موقعا • وفي الحقيقة فأن البيوت الدائرية التي تتصل بكتلة بنائية اخرى متوازية المستطيلات تنفذ منها بفتحة ذات سقف مقوس من جانب السقف المقبب وبفتحة اخرى من الجانب الآخر المؤدي الى الخارج عرفت في عصر حلف ومن موقع الاربجية بالذات • كذلك عرفت مشابهات اخرى لها في موقع ام الدباغية القريب من موقع الحضر وكانت لمثل هذه الدور مردودات ايجابية حيث انها تؤلف تجمعا متكاملا لاماكن السكن والخزن الزراعي والتجاري اضافة الى احتوائها على مرافق ضرورية كالحضائر مثلا •

وكانت بعض الوحدات السكنية ذات مساحات واسعة نسبيا وهي اقرب الى ان تكون ابنية عامة ومن نماذجها وحدة تبلغ مساحتها ١٦×٦ متر وتضم اربع عشرة غرفة مرتبة في صفين ووجد ان مساحة الغرفة الواحدة حوالي ٢و٥ × ٣ متر •

في خضم هذا التطور المعماري في العراق يظهر كذلك ضمن هذه الوحدات السكنية القروية ذات الطابع الزراعي النموذجي بناء القبور حيث كان الدفن اسفل ارضيات السكن والى جوارها اضافة الى مدافن مستقلة عامة وجدت خارج مناطق السكن •

وتتطور العمارة من اتباع المخططات المسبقة للبناء الفعلي الى مرحلة تتميز ببناء دعامات في زوايا البناء اضافة الى الازقة التي تفصل مجموعة من الابنية السكنية عن مجموعة اخرى •

ومن مظاهر التطور المعماري في هذا العصر استخدام اللبن المقطوع في قوالب بسمك اكبر وبشكل منتظم •

وتتطور البنية الهيكلية للوحدات البنائية بفعل عملية تطورية جديدة تلك هي اختيار المواد الرئيسية في البناء وطبيعة خلطها وحجمها واساليب ترتيبها وكان اللبن من المواد الرئيسية في البناء الى جانب الاستمرار في استخدام الطوف •

والمعروف ان اللبن المقولب الذي اخترع قبل اللبن المنتظم القياسات قد استخدم في عصر حضارة سامراء في موقع تل الصوان ومن الطبقة الخامسة وبالذات في الوحدة السكنية التي يرجح المنقبون انها بناية عامة قد تكون معبداً •

وبعد مرحلة صناعة اللبن المقولب وبالذات في اخر فترات عصر سامراء آي في الفترة المعاصرة لبداية عصر العبيد او فترة اريدو عرف استخدام اللبن على نطاق واسع في البناء بحجوم وانواع متنوعة ومنه النوع المطبوع بالاصابع •

اما مايخص استخدام الطابوق في البناء فان اقدم الاكتشافات المعروفة لحد الان تدل على انه بدأ في الطبقة الخامسة في موقع الوركاء واقتصر استخدامه في البداية على تشييد مرافق محددة في الارضيات قبل ان ينتشر في البناء وبالذات في بناء الجدران ومنها اولا جدران المعابد بنهاية عصر فجر السلالات وخلال العصر الاكدي وعهد سلالة اور الثالثة • والمرجح ان يكون التوصل اليه قد حدث بفعل الكور المعدة لشي الفخار وتصلب اللبن وحتى كتل الطين بفعل حرارتها •

وكان الطابوق في اول الامر مربع الشكل في الغالب ومستطيل احيانا وفي الحالة الاخيرة يكون مصبعا ومن قياساته المألوفة :

١٦ × ٦ × ٦سم و ٢٤ × ١٠ × ١٠سم مع استخدام النوع الاخير من ٤٣ × ١٣ × ٧ سم و ٢٨ × ٢٣ × ٦سم .

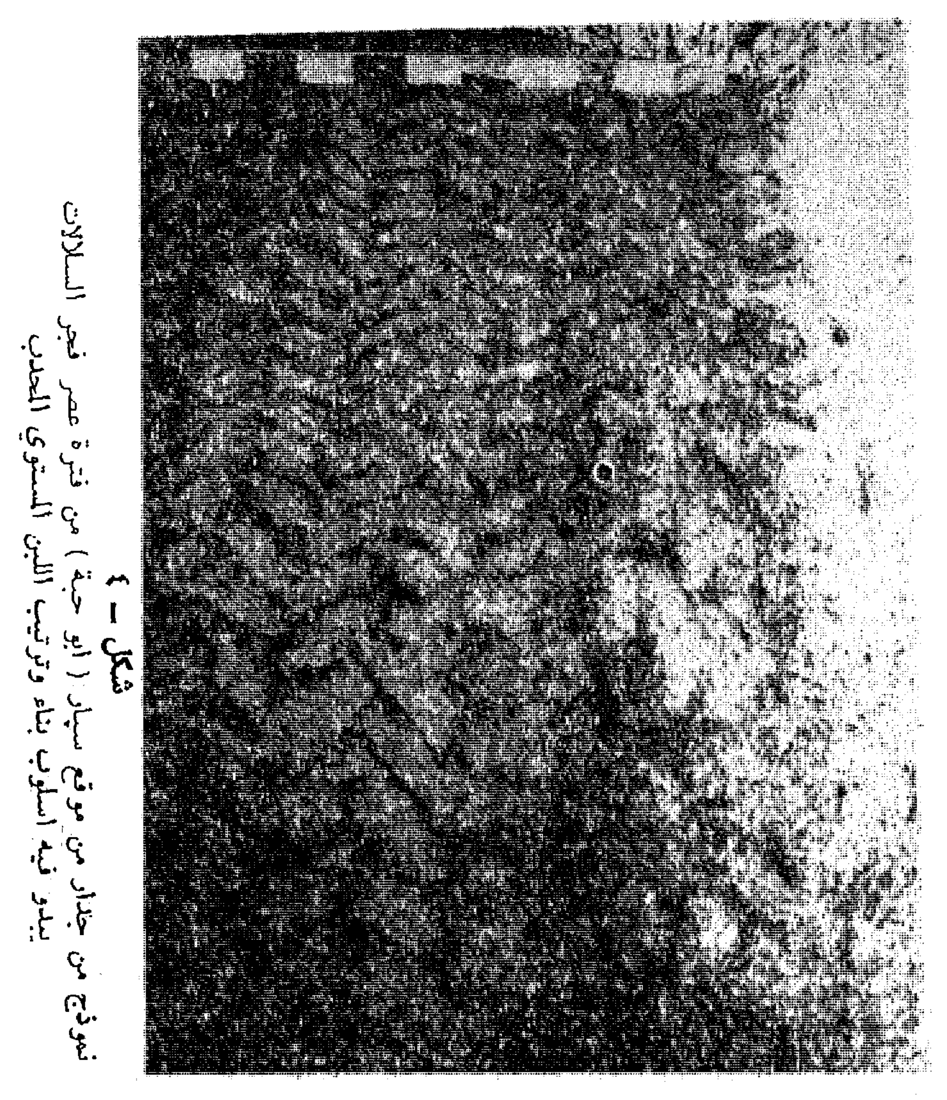
والجدير بالملاحظة ان اساليب ترتيب اللبن خلال مراحل تشييد البناء تميزت بما يعرف بترتيب شكل عظام السمكة المستخدم في عصر فجر السلالات واوائل العصر الاكدي ويسمى المنقبون الاثاريون الالمان مثل هذا النوع من اللبن باللبن المستوى المحدب ويكون في العادة بحجوم وقياسات غير موحدة اما لون اللبن فيتبع عادة نوعية الطينة ونوعية المواد المخلوطة التي تتكون من نسب من مواد عضوية تصبح نافعة حين تنسخها في تماسك تربة اللبن وزيادة صلابتها (شكل ــ ٤) .

لقد استخدمت مادة الملاط (المونة) مع بدايات استخدام اللبن و مع بدايات تشييد البناء بما يعرف باسلوب الحل والشد . كذلك استخدم الجبس (الجص) في اول الامر في تسييع مخازن الغلال وفي تبليط ارضياتها وذلك منذ عصر حسونة .

اما استخدام الجص في البناء فيرجع الى عصر الوركاء من بدايات الطبقة الرابعة حيث استعمل على شكل كتل اقرب ماتكون الى شكل الطابوق المستطيل في عمارة الوركاء ايضا .

واستخدم الحجر في بناء الاسس والتغليف كما هو الحال في عمارة المعبد الابيض في الوركاء والذي يرجع الى فترة الطبقة الرابعة المعاصرة لمعبد العقير .

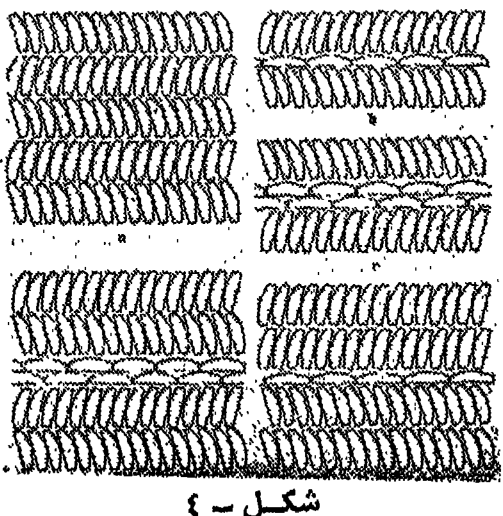
ولقد ادى شيوع استخدام القار في البناء الى منع الرطوبة ومعرفته كذلك في طلاء مخازن الغلال بالذات الى تحديد استخدام الجص .



شكل ٤ - ٤

نموذج من جدار من موقع سنجار (ابو حجة) من فترة عصر فجر السلالات يبدو فيه اسلوب بناء وترتيب اللبن المستوي الحدب

ان امكانية تصور التجمع السكاني المدني في شكله المادي لحضارة العراق ، حيث لعبت المدينة منذ هذه المرحلة المحددة بحوالي الالف السادس قبل الميلاد ، دورا هاما • انها مرحلة تضم تفاصيل معمارية توضح آفاقا تقنية وفكرية هامة فعلى الرغم من استخدام الاسس في بناء هياكل البناء ومداخل البيوت تجابهنا ايضا اساليب تشييد واقامة وحدات رئيسية كالسقوف



شكـــل ـ ٤

اللبن المستوي المحدب (تخطيط)

والشبابيك والمواد الاولية المستخدمة . كذلك تبدو غير واضحة بعـــض التفاصيل الاخرى ومنها استخدام الاعمدة والدعامات واساليب التهويـــة والوحدات الخاصة بالحمامات واماكن الراحـــة . ولاتبدو واضحة دائمـــا اساليب دفن الاموات على الرغم من توضيح مميز للطقوس الخاصة بالمـــوت ولكن من فترات لاحقة وخاصة من فترات العصور التاريخية .

ومع ذلك فالترتيب المدروس والمنتظم لاتجاهات الوحدات السكنية وعلاقاتها العضوية توضح جوانب عن طبيعة العلاقات الاجتماعية والنفسية ويوضح التطور التقني الخاص بالتصنيع الزراعي جانبا آخر استلزم تطورا من المخطط المحدد لمفردات القرية الى المدينة . ومثل هذا التطور لم يحدث بفعل التوسع السكاني فقط بل بفعل التطور التقني والاداري الذي مهـــد لظهور مراكز السلطات العسكرية والدينية والسياسية .

وكانت حضارة العبيد في جنوب العراق موصولة بخبرات الجماعات السكانية في شماله كذلك الحال بالنسبة للسكان انفسهم .

وكانت حضارة اريدو وهي الممثلة لاولى نتاجات حضارة السومريين في جنوب العراق تمثل ايضا المرحلة الاولى من فترة حضارة العبيد وتتميز هذه المرحلة معماريا باحتوائها ثماني عشرة طبقة سكن على الرغم من كونها مباني عامة هي المعابد فهي توضح اسلوب البناء والمواد الاولية ومثل هذا الواقع المعماري الجديد الذي يغطي فترة الالف الخامس ومرحلة من بداية الألف الرابع قبل الميلاد يتوضح في عمارة مدن سومرية اخرى في جنوب العراق ومنها اور وتلو والعقير ٠

وكانت المواد الاولية في ابنية جنوب العراق قد أثرت على شكل الصورة المعمارية للوحدة البنائية فعلى الرغم من استخدام الحجر والطابوق واللبن في الابنية الخاصة بالمعابد والاسوار فقد ظل استخدام السومريين للطين والقصب في تشييد ابنيتهم الخاصة مستمرا ٠ وتبدو نماذج مثل هذه الابنية موضحة على العديد من منحوتاتهم الحجرية او محفورة بكل دقة في مشاهد اختامهم الاسطوانية ٠

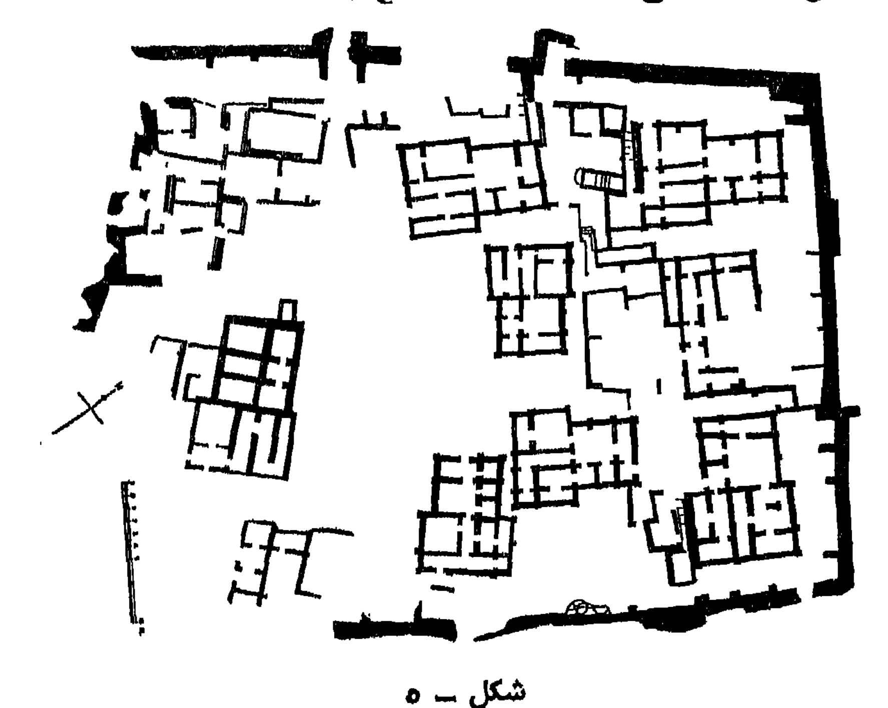
ومثل هذه البيوت الاخيرة لها سقوف مستوية او هرمية وعلى شكل جملون وتشبه طريقة بناء مثل هذه البيوت مانلاحظه عند سكان مناطق الاهوار حتى اليوم حيث انهم يشدون حزما من القصب ويقيمونها بعد ان يربطوا رؤوسها فتصبح بشكل اقواس ثم يغطونها بطبقة سميكة من الطين٠

وكانت لهذه الاكواخ ابواب خشبية تدور عضاداتها على قاعدة من الحجر (سنارات) ولاتخلو مثل هذه البيوت من تحسس معماري يبدو في امتدادات القصب وتشكيل الواجهة بوحدات تشبه الطلعات والدخلات اضافة الى الدعامات من حزم القصب التي تستخدم في اسناد السقف كعسود فهي دعامة تجميلية ٠

وكانت عملية تشييد دور السكن على مرتفعات اصطناعية اضافة الى وجوب تلافي امتداد المياه بعمل سدود من التراب مألوفة من خلال الادراك التجريبي كذلك ادرك هؤلاء السومريون بان هذه السدود هي بمثابة الاسوار

وهي ايضا نوع من اساليب الدفاع ضد كل المخاطر الخارجية وتفيد في تطمين الجانب النفسي للتجمع السكاني في الداخل •

في مستوطن تل الصوان الذي يعتبر من اوسع المستوطنات التي ترجع الى فترة العصر الحجري الحديث من الالف السادس قبل الميلاد وجد ان ارتفاع المستوطن عن مستوى الارض المجاورة حوالي ثلاثة امتار ونصف المتر ووجد ان الخندق الدفاعي الذي يحيط بالمستوطنة منذ اقدم عمرانه يعتبر اقدم واول خندق دفاعي في المنطقة لحد الآن وكان هذا الخندق الدفاعي يتكون من ثلاثة اضلاع هي اضلاع الاتجاهات الرئيسية ماعدا الضلع الغربي الذي كان طبيعيا وهو مجرى نهر دجلة (شكل ــ ٥) والجدير بالذكر ان كل ضلع من الاضلاع الثلاثة هذه قد اقتطع في الارض الصخرية المحاذية

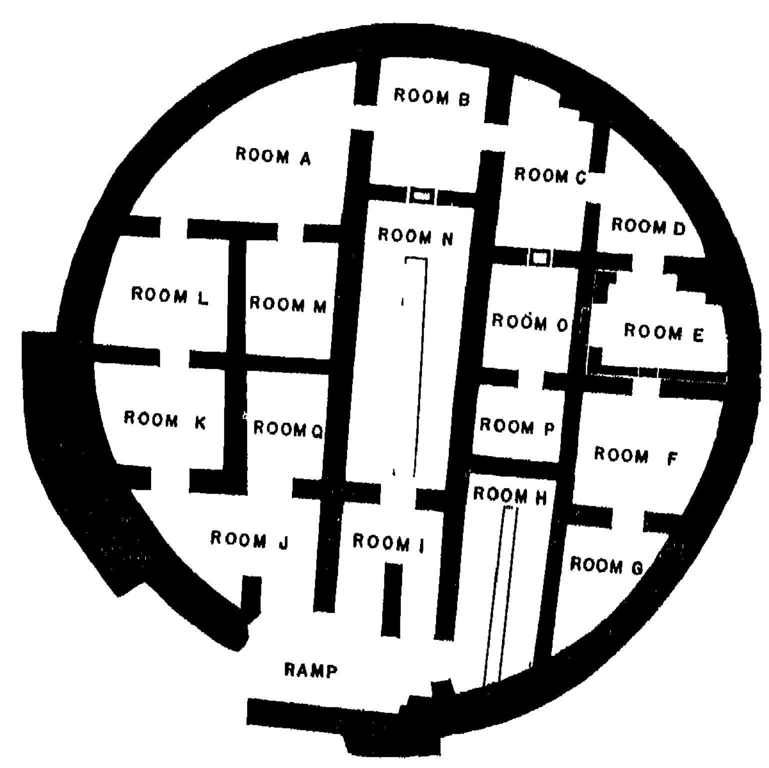


شكل ــ ٥

نماذج من مخططات دور السكنى في مستوطن تل الصوان ويبدو في الاسفل واضحا بقايا السور الدفاعي المحيط بمعظم اجزاء المستوطنة

للمستوطن والى عمق يقارب الثلاثة امتار يضيق تدريجيا الى ان يصل عرضه الاسفل الى حوالي نصف المتر • وفي تل حلف من الالف الخامس قبل الميلاد وجدت استحكامات دفاعية شيدت من الحجر على امتداد حوالي المائة متر• وفي تبة كورة القريبة من الموصل ومن بدايات الالف الرابع قبل الميلاد وجد سور دفاعي دائري الشكل بقطر حوالي ١٩ مترا وبسمك يقرب من المترالواحد مشيد من اللبن المستطيل الحجم بقياس ٥٠ ــ ٢٦×٥٦ــ ٢٨×١٠سم وفي هذا السور شيد باب او مدخل واحد فقط •

ونستند جدران بعض الغرف الداخلية على اجزاء من السور الدفاعي الدائري بشكل تقسم فيه الوحدات الداخلية الى تشكيلة متنوعة بابعاد متباينة توحي بتحسس عملي وجمالي بنفس الوقت (الشكل ــ ٦) •



شكل ــ ٦
تبه كوره ــ الطبقة الحادية عشرة

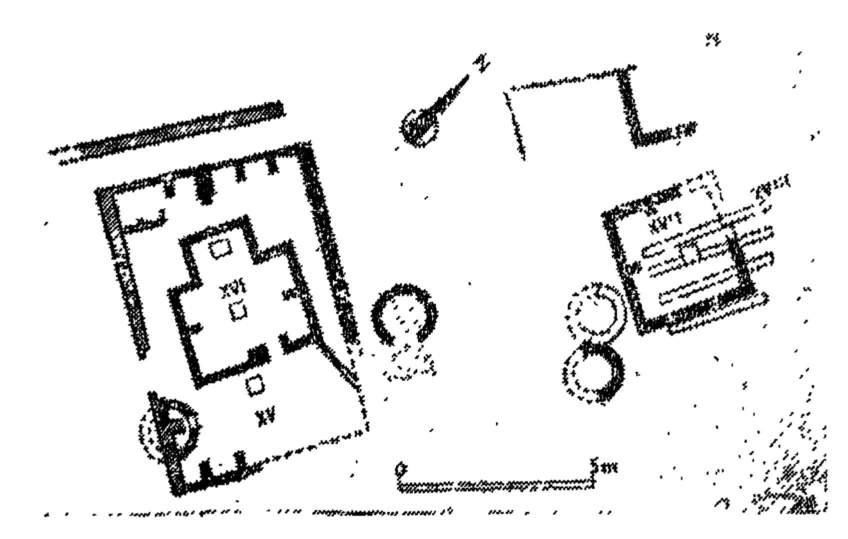
ومن المدن التي احاطت حدودها بالاسوار مدينة الوركاء حيث يبلـــغ محيط السور تسعةكيلومترات ونصفا،وهو مزود بأبراج نصف دائرية والمعروف ان المدينة من الداخل تضم مساحة من الارض تقرب من الخمسة كيلومترات مربعة واصبحت بواباتها وسورها الدفاعي الحد الفاصل بين مدينة واخـــرى. وكما ان السور يوضح مفهوم المركزية في السلطة على مجموعة معينة من الافراد في حيز مكاني محدد فقد اصبحت بوابات السور فاصلة بين المدينة من الداخل والخارج وهي بمثابة حدود متعارف عليـــها . وكـــان ادراك العراقيين القدماء لمفهوم حدود الباب واضحا سواء كان ذلك بالنسبة لبـــاب السكن او باب السور او المدينة .

ولقد تميزت دور السكن الاولى في مستوطن اريدو بانها عبارة عـــن اكواخ مشيدة بالطين مع وجود ابنية مشيدة باللبن من قياسات :
٤٤×٢٢×٨سم ، ٤٩×٢٦×٨سم ووجد ان سمك الجدران لايتجـــاوز النصف متر .

سبق ان ذكرنا بعض الشيء عن استظهار ثماني عشرة طبقة سكـــن في مستوطن اريدو توضح فيها تطور خطط العمارة في الوحدات المخصصـــة للعبادة وكان تطور التخطيط او الشكل المعماري فيها يتسلسل من الشكل المربع ثم الشكل على هيئة الحرف T اللاتيني ثم المعبد المستطيل ثم يليه المعبد على شكل الحرف L اللاتيني فالمعبد على شكل حرف I واخيرا المعبد الثلاثي التقسيم (الشكل ـــ ٧) .

والملاحظ ان المدخل الرئيسي للمعبد ظل لأطول فترة وصولا الـــى عصر فجر السلالات في الجانب العريض من الشكل المتميز بالاستطالة .

لقد تميزت في عمارة المعبد السومري وحدات رئيسية اصبحت مظاهر مميزة ترتبط ببعضها كما ترتبط ببدايات سابقة في عمارة قرى شمال العراق كذلك وجد ان زوايا ابنية هذه المعابد تتجه نحو الجهات الرئيسية الطبيعية



شكل ــ ٧
نماذج من مخططات معابد اريدو

الاربع وانها ذات وحدات بنائية داخلية متعارف عليها ومنها وجود غــرفــة خاصة في الطرف المقابل للمدخل في الغالب ويمكن تشبيهها بالمحراب .

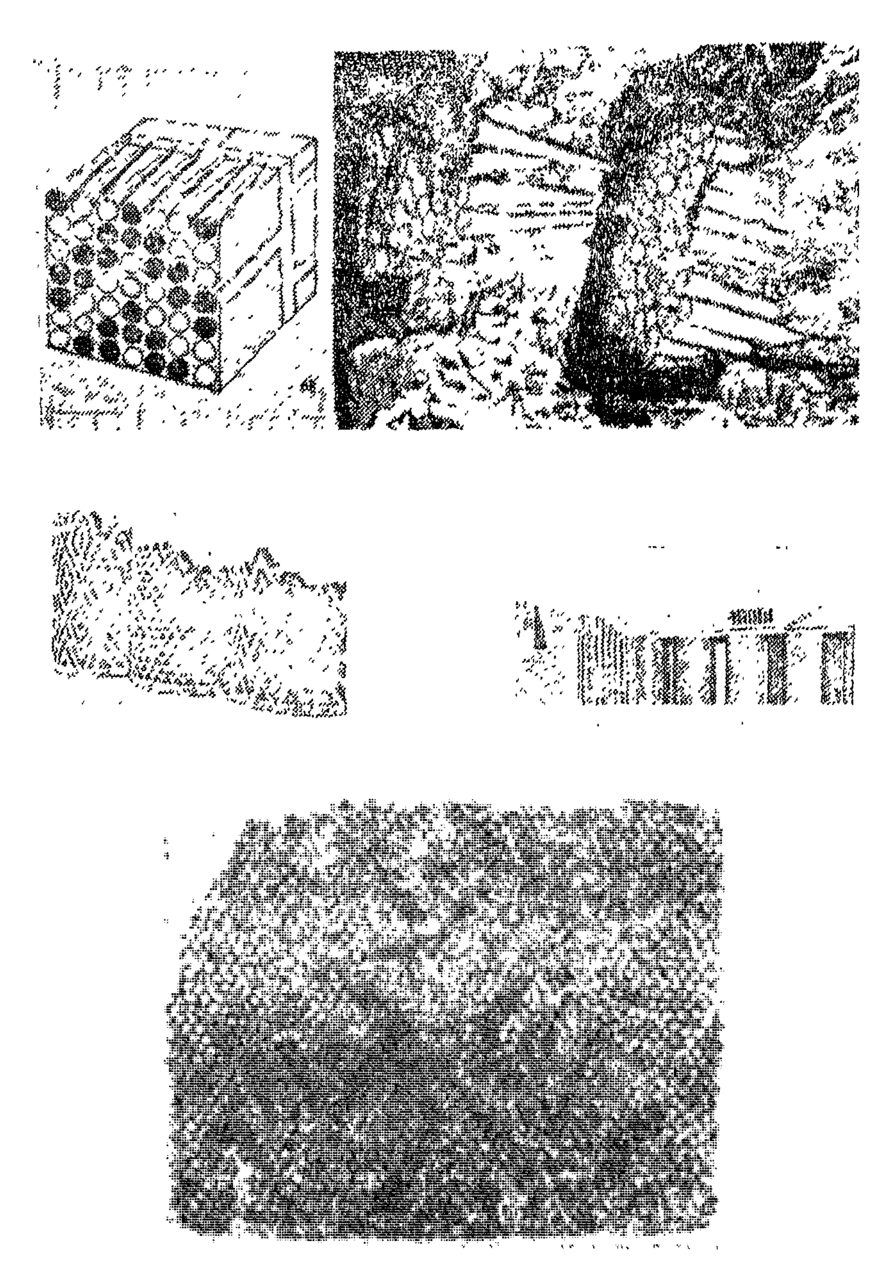
وكان المعبد السومري الاول يحتوي على دكة تعرف بدكة القرابــين تتوسط الباحة الرئيسية فيه والملاحظ ان المعبد الاول المربع الشكل هذا قد شيد على مصطبة . لقد تطورت فكرة المصطبة لتصبح فيما بعد في العصور التاريخية زقورة . والجدير بالذكر هنا ان بعض بيوت مستوطن تبه كورة في شمال العراق من فترة بدايات العهد السومري ايضا مشيدة علــى مصطبــة

مربعة طول كل ضلع منها ثلاثون مترا ووجد ان مساحة الباحة الرئيســـية المفتوحة وسط دار هي ١٨×١٥ مترا والى جوار هذه الوحدة السكنية وجدت ثلاثة معابد مزينة الواجهة بالطلعات والدخلات التي تفيد في تقوية الجـــدران اضافة الى كونها زينة معمارية تصبح واحدة من سمات العمارة في العــراق خلال كل العصور والى هذا اليوم .

استخدمت الدعامات ايضـــا زينة معمارية وللمساعدة في حمل الشرفات والسقوف ولقد عرف السومريون منذ عصورهم المبكرة استخدام الدعامات المزدانة بصفوف من المخاريط الفخارية المزججة في طرفها المـــدور والملونـــة باللون الاحمر والابيض والاسود اضافة الى المخاريط المشابهة من المرمر . وقد تم غرز هذه المخاريط في الطلاء الطيني السميك الــذي يحيط بهـــذه الدعامات ولقد تم ترتيب هذه المخاريط لتكون اشـــكالا هندسية جميلـــة ورائعة (شكل ـــ ٨) .

والمعروف ان الدعائم والاعمدة هي عناصر تكوينية في البناء ولم يكـــن استخدامهـــا في الابنية السكنية العامة المشيدة بالطوف او اللبن طبيعيا ولكن استخداماتها من الخشب تعتبر مألوفة والملاحظ ان استخدام العمود كان متزامنا مع تطور فن البنـــاء ومع توسع حجوم الوحدات السكنية . ووجد ان بعض الدعامات قد شيدت كقواعد لعمل اقواس او لاستخدامات جمالية مجـــردة .

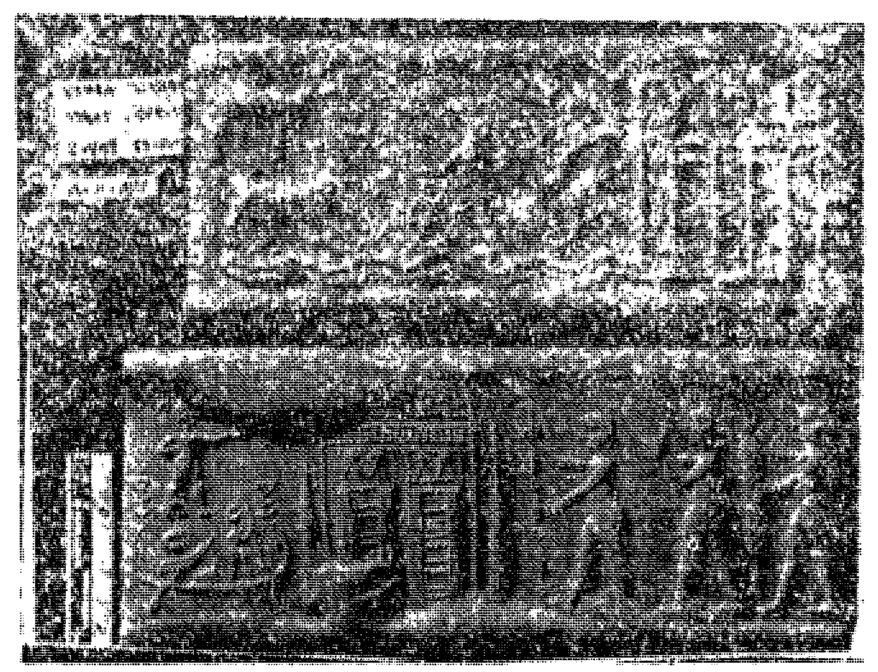
والمعروف ان الجدران الوسطية داخل البناء الواحد تعتبر بمثابة الدعامة والعمود الذي يسند السقف وقد تكون صفوف اللبن المربعة بشكل عمودي وبقطر ٧٥و٢متر نوعا متطورا او مرحلة انتقالية مابين الدعامة والعمود .



شكل ــ ٨

نماذج من أساليب تزيين واجهات بعض الابنية بالمخاريط الفخارية الملونة

وكان اسلوب التسقيف متنوعا مثل الشكل المستوى والجملون وعلى شكل القباب ومن النوع الاخير اكتشف في مواطن الاثار نماذج كثيرة بفضل المتبقي من الوثائق المادية والنماذج الموضحة على الاختام الاسطوانية والاشكال المنحوتة (شكل ـ ٩ و ١٠) ٠



شكل ـ ٩



شكل ـ ١٠
نماذج من بيوت السومريين ومن واجهات بعض المعابد السومرية
كما تبدو على الاختام الاسطوانية

المراجع

Soleki, R. Zawi Chemi Shanidar. A Post-Pleistocene Village Site In Northern Iraq. Report of the VI International Congress on Quartenary. Warsaw. 1960-1964.

Von oppenheim. M.F. Tell Halaf. I. Die Prahistorischen Funde. Berlin. 1943.

Von oppenheim, M.F. Tell Halaf. Die Kleinfunde aus historischen zeit, Walter de Gruyter, Berlin. 1962. Compte rendu. in. Revue d' Assyr. 58 (1964) P. 43.

Tobler, A.J. Exc. At Tepe Gawra. Vol. II. 1950.

Braidwood, J. Invistigation In Iraqi Kurdistan. Chicago. 1960.

Braidwood, J. in Sumer. VII (1951) Sumer X (1954).

Stève. M.J. Dictionnaire Archéologique des Techniques. I. Paris. 1963.

Woolley. L. Ur of the Chaldees. The Final account, Excavations at Ur, revised and Updated by P.R.S. Moorey. London 1982.

Mellaart, J. The Neolithic of the Near East. Thames and Hudson. London. 1975.

Goff, B.L. Symbols of Prehistoric Mesopotamia. N.H. and London. Yale University 1963.

Kramer, S.N. Sumerian Mythology. Chicago 1961.

Mayassis, S. Mystères et initiation Dans La préhistoire et Protohistoire. Athènes. 1961.

Falkenstein, A. Archaische Texte aux Uruk, Berlin. 1936.

علي محمد مهدي : « دور المعبـد في المجتمع العراقي » مـن دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء (رسالة ماجستير في الاثار) بغداد ١٩٧٥ . غير مطبوعـة بعـد .

د. وليد الجادر : « المدينة والبنـاء في بلاد وادي الرافدين » مجلـة كلية الآداب (اصدار خاص) ملحق العـدد ٢٣ (١٩٧٨) ص ٦٩ ــ ٩٤ .

معلومات عن المنقب العراقي محمد علي مصطفى (عام ١٩٨٣) .

المبحث الثاني

العمــــارة

من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي الحديث

د . مؤيد سعيد

المؤسسة العامة للآثار والتراث ـ بغداد

المواد الانشائية

امتازت حركة التطور المعماري في العراق القديم كما سبق توضيح ذلك في المبحث الاول بتفاعل كامل وحيوي بين المادة الاولية التي تصنع منها المواد الانشائية وبين طبيعة البيئة والمناخ اللذين يحيطان بالمنشــآت العمارية . ولقد عرف الانسان العراقي وسائل تحقيق اهدافه العمارية بالتجربة وباكتساب الخبرة المتراكمة .

وكانت مادة الطين هي التي اصبحت في شمال العراق وجنوبه المــادة الرئيسية الاوفر والاكثر اقتصادا والاقل كلفــة والاكثر قدرة على التطويع والتشكيل بانامل البنائين كما في أنامل النحاتين والفخارين .

واذا كانت الكثافة النوعية لطين الارض المحيطة بالبناء او طين البــناء المضغوط باليد او بالقالب لا تختلف الى درجة كبيرة عن بعضها فان هذه الحالة خلقت توازنا نوعيا اساسيا في الكتل البنائية . وكذلك فان ادامة البناء السنوية

بنفس مادة الطين تضمن سهولة في تقنيات العمل اذ لا يحتاج الطين الجديدالى ازالة الطين القديم وانما يكفي اضافة طبقة جديدة فوق القديمة التي تعاني من الاندثار الموسمي • وفي العصور الحضارية التي بدأت فيها المدن في النشوء والتكامل بدأ الانسان بتنويع المواد المستخدمة في البناء سواء في انواعها ام في طرق تصنيعها ام في اشكالها • فلقد استخدم الانسان اللبن بمختلف القياسات والاشكال • وفي عصر فجر السلالات بالذات كان اللبن المعروف باللبن المستوي المحدب (البلانو كونفكس) شكلا خاصا بهذه المرحلة • واصبح وسيلة لتاريخ المباني التي يعثر عليها في التنقيباب الاثرية وهي مشيدة به •

واللبن المستوى المحدب هو بالاصل من النوع المتوازي المستطيلات ، ولكن السطح الاعلى فيه يمتاز بكونه غير مستو وانما محدباً منتفخ الوسط قليلا بينما بقية الوجوه مستوية السطح • كما ان طريقة استخدام هذا اللبن في بناء الجدران غريبة تظهر لاول مرة ولاخر مرة في طرق التشييد عبر التاريخ•

لقد قام البناء بوضع اللبنة على احد الوجهين الصغيرين ولكن ليست بوضع عمودي •• وانما مائلة باتجاه معين وتنظم اللبنات في صف واحد بنفس الميلان •• اما الصف الذي يليه فانه يكون مائلا ايضا ولكن بالاتجاه المعاكس •

ويشبه الاثاريون شكل تنظيم هذا اللبن في الجدار في كل صفين بالعمود الفقري للسمكة •

اما في المناطق الضعيفة من الجدران ، ومنها فتحات الابواب ، فان طريقة ترتيب هذا اللبن تعود الى الاسلوب التقليدي المعروف اي نظام (الحل والشد) والتي تكسب الجدار قوة ومتانة •

ويحاول بعض المؤرخين الاجانب الايحاء بان ظهور هذا النوع الغريب من اللبن واساليب بنائية اخرى بالاضافة الى اشكال جديدة من مخططات

المعابد ، انما يعني تأثيرات غريبة عن ارض العراق نفسه ولربما هجرة بشرية جديدة في بداية عصر فجر السلالات السومري •

الا ان مايثبت خطأ هذا الرأي هو مايعتقده علماء اخرون من ان اللغة والعناصر الفنية المستخدمة والنتاجات الفنية المختلفة الاخرى انما لم تتغير ، مما لا يدل على موجة بشرية جديدة تستجد معها كل المظاهر الحضارية •• خاصة اللغة •

ولقد استخدم اللبن المستوي ــ المحدب في كل من الوركاء وفي معابد الاله سين في خفاجي في منطقة ديالى وفي أريدو وفي تل اسمر وفي مستوطنات عديدة اخرى منها مدينة سپار (ابو حبة) اما في الفترات اللاحقة فلقد عاد الانسان الى استخدام اللبن المتوازي المستطيلات ذي السطوح المستوية واستمر هذا الاستخدام عبر العصور حتى وان تغيرت الاشكال والاحجام •

اما المادة التي استخدمت للشد فلقد كانت الطين بالدرجة الاولى • ولم تترك هذه المادة ابدا لانها وبالتجربة الاكثر تشابها مع مادة اللبن في خواصها وتأثرها بالعوارض المناخية مما يعطى انسجاما كاملا في ردود الفعل وفي درجات المقاومة لكل التأثيرات الخارجية او للتقادم في عمر البناء •

ولقد استخدم العراق القديم الاسفلت كمادة اكساء عازلة للمياه في الارضيات بالدرجة الاولى كما استخدمه في تكسية احواض الماء في ساحات البيوت والمعابد • ولقد عرفت معابد الفترة السومرية الحديثة (نهاية الالف الثالث ق • م) غرف الحمامات التي كسيت ارضها بالقير ومنها غرف الوضوء في معبد شوسين في تل اسمر وكذلك في العصر البابلي القديم في الغرفة التي تلي مدخل قصر رئيسة كاهنات الاله ننار (الاله القمر) في اور حيث يجري الوضوء والتطهير بالماء والنار •

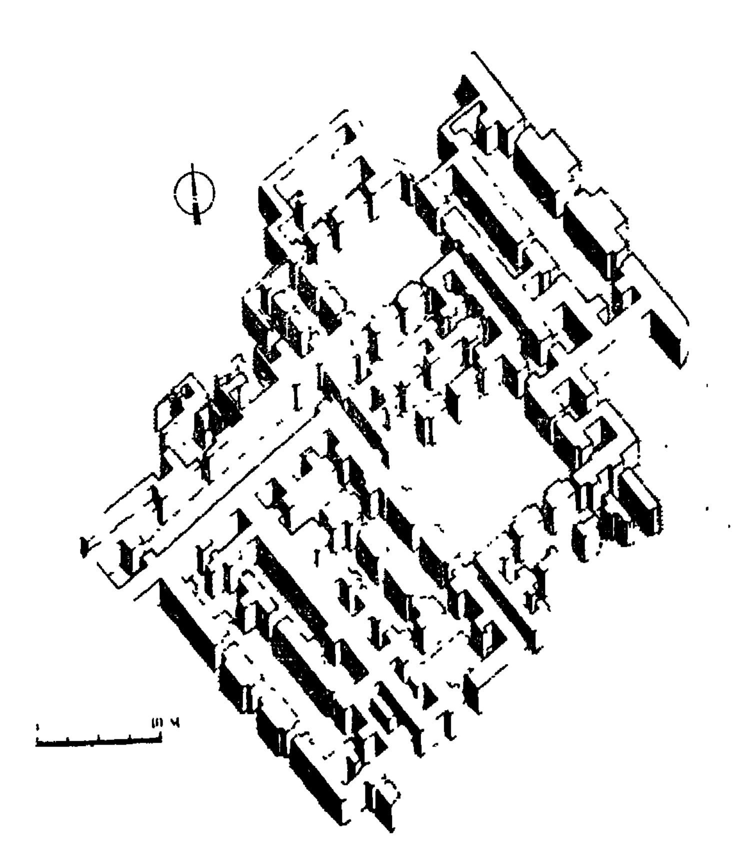
اما في معابد نوزي (في العصر الاشوري الوسيط) فان احواض المياه في ساحة المعبد كانت مبطنة بالزفت .. وكذلك ارضية الحمامات في القصر .

وفي العصر الاشوري الحديث والكلدي استخدم الاسفلت ايضا كمادة عازلة في الحمامات واحواض المياه ولكنه استخدم ايضا في بابل كمادة رابطة في بناء الجدران المشيدة بالآجر .. وذلك لعزل المياة الجوفية التي بدأت على مايبدو في الارتفاع بمستواها والتأثير على جدران القصر الملكي كما استخدم الزفت في اكساء مخازن الحبوب وحفر خزن المؤونة ، اما مادة الجص فانها استخدمت لتكسية الجدران وطلائها .. وكان استخدامها غير واسع الانتشار في المناطق الجنوبية وذلك لانعدام الكلس الذي يحرق لصنع الجص منه .

وبالرغم من قلة الامثلة التي تشير الى استخدامات الجص على نطاق واسع فان المناطق الوسطى والشمالية من العراق حيث يكثر الكلس تركت تاثيرها على المنشآت المقامة عبر الزمن والتي مازالت بعض بقاياها القليلة تؤكد على ذلك .. كما في مداخل القصر الملكي في عكركوف من منتصف الالف الثاني ق . م . ولقد استمر استخدام الجص في طلاء الجدران حتى العصر الكلدي ففي بابل شاهدنا معابد مثل معبد نينماخ وعشتار ونابو شخاري وقد كسيت جدرانها بالجص . ثم استخدمت كارضية لرسم الزخارف الملونة عليها .

ولابد وان يكون العراق القديم قد توصل الى صنع انواع من المواد المقاربة للاسمنت .. فلقد تم بناء الجدران الآجرية لجدار المسناة في مدينة اشور بمادة رابطة لم تقل قوتها حتى الان بالرغم من انغمارها بمياه دجلة سنة بعد اخرى بل ازدادت صلابة . كما ان ارضيات القصر الصيفي في بابل صنعت من مادة اسمنتية بيضاء مخلوطة بحصى ناعم جدا .

وفي الشمال استخدم الاشوريون بالاضافة الى اللبن والطين والاحجار المهندمة في بناء الجدران خاصة في القشرة الخارجية لاسوار المدن (مثل سور نينوى) والقصور والمصاطب مثل (القلعة الملكية في خرسباد) وفي اكساء قواعد الابراج الدفاعية مثل (اشور) او اعمال الجسور والقناطر والابواب كما في حصن شيلسنصر في نمرود او قناطر مياه سنحاريب في جروانــة شمال الموصل وطريق الارتقاء الى معبد نبو في خرسباد •



قصر سنحاريب في نينوى (تل قوينجق) القــرن السابع ق٠م

ولقد استخدم السومريون الصخور الكلسية في صنع الاشكال البشرية والحيوانية واجزاء الزخارف التي استخدمت لتطعيم الافاريز في الواجهات الجدارية للمعابد في عصر فجر السلالات كما في اور وتل العبيد وكيش وماري

كما استخدمها الاشوريون منذ العصر الاشوري الوسيط في الاجزاء التكميلية للجدران والتي تحولت تدريجيا حتى بدأت بتغطية كافة الساحات الجدارية الممكنة في القصور الملكية .كما استغلت لتغليف الجدران الاصلية المصنوعة من اللبن لغرض حمايتها من التلف السريع واستخدمت الالواح كارضية للنقوش البارزة التي تمثل اوجه حياة البلاط وتاثير الملوك الاشوريين من حروب وصيد وواجبات دينية واحتفالية اخرى .

استخدمت الاحجار في تبليط الساحات والشوارع كما في المنطقة المقابلة لبوابة نركال في نينوى والتي اقتبسها اليونان والرومان فيما بعد .

وصنعت الاعمدة لدى الاشوريين من الحجر .. وكذلك الدكاك لمداخل القصور والمعابد خاصة لدى سرجون الثاني الاشوري .

وعرف الاشوريون الحجر في صنع الابواب الحجرية لمقابر الملوك وفي صنع توابيتهم الضخمة وفي صنع احواض المياه للاغراض الدينية . وكذلك استخدمت الاحجار ومنذ العصور السومرية الاولى كقاعدة يدور عليها عمود الباب والتي يطلق عليها اسم (حجر الصنارة) وازدانت بعض حجار الصنارة بكتابات دونت عليها المآثر البنائية للملوك واسماء المعابد التي شيدوها لالهة معينة او اخرى .

اما الاخشاب فلقد عرف العراقي القديم اولا القصب والبردي وقد استخدمها كحزم تربط الى بعضها لرفع السقوف الحصيرية .. كما عرفها كمادة رابطة توضع بين صفوف اللبن فتخلق نوعا من الطبقات المانعة لاية شقوق او انهيارات قد تحدث في الجدران وتمنع استمرارها في صفوف الطابوق

او اللبن الى اكثر من اربعة او خمسة صفوف . كما استخدم القصب المشقوق والمضغوط ثم المنسوج على شكل حصران في التسقيف .

وكثيرا ما وجدنا طبعات نسيج الحصير من القصب في بقايا القير او على احد وجوه اللبن او الطابوق مما يدل على انه استخدم كفراش للارضيات.

اما الخشب فلقد استخدم خشب الارز في تسقيف المعابد الكبيرة والقصور وكان يستورد من بلاد فينيقيا ويسحب على صفحة الماء بواسطة السفن وزوارق التجديف كما استخدمت اخشاب اشجار الجوز والبلوط والقوغ في الشمال ، وفي الجنوب استخدمت جذوع النخيل او اجزاء منها في التسقيف كما استخدمت الاخشاب المستوردة من الشمال في الاعمال الخشبية المختلفة واستخدم الخشب في صنع الابواب والشبابيك .. كماقام الكلديون في بابل باستخدامه لتسليح مسافات الجدران ولتحشيتها كعوارض في اصل بناء الجدران وذلك للتوصل الى موازنة انشائية واستقرار كامل في البناء .

وقد عرف العراقيون في العصر البابلي الحديث ان الاجزاء المثبتةفي الجدران من عوارض الابواب وغيرها يجب ان تعزل بمادة مقاومة للرطوبة والحشرات والقوارض فطليت نهايات العوارض بالزفت وبالقير لهذا الغرض .. وهذا ماشاهدناه في القصر الجنوبي في بابل .

اما المعادن كالبرونز والحديد (فيما بعد) « انظر المبحث الخاص بالتعدين » فلم تستخدم الاكمادة تكميلية لم تدخل في صلب البناء .. وانما في تغليف الدكاك بصفائح من البرونز كما في معبد بورسبا في العصر البابلي الحديث أو في تغليف الابواب بشرائط تثبت عليها مناظر دينية او دنيوية .. كما في بوابات بلوات أو خرسباد من العصر الاشوري الحديث وكذلك في معبد تل حداد في حمرين .

كما استخدمت لتغليف قواعد الاعمدة التي تدور عليها الابواب ..فوق احجار الصنارة المطمورة عند فتحات الابواب . وكانت حفرة الدوران على وجه الصخرة تملأ بالشحوم لضمان عدم تآكل المعدن نتيجة للاحتكاك .

المعــابــد

ان من اهم المجاميع البنائية في العصور القديمة وابتداء من عصر دويلات المــدن السومريــة حتــى نهايــة حكــم السلالــة الكلديــة (العصــر البابلــي الحــديث) في بابــل في ٥٣٩ ق . م . كانــت المعابــد ، لمـــا تمتـــاز بــه من تــدابير خاصــة تختلفــ بهــا عن المســاكن وكذلــك عن بقية المنشآت ولقد لاحظ العراق القديم وجود انواع عدة من المعابد اهمها معابد الآلهة الرئيسية المنفردة وهي عادة معابد ارضية تكون في مناطق مركزية خاصة داخل مواقع المدن مهيئة لهذا الغرض .

وهناك المعابد المرتفعة فوق المصاطب المشيدة من اللبن بطبقة او طبقتين ، وهي في حقيقتها استمرار لمعابد عصري العبيد والوركاء وجمدة نصــر والتي امتازت بخصوصية انشائها فوق ارضيات مرتفعة او مصاطــب لهــا وحدها ، او لمجاميع معقدة التراكيب المعمارية كما في منطقة أي ــ انا في الوركاء .

وهناك المعابد الملاصقة للزقورات .. وهي معابد ارضية او منخفضــة تكون في الصحن المحيط بالزقورة .. ولها واجبات تكميلية او معوضة للمعبد

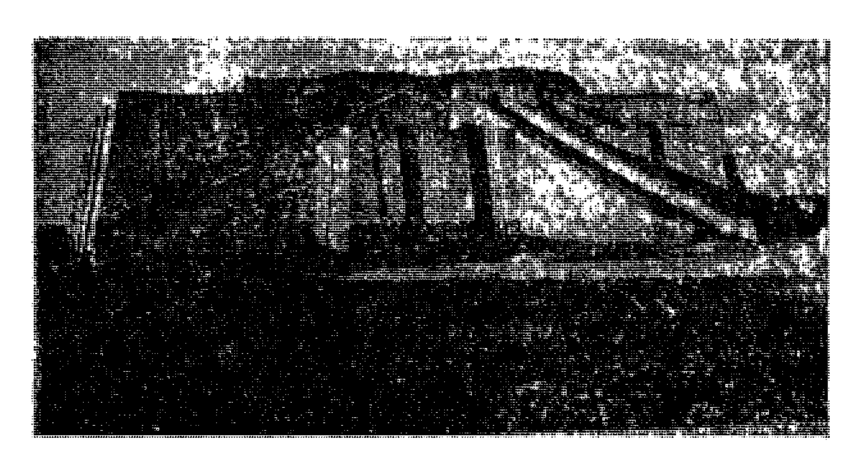
المعابــد المرتفعة (الزقــورات)

اما المعابد المرتفعة فهي المعابد التي تكون اعلى من الارض عادة وليس فوق مصاطب اعتيادية وانما فوق مرتفعات صناعية متدرجة بحيث يشكــل المعبد الطبقة الاعلى منه .. ولاتقل عدد طبقات المرتفع الصناعي عن ثــلاث طبقات عدا المعبد .

وهذه المعابد ليست مفتوحة للجميع ، الا انها محطة استراحة الاله المعين وهو يهبط على عرشه الارضي •

ومن اوائل الزقورات زقورة اور التي شيدها الملك اورنمو في عام ٢١١٣ ـ ٢٠٩٦ ق • م ، واشهرها على الاطلاق برج بابل الشهير • اما اعلى الزقورات الموجودة والباقية حتى الان فهي زقورة عگرگوف الكتسية والتي يقدر ارتفاعها بخمس طبقات •

وتحيط بالزقورة عادة ساحات واسعة للمصلين تسمى صحن الزقورة • تطوقها مبان وغرف لخدمات مختلفة معظمها للكهنة ولمخازن النذور والهداية التي تقدم للآلهة (شكل ـ ١) •



شكل ـ ١
زقورة اورنمو ـ اور بعد صيانة الطبقة الاولى

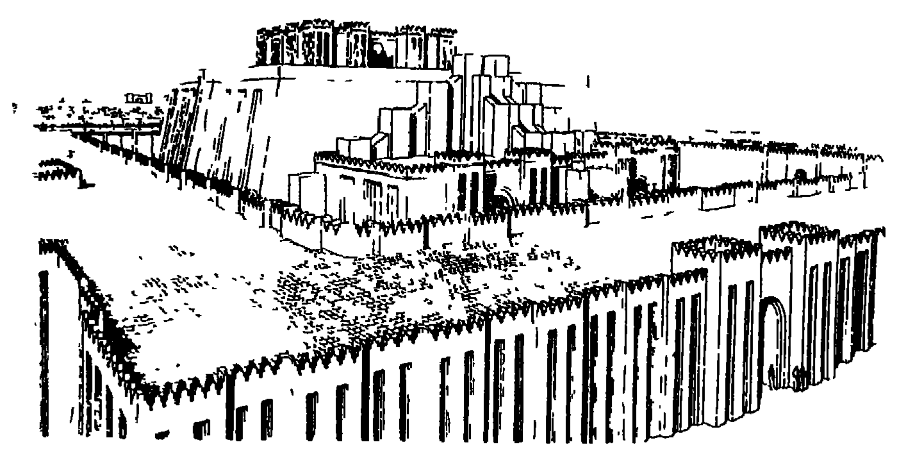
وتعتبر السلالم المشيدة مع الزقورة اساسا مهما في فهم تطورها • فلقد كان اورنمو صاحب الفكرة المطبقة في تشييد ثلاثة سلالم اثنان منها جانبيان

يبدآن من الزوايا الخارجية لاحد الاضلاع ويرتفعان الى الداخل الى وسط الضلع فيلتقيان في نقطة عند مستوى الطبقة الاولى . اما السلم الثالث فانه ينطلق مرتفعا من نقطة بعيدة عن نفس الضلع وعموديا على منتصفه فيلتقي السلمين السابقين في نفس المكان عند الطبقة الاولى .

ولقد حافظ العراقيون في الجنوب على هذا النظام حتى زقورة بابل الا ان اضافات معينة خلقت بداية لاشكال جديدة فلقد قام گوريگالزو بتشييد سلالم زقورة عگرگوف (النصف الاول من القرن الرابع عشر ق . م) .ولم يبدأ في الزوايا الخارجية للضلع الجنوبي الغربي ، وانما ابتداء من الاضلاع الشرقية والغربية ليس بعيدا عن نقاط التقائها بالضلع المذكور فارتفع بها عدة درجات ثم التف بها مع وجه الضلع وعلى الارتفاع الذي وصلته درجات السلم . وبهذا ضمن هبوطا وصعودا غير شديد الانحدار بسبب زيادة عدد درجات السلم .

ويعتقد المنقبون ان سلالم زقورة خرسباد من القرن السابع ق . م هي من النوع الحلزوني فهي تلتف مع الاضلاع وعدد الطبقات صاعدة الى اعلى بحيث تصل الى القمة عن طريق يشبه اسلوب الارتقاء الى ملوية سامراء ماعدا ان البرج ليس دائريا كما في سامراء بل مربعا . ولذا فلقد كانت التفافات السلم حول اضلاع الزقورة بزوايا قائمة ايضا .

ولقد تفنن المعماريون القدماء في بناء الزقورات ولكنها ولاسباب اقتصادية بنيت من اللبن والطين الا زقورة اور سالفة الذكر وكذلك زقورات العصر الكلدي : بابل وكيش وبورسبا و الوركاء والتي تمتاز بكون الكتلة الصلدة من اللبن مغلفة بغلاف سميك من الآجر (شكل ـ ٢).



شكل ــ ٢
زقورة الوركاء مع المعابد الارضية (منظر تخيلي)

المعابد الارضية

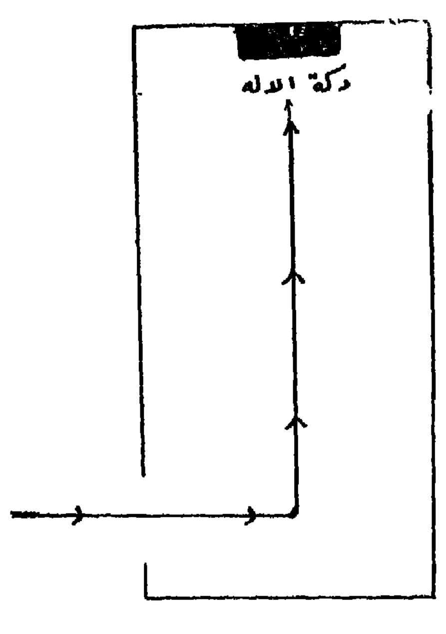
يقسم العلماء من المتخصصين بعلم الاثار المعابد في العراق القديم عموما حسب مواقعها الجغرافية او حسب اشكال غرفها ومخططاتها الى عدة انواع هي :

١ ــ المعابد الشمالية

وهي المعابد ذات الصومعة الرئيسية (قدس الاقداس) الطويلة الغرفة ويكون الدخول الى الصومعة من زاوية الضلع الطويل البعيد عن دكة تمثال الاله او من الضلع القصير المقابل لدكة تمثال الاله .

معابد من طراز المحور المنكسر

ويسمى النوع الاول بمعابد (المحور المنكسر) لان الداخل يضطر الى الانعطاف بزاوية قائمة عند حركته من الباب الى تمثال الاله كي يقابله .. ويسمى النوع الثاني بالمعابد الطولية حيث يكون الداخل قبالة تمثال الاله وعلى المحور الطولي لغرفة الصومعة (شكل ــ ٣) .



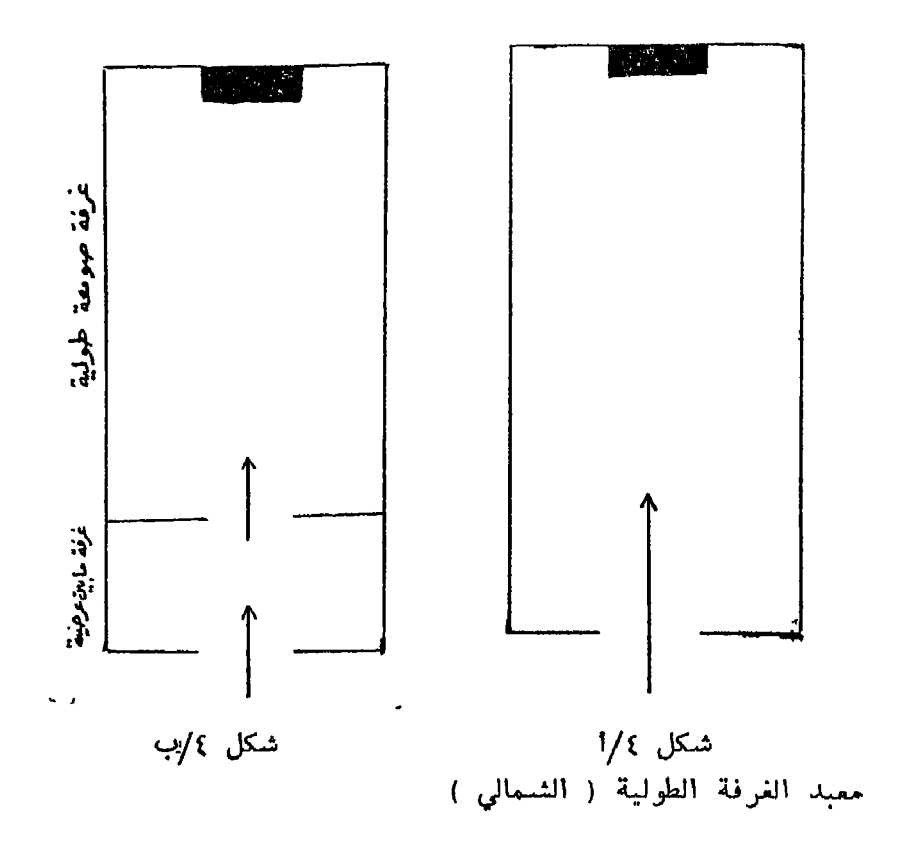
شكل ٣

معبد المحور المنكسر

ويكون الاختلاف في المخطط بين النوعين هو في موقع الصومعة • فمعابد المحور المنكسر تمتاز بأن قاعة الصومعة توازي بضلعها الطويل الساحة التي امامها وتلتصق بها وتنفتح عليها بالمدخل الذي في زاوية الضلع •

معابد طولية للغرف

اما المعابد الطولية فان القاعة تكون عمودية بمحورها الطولي على الساحة التي تسبقها حتى وان لم تلتق بها مباشرة • واعتياديا فان معابد (المحور المنكسر) لا ترتبط بغرفة مابين تكون وسطا بينها وبين الساحة •اما المعابد الطولية فانها قد ترتبط بغرفة مابين طولية او عرضية ولكن عرضها لا يزيد كثيرا عن طول الضلع القصير للقاعة اذا لم يساوه (شكل ٤/أب)•

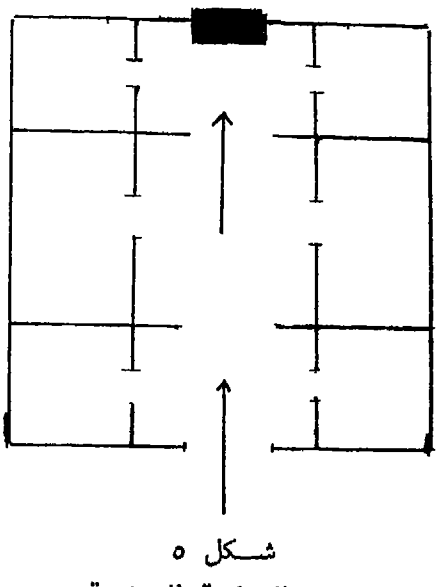


شكل ٤/ب

شكل ٤/أ
معبد الغرفة الطولية (الشمالي)

٣ ـ المعابـد الجنوبيـة

امتازت هذه المعابد منذ العصر السومري الحديث بالابتعاد عن طراز المحور المنكسر او المعابد الطولية ، وقررت لنفسها نوعا جديدا هو المعبد ذو الفناء الوسطي او مايسمى بـ(معبد البيت البابلي)• وهذا المعبد لا يختلـــف في تخطيطه النموذجي عن بيت سكن له مدخل وغرفة مجاز وفناء تحيط به غرف عدة حيث تكون الغرفة الاولى الرئيسية هي الغرفة المطلـة على ضـلع الفناء المقابل للمدخل (شكل ـ ٥) •



شــكل ٥
معبد الغرفــة العرضية
(بيت الفناء البابلي)

وتكون هذه الغرفة عادة عرضية اي انها تطل على الفناء من باب يقع في منتصف ضلعها العريض وتقابلها على نفس المحور الوسطي القصير دكـــة تمثال الاله داخل محراب او امامه في منتصف الضلع العريض الموازي •

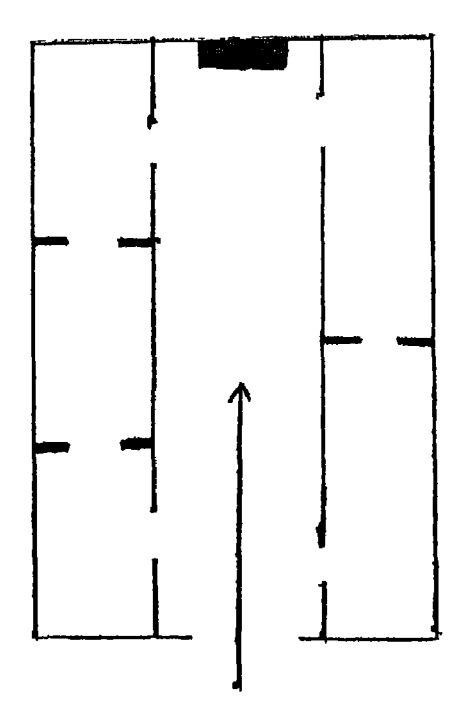
وتمتاز كل المعابد بان زينة المدخل الرئيسي من الخارج الى الداخـــل تقابلها زينة مشابهة على باب الصومعة المطلة على الفناء •

فاذا كانت هناك ابراج تكتنف المدخل ، فان الابراج تكتنف مدخـــل الصومعة ايضا • واذا كانت هناك في الواجهة طلعات ودخلات بسيطة او مركبة فان واجهة الصومعة المطلة على الساحة او واجهات الابراج تكون مزدانـــة بنفس الطلعات والدخلات •

المعابـد ثلاثية الاجزاء

اما النوع الاخير والمهم لانه اقدم كل الانواع واطولها عمرا فهـــو مايسمى المعبد الثلاثي الاجزاء • وهو معبد طولي عادة ينقسم على نفســه داخليا بثلاثة اقسام متوازية حيث يكون القسم الوسطي منها القاعة الرئيسية لاداء الصلوات وتعبد الاله •

وقد تنقسم الوحدات الجانبية الى عدة غرف وقد تتحول الى ممرات جانبية او قد تختفي احداها الا انها جميعا تحافظ على مبدأ التقسيم الثلاثي (شكل ــ ٦)•



شكل ٦
معبد ثلاثي الاجزاء

ويكون الدخول عادة مباشرة كما في عصر فجر السلالات الى القاعة الرئيسية من الضلع الضيق كماهو الحال في المعابد الطويلة الصوامع في الشمال .

ولقد اجتمعت عدة صوامع لآلهة عديدة في بناء واحد . وقد تكون كلها بنفس الدرجة من التخطيط والمتانة .. وقد تكون بعضها متميزة على الاخرى مما يشير الى الهة رئيسية واخرى ثانوية ، كما في معبد القصر في خرسباد .

وقد تكون الصومعة مزدوجة لاله و الهة كما قد يكون المعبد مزدوجا لالهين ، كما في معابد نابو في بابل ونمرود وخرسباد حيث تقيم معه زوجته الالهة تشميتو او كما في معابد آنو ــ أدد أو سن ــ شمش في آشور (شكل ــ ٣) .

وتشير النصوص المسمارية الى انه كان هناك فرق بين المعابد ذات الصوامع المقدسة وبين المزارات وانه في العصر الكلدي كان في بابل ٥٣ معبدا و٣٦٠ مزارا .

ولقد لاحظ المنقبون وعلماء اللغات القديمة ان المعابد كانت في اهميتها تنقسم الى ثلاثة اقسام :

١ ــ المعابد الرئيسية المركزية وهي معابد لها صفة قومية وتعتبر المركز الرئيسي للاله ولها يتوجه الجميع عند رغبتهم في التعبد اليه . كما هو الحال في الاله القمر ــ ننار ومركزه في اور ومعبده وزقورته هناك ، والاله انليل اله الجو وعاصمته ومعبده في نفر ، والاله الشمس وعاصمته ومعبده في سبار ، والاله مردوخ ومعبده في بابل ، والاله اشور في اشور ، وايا في اريدو .

الا ان الهة كبيرة اخرى كانت لها عدة معابد في المدن العراقية ومنها عشتار التي عرفت معابدها في عدة مدن منها الوركاء (اي ــانا)

واشجالي (عشتار ـ كيتيتوم) وماري وبابل وآشور واربيل وغيرها وكذلك نبو وتشميتوم حيث عرفا في بابل ونمرود وخرسباد •

٢ ـ المعابد الثانوية ومعابد المدن وهذه كانت لالهة ذات صفات محلية ولم تستمر لاكثر من فترة زمنية معينة ومنها على سبيل المثال معابد سن في خفاجى التي استمرت الى بداية العصر البابلي القديم وآبو في تل اسمر والعقير ومعابد نوزى وعكركوف وتل الرماح وكار توكلتى نينورتا وتل حداد •

٣ ـ معابد الاحياء السكنية وهي معابد صغيرة جدا اقرب الى المزارات او الصغيرة واشهرها معبد (خندور سانغا) في الحي السكني البابلي القديم في مدينة اور ومعابد تل حرمل وتل محمد وغيرها من نفس الفترة الزمنية •

ولا تختلف معابد القصور عن المعابد الرئيسية وغالبا ماتكون قربها او ملتصقة بها كما هو الحال في معبد جميل سن (شوسين) في تل اسمر ومعبد قصر سرجون في خرسباد •

نماذج من عمارة العراق حتى نهاية العصر الكلدي

عمارة العراق في عصر فجر السلالات السومري

ان اهم ظاهرة في مباني هذا العصر هو ظهور اللبن (الطابوق الطيني المجفف بالشمس) المسمى بالمستوى المحدب•وهو متوازي مستطيلات سطحه الاعلى محدب • وقد استخدم في وسط وجنوب العراق وفي منطقة نهر ديالى الشرقية وحتى عصر الملك أتمينا ملك لكش •

ومن اساليب الانشاء بهذا النوع من اللبن هو بناؤه فيصفوف عمودية

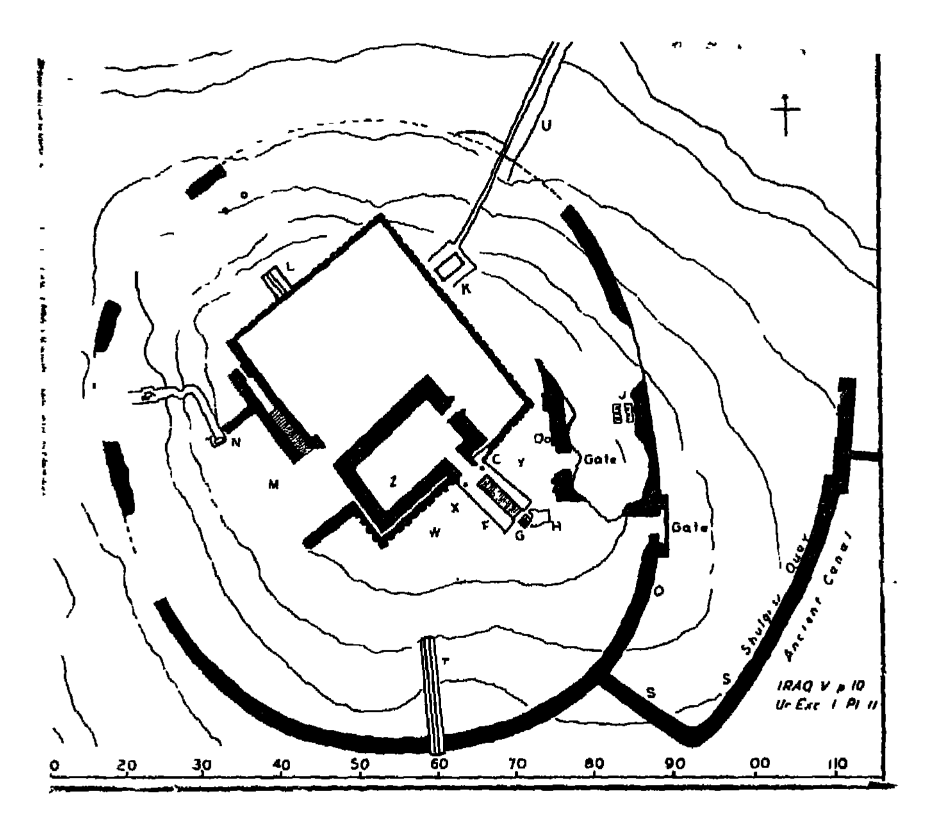
وليست افقية • وقد تكون كلمة عمودية اعتباطية هنا لانها في الواقع تبنى مائلة قليلا وباتجاه واحد بينما تبنى في الصف الذي يليه اما بنفس الاتجاه او مائلة باتجاه اخر فيشكل من كل صفين منظر يشبه العمود الفقري للسمكة•

وتستخدم عادة مادة ملاط طينية ثخينة بين الصفوف لانها الوسيلة الوحيدة لتسوية الفراغات الكبيرة الحاصلة في الجدار نتيجة عدم تساوي سطوح اللبن ، اما الظاهرة المعمارية الثانية فهي استخدام حفر للأساس تملأ بالرمل النقي لكي تملأ باللبن فيما بعد بينما كانت العادة سابقا التشييد مباشرة على سطح الارض او فوق جدران اقدم • ويعتقد البعض من العلماء ان ظهور اللبن المشوي المحدب سببه ظهور اقوام جديدة لاول مرة ولربما سكان الجزيرة العربية المهاجرون الى هذه المناطق ولقد ظهرت في هذه الفترة المجمعات الدينية داخل المدن كما هو الحال في (أوروك كولابا) وهي المركز الديني في الوركاء •

وفي هذا المركز الكبير تم تسطيح المصطبة التي كان المعبد الابيض يجثم فوقها بكتل من الطين المضغوط وبذلك تهيأت مصطبة جديدة لمعبد آخر مرتفع عن سطح الارض • اما في أي ــ انا وهي المنطقة الدينية الثانيةفيالوركاء فلم تتغير العمارة عما كانت عليه في عهد الوركاء ــ جمدة نصر كثيرا ، الا ان تل العبيد قرب أور يقدم لنا معبدا فوق شرفة (مصطبة) عالية مشيدة من كتل من اللبن المستوي المحدب (شكل ــ ٧) •

ولقدشيدت الكتلة بزوايا قائمة كما شيدت لها سلالم تاكد لدينا ان درجاتها من حجر الكلس الابيض بينما حافاتها العالية من اللبن •

ولم يبق من المعبد نفسه الكثير الا انه تم العثور على العناصر الزخرفية التي كانت تزين جدرانه وواجهته متساقطة على جانبي السلم ومعها وثيقة تشييد المعبد في زمن الملك آنيبَدا (الحاكم الثاني في سلالة اور



شكل ــ ٧

شرفة معبد تل العبيد مع السور الدائري الذي يحيط بـه
وجزء من السور الخارجـي

الاولى) • ولقد تم عزل هذا المعبد عن المباني والاحياء المحيطة بـه بواسطة جدار بيضوي شبه دائري له مدخل شرقي ذو ابراج على جانبيه •

ولقد اشتهر من زخارف هذا المعبد افريز صناعات الالبان والتي صنعت من حجر الكلس الابيض المنزل بالزفت او القار على جدران المعـبد علـى شكل اشرطة • وترينا مناظر الرجال وهي تحلب الابقار وتساهم في صناعات اللبن والزبدة وكذلك الاعمدة التي كانت تحمل سقيفة المدخل وهي مطعمة

بالاحجار السوداء والبيضاء وقطع الصدف المثلثة الشكل بحيث يرمز العمـود كله الى جذع النخلة •

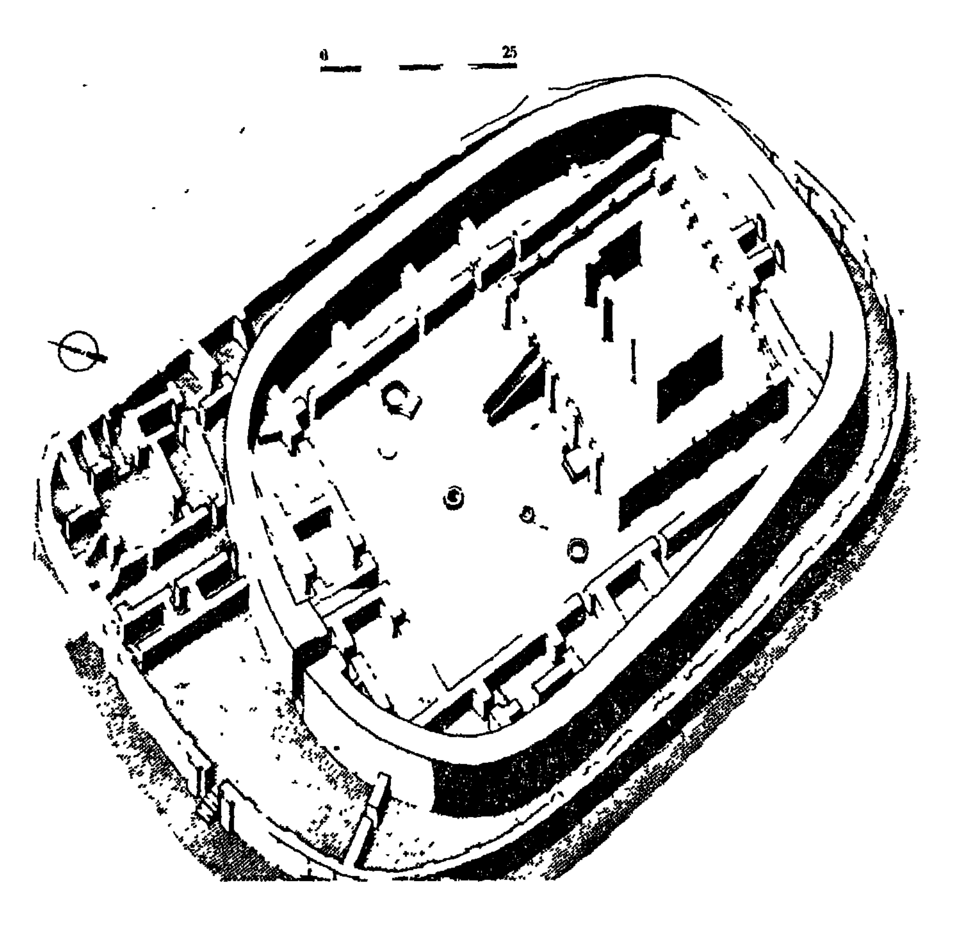
وهناك اللوحة النحاسية التي تشكل نحتا بارزا يمثل منظرا لنسر ذي رأس اسد جاثم فوق وعلين • وتبلغ مساحة القطعة البرونزية ٣٨ر٢م×٧ رام •

اما المعبد البيضوي من خفاجى فانه شيد في ثلاث فترات بنائية كلها من عصر فجر السلالات وتعتبر المرحلة الاخيرة هي الاكثر اكتمالا •

ويتكون المعبد من شرفة (مصطبة) رباعية الشكل مع سلم عمودي على ضلعها الغربي ويفترض ان المعبد شيد فوق هذه الشرفة ، وتحيط بها ساحة شبه مستطيلة ويطوق الساحة والمعبد من الخارج جدار بيضوي • وتبلـغ مساحة الشرفة ٢٥×٣٠م •وارتفاعها اربعة امتار بينما تبلغ مساحة الفناء المحيط بها ٥٦×٣٨م وتنحصر في الساحة بين جدار الفناء والجدار البيضوي الخارجي (٢٠) غرفة معظمها غير منتظمة بسبب تقوس جـدرانهـا الخارجـية (شكل ـ ٨) •

ويحيط بكل هذه الابنية سور بيضوي اخر منخفض قليلا تبلغ الساحة التي يحيط بها حوالي ٧٤م ×٥٩م يحتوي في داخله شرقا بيتاً ذا فناء وسطي تحيط به عدة غرف لعله بيت الكاهن المسؤول عن المعبد •

اما المعابد الارضية فان افضل امثلتها لهذه الفترة المعمارية تردنا من منطقة ديالى وبالذات من خفاجى وتل اجرب وتل اسمر (اشنونا القديمة) • وكل المعابد سواء معبد (سين ـ صلم) او معبد (ننتو) من خفاجى او معبـد (آبو) والمعبد المربع والصومعة المنفردة في تل اسمر او معبد (شارة)من تـل اجرب تتبع في تخطيطها الرئيسي نظام (المحور ـ المنكسر) الذي اصبح علامة دالة على معابد شرق دجلة •

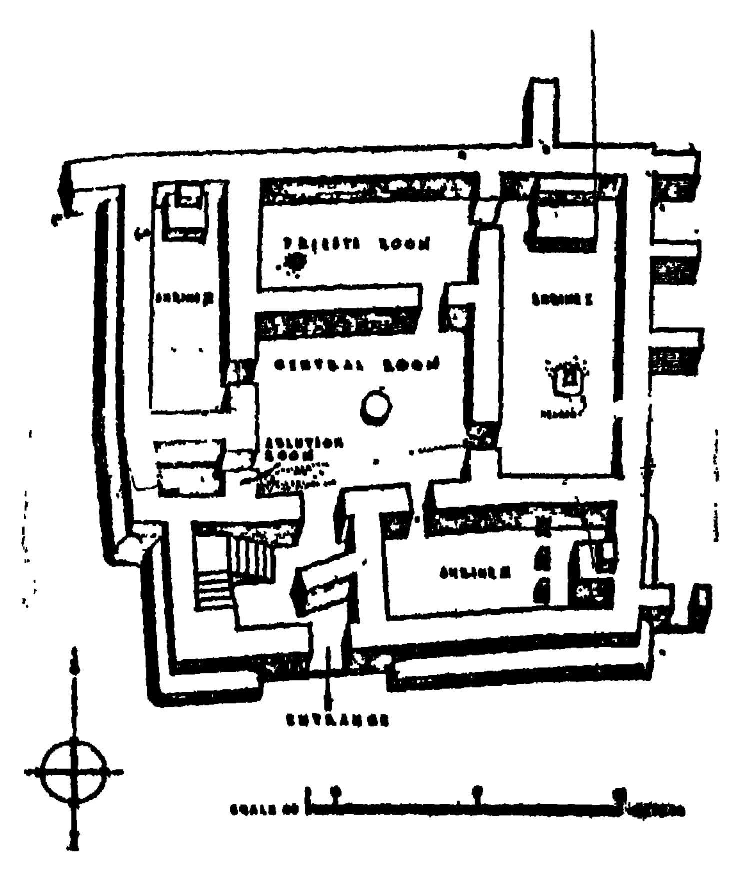


شكـل ـ ٨

المعبد البيضوي في خفاجي ـ بداية الاتجاه نحو الزقورة

كما بدأت تتوضح لدى الكثير من هذه المعابد العلاقة الواضحـة ببيت الفناء البابلي كما في المعبد المربع في تل اسمر ٠ وكانت تجهيزات الصومعة بسيطة جدا اذ كانت لاتتجاوز الدكة ذات الدرجتين التي يوضع عليها تمثال الاله في نهاية القاعة في الطرف البعيد عن المدخل عادة وعن موقد للنار في بعض الاحيان

وسط القاعة • وفي بعض ألاحيان دكة للقرابين في وسط القاعة ايضا • ومنصة دائرية لتقديم القرابين في الفناء وفي بعض الاحيان كانت دكة تمثال الاله تعزل عن بقية القاعة بواسطة دكاك مشيدة من اللبن بخط اوخطين يعترضان القاعة كما في الصومعة الثانية من المعبد المربع او في الصومعة الرئيسية من معبد شارة (شكل ــ ٩) •



شكــل ــ ٩

المعبد المربع (معبد ابو) في تــل اسمر (فجر السلالات)

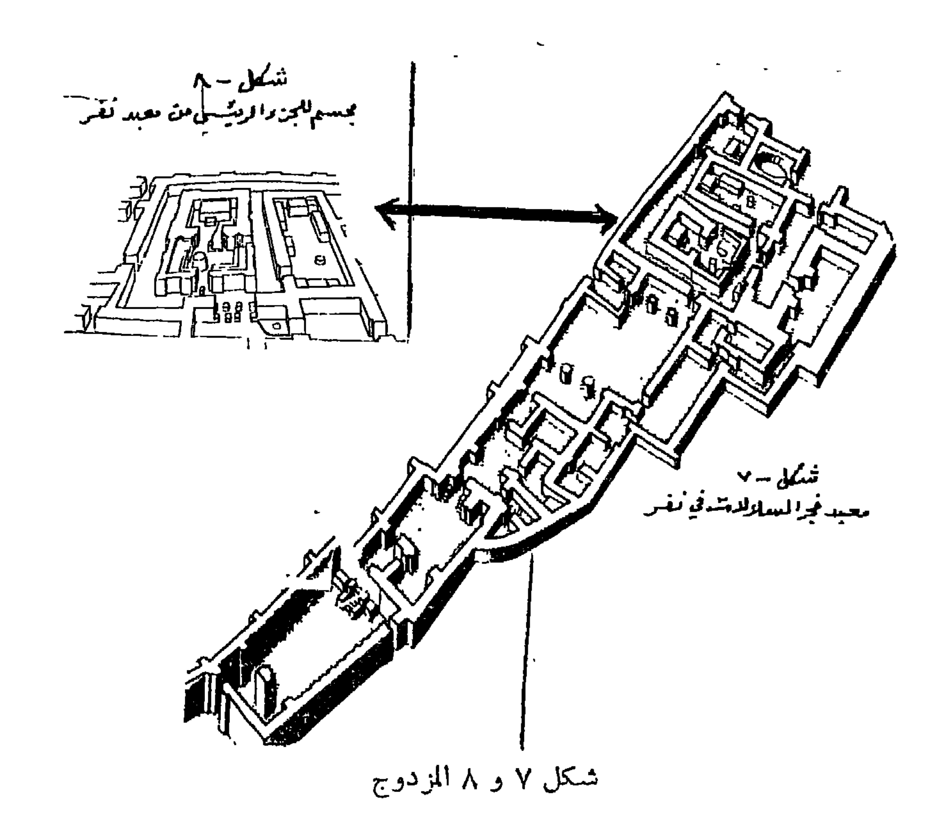
ولقد تاكد لدينا ان معابد المحور المنكسر هي الاساس في مارى على نهر الفرات (قرب دير الزور) في معبد (انانا – زازا / عشتارات) حيث وضعت دكة الالهة في غرفة ملحقة صغيرة واخرى في الساحة الخارجية ، لصق الجدار المزين بطلعات ودخلات •

اما في نفر فان المعبد يعتبر من الامثلة الغريبة التي تدل على صفات محلية صرفة مختلطة بتقاليد دينية مشتركة مع معابد مدن اخرى • فالمعبد يحتل ارضاً غير منتظمة طولية يتجاوز طولها المئة متر • ويتشكل البناء حول عدة ساحات متلاصقة •وينفتح مدخل البناء من الشمال على ساحة اولية مساحتها (٢٠×١٠) م٢ تقريبا • وتلى هذه الساحة اخرى اصغر منها تربطها غرفة مجاز ثم ساحة ثالثة عبر غرفة مجاز ايضا • وتحيط بهذه الساحة غرف غير منتظمة وتليها طارمة مسقوفة على مايبدو فوق اربع ركائز عمودية منها اثنتان في الوسط دائريتان واثنتان على الحافات مربعة • وبعد غرفة مجاز جديدة لها مدخل من الخارج من شمال شرق المعبد نرى سقيفة جديدة فوق عمودين دائريين تقود هذه السقيفة الى المعبد الرئيسي الذي يشتمل على صومعتين احداهما مستقلة عما يحيط بها من غرف مربعة الشكل تقريبا وجدرانها اكثر سمكا من بقية الجدران التي تتقدمها • وهناك صومعة ثانية طولية لها مدخل جانبي (محور منكسر) توازي الصومعة الاولى •

والمعبد مخصص للاله انانا (عشتار السومرية) ويرتبط بسور خارجي يحيط به ومازال جزء منه ظاهرا ويشكل نهاية المعبد (شكل ٧ و ٨ المزدوج)•

القصــور

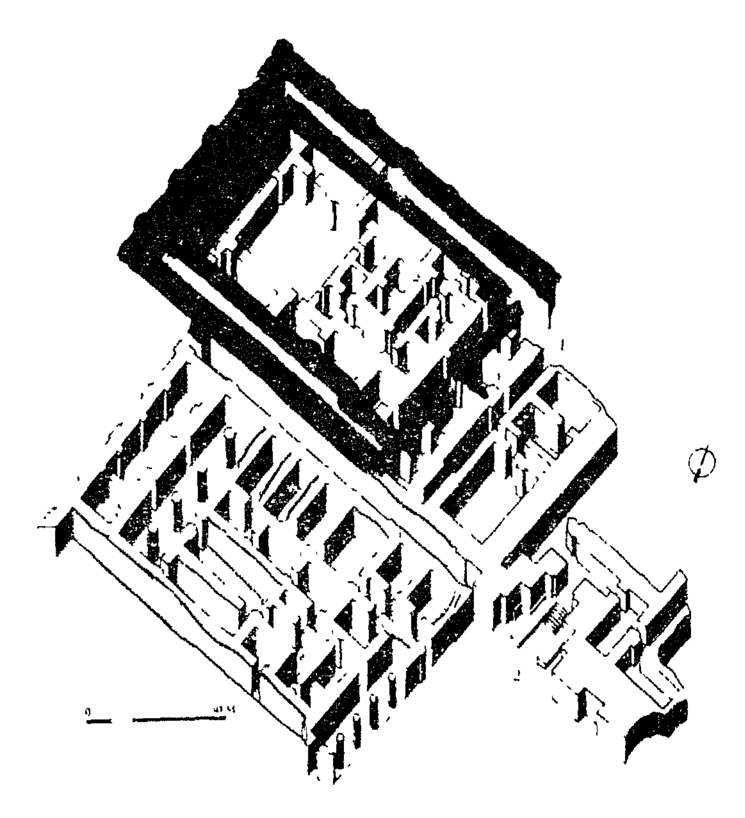
الى جانب المعابد بدأت القصور الكاملة بالظهور باعداد لابأس بها



شكل ٧ و ٨ المزدوج

في هذه الفترة ، ومن اهمها قصر كيش (خرساك ــ كلاما) • وهو يتكون من قسمين احدهما مرتفع الارضية قياسا للاخر • ويتكون من مبنى قصر يحيط به ممر حلقي ثم جدار خارجي • وبذلك يكون قشرة جدارية اضافية •وفي القصر فناء تحيط غرف عرضية في اضلعه الشمالية والجنوبية والغربية • اما الضلع الشرقي فانه مليء بغرف عدة متداخلة (شكل ــ ١٠) •

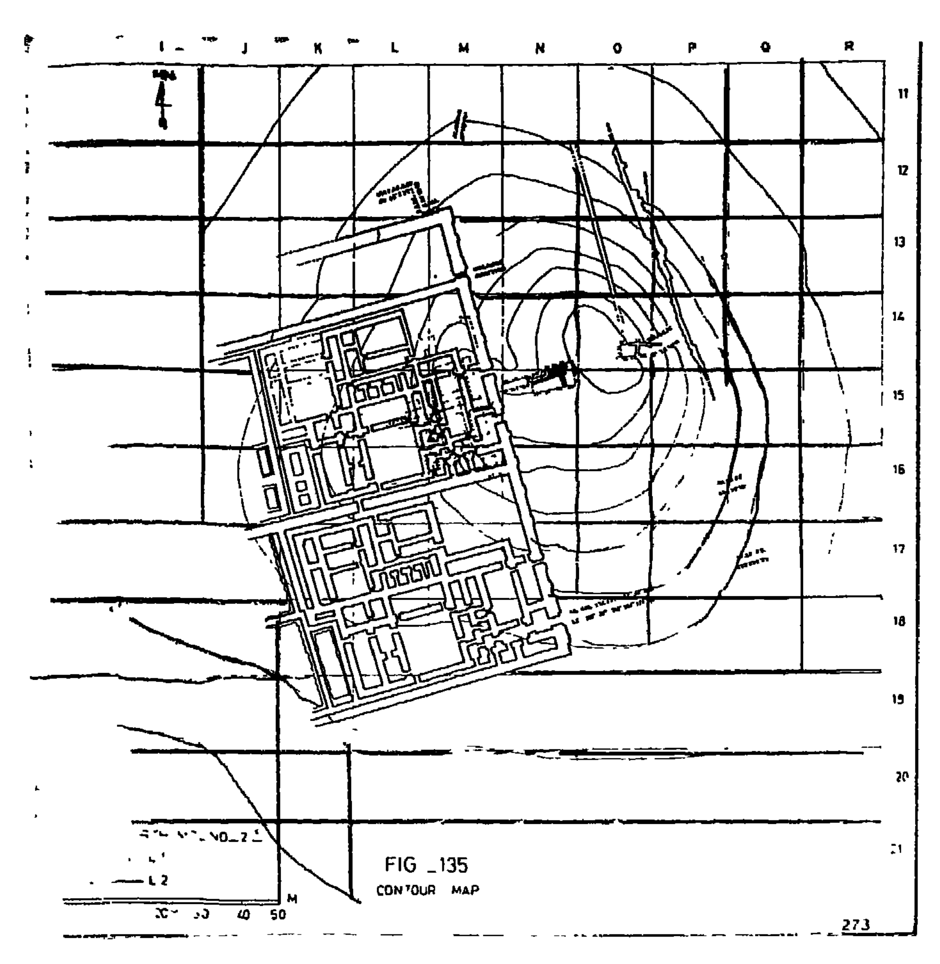
الجزء الثاني وهو (الاقل في الارتفاع) بطول×عرض ٥٧م×٣٠م وبغرف اساسية في جانبه الغربي من بينها قاعة بها اعمدة وسطية طولها ٢٨م تنفتح على قاعة اخرى (نهائية) تمتاز بوجود ركائز جدارية متقابلة فيها (ولربما كانت قاعة مرتفعة السقف الخشبي مما تقتضي وجود الركائز لحمل السقف) اماقصر



شــكل ــ ١٠
كيش ــ قصر فجر الســلالات

اريدو فهو الاكثر غرابة لانه يتكون من جناحين متشابهين تماما في كل التفاصيل والساحات بحيث يكفي وصف احدهما لينطبق الوصف على الجناح الثانــي (شكل ــ ١١) .

ويتكون الجناح الواحد من جزئين تفصل بينهما ممرات مستقيمة طويلة كما تفصل هذه الممرات البناء عن الجدران الخارجية المحيطة به في الاضلاع الشمالية والجنوبية والغربية والجزء الشمالي من الضلع الشرقي حيث نــرى ساحة كبيرة تفصل الزاوية الشمالية الشرقية للمبنى عن الزاوية الشماليــة



شكل ــ ١١

اريدو ــ قصر فجر السلالات المزدوج

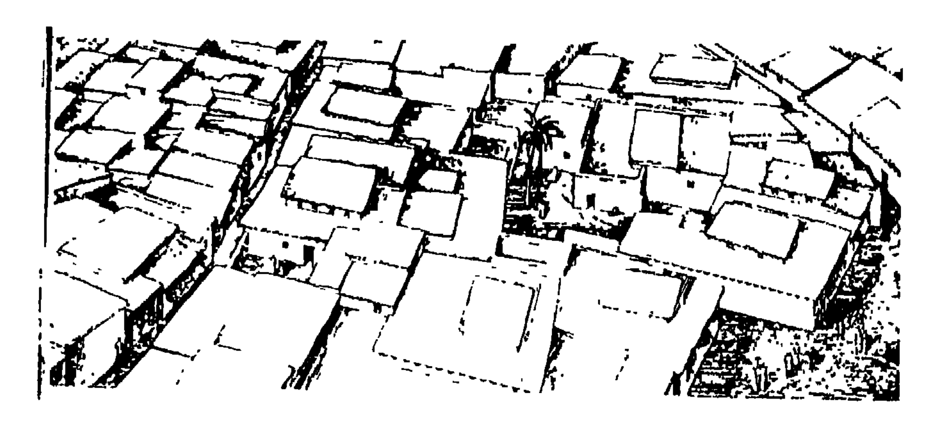
الشرقية للجدار الخارجي ، اما في الداخل فان تنظيم الغرف والقاعات حول عدة ساحات وسطية او جانبية .

وهناك قاعة كبيرة ملاصقة للضلع الشمالي للساحة الكبيرة ولها مدخلان جانبيان لربما كانت الغرفة الرئيسية في القصر ، وان لم يمنع هذا وجود (٤) قاعات اخرى لها مواصفات مقاربة الا انها لا تطل على الساحة الكبيرة .

ومما يلفت النظر في هذا القصر وجود ثلاث غرف مصفوفة جنب بعضها يحيط بها ممر حلقى ويعزلها بذلك من التصاق جدرانها ببقية جدران البناء ولعلها معبد داخلي او وحدة بنائية ذات وظيفة خاصة جدا • وتقع في الزاوية الجنوبية للجناح الواحد وتتكرر في كلا الجناحين الشمالي والجنوبي •

البيوت السكنية

لاتمتاز البيوت السكنية بنظام خاص بها ففي بيوت منطقة ديالى نرى البيوت تطل على ازقة غير منتظمة وهي في تنظيمها الداخلي لا تتبع نظاما ثابتا وان غلب عليها طابع الساحة الوسطية الا ان الدخول اليها لا يتبع شكلا واحدا فقد يكون الدخول اليها عبر قاعة طويلة واحدة او غرفة جانبية صغيرة او عدة غرف متسلسلة وقد يكون للدار الواحدة عدة مداخل وقد تغلف اجزاء منها او تضاف لدار اخرى • وهي مشيدة من اللبن وقد تكون ابواب غرفها مقوسة بشكل بسيط وقد تحتوي على شبابيك مثلثة فوق الابواب او في الجدران (شكل ــ ١٢) •



شكل ــ ١٢

بيوت اشنونا (تل اسمر) من العصر السومري القديم (فجر السلالات الثالث)

العمـــارة الاكـــدية

لاتتوفر لدينا معابد واضحة المعالم من العصر الاكدي لكي تحكم عليهـــا بشكل علمي دقيق •

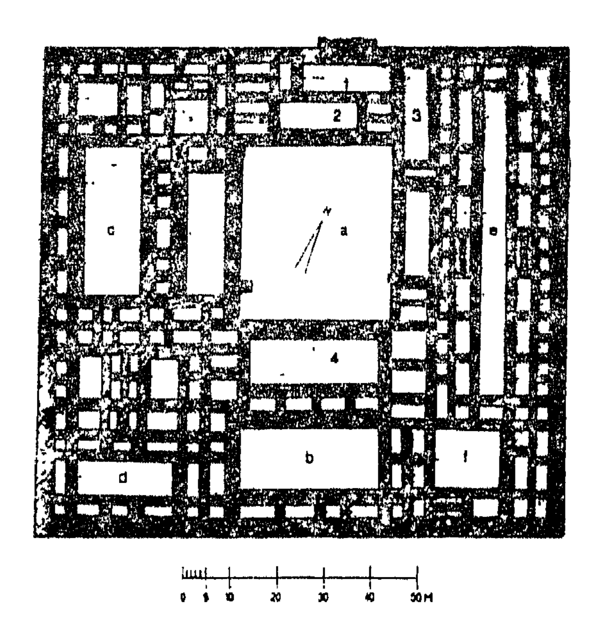
ولكن هناك معابد كانت موجودة في فجر السلالات واستمر استخدامها في العصر الاكدي ومنها (الصومعة المفردة)في معبد آبو في تل اسمر حيث قسمت قاعة المعبد الى جزئين بواسطة جدار قوي وسطى ، كما نـرى حالة مشابهة في تل خوشي (في منطقة سنجار) ، الا ان العمارة المدنية معروفة اكثر في كل من تل اسمر واشور وتل براق (في منطقة الخابور الشرقية)• وهناك بناءان في آشور وتل براك يشيران الى قصرين اكـــديين ولكـــن ذوا استخدامات شبه عسكرية في نفس الوقت •

ان قصر آشور تبلغ مساحته ١١٢م × ٩٨م وكان مشيدا باللبن ويقع غرب زقورة انليل •• وفي نفس الموقع الذي شيد فوقه فيما بعد قصـــور العصرين الاشوري الوسيط والاشوري الحديث •• كما استخدم مقبـرة للملوك اشور المهمين (شكل ـــ ١٣) •

ولقد أصبح المخطط الذي شيد عليه هذا القصر فيما بعد مصـــدرا للاقتباس في كل قصور الفترات التأريخية اللاحقة •

الا ان الكمال والدقة فيالتنظيم الداخلي لقصور العراق القديم لايستطيعان تتجاوز ابدا هذا القصر في اساليب التنسيق والتنظيم للغرف حول الساحات الداخلية التي كان لكل منها واجب اجتماعي خاص ولاشك •

ويرينا المخطط زوايا قائمة للجدران الخارجية والداخلية •• وكـــل هذه الزوايا تقابل الاتجاهات المغناطيسية الاربعة بحيث ان الجدران تكـون باتجاهات شمال شرق / شمال غرب / جنوب شرق / جنوب غرب •



شـكل ـ ١٣
القصر الاكدي في آشور

اما المدخل فكان باتجاه الشمال عموما •• وهو قائم بين برجين يقودان الى غرفتي مجاز يكون الدخول منهما الى الساحة الرئيسية • حيث نرى قاعتين كبيرتين ملاصقتين للضلعين الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية ولربما كانتا او كانت احداهما قاعة للعرش • ولقد انقسمت بقية ساحة القصر على نفسها حول خمس ساحات اخرى كلها محاطة بغرف مفردة او مزدوجة •

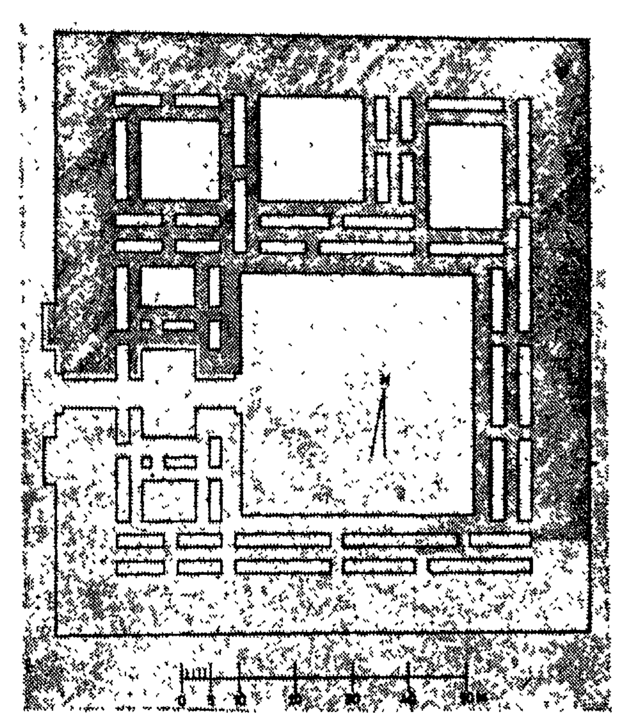
ان اهم ساحة من هذه الساحات هي الشمالية الشرقية •• وهي ضيقة نسبيا (عرض ٥م تقريبا) وطويلة •• تكاد ان تغطي معظم طول الضلع الذي يزيد على الستين مترا ••

ان هذه الساحة تشبه الممر الطويل الذي تتوزع عليه قاعات عرضية تنفتح كل منها على غرفتين صغيرتين • بالاضافة الى وجود سلالم على كل من وسط الضلعين تقودان الى سطح المبنى •

ولربما كان هذا هو الجزء المخصص لحرس القصر الملكي ولسكناهم•

اما المبنى الثاني المشابه فهو حصن نرام سين من تل براك وهو مربع ايضا يبلغ ثخن جدرانه حوالي (١٠ م) وتحيط غرفه المستطيلة الضيقة المزدوجة او المفردة بخمس ساحات مربعة او مستطيلة •

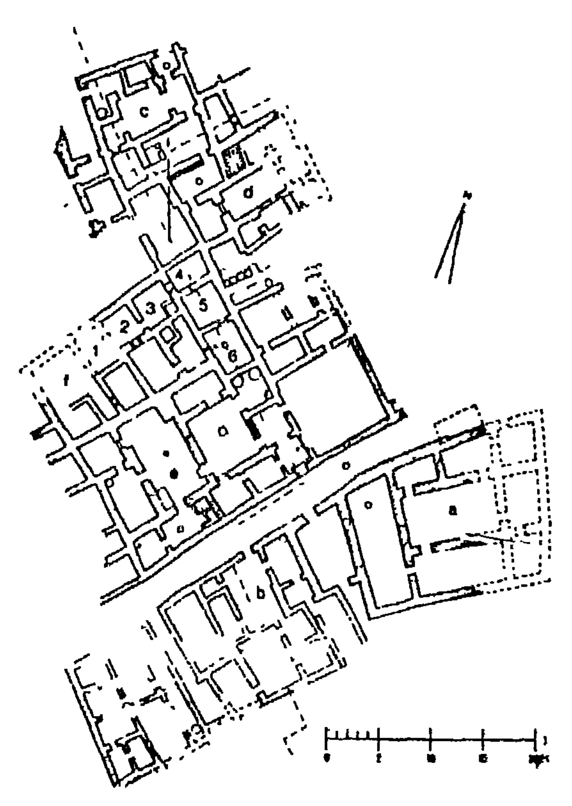
ويكون الدخول الى هذا الحصن عبر بوابة ذات ابراج في منتصف الضلع الغربي تقريبا ومنها الى غرفة مجاز عرضية ضيقة ثم الى غرفة هي اشبه بالساحة تبلغ حوالي (١٠×١٥م) تنفتح عليها عدة غرف صغيرة في الضلعين الشمالي والجنوبي ينتقل عبرها المرء الى ساحات صغيرة داخلية ومجاميع غرف اخرى (شكل ــ ١٤) •



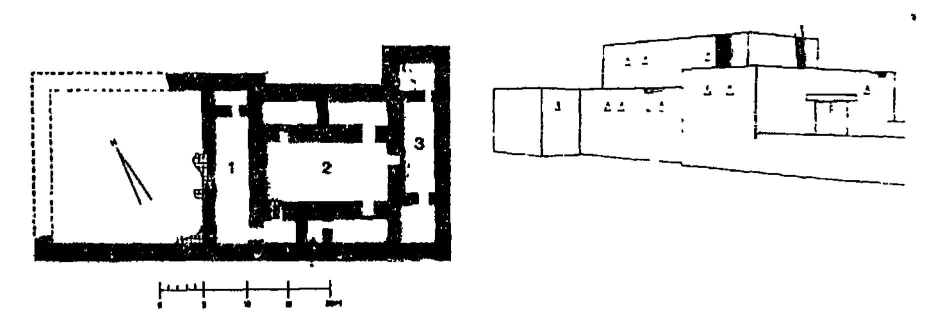
شكل ــ ١٤
حصن نرام سن الاكدي في تل براك

الا ان هذه الساحة او القاعة الكبيرة تنفتح على فناء وسطي كبير مربع الشكل ايضا وتبلغ مساحة القصر (٩٣× ١١١م) وهي تقارب مساحة القصر في اشور . ولقد عثر في غرف القصر على كميات كبيرة من حبوب الحنطة والشعير وفي غرف اخرى بقايا مواد مصنوعة من الفضة والذهب والنحاس .. مما جعل المنقبين يعتقدون بان المبنى كان بيتا للمال في العصر الاكدي ولاتختلف مخططات المساكن في اشكالها النموذجية عن القصور .. فالبيت الاكدي تحت معبد سن شمش في اشور يرينا ساحة مستطيلة تنفتح عليها عدة غرف منها غرفتان على كل من الضلعين الطويلتين ، وابوابها متقابلة تماما. بينما لا تنفتح من القاعات الطويلة على الضلعين القصيرين الا واحدة على الساحة الوسطية ، اما القاعة الغربية فانها تنفتح على ساحة اخرى يحيطها سور يعزلها عن الشوارع المحيطة بالبيت في هذا الجزء والمعتقد ان مدخل البيت هو على هذه الساحة والقاعة ذات المدخل الوسطي العريض هي قاعة الاستقبال الرئيسية بدليل عدم انفتاحها مباشرة على الساحة الداخلية وانما عبر غرفة جانبية مما يمنع الجالسين فيها من التطلع الى مايجري في الجزء العائلي الخاص . وهو مبدأ عرف فيما بعد في العصر الاشوري تحت مصطلحي (بابانو) (الجزء الذي يلي البوابة من البيت) (وبيتانو) (الجزء الداخلي من البيت/ البيت الفعلي) .

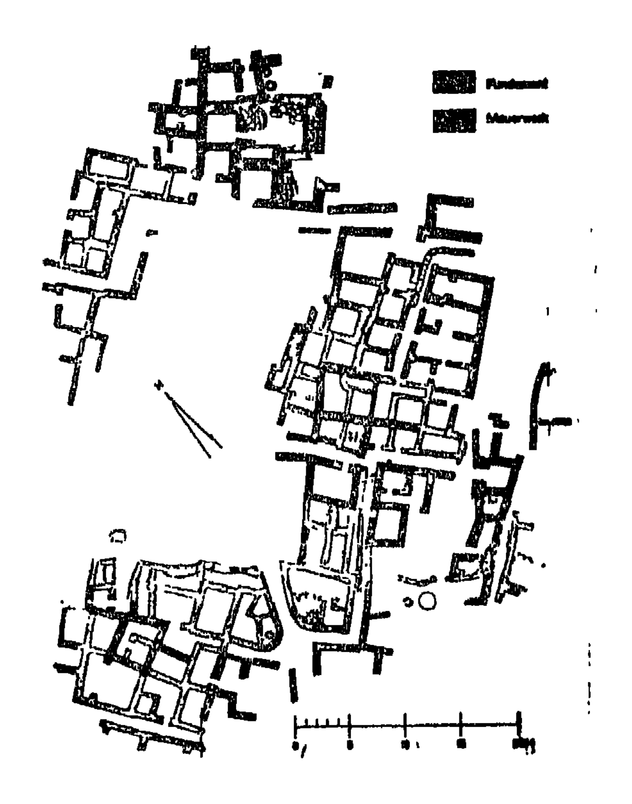
اما البيوت في تل اسمر من نهاية العصر الاكدي فانها لم تختلف عن المبدأ العام للبيوت في الجنوب حيث البيت يتكون من مجموعة من الغرف تحيط بفناء وسطي ويكون الدخول اليها من الشارع عبر غرفة مجاز واحدة او اكثر . ولقد عثر في هذه البيوت على مجار للمياه القذرة من انابيب الفخار وعلى دكاك للمداخل من الطابوق المفخور وذلك لصد مياه الامطار من الدخول من الفناء الى الغرف وكذلك على مواقد النار والتنانير في المطابخ . ولا تتمتع هذه البيوت بمخططات منظمة ومستقيمة الجدران (قارن الاشكال ١٥ و ١٦ و ١٧) .



شـكل ــ ١٥
بيوت اكدية من تبه كورة



شـكل ــ ١٦
بيت اكدي من آشور



شـكل ــ ١٧

تبه كورة ــ بيوت الطبقة الرابعة من العصر الاكدي (٢٣٠٠ ق٠م)

العصر السومري الحديث

انتقلت الخبرات الهندسية الى ملوك اور في نهاية الالف الثالث ق٠م وكانت مدينة أور عاصمة السلالة الثالثة التي اشتهر منها ملوكها : أورنمو وشولكي وأمرسين ٠

اصبحت الدولة المركزية ذات قوة وامكانيات بشرية واقتصادية عالية ولقد ساعد هذا على ظهور صورة معمارية متطورة للمدينة العراقية السومرية

كما ان التطور الذي رافق التخطيط العام للمدينة رافقه تطور في بناء الوحدة البنائية وفي تخطيطها بالذات •

استخدم ملوك هذه السلالة الآجر وبكثرة في تشييد مبانيهم كما زاد اهتمامهم كثيرا في تنظيم العلاقة بين الاستخدامات للمنشآت ذات المردود الاقتصادي للبنى الارتكازية في المدينة ، وبين المركز الاداري الديني لها •

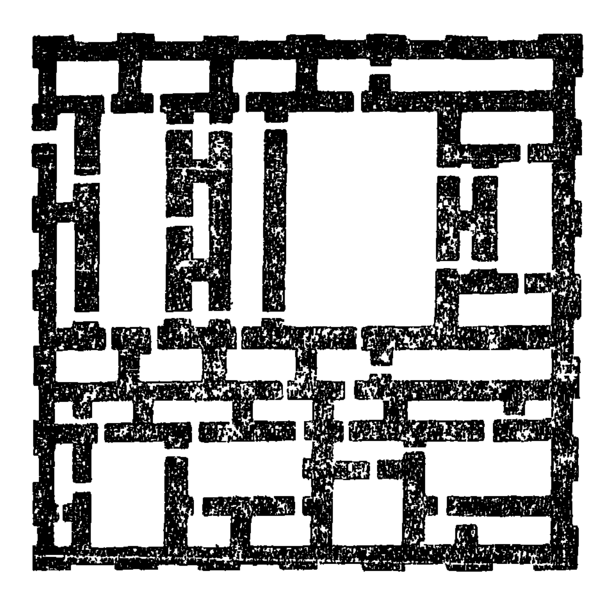
كان أورنمو ملكا رائدا في مجال البناء والتشييد وله الكثير من المباني التي تشير الوثائق المدونة واحجار الاسس الى قيامه ببنائها في مدن الجنوب على الاخص • واليه ينسب بناء أول زقورة (معبد مرتفع على قاعدة هرمية مدرجة) على الطراز المعروف في العراق وبلاد الرافدين عسوما • ان اهم المباني في هذه الفترة هي ماعثرنا عليه في مدينة أور من مبان حول صرح الزقورة وساحاتها وهي عموما :

١ ـ اي ـ خرساك ـ كلاما

وهو القصر الملكي الذي قام بتشييده أورنسو في جنوبي شرقي الزقورة ومازالت اسسه قائمة حتى الآن ومساحته (٥٩×٥٩) م٢ تقريبا تزين جدرانه الخارجية طلعات ودخلات متناسقة الاطوال والابعاد عن بعضها البعض (شكل ـ ١٨) •

ويمتاز القصر بأنه ينقسم على نفسه الى ثلاث مجاميع من الغرف مرتبطة الى بعضها بوحدة بنائية كاملة هي القصر كله •

والمجموعة الاولى من الغرف هي التي حول الفناء الرئيس في الجزء الشمالي الشرقي من المبنى والفناء المستطيل من الجزء الشمالي الغربي والتي ترتبط ببعضها البعض بواسطة مدخلين جانبيين مرورا بغرف مجاز وبقاعة طويلة محاذية للضلع الغربي من الفناء الرئيسي •



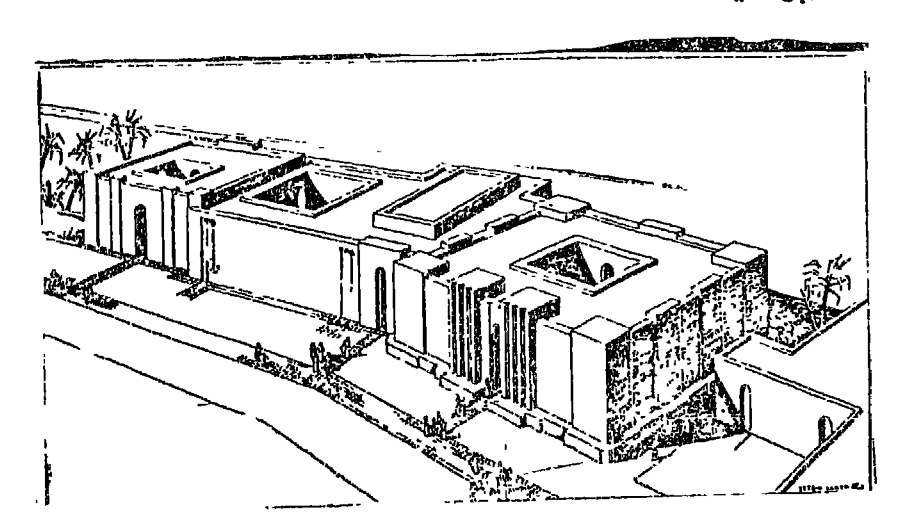
شكل ــ ١٨
قصر الملك اورنمو في اور

اما المجموعة الثانية فهي التي تتجمع حول الفناء الجنوب شرقي وتنفتح على الفناء الرئيسي مرورا بثلاث غرف متسلسلة ، مما تتيح انعزالا تاما عن الاجزاء الشمالية من القصر • اما المجموعة الثالثة وهي الجنوبية الغربية فانها تتجمع حول فنائين متصلين ببعضها •• ويكون الوصول اليهما عن طريق مجموعة من الغرف تنفتح داخل القاعة الطويلة المحاذية للفناء الرئيسي الشمالي •

ويبدو من طبيعة تخطيط هذه المجموعة وعلاقتها باكبر قاعة في القصر (لربما قاعة العرش) بانها الجناح السكنى الخاص للملك نفسه •

ان وجود قاعة عرش بطول ٢٤م وعرض ٤م محاذية للساحة الرئيسية ومرتبطة بمجاميع من الغرف والساحات بكل الاتجاهات هي ظاهرة جديدة في عمارة القصر الملكية وتشير الى ان الملك بدأ باستخدام القصر بلاطا اداريا للمملكة وليس مسكنا فقط •

ان هذه الظاهرة الجديدة في العمارة العراقية تتكرر في نفس العصر مرة اخرى في قصر ايلوشو ــ ايليا حاكم اشنونا من عصر الملك السومري شوسن في حدود ٢٠٤٠ ق ٠ م ٠اذ عثرنا على قاعة طويلة محاذية للفناء الرئيس في القصر الملتصق بمعبد شوسين ٠ ويرتبط بكل الاتجاهات بساحات وغرف مختلفة وبوضعية تكاد ان تشابه قصر أورنمو في اور (شكل ــ ١٩) ٠

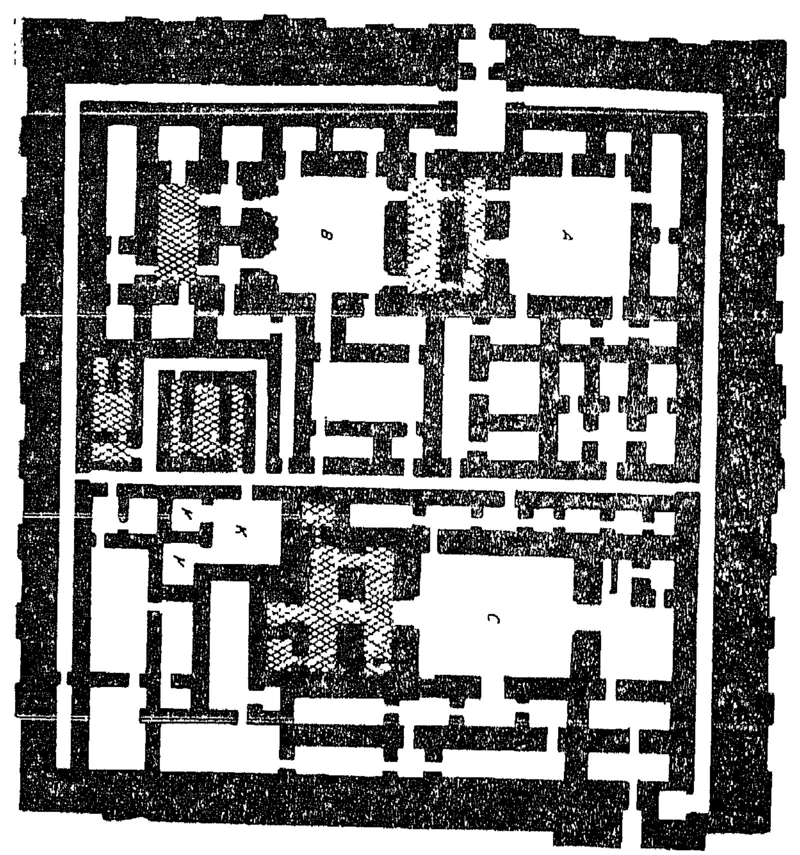


شكل ــ ١٩
قصر الحاكم ايلشو ــ ايليا مع معبد (جميل سن) شوسن
في اشنونا (تل اسمر) من العصر السومري الحديث

٢ ــ اي ــ غي ــ باركو

وهو قصر رئيسة كاهنات معبد الاله نثار (القمر) اله اور الرئيسي (شكل ــ ٢٠) ٠

يقع هذا المعبد جنوب غرب الزقورة محاذيا للجدار المحيط بالزقورة في هذه الجهة ، وينفصل عنه بزقاق ضيق نسبيا ٠



شكل ــ ٢٠
بيت رئيسة كاهنات الالـه القمر ننار في اور

مساحته (٧٩×٥٠ر٧٦م) • ويتكون من قشرة جدارية خارجية فاصلة سمك (٥م) تقريبا الى (٩م) في بعض اجزائه ، تحيط بممرحلقي يدور حول ثلاثة اضلاع من القصر وبعرض (٢م) تقريبا • ثم البناء الحقيقي وهو مربع عموما ولكنه ينقسم على نفسه الى قسمين مستطيلين ينفصلان عن بعضهما بواسطة ممر مستقيم يربط ضلعى الممر الخلفي الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي ببعضهما في نقاط الوسط تقريباً •

تنفتح الوحدة البنائية الشمالية على الزقاق الفاصل بين الزفورة وبينهـا بواسطة قاعة مجاز عمودية على المدخل بعرض (٥م) وطول (٧م) علـى غرفة عرضية (٥م×٢م) تقريبا ثم على فتحة باب مدرجـة الحافات • وفي هذه الوحدة نرى ثلاث ساحات اساسية تحيط بها مجاميع من الغرف وتنفتح علـى بعضها بواسطة غرفة مشتركة ، في الجزء الشمالي الغربي نرى صومعـةطويلة لإله وتتكون الصومعة من جزئين الاول هو القاعة الطولية والثانـي هـو غرفة الاله المرتفعة نسبيا والتي يكون الوصول اليها بواسطة عدة درجات اما في الجانب الشرقي من الوحدة البنائية هذه فنرى مجاميع من الغرف المزدوجة والتي تشكل مساكن الكاهنات وقبورهن ايضا اذ كانت الواحدة منهن تدفن بعد موتها تحت ارض غرفتها •

الا ان اهم بناء في هذه الوحدة هي مجموعة من ثلاث غرف طويلـة توازية مع بعضها كما تنفتح ببابين في الزوايا الشرقية والغربية تماما على ممر لقي يدور حول اضلاعها الاربعة ويفصلها بذلك عن بقية البناء •

وفي الفناء عثر على عدة دكات واحواض من مياه مما يدل على ان مراسيم العلوي وبها يذكر اسم الملك أمرسين •

اما الوحدة البنائية الجنوبية فانها تتكون من عدة اجزاء مستقلة عـن بعضها اهمها واكبرها هو المعبد ذو الساحة الكبيرة التي تصـل بها غرفتان عريضتان تشكلان غرف المقدمة لصومعة الاله وهي غرفة ضيقة تبـدو وكأنها محراب عميق او ايوان صغير بعرض (٣م) تقريبا وتقع قبالة فتحات الابواب المتتالية وتواجه بذلك الفناء مباشرة •

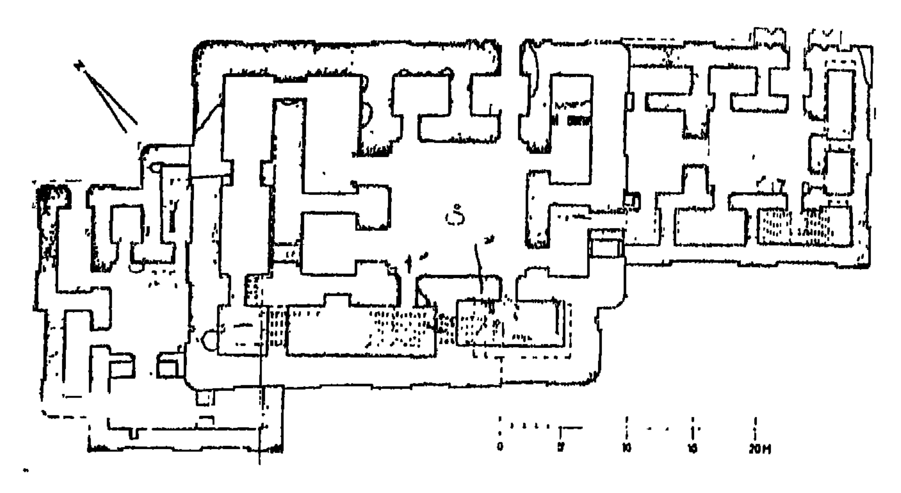
وفي الغرفة الطويلة الوسطية عثر على مسلة من الحجر المقوس في جزئه العبادة كانت تتم في الفناء بالدرجة الاولى •

اما الغرف المتسلسلة الطويلة جنوب الساحة فانها كانت لاغراض الاقتصاد

المنزلي اذ كان فيها المطبخ وغرفة النسيج (حيث عثر على حفرة في الارض بشكل ثقب المفتاح وهي لجلوس الحائك على النول) ، وغرف للخزن وغيرها •

٣ ـ المقابر الملكية للملوك اورنمو / شولكي / امرسين

وهي مبان شيدت في عصر الملك شولغي لوالده اورنمو وفي عهد امرسن لوالده شولگي ولنفسه ايضا • والفكرة الاساسية في مخطط هذه المباني هو البيت ذو الفناء المربع الذي يتوسط مجموعة من الغرف المحيطة به وهي للملك شولگي (شكل ــ ٢١) •



شكل ــ ٢١

اور ــ مقابر اورنمو وشولكي وامرسن من العصر السومري الحديث

اما الاضافات التي بناها امرسن فانها تقوم على نفس الفكرة ولكن بساحات اصغر كما انها تلتصق بالضلعين الشرقية والغربية للمبنى الاول • ان هذه البيوت الثلاثة ليست بالمقابر الحقيقية وانما يتم الوصول الى المقابر المشيدة تحتها عبر سلالم شيدت داخل غرف •

اما الغرف العليا هذه فانها غرف للنذور وهدايا القبور والزيوت وطقوس ومراسيم العبادات الخاصة بهـذا الشأن •

٤ ــ بيت المال (اي ــ نون ــ ماخ) •

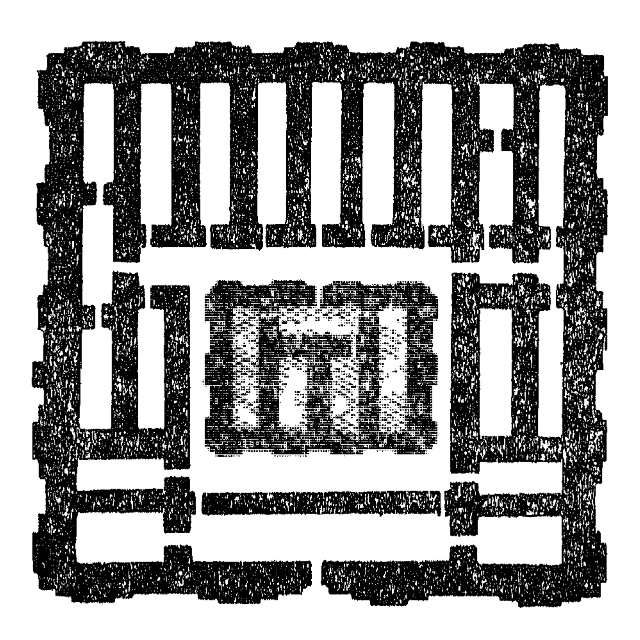
ويطلق عليها ايضا اسم (غانون ماخ)•

وهي بناية مربعة الشكل بحدود (٦٠ × ٦٠م) تقريبا تزينها طلعات ودخلات متتالية من الخارج • ويبلغ عرض الطلعة الجدارية الواحدة (٦٣م) بينما يبلـغ عرض الدخلة المتدرجة حوالي (٨م) الا ان عرض قاعدة الدخلة هــو (٦٠ر٣م) تقريبا اي بعرض الطلعة • وتقع الزاوية الجنوبية الشرقية للزقورة بين فـــناء ننار وفناء الزقورة ، ويتكون البناء من قشرة خارجية قوامهـا ٢٢ غرفة طولية ماعدا غرفتين صغيرتين استخدمتا كمجاز لبقية الغرف • صفت في الاضـلاع الجنوبية الشرقية والغربية متوازية مع بعضها وعمودية على الجدار الجنوبـي الغربي ويفصل بناء القشرة الخارجية هذه عن بناء مركزي داخلي ممر حلقـي يدور حول الاضلاع الاربعة للنواة هذه •

اما غرف النواة اي البناء المركزي فيه فهي اربع غرف طولية متوازية تشترك جمعيا بغرفة مجاز امامية عرضية (شكل ــ ٢٢) •

ويعتقد المنقبون ان هذه البناية هي بيت للكنوز المقدسة • وقد عثر فيـها على مجموعة من بقايا المواد الثمينة ولكن من عصر الملك الكلدي نابونائيد وذلك لان البناء استمر قائما طيلة ١٥٠٠ سنة تقريبا مع تغيير بسيط باجزائه•

ان هذا البناء المتكون من جزئين متداخلين ببعضهما البعض يذكرانا بالقاعات الثلاث التي تحيطها الممرات وتعزلها عن بقية اجزاء مبنـى (بيت كاهنات الاله القمر) في نفس المدينة والموقع •



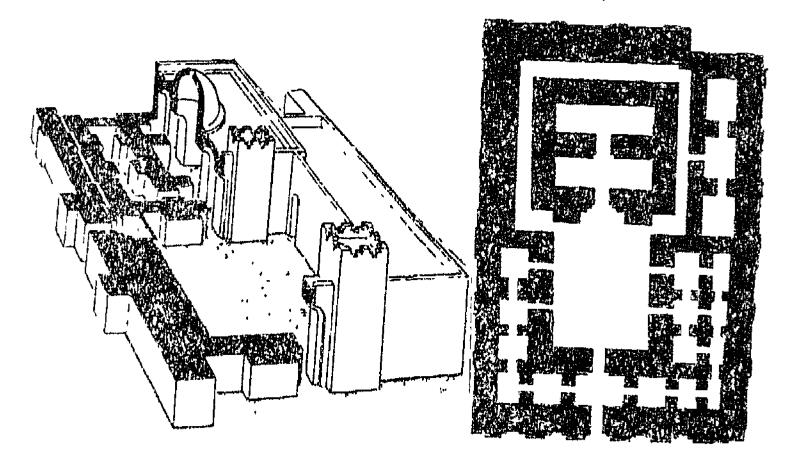
شكل ـ ٢٢
معبد اي نون ماخ في اور

٥ ـ معبد انكي

وهو اله الماء السومري (ايا البابلي) ويتكون المعبد من صومعة مزدوجة للاله أنكي وبغرفتين عريضتين تنفتحان بواسطة باب تكتنفه ابراج على ممر حلقي يحيط بها ويفصلها عن بناء خارجي تدور اجزاء من جدرانه الصماء حول الصومعة جنوبا بينما يحتوي على غرف متسلسلة مصفوفة على طول الاضلاع الشرقية والشمالية والغربية تحصر بينها ساحة وسطية تقابل المدخل الخارجي للمعبد ومدخل الصومعة في الطرف الاخر • وتبلغ الساحة الارضية لعموم المعبد بكافة اجزائه حوالي ٣٠م×٥٤م • (شكل ـ ٢٣) •
ويقع المعبد جنوب شرق المدينة على حافة سور المدينة الخارجي •

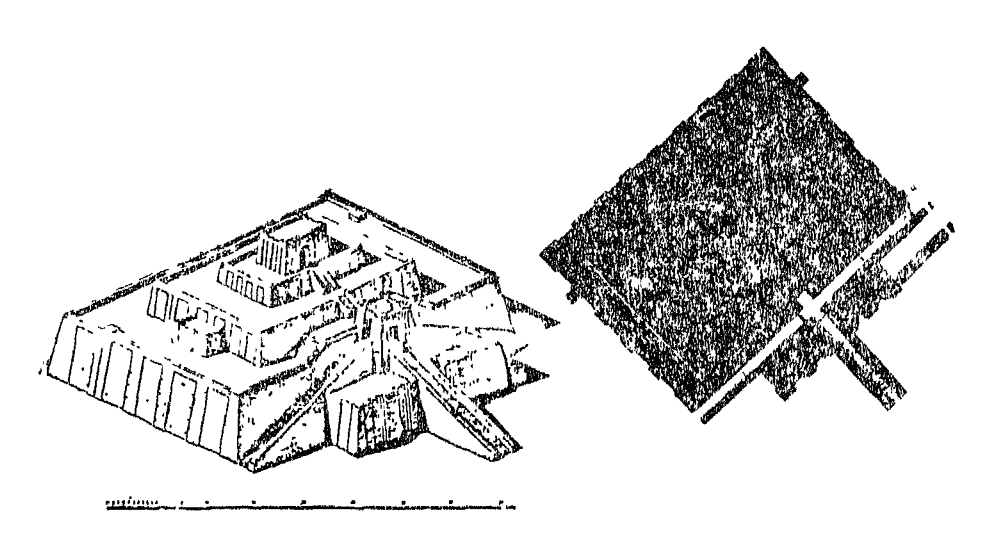
امتازت هذه الفترة بالمباني العديدة التي قام اورنمو مؤسس السلالة الثالثة في اور ببنائها وكذلك حفيده امرسين •

ومن اهم هذه المباني هو الزقورات التي قام اورنمو بتشييدها كزقورة اريدو على انقاض معابد اريدو الشهيرة في فترات تاريخية سابقة وزقورة الوركاء وزقورة نفر • وهي عموما تمتاز بشكل موحد تكاد تشابه زقورة اور فهي جميعا مستطيلة القاعدة وبأبعاد متقاربة من ٥٦م × ٥٢م (زقورة الوركاء) او ٤٨×٦٦م (زقورة اريدو) •



شكل — ٢٣
معبد انكي في اور

وتعتبر زقورة اور الوحيدة التي مازالت الطبقة الاولى واجزاء من الطبقة الثانية فيها باقية • اما الزقورات الاخرى فلايزيد ارتفاع بقاياها عن ١٤م بأقصى الاحوال • ومن الصفات المشتركة المتوقعة انها جميعا ذات ثلاث طبقات فقط وانها ذات ثلاثة سلالم تتعامد على نفسها وعلى احد اضلاع الطبقة الاولى فتشكل بذلك سلمين جانبيين واخر وسطيا متعامدا معها • كما ان من مزايا هذه الزقورات ان جدرانها تميل الى الداخل مع ارتفاعها فتخلق بذلك انحدارا بسيطا بالجدار مما يسهل انزلاق مياه الامطار على الواجهة بسرعة الى أسفل (شكل — ١) •

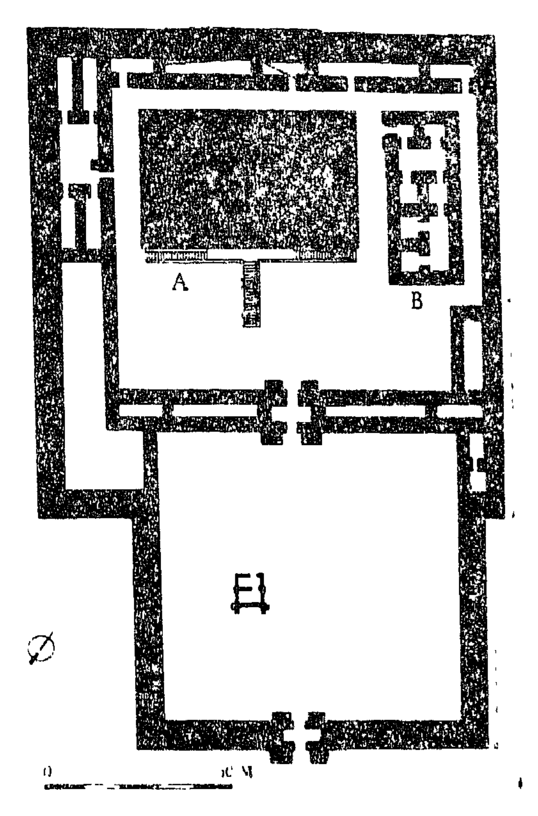


شــكل ــ ٢٤
زقورة أورنمو ــ اور (منظر تخيلي)

وفي زقورة اور نرى مجاميع من الثقوب داخل الجدران وبنظام توزيعي خاص وتسمى بالعيون الباكية وهي مهيئة لتمرير الهواء داخل بدن الزقورة لضمان جفافها الدائم وعدم تجمع الرطوبة داخلها • كما انها تسحب مـــياه الامطار التي تسقط على سطح الزقورة ويمتصها البدن لتستخرج من هذه الثقوب (شــكل ــ ٢٤) •

ولم تكن الزقورة صرحا يقام لوحده وانما هو جزء من مجموعــة مــن المنشآت التي تنفرش على مساحة واسعة من الارض فالزقورة تحاط عــادة بساحة كبيرة تنغلق عليها بواسطة سلاسل طويلة من الغرف التي تشكل سياجا كبيرا حولهــا •

وقد تنفتح هذه الساحة على ساحة ثانية مشابهة كما تحوي داخلها معابد ارضية او مخازن او مصاطب اضافية عليها معابد ملحقة بالزقورة • وهناك كما



شكـل ــ ٢٥
نفر ــ زقورة الالـه انليل من عصر
الملك اورنمو ملك سلالة اور الثالثة في اور

اقي زقورة نفر مبنى ملحق يسمى المطبخ • وهو كما يعتقد المكان الذي تعـد
فيه وجبات الطعام المقدمة كقرابين للآلهة •

ولا تختلف الزقورات في هذه الفترة كثيرا عن بعضها الا بهذه الساحات
وباشكال ومخططات البوابات التي تؤدي الى هذه الساحات ومن ثـم الـى
السلم الرئيسي للزقورة (شكل ــ ٢٥) •

ومن الممكن القول بان مملكة اور الثالثة هي الفترة التي شهدت نهضة

عمارية دينية بالدرجة الاولى • الا انها كانت مرتبطة بتنظيم المدينة عموما وان المراكز الدينية الرئيسية كانت تتوسط المدينة الواحدة بحيث يمكن القدوم اليها من كل الاتجاهات • كما انها تشكل معلما حضاريا وطبوغرافيا في آن واحد اذا كان القادم الى المدينة لا يميز منها اول الامـر الا اسوارهـا وزقورتها العالية في مركزها والتي ترتفع كثيرا عن سطوح البيوت والمعابد الاخرى المحيطة بها (شكل ـ ٢) •

العمارة فى فترة ايسن ـ لارسا والعصر البابلي القديم

لا يمكن للمتتبع لتاريخ العراق القديم بعد سقوط اور ضحية للهجـوم العيلامي ان يحدد سياسيا مرحلة واحدة مستمرة وانمـا اصطلح المؤرخون على تقسيم المرحلة الى فترتين نسبت الاولى الى اقوى سلالتين حكمتا في هذ الفترةوبشكل تعاصر فيه ملوكهما •

اما الفترة الثانية فانها الفترة التي حكمت فيها سلالة بابل الاولى ابتداء من سمو آبوم في ١٨٩٤ ق • م حتى سمو ديتانا في ١٥٩٥ ق • م ومن اشهر ملوكها هو حمورابي ملكها السادس في ١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق • م ولقد تزامنت هذه السلالة مع سلالتي ايسن ولارسا حتى زمن الملك حمورابي •

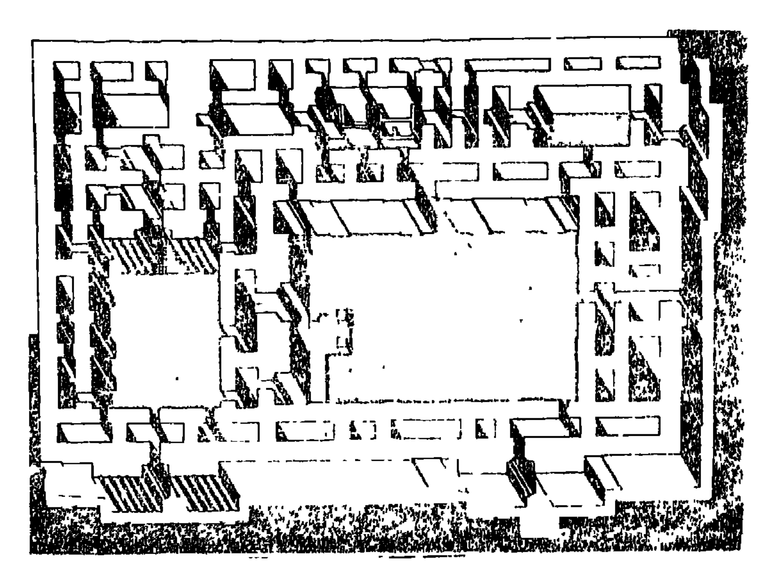
انفردت سلالة بابل الاولى بعدها بحكم بلاد الرافدين وشكلت قوة مركزية ذات سطوة ادارية ومردودات اقتصادية منتظمة وغـزيرة ، وهـذا مما خلق حركة معمارية جديدة •

وبالرغم من قلة المنشآت المكتشفة حتى الان والتي تنسب الـى سلالة حمورابي مباشرة ، فانه من الممكن التوصل الى صورة معمارية مهمـة في هذه الفترة •

ففي البيوت السكنية في اور من زمن سلالة ايسن الحاكمة .. لم يحدث تطور ملحوظ على ماكان في عصر اور الثالثة ، فلقد بنى السكان بيوتهم على جدران البيوت الاقدم .. وبذلك تحولت الجدران القديمة الى اسس للجدران الجديدة . ولم تختلف بذلك مخططات البيوت عن سابقاتها وصار المخطط الاساس للبيت والذي يعتمد على الفناء الوسطي كموزع للغرف صار الآن مخططا للمعابد ايضا . فلقد انتقلت المعابد بشكل نهائي بعيدا عن طراز معابد فجر السلالات والذي يعتمد مبدأ الغرفة الطويلة ذات المدخل الجانبي . وقد تكون هناك سابقة وهي معبد شوسين من تل اسمر من عصر اور الثالثة (انظر شكل ـ ١٩) الا ان هذا المعبد بقي منفردا في طرازه حتى جاءت سلالتا ايسن ولارسا فانتشر بشكل واضح واصبح طرازا ثابتا لمعابد وسط وجنوب العراق حتى نهاية العصر الكلدي . ومن اشهر معابد هذه الفترة هو معبد عشتار كيتيتوم في اشجالي (نيريبتوم القديمة) من منطقة نهر ديالى (انظر شكل ـ ٢٦) وتبلغ مساحته المستطيلة (٦٠م×١٠٢م) . ويتكون من معبد رئيسي يحتل النصف الغربي من مجموع الساحة تقريبا ومن معبدين صغيرين يقعان على التوالي على امتداد الضلع الشمالي الغربي الطويل . اما الساحة الجنوبية الشرقية الكبيرة فانها ذات مدخل كبير ومهيب مزين بابراج على الجانبين ينفتح على الزاوية الشرقية من الساحة .

ومن هذه الساحة يتقدم المرء باتجاه الغرب الى مدخل اخر بابراج يرتقى اليه بسلم ثم الى ساحة ثانية اصغر ساحة .

تمتد هذه الساحة باتجاه شمالي ـ جنوبي تقريبا ولها مدخل اخر ذو ابراج تكتنفه في الزاوية الجنوبية للمعبد وعلى الطرف المقابل لها شمالا تقع صومعة الالهة المزدوجة ذات الوضعية العرضية وتنتهي الغرفة الثانية للصومعة بمحراب عميق يقع على محور الباب وبالتالي على محور المدخل الجنوبي للمعبد .



شـكل ـ ٢٦
معبد عشتار في اشجـالي

وبذلك يستطيع الواقف في الشارع اذا مافتحت الابواب أمامه رؤية تمثـال الاله فوق الدكة مباشرة •

اما المعبدان الصغيران فان الاول منهما له مدخل في زاوية المبنى الشمالية الشرقية ومنها الى غرفة مجاز ذات مداخل غير متقابلة على محور واحد (مما لا يتيح للناظر من الشارع رؤية مايجري بالداخل) •

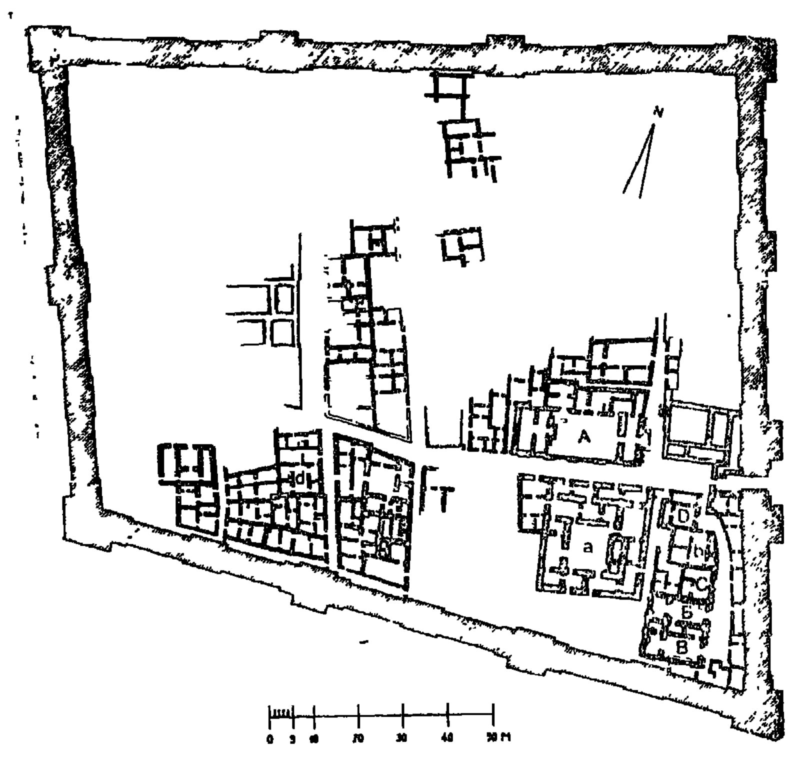
ومن غرفة المجاز الى ساحة مستطيلة تحيط بها غرف تنتهي بصومعـة عرضية مفردة وبمحراب عميق نسبيا • اما المعبد الثالث فانه يقـع خلـف صومعة المعبد الصغير الاول والدخول اليه من غرفة في الساحة الكبيـرة للمبنى ومنها الى الساحة الداخلية ثم الى صومعة تمتاز بغرفة طولية تنفتح عليها ثلاث غرف صغيرة وتنتهي في الضلع المقابل للمدخل بمحراب عميق نسبيا •

ان هذا المعبد يمتاز بظهور المخطط الكامل والقابل لاحتواء عـــدة مرافق دينية وخدمية تابعة لها مع تخطيط دقيق للحركة باتجاه صوامع العبادة الاخرى كما يستطيع استقبالهم مباشرة من الخارج بواسطة البوابـة الجنوبية .
اما المعبد الصغير الشمالي فانه ايضا يتمتع بقدرة على استيعاب الداخلـين اليه من الخارج بمدخل مستقل بينما يتقبل الحركة من الداخل عبر غرفة مجاز تنفتح منه على الزاوية الشمالية للساحة الكبرى .

اما الاشارة الاهم هنا فهي الحلية العمارية التي تزين ابراج المدخلـين الخارجي والداخلي وابراج الصومعة في المعبد الرئيسي وهي عبارة عن شقوق طولية ذات اعماق متدرجة الى الداخل بدرجتين . وتقع هذه الشقوق الطولية (الدخلات) متوازية على مسافات متساوية من بعضها البعض .

اما الابواب الاخرى ذات الابراج شرقاً وشـمالا فانها كانـت اقـل زينة وخالية من هذه الدخلات وذلك لانها لم تكن لتؤشر المداخل المباشرة الـى صومعة المعبد الرئيسي . ونلاحظ ان هذا الامتياز المعماري الخاص بالالهـة يتكرر في واجهات مداخل الصوامع الثانوية في المعبد كما في صومعة المعـبد الرئيسي . ومن المعابد المهمة في هذه الفترة المعبد الكبير في تل حرمل (شادوبوم القديمة) . ويمكن مقارنة مخططه بالمعبد الرئيسي في اشجالي . الا ان الغرف لا تحيط بضلعي الفناء الطويلين وانما بضلع واحد (الشمالي) بينمـا بقـي الضلع الجنوبي متحررا من اية اضافات عليه (شكل ــ ٢٧ ــ البناء A) .

ويقع مدخل المعبد المدرج الذي تحرسه ابراج مزينة بشقوق طولية تنتهي بسلالم تقود الى مدخل له ابراج مزينة بنفس الشقوق الطولية ثم غرفتين عرضيتين تشكلان الصومعة المزدوجة ذات محراب في صدر الغرفة الاخـيرة . ويقع المحراب وبقية الابواب كلها على محور واحد قبالة الباب الخارجي للمعبد .



شكل ـ ٢٧

تل حرمل ـ بيوت العصر البابلي القديم

ولقد عثر المنقبون امام سلم الصومعة وعلى جانبيه على اسدين من الفخار (حاليا في المتحف العراقي) .

ولقد عثر على بقايا اسود فخارية من هذا النوع في معبد تل محمد القريب وتلول حطاب قرب خان بني سعد ايضا . الا انها غير كاملة كما هو الحال في اسود تل حرمل .

وهناك صومعة مزدوجة اخرى اقل عرضا من الصومعة الرئيسية تنفتح على الساحة بباب مدرج الحافات ومن غير ابراج في زاوية الساحة على يمين مدخل

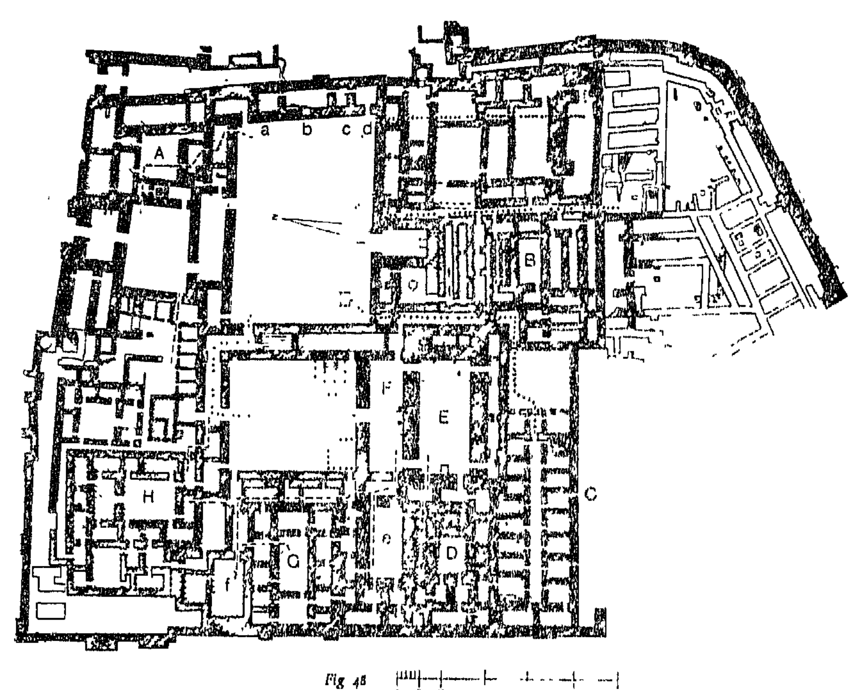
الصومعة الرئيسية • امتازت مدينة تل حرمل ببيوتها المختلفة التخطيط وحسب المساحة المتاحة لكل بيت والنموذج الامثل هو البيت الذي يقع جنوب الزقاق الفاصل بينه وبين المعبد الكبير آنف الذكر • وهو بيت محاط بساحات وازقة من كل الجهات وله ثمانية مداخل تمر كلها عبر غرف مجاز ثم تنفتح على ساحه وسطية • ولذا وبالرغم من النظام الجيد والمنتظم في توزيع الغرف حول الساحة والشكل المربع لمخطط البيت عموما فانه بالامكان القول بان هذا البيت لم يحتو على غرفة خاصة واحدة وان كان عبارة عن مجمع : (٢٢)غرفة تستخدم للاغراض العامة وانه ذو اهمية اجتماعية ولا شك لانه يقع بمحاذاة المعبد ومستقلا عن كل البيوت الاخرى (شكل — ٢٧ — البناء A) •

اما اسوار المدينة فانها امتازت بابراجها التي يبلغ عرض الواحدة منها حوالي الستة امتار والتي تبرز من اسوار يبلغ ثخنها حوالي (٥م) تاركة بين برج واخر دخلة جدارية بنفس عرض البرج تقريبا •

ومن القصور المهمة في هذا العصر قصر الملك زمريلم من ماري على نهر الفرات قرب دير الزور وهو معاصر للملك حمورابي في بابل (شكل—٢٨) •

ولقد عثر المنقبون على بقاياه قائمة حتى ارتفاع ٥ امتار مما يشير الى ضخامة ارتفاع جدرانه ويتكون القصر من عدة اجنحة يحيط كل منها بفناء خاص به • وللقصر مدخل في الجهة الشمالية يقود الى ساحة مبلطة بالآجر ثم قاعة مستطيلة ومنها الى ساحة كبيرة مبلطة بالآجر ايضا ، حيث تشاهد وسط ضلعها الجنوبية تقريبا تركيبة معمارية نصف دائرية لسلم ترتفع الى ارضية غرفة طولية تتعامد مع الضلع الجنوبي • وفي صدر هذه الغرفة نرى قاعدة مربعة ملتصقة بالجدار وهي لكرسي العرش • ولاشك ان هذه القاعدة كانت قاعة العرش اصلا •

وعلى مايبدو فان هذه القاعة لم تكن القاعة الوحيدة اذ ان الفناء الثاني



شكـــل ــ ٢٨
قصر زمريلم في مــاري

يتصل بقاعة طويلة تحاذي ضلعه الجنوبي ولها جدران سميكة نسبيـا • وفي صدرها قبالة المدخل دكة مدرجة ثم مدخلان في الزوايا على جانبي الدكة يقودان الى قاعة كبيرة اخرى هي قاعة العرش الكبرى ولاشك •

ولا يمتاز القصر بنظام هندسي موحد ويبدو وكأنه قد بني بمراحـل عدة وعلى أساس الاضافات المتتالية ، ويبدو هذا واضحا من الاختلاف الحاصل في ثخن الجدران التي يبدو بعضها وكأنه مكون من لصق عدة جدران بعضا ببعض •

ان هذا القصر يمتاز بكونه كثير المشتملات المختلفة الوظائف وان الحاجة

الى خدمة معينة دفعت سادة القصر الى اضافة مشتمل او آخر في المكان المناسب الا ان النصف الغربي من القصر يبدو وكأنه اكثر تنظيما وقد حافظ على وحدة الاستطالـة ضمن زوايا شبه قائمة للحافات الخارجية والابنية الوسطـية •

وفي هذا الجزء بالذات عثر المنقبون على غرفتين مزودتين بدكاك للجلوس مرتبة في صفوف لصق الجدران او في وسط القاعة بالاضافة الى احـواض فخارية للماء والطين ، مما يشير الى وجود نظام مدرسي قائم على اسـاس تعليم صغار القصر على الكتابة على الرقم الطينية •

وفي جزء اخر جنوبا نرى ممرا طويلا اصطفت على جانبيه الغرف الصغيرة وبمعدل عشر غرف على كل جانب مما يشير الى كونها مخزنا نظاميا • امـا النصف الشرقي فانه بالاضافة الى مدخل القصر والساحات الكبيرة وقاعـة العرش المرتفعة ذات السلم الدائري فانها تمتاز بوجود مخازن للمؤونة علـى اشكال غرف طويلة متوازية اصطفت على جدرانها دكاك خاصة لوضـع جرار الخزن •

وبالاضافة الىقصر ماري فان معبد الاله داغان الذي يقع خلف الزاوية الجنوبية الشرقية للقصر ويفصله عنه زقاق هو من معابد هذه الفترة المهمـة ويتكون من معبد ذي جدران سميكة تزيد على خمسة امتار ويلتصق بمصطبة سميكة تبلغ مساحتها ٢٨×١٢م لربما كانت قاعدة لزقورة صغيرة •

ويعتقد البعض ان هذين البنائين قد بنيا في عصر اور الثالث واستمرا في الاستخدام طيلة العصر البابلي القديم •

ان سبب اعتبارهما من هذا العصر هو كونهما معاصرين لقصر الملك زمريلم •

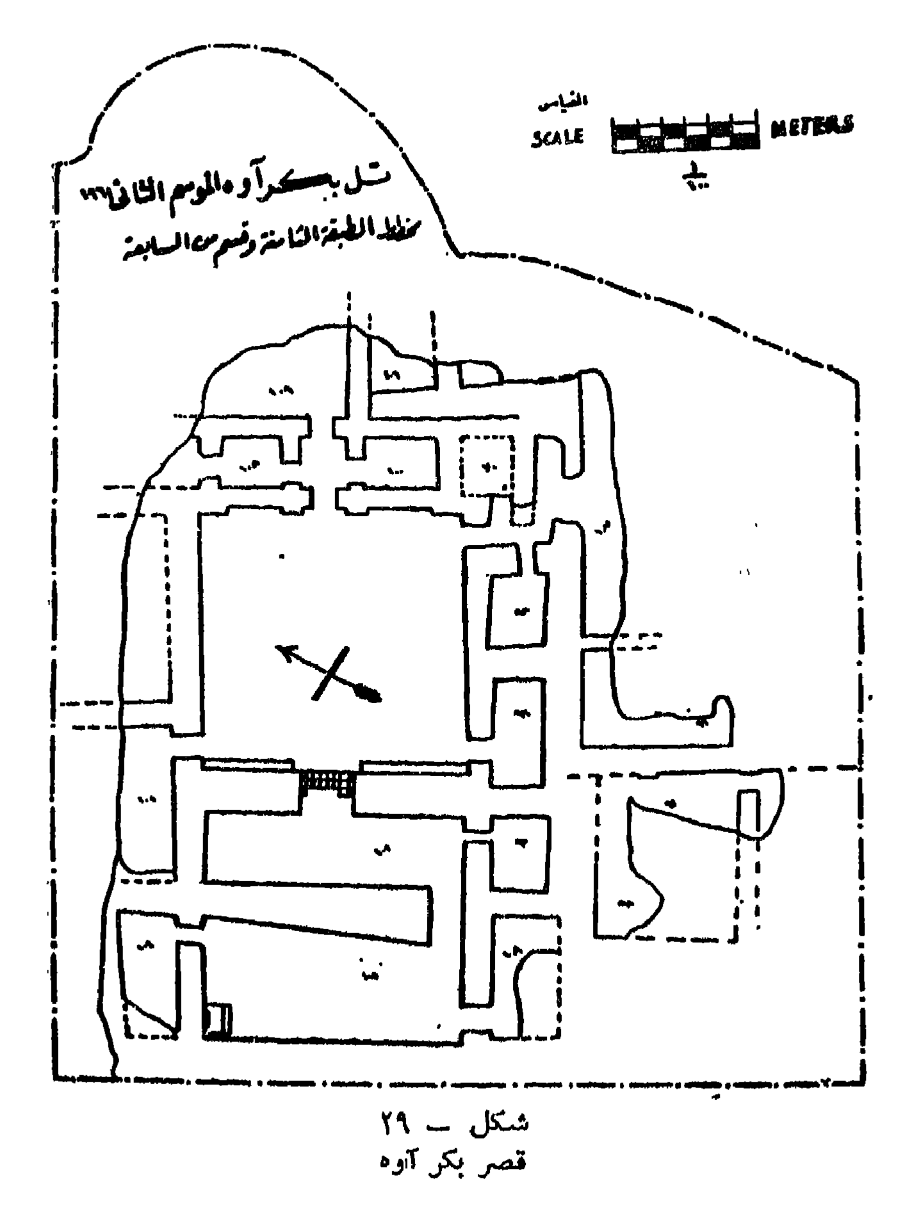
اما المعبد فانه يتكون من قاعة طولية تنتهي بمدخلين متجاورين يفضـي كل منهما الى غرفة صغيرة • وتقع دكة الاله لصق الجدار بين المدخلـين •

ولقد كانت القاعة والغرفتان مسقوفتين ومن المعتقد انها جميعـا تشكل بذلك الطبقة الاولى التي تفضي الى الزقورة الواقعة فوق المصطبة الملاصقة لها . ومن مباني هذه الفترة معبد انكى في اور ايضا الا ان اهم ماظهر لنافي هذه الفترة هو معابد البيوت التي تمتاز بوجود دكاك للقرابين في زوايا غرفة معينة . ولقد تمت زخرفة واجهات هذه الدكاك بنقوش غائرة تمثل الطلعات والدخلات المعمارية وفتحات الابواب والشبابيك فوقها . ولقـد اكتشفت مثل هذه في بيوت ايسن ولارسا من مدينة اور وكذلك في منطقة ديالـى . واخيرا في البيوت والقصور المكتشفة في حوض حمرين ، والتي تعود الى هذا العصر ومنها بيوت الطبقة الثانية والثالثـة في تل سـليمة (قرب ناحيـة السعدية) .

ولقد اكتشفت المؤسسة العامة للاثار في تل بكرآوة شمال شرق العراق قصرا يمتاز بساحة مربعة تقودنا غربا الى قاعتي عرش مزدوجتين على بعضهـ البعض ومن الزاوية الشمالية الغربية نرى لصق الحائط دكة بدرجتـين (شكل ـ ٢٩) .

يعتقد بعض العلماء انها سبب كاف لكي يعتقدوا بان هذا المبنى هـو معبد وليس قصرا . وبالمقارنة مع معابد البيوت ذات الدكاك في الزوايـا يمكن الاشارة الى ان هذا المذبح اودكة القرابين هي خاصة بالقصر ولخدمات سكانه وليس لاغراض العبادة العامة .. وانها وبالرغم من بعدها الجغرافـي النسبي عن منطقة ديالى لابد وان تكون متأثرة بالبيوت والمعابد الصغيرة في عصر ايسن لارسا .

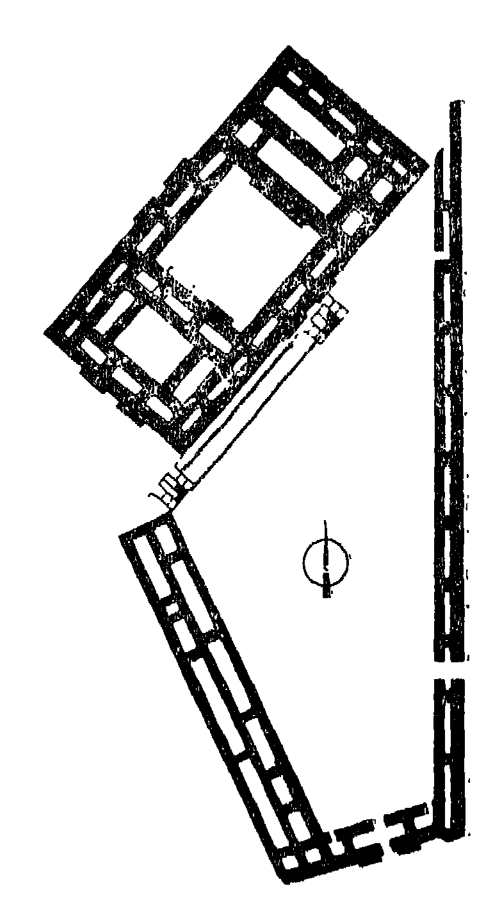
ولقد اشتهر معبد الاله اشور في مدينة اشور والذي بنى زمن الملك اشور شمشي ادد الاول الذي عاصر الملك حمورابي تقريبا وتبلغ ابعاده حـوالي ١٠٨م×٥٥م او اكثر قليلا . ويعتبر من النماذج الاساسية في تفسير عمـارة



شكل ــ ٢٩
قصر بكر آوه

المعابد الاشورية في هذه الفترة ودليلا لطرز المعابد الآشورية في العصر الاحدث (شكل ــ ٣٠) ٠

جمع هذا المعبد بين الطرز المعروفة في جنوب العراق والتي توضحت



شكل ٣٠
معبد آشور في مدينة آشور من عصر الملك شمشي ادد الاول

باشكال البيوت ذات الفناء الوسطي ومنها معبد شوسن في تل اسمر وبين الطرز التي عرفت في فجر السلالات ذات الغرف المقدسة الطويلة .

ويتكون المعبد من ساحتين تقعان على محور طولي واحد ويكون الداخل الى الساحة الصغيرة عبر مدخل له ابراج بعرض ١٠م تقريبا ، ثم غرفة مجاز ، وتحيط بالساحة غرف من كل جوانبه بعضها طويلة بطول الضلع المحاذية لها .

ثم ننتقل الى الفناء الكبير عبر غرفة مجاز ثانية تقع على نفس المحور الوسطي الذي عبر المدخل الجنوبي للمعبد •

وللساحة الوسطية الكبيرة هذه مدخلان آخران يقعان في منتصف كل من الضلعين الشرقي والغربي للمعبد وعلى محور واحد يتقاطع مع المحـور الوسطي الطولي في نقطة تقع وسط البناء تماما •

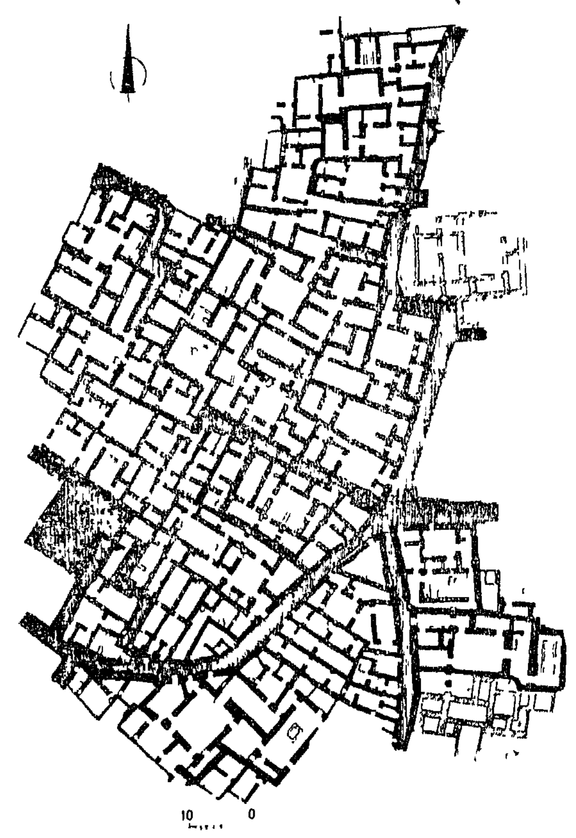
اما المدخل الى الصومعة الرئيسية للاله والواقعة في اقصى شمال الساحة فانه يقع مع المداخل المقابلة له باتجاه الجنوب على نفس المحور ايضا •

انها ظاهرة معمارية تخطيطية تستحق الاهتمام وهي تنظيم الدخول الى المعبد من ثلاث مداخل خارجية ومدخل وسطي اخرعلى محورين متقاطعين بزوايا قائمة • ولقد حصر البناء المساحة الواقعة جنب شرق المعبد والى مسافة تتراوح بين ٢٠٠م شرقا و ١٠٠م جنوب-غرب بواسطة بناء يتكون من صفين من الغرف المتوازية او من صف واحد وذلك لاغراض الطقوس الدينية في الهواء الطلق •

ان هذه الساحة ذات الشكل الرباعي غير المنتظم الاضلاع يتعارض تخطيطها مع المبنى نفسه الا ان موقع المنطقة المحاذية للنهر وتضاريس المنطقة الطبيعية فرضت على المعمار استغلال ماتبقى من الارض العراء حسب شكلها الطبيعي مما خلق هذا التناقض •

ومن الملاحظ ان هذه الفترة امتازت بكثرة ماكتشف من البيوت السكنية ، وبانواع جديدة من المعابد تركز فيها مبدأ البيت ذي الفناء الوسطي والذي قد يكون في المعابد اكثر استقامة ونظاما منه في البيوت والتي يضطر الانسان الى تنظيمها حسب شكل قطعة الارض المتاحة له اصلا • كما

ظهرت في هذه الفترة المباني الادارية لطابع او شبه الطابع الديني والتي تدل على الاتجاه الاداري المركزي الذي بدأ بالتبلور في الفكر والتطبيق عند البابليين القدماء (شكل ـ ٣١)٠



شكل ـ ٣١
بيوت ايسن لارسا من امور

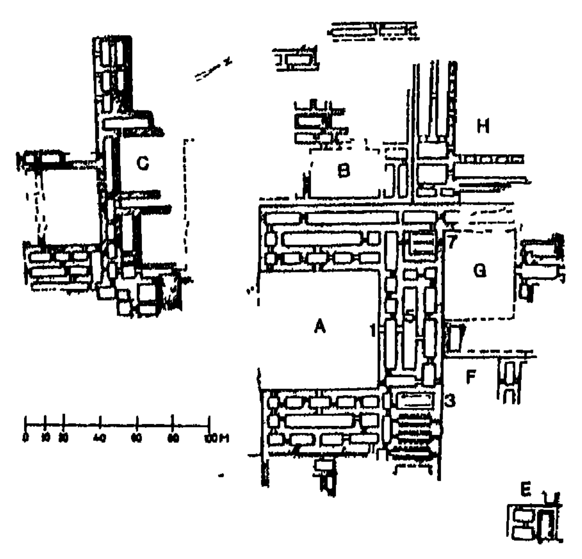
العصر البابلي الوسيط ـ العصر الآشوري الوسيط

امتازت هذه الفترة بظواهر عمارية جديدة الى حد ما ٠ وان كانت تعتمد على استخدامات الاشكال المعمارية القديمة خاصة في العصر البابلي القديم نفسه ٠

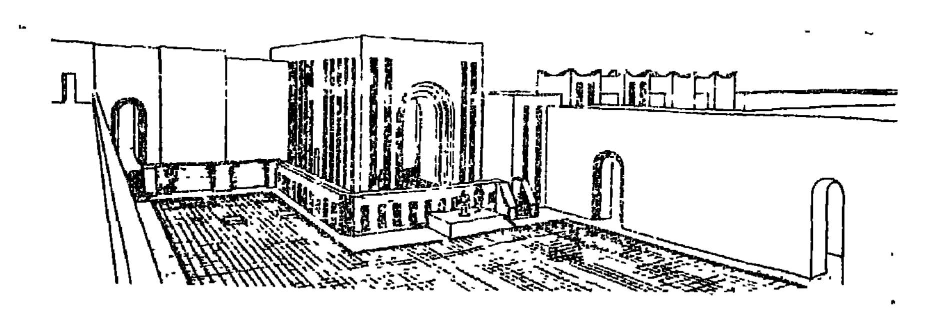
فلقد ظهرت في العراق في هذه الفترة سلالات حاكمة غريبة منها حكام مملكة ارابخا الميتانية قرب كركوك والتي اتسعت سلطتهـا لتبسط على كل الاراضي الشمالية التي يطلق عليها اسم بلاد اشور كما ظهـرت في الجنوب سلالة كشية حاكمة ، حكمت اول الامر في بابل ثم اقامت لها عاصمة خاصة بها في عكركوف قرب بغداد اسمها (دور ـ كوريكالزو) نسبة الى الملك الكشي كوريكالزو الذي امر ببنائها •

ففي بناء القصور نرى ان قصر الملك الكشي في عكركوف يقتـرب من قصر الملك زمريلم من مدينة ماري من العصر البابلي القديم •

الا ان المخطط العام للقصر يختلف لانه يعتمد على اساس جمـع وحدات بنائية مستقلة ومتسلسلة حول ساحة وسطية تصبح فناء ، اي ان المبدأ في بناء القصر هو الوحدة البنائية المسقوفة والتي لا فناء في وسطها ، وانما سلسلـة من الغرف التي يتم الدخول اليها عبر بعضها البعض وتترك في وسط كل وحدة قاعة وسطية طويلة (**شكل ـ ٣٢**) •



شكل ـ ٣٢
قصر الملك كوريكالزو من عكركوف من العصر الكشي (البابلي الوسيط)



معبد دب لال ماخ في اور من عصر الملك كوريكالزو الثاني
(١٣٢٤ ــ ١٣٤٥ ق • م)

وتنظم الوحدة البنائية الى جانب اخر وهكذا حتى تشكل في الوسط فراغا يتحول الى ساحة ولربما لم يساعد المنقبين الحظ في اكتشاف مدخل القصر الا انه يعتقد بوجوده في الجهة المقابلة للزقورة •

ان ماتبقى من القصر لا يكفي لاعطاء صورة كاملة عنه ، ولربما تكون القصر اساسا من عدة اجنحة متلاصقة لكل منها ساحة وسطية كبيرة تتناسب مع الوظيفة المخصصة للجناح • وقد تكون ساحة القصر تتجاوز بضعة مئات من الامتار في كل ضلع من اضلاعها •

ومن اهم ماعثر عليه في القصر هو الجزء المتبقي في الزاوية الشمالية حيث الممرات المسقوفة الطويلة التي تحيط بالساحة والتي تحمل سقفها ركائز مربعة (شكل ٣٢ ــ الجناح H)

ان الذي تشير اليه بقايا غرف الساحة هو وجود قاعات طويلة وعريضة يبلغ طول المتبقى منها ٤٠ مترا مما يشير الى كونها قاعات استقبال ولربما كانت احداها قاعة العرش •

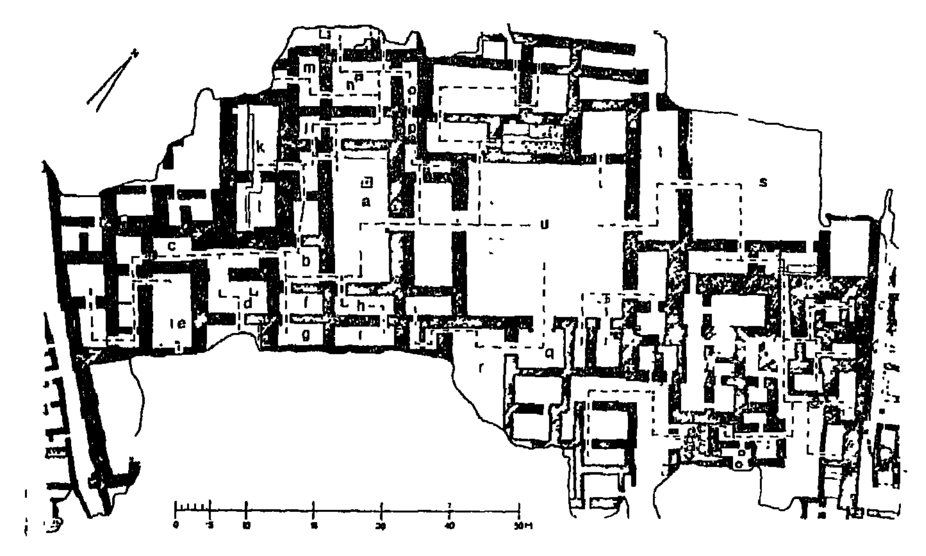
ومما يؤكد هذه النظرة هو ان هذه الممرات المسقوفة ومداخل القاعات

كانت مزدانة برسوم الاشخاص متتالية تبدو وكأنها تقدم التحية او فـروض الطاعة لشخص في الداخل •

اما في الزاوية الشرقية من البناء فلقد عثر على ممرات ثلاثـة طويلـة متوازية تخترق ارضها قنوات مياه وتترتب على جانبي الممر كوى مرتفعة عن الارض ذات سقوف معقودة • كما ان الممرات نفسها كانت معقودة السقف ايضا • ويعتقد انها كانت لخزن الرقم الطينية في جو رطب خاص مكيف لهذا الغرض •

اما قصر مدينة نوزي في المنطقة شمال غرب كركوك ، فانها ترينـا قصرا محليا يقع بين ازقة تحيط بها وتفصلها عن البيوت المجاورة وعن المعبد شمالها•

ولا يختلف هذا القصر في تصميمه كثيرا عن قصر بكر آوه او القصـر الاكدي في آشور وعن قصر ماري في النصف الغربي منه (شكل ٣٣) •



شكل ـ ٣٣
قصر نوزي قرب ارابخـا (كركوك)
من العصر الميتاني (الآشوري الوسيط)

ان هذا القصر وكما يستدل من بقاياه يتكون من مدخل يمر عبر عدة غرف حراسة الى ساحة وسطية مربعة بها احواض مربعة للمياه ثم نـرى قاعة طولية تحاذي ضلع الساحة ١٥×٥م • وخلفها نرى قاعة ثانية اكبر مساحتها ١٩٫٥×٨م ، وتتصل هاتان القاعتان بمجموعة من الغرف منها الغرف الخاصة والحمام المجهز بمرافق صحية كاملة •

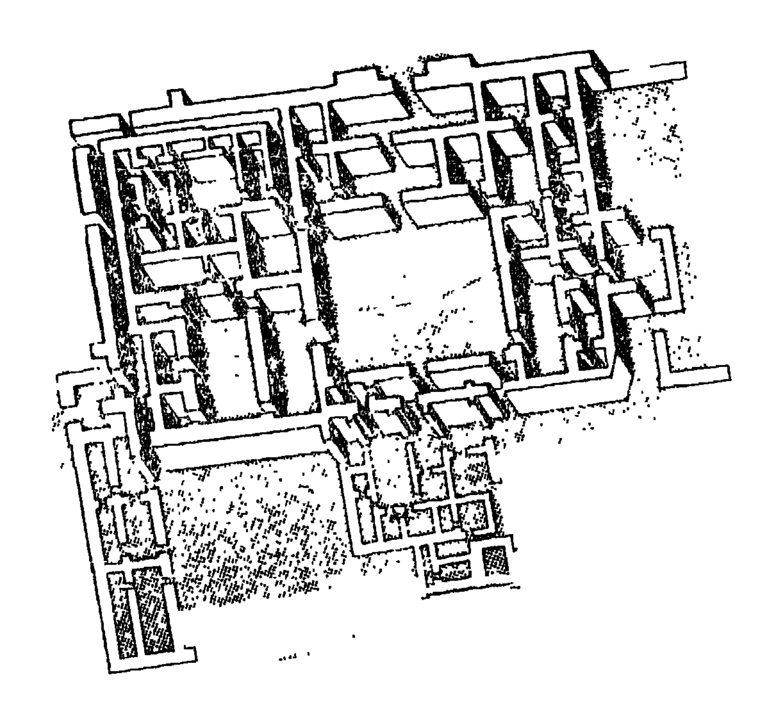
وفي احدى الغرف عثر على قطع جدارية مزججة باللون الاخضر ذات بروز وتدى المظهر في الوسط يسمى بالاشورية (سقاطو) كانت توضع علـى الجدران مثبتة بالملاط كزخرفة •

كما عثر في غرفة اخرى على بقايا رسوم جدارية ملونة لوجوه حيوانية ونصف بشرية تمثل نساء ذات آذان تشبه اذني الثور • وهي مرتبة علـى التناوب مع حقل فاصل بينها اله ورمز لشجرة الحياة الاشوريـة تعلوهـا اشرطة زخرفية عسودية وافقية •

اما في اشور فلقد بنى الملك ادد نراري الاول (١٣٠٧ ــ ١٢٧٥ ق•م) قصرا فوق القصر الاكدي القديم • الا ان ماتبقى منه لايكفي لمعرفة كـل القصر وان اعطانا صورة واضحة عن اهم اجزائه (شكل ــ ٣٤) •

فالقصر له مدخل ذو برجين يتم الدخول منه الى غرفتي مجاز وحراسـة متتاليتين ثم ساحة مربعة تقريبا ينتقل منها الزائر الى عدة غرف وقاعات اهمها قاعتان متقابلتان في محاذاة اسفل كل من الضلعين الشرقي والغربي للفناء • الا ان القاعة الغربية تمتاز بوجود قاعة ثانية خلفها مباشرة اكبر منها تنفتح عليها خمس غرف صغيرة •

انهاتين القاعتين المتلاصقتين تذكران بقصر بكر آوه وقصر زمريلم في ماري وهي كلها تشير بوضوح الى طراز في القصور الملكية ولكن ليس اصغر منها وهما تقعان على ضلع من اضلاع الفناء الرئيسي القريب من المدخل العـام•

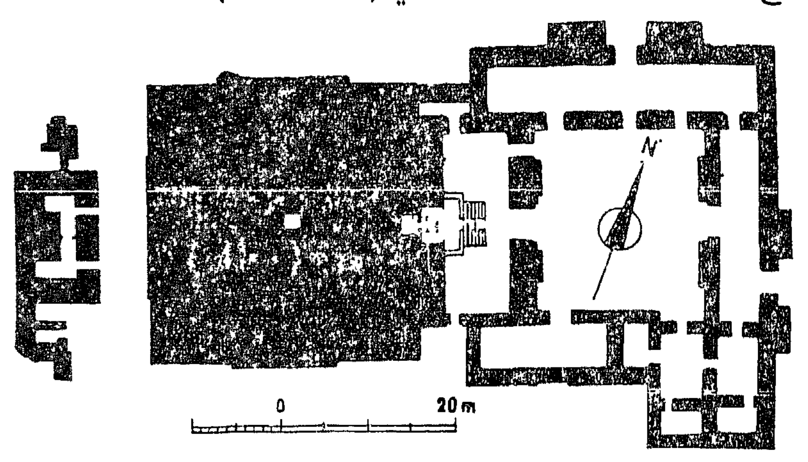


شكـل ـ ٣٤
قصر الملك اددنراري الاول من بداية القرن الثالث
ق . م من آشـور

ويمتاز المدخل من الفناء الى القاعة الاولى بانه اوسع نسبيا من كافـة المداخل الاخرى المنفتحة على الساحة مما يدل على اهمية هذه القاعة .

ومن معابد هذه الفترة معبد الالهة اينانا السومرية في الوركاء والذي بناه الملك الكشي كار اينداش . وهو معبد يتكون من قاعة وسطية طوليـة صفت على طول كل ضلع من اضلاعها الجانبية قاعة طويلة (كأنها ليسـت قاعة) اوغرفتان متتاليتان وتنفتح هذه الممرات او القاعات بأبواب متقابلة وجانبية على القاعة الوسطية الرئيسية كما تمتاز بوجود مداخل اساسية لهـا

تنفتح (متقابلة ايضا) على غرفة مجازية عرضية تقع مباشرة امام القاعة الوسطية وتنفتح عليه وعلى مدخل المعبد الرئيسي (شكل ـ ٣٥) •

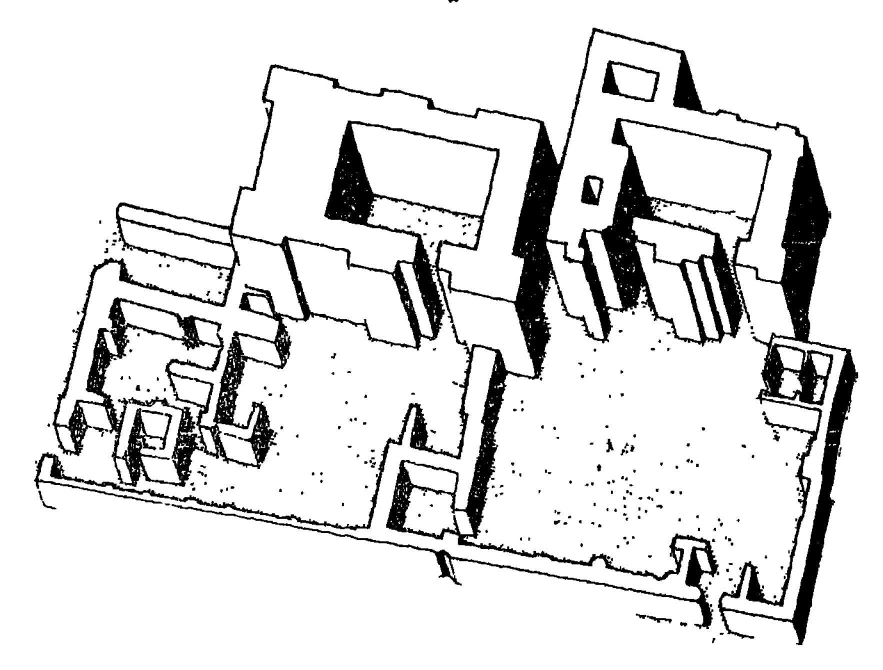


شكل ـ ٣٥
معبد وزقورة كارتوكلتي ننورتا (١٢٤٤ ـ ١٠٢٨ ق ٠ م)

ان اهم مايمتاز به المعبد في بنائه اضافة الى المخطط هو ان زوايـــاه الخارجية الاربع اعطيت اهمية عمارية خاصة ثم التأكيد عليها بابراج مضاعفة بحيث يمكن لمن يواجه ايا من الاضلاع الاربعة للمعبد رؤية واجهـة الضلع الكاملة وكأنها خسفة جدارية واسعة بين حافتين متدرجتين الى الداخل•

اما الامتياز الثاني فهو كون هذه الواجهات مزينة ، ضمن البناء بطلعات ودخلات ثانوية عناصرها من الآجر ، وهي تمثل شخوصا الهية تقف في الدخلة الجدارية على التناوب وتمثل اله الجبال ثم الهة الينابيع وهكذا وفي يد كل منهما اناء الماء الفوار (رمز الينابيع) ، ومنه تجري المياه الفائرة ، وهذه تسيل بخطوط منكسرة باتجاه الطلعات الجدارية ثم الى اسفل بخطوط ثنائية ولعلها تمثل دجلة والفرات ويقع هذا المعبد في باحة زقورة الوركاء • وبعكس معبد

اينانا من الوركاء فان معبد عشتار/ تيشوب من نوزى يمثل معبدين متلاصقين مع استقلال مداخل كل منهما عن الثاني (شكل ــ ٣٦) .



شكل ٣٦

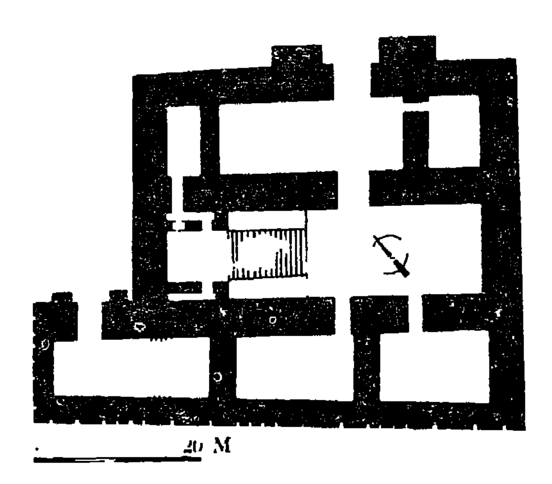
نوزي قرب كركوك ــ المعبدان الملاصقان للقصر ، من القرن ١٥ق . م

ويتكون المعبد الواحد منهما من قاعة مستطيلة كبيرة ذات جدران سميكة ولها مدخل واحد ذو ابراج (عشتار) او مدخلان (تيشوب) وتقع هذه المداخل على الضلع الطويل المواجه لساحة خارجية بها مجاميع غير منتظمة من الغرف.

اما الدكاك التي توضع عليها تماثيل الالهة فانها عادة تقع بمحاذاة الضلع القصير الجنوبي اي من صدر القاعة ، ولقد عثر المنقبون على دكاك بنيت بمحاذاة الجدران ، وفي باسموسيان (احد مواقع سهل شهرزور) عثر المنقبون على معبد مشابه تماما لمعبد نوزى في مخططه وهو يمتاز ايضا بوجود مجموعة

انصاف اعمدة متلاصقة على ساحات متتالية الجدران تمثل حقولا زخرفية تعتمد مبدأ تكرار هذه الحقول تاركة بينها ساحات مستوية من الجدران •

ومن المعابد المهمة معبد عشتار من آشور وهو معبد مزدوج للالهـــة عشتار في آشور بشخصيتها الاشورية والاكدية (شكل ــ ٣٧) •



شكـل ــ ٣٧
آشور ــ معبد عشتار من عصر الملك توكلتي نينورتا

واساس المعبد هو القاعة الطويلة الوسطية ايضا الا أن الوصـــول الى هذه القاعة يتم عبر مدخل خارجي ثم قاعة كبيرة تلي المدخل مباشـرة ومنها وعبر باب في منتصف الضلع الطويل وعلى خط وهمي يتعامــد مـع الباب الخارجي ذي الابراج •

وتقع دكة الالهة عشتار في النهاية الغربية من القاعة وعلى ارضية مرتفعة يرتقي اليها بعدة درجات مشيدة ابتداء من نقطة تكاد ان تكون في منتصف القاعة الطولية •

اما المعبد الثاني فهو صغير ويتكون من قاعة واحدة تقع على امتداد

الضلع الجنوبي للمعبد الكبير وتبرز عنه قليلا لتترك مساحة كافية لمدخل جانبي في نهاية الضلع الشمالي الشرقي •

واما دكة الالهة فانها مرتفعة ايضا والصعود اليها بعدد اقل من الدرجات اما اتجاه هذه الدكة فهو وبعكس المعبد الاول نحو الجنوب •

ان جميع المعابد المذكورة اعتمدت مبدأ معماريا واحدا مفاده ان صومعة الالهة يجب ان تكون قاعة طولية لها مدخل جانبي يقع في زاوية احد الاضلاع الطويلة وبعيدا عن الطرف الذي فيه دكة الاله •

ولكون الدخول ومواجهة الاله بمحور منكسر بزاوية قائمة ، يطلق على هذا النوع من المعابد اسم معابد (المحور المنكسر) الا ان تقاليد اخرى انتقلت الى الشمال ايضا ومنها معبد زقورة توكلتي ننورتا الاول في مدينة كارتوكلتي نينورتا • ومعبد وزقورة تل الرماح • فهي معابد ملاصقة لبدن الزقورة وتقع الصومعة لصق او داخل جدار الزقورة •

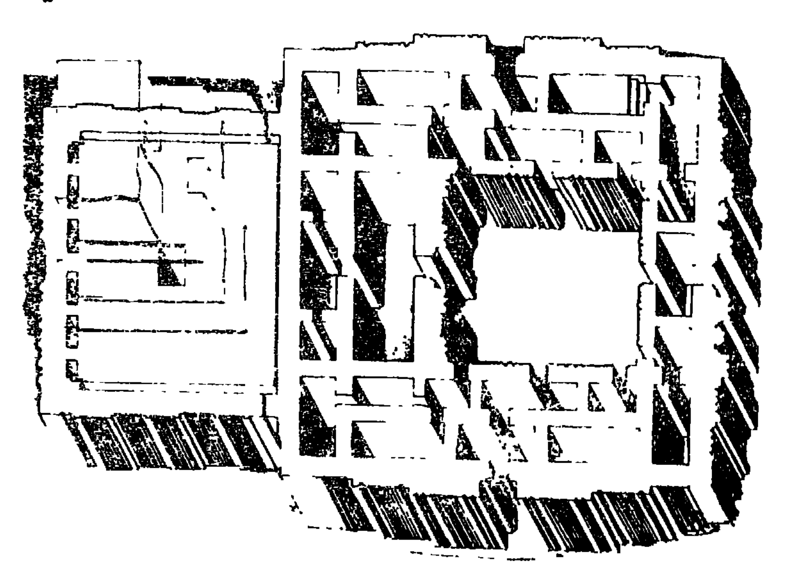
ووتبلغ مساحة قاعدة الزقورة الملاصقة لمعبد توكلتي ننورتا في الجانب الغربي حوالي (٣٠×٣٠م) وهي تشير الى وجود طلعات جدارية تبرز في وسط كل ضلع ويبلغ عرضها حوالي ١٢م (انظر شكل — ٣٥) •

اما المعبد فيتكون من بناء مربع تقريبا له مدخلان رئيسيان زينا بالابراج يدخل منها الزائر الى قاعات عرضية على الساحة ، طويلة بطول اضلاع الفناء الوسطي او تزيد عليها (كما في القاعة الشمالية) ويقابل مدخل القاعة الشرقية في الجانب الغربي مدخل تزينه ابراج اقل قوة من المداخل الخارجية ، ويقود هذا الى قاعة امامية عرضية هي غرفة الصومعة اساسا الا انه وفي صدر هذه القاعة قبالة المدخل تماما نرى سلالم مشيدة تقود الى صحن صغير ثم الى دخلة عريضة نسبيا ٣م (تقريبا) وبعمق (٢م) ومنها دخلة ثانية بعرض وعمق متساويين (٢م/٢م) وهي المحراب الذي يوضع فيه تمثال الالـه •

ويقع هذا المحراب في بدن الزقورة في منتصف الضلع الغربي تماما .ومن المحير في هذه الزقورة انها وبعكس ماسبقتها من زقورات تمتاز بوجود حفرة عميقة عمودية في مركز الكتلة البنائية الصلدة اصلا وان هذه الفتحـــة اصبحت وكأنها بئر يبدأ من اعلى طبقة من الزقورة وينتهي في القاعة ومساحة مقطعــه العرضي هي حوالي ٢م×٥ر٢م .

اما الظاهرة الثانية فهي انه لا سلالم لهذه الزقورة وان الارتقاء الــــى الطبقة الاولى منها على مايبدو هو بواسطة سلم مستقل شيـــدت قاعـــدة انطلاقه خلف الضلع الغربي وبعيدة عنه بحدود ٥م او اكثر قليلا .

ان هذا يعني ان الانتقال من هذه القاعدة الى بدن الزقورة لم يتـــم الا بواسطة قنطرة معقودة وهذا لم نعثر عليه . ولا تختلف زقورة تل الرماح كثيرا عن مخطط هذه الزقورة ، فهي تتكون من جزئين متلاصقين : المعبد وبدن الزقورة الصلد (شكل ــ ٣٨) الا ان قاعدة الزقورة هنا هي اكثر



شكـل ــ ٣٨
تل الرماح ــ مجســم المعبد والزقورة مــع منظر تخيلي لجسم الزقورة

استطالــــة .. وان البئــــر في مركـــــز بـــــدن الزقـــورة مستطيلــــة المقطع ايضا . وان هنــاك غلافــا خارجيــا بثخن ٥ر٢م تقريــبا يحـــيط بالقاعدة وينفصل عنه بواسطة ممرات طولية عرضها لا يزيد عن متر واحد في في الاضلاع الشمالية والجنوبية . اما في الضلع الغربية فلقد تحــول الممـــر الى سلسلة من الغرف المتلاصقة وبنفس العرض .. ويرتبط الغلاف الخارجي بجدران المعبد الملاصق ، فيبدو المعبد وكأنــه يطوق الزقورة،اما المعبد فانه بيت مربع له فناء وسطي تنفتح عليه ابواب الغرف المحيطة به .. وهي متقابلة على الضلعين الشمالية والجنوبية .

والدخول الى المعبد هو عن طريق الضلع الشرقية عبر مدخل ازدانت ابراجه وواجهته الخارجية بتراكيب انصاف اعمدة ودخلات وطلعــات متعددة وبالغة الدقة مما يضفي طابعا خاصا على هذا المعبد .

ويقع المدخل ومدخل الغرفة التي تليه مرورا بالفناء وحتى مدخل القاعــة الكبيرة قبل غرفة الصومعة على محور وسطي واحد بحيث يمكن الواقــف خارج المعبد من التطلع الى دكة الالهة بخط مستقيم ومباشر .

تقع الصومعة لصق الجدار المحيط بالزقورة وهي غرفة عرضية مساحتها حوالي ٩م×٣م . تنفتح عليها غرفتان جانبيتان لخزن المواد المقدســة .

ولقد قام المعمار بحل مشكلة الارتقاء الى الزقورة بطريقة بسيطــة .. اذ قام ببناء سلم داخل احدى الغرف في الزاوية الشمالية الشرقية من المعبد ومنها الى الغرفة الاولى في الضلع الشمالية على نفس الزاويــة . وبالتالي الى سطح المعبد ، فبدن الزقورة . شيدت درجات هذا السلم باللبن وعقدت تحتها اقواس من اللبن تحملها حتى السطح ولذلك فان سطح المعبد يعتبر الطبقــة الاولى للزقورة ويبرر ذلك الجدار الاضافي الذي يطوق الزقورة ويرتبط بالمعبد فهو ولا شك جزء من الطبقة الاولى وقاعدة للسلالم التي تلاصق بدن الزقورة ابتداء من السطح .

زقورة عكركوف

وهي مشيدة من اللبن وبارتفاع خمس طبقات تغلفها من الخارج طبقة من الآجر (ولقد تمت صيانة هذه الطبقة مؤخرا)

تبلغ مساحة قاعدة الزقورة ٦٠و٦٧م×٦٩م • وسلالمها الجانبية لا تبدأ مع بداية حافة الضلع وانما مع نهاية الضلع الجانبية ثم تدور بزاوية قائمة حول بدن الزقورة لترتقي الى السلم الجانبي • وهناك سلم وسطي يلتقي بالسلم الجانبي في مركز الضلع •

بدن الزقورة شيد بعدة طبقات من اللبن تترك بينها على ارتفاعات معينة طبقات من البردي والحصير وحبال البردي المضفورة وذلك لتسليح البناء وتقويته وضمان استقرار كتلته •

ولقد شيدت امام سلم الزقورة الوسطي مصطبة من اللبن مساحتها حوالي ٣٥×٣٥م تحيط بها ساحات عديدة لمعبد لم يكمل اكتشافه كله بعد•• وهذه الساحات متصلة ببعضها البعض وتحيط بكل ساحة مجموعة من الغرف المستطيلة •

ولم تختلف البيوت السكنية في هذه الفترة عن فترة العصر البابلي القديم فهي تعتمد مبدأ الساحة الوسطية والمدخل الذي يرتبط بهذه الساحة عبر غرفة مجاز واحدة او عدة غرف متسلسلة • والبيوت غير نظامية التخطيط لانها في معظم الاحيان محكومة بابعاد وشكل قطعة الارض المشيد عليها البناء كما ان البيوت المتجاورة ملتصقة ببعضها البعض بطريقة غير متكلفة وعشوائية قليلا •• ولذلك فان الازقة التي تربط الاحياء ببعضها البعض تصبح ملتوية ومتشابكة ومتغيرة المستويات الارضية كما ان اتساعها يتغير حسب المباني التي تحددها •

الا ان البيوت السكنية في اشور من هذا العصر هي اقرب في مخططاتها

للنظام الهندسي المتكامل في بيوت نوزي مثلا فهي ذات ساحات منظمة وسلالم تبدأ من المداخل او من زوايا البيت وهي مشيدة باللبن ٠

اما في نوزى فهي تعتمد مبدأ الغرف المتسلسلة بشكل غير نظامي ابتداءمن المداخل ، ممايجعل وجود الفناء حالة عرضية وليس نتيجة لتخطيط مسبق ٠

العمارة في العصر الآشوري الحديث

يعتبر العصر الاشوري الحديث ابتداء من القرن الحادي عشر ق ٠ م وحتى القرن السادس من أغنى مراحل التطور المعماري والهندسي في بـــلاد الرافدين ٠ ولقد انتشر تأثيره عبر العمارة البابلية المتأخرة (الكلدية) والعمارة المعروفة بعدها وصولا الى العمارة المعاصرة ٠

ولقد ابتدأ نظام القصور والمعابد الاشورية يتحول من البنايات الكبيرة غير المنفصلة تماما عن الاحياء المجاورة الى مجمع خاص لـــه حدوده الفاصلـــة والتي تبعده عن الاختلاط المباشر بأحياء المدينة ويرتبط ارتباطا كاملا بالمعابد الرئيسية للمدينة ٠

ولم تكن هذه العزلة المقصودة تعبيرا عن الرغبة في اعطاء الأهمـــية وللتأكيد على مركزية السلطة كما هو الحال في تجميع المباني الدينية والسلطوية المدنية في مجمع واحد وسط المدينة الجنوبية ، مثل الوركاء أو أور او بابل وانما لتحقيق مبدأ معماري مهم ، وهو مدينة خاصة بالدولة ، بالملـــــك والامراء والجيش وكبار الكهنة ٠٠٠ خارج المدينة الكبيرة لعامـــة الشعب ولكن ملاصقة اياها ايضا ٠

ان هذه الظاهرة الجديدة دفعت الحكام الى بناء القصور الاشوريـــة الجديدة والمعابد والزقورة الرئيسية على مرتفعات خاصة وهي علـــى الاكثـــر مصاطب اصطناعية ٠ كما حرص الملك الاشوري على ان يشيد قصوره ومعابده على حافة النهر او الجهة القريبة منه ان كان بعيدا نسبيا ٠

ولقد بدأت القصور والمعابد في مدينة اشور بتقديم صورة غير مألوفة في نظام المعابد •• مرتبطة بالفكر الديني انذاك ومن اهم الملاحظات المثبتة عن هذه الفترة :

١ ــ ازدواجية المعابد بين الالهة المتكافئة • فلقد شيد الاشوريون معبدين مزدوجين للالهين آنو وأداد مع زقورتين ملتصقتين بهما وكذلك لسن وشماش (ومن دون زقورات هذه المرة) •• ولآشور وأنليل ولعشتار الاشورية وعشتار الاكدية وهكذا •

٢ ــ ثبوت موقع القصر الرئيسي عبر العصور مع تغيير اسلوب بنائه ومخططاته • كما هو الحال في قصر آشور الملكي •

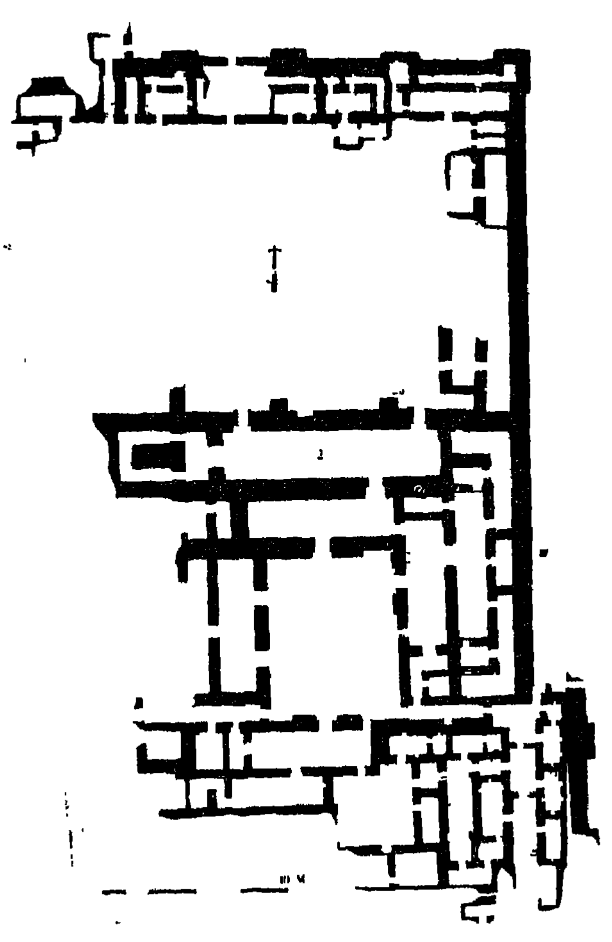
٣ ــ ظهور مبدأ قصر جانبي لولي العهد بالاضافة الى القصر المركزي •

٤ ــ استخدام القصر الرئيسي كمدافن للملوك الكبار مما يتطلب وجوده في جوار المعابد وبينها •

٥ ــ اعتماد مبدأ القاعة الطولية ذات المنصة المخصصة للاله في صدر القاعة (جدار احدى الضلعين القصيرتين) وبغض النظر عن وضعية القاعة وارتباطها بالفناء •

ومن أهم المباني المعروفة في العصر الاشوري الحديث هو القصر الشمالي الغربي في نمرود والذي بناه الملك اشور ناصر بال الثاني في٨٧٩ق•م على جدار مسناة نهر دجلة وعلى ارتفاع (١٢٠) سافا من الطابوق فوق مستوى الضفة (شكل ــ ٣٩) •

ولقد استمر هذا القصر في رونقة وبهاء لمدة ٧٠ عاما كان فيها القصر الاول في العراق القديم • ثم آستخدم مسكنا لموظفي البلاط وحكام نمرود ثم بيتا لكنوز الملك سرجون الثاني الاشوري • كما سكن فيه سنحاريب عندما كان وليا للعهد لمدة من الزمن ووضع فيه غنائم حروبه •



شكـل ــ ٣٩
القصر الشمالي الغربي للملك آشور ناصر بال الثاني
من القرن التاسع ق . م ــ نمــرود

ولقد قام اشور ناصر بال الثاني كأول ملك اشوري بتزيين مداخل قصره بتماثيل من الالباستر والحلان ومرمر الموصل . كما قام باستخدام كميات كبيرة من الاخشاب الثمينة والاحجار والارضيات الجصية الملونة للجــدران والبرونز الموشى بالذهب كغطاء للخشب .

وينقسم القصر الى قسمين : الامامي والذي كان يسمى (بابانو) اي جناح الاستقبال ، والقسم الداخلي المسمى (بيتانو) اي البيت او الجناح الخاص ٠ فيما عدا مدخل ضيق في الطرف الغربي من الضلع الشمالية للقصر يدخل اليه بواسطة غرفة متقدمة ملتصقة بالضلع الشمالية من خارجه ٠٠ فاننا لم نعثر على المدخل الرئيسي للقصر ٠٠ ويعتقد انه في الضلع الشرقية ٠

وتطل على الساحة في ضلعها الجنوبي قاعة العرش الطويلة (١٠م×٤٧م) ويمكن الدخول اليها من ثلاثة مداخل ، الوسطية منها أعرض واعلى من المدخلين الجانبيين ٠٠ اذ يبلغ عرضه حوالي ٣م (بعد الصيانة) ٠وترتبط بالقاعة في نهايتها الغربية غرفة السلم التي على مايبدو لها علاقة وثيقة بنظام عماري جديد اذ ان هذه الظاهرة تتكرر في ما بعد في معظم القصور الاشورية٠

وكان الملك يجلس على كرسي العرش المنصوب على قاعدة بدرجتين ٠ خلفها لوحة جدارية من الحجر عليها منظر لشجرة الحياة والملك يقف مرتين على جانبيها وخلفه كل مرة ملاك حارس يباركه ٠

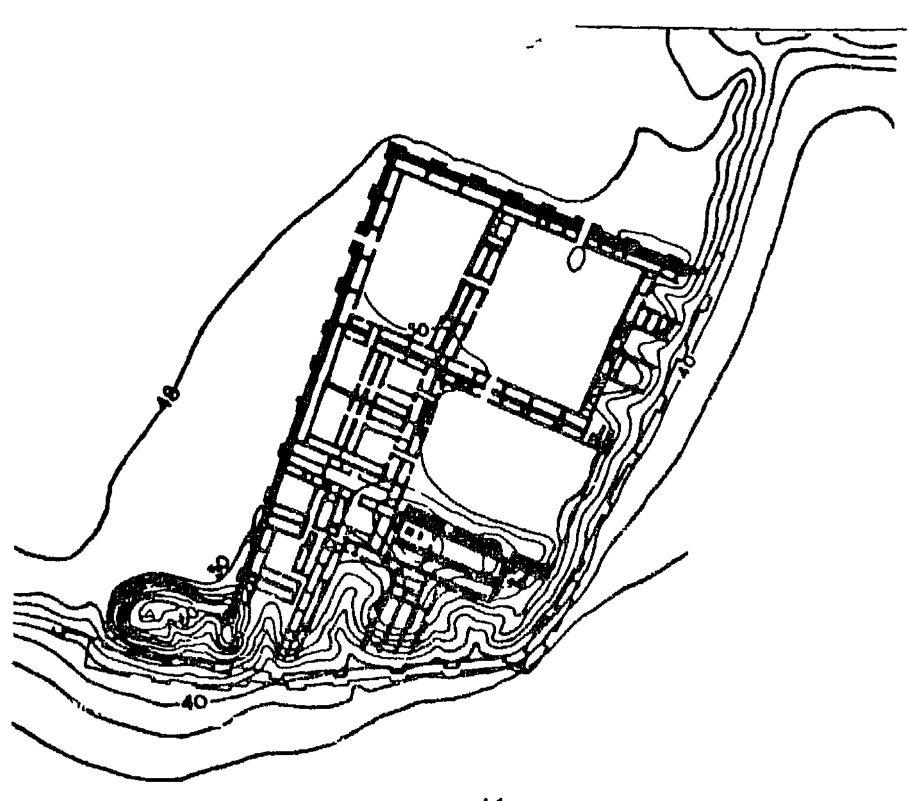
اما اللوح الحجري المقابل للباب الوسطي الرئيس في القاعة فلقد نحت فيه محراب غير عميق تكتنفه اشكال ملائكة حارسة ولربما كان الملك يقف امام هذا المحراب في حالات معينة عندما يراد ان يراه المجتمعون في الساحة ٠ وتقع خلف قاعة العرش قاعة اصغر منها نسبيا الا انها اصلا بطول ضلع الساحة التي ترتبط بها بواسطة مدخل وسطي يعلوه قوس من الآجر المزجج المحمول فوق ثورين مجنحين كما في مدخل القاعة الكبرى ٠

اما هذه الساحة الصغيرة نسبيا فهي ساحة البيتانو (الجناح العائلي) وتستخدم لاغراض الاجتماعات العائلية اسوة بالقاعات الاخرى التي تفتح على هذه الساحة من جميع الاضلاع ٠

لقد غطت المنحوتات شبه البارزة على الحجر كل هذه القاعات ٠٠ كما لاحظنا في بعض هذه الالواح الحجرية فتحات نوافذ حقيقية منحوتة فيها ٠

ولقد يراعى النحات عند نحت حجرة الزاوية بحيث تكون لوحة واحدة ذات ضلعين يلتقيان بدرجة ٩٠ عند الزاوية مما يضمن قوة تماسك لبقية الالواح على طول اي ضلعين من القاعة وعدم دفعها لبعضها البعض لاي سبب كان٠

ولقد اشتهر في الاونة الاخيرة ومن هذه الفترة حصن الملك شلمنصر الثالث ابن آشور ناصر بال الثاني ٠ وهو مشيد في الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة نمرود مقابل الحي الملكي (شكل ــ ٤٠) ٠



شكل ــ ٤٠
حصن شيلمنصر الثالث

الا انه لم يبق مرتفعا فوق مصطبة (صناعية ام طبيعية) كما هو الحال في الحي الملكي حيث القصر الملكي الشمالي الغربي آنف الذكر • وكان الحصن واسعا ويشمل عدة ساحات وقاعات ومداخل ينتقل منها المرء عبر بعضها البعض حتى يصل الى قاعة العرش التي تمتاز بدكة العرش ذات الدرجتين والمزدانة حافاتها وواجهتها الامامية بصورة منحوتة للملك شيلمنصر الثالث وهو يصافح الملك البابلي مردوخ ذاكر شومي تحت مظلة ملكية يحيط بها رجال الحاشية ثم تتوالى على الجانبين مواكب حاملي الهدايا والجند والقادة وهم يتوجهون الى المقدمة •

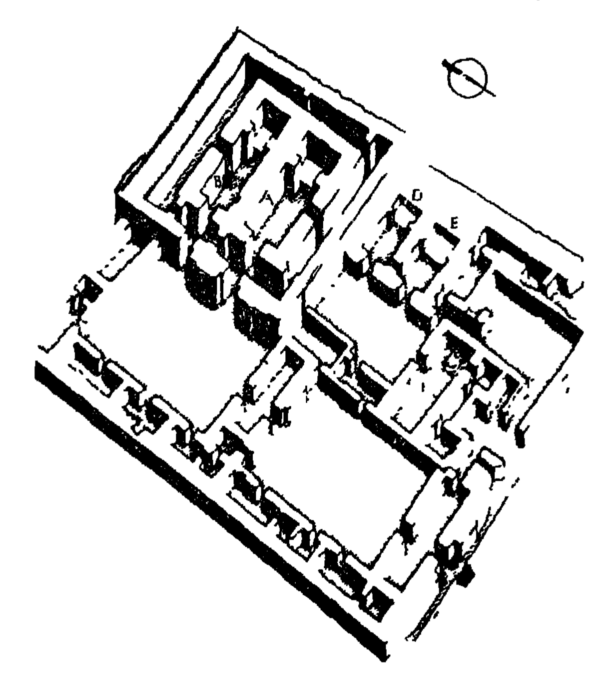
ولقد عثر في هذا القصر على جدارية من الآجر المزجج نهايتها العليا محدبة يبلغ ارتفاعها حوالي (٤م) •• ونرى فيها الملك يقف امام شخص اخر يشبهه تماما وفوقهما شعار قرص الشمس المجنح داخلها الاله آشور ويعلو الشعار اربعة أسطر من الكتابة بالخط المسماري التي تشير الى الملك شلمنصر الثالث ثم يعلو الكتابة جزء اخر عليه منظر غزالين او ماعزين يقفزان على جانبي شجرة الحياة الاشورية التي تملأ الفراغ في الوسط •

ويحيط بجميع هذه المناظر خمسة اشرطة متتالية زخرفية ونباتية تنتهي باخر شريط عريض يدور مع حافة الجدارية • وفيه نرى عنصرين زخرفيين يتبادلان مواقعهما فوق ساحة الشريط على التوالي ، وهما النخيلة والماعز الجبلي والذي يتجه بحركته نحو الاعلى •

ولقد عثر المنقبون في نمرود على بقايا قصور عدة الا انها لا تقدم الا اجزاء قليلة من مخططاتها الاصلية كما عثر على عدة ثيران مجنحة في مواقع متفرقة فوق مصطبة المنطقة الملكية •

الا ان اهم بناية عثر عليها في هذه المدينة وفي جزئها الجنوبي الشرقي هو معبد نبو المسمى أي ـــ زيدا والذي يتكون من ساحتين كبيرتين متداخلتين

المدخل اليهما عبر بوابة ذات ابراج . ويلتصق في الضلع الغربي للساحة الداخلية القسم الثالث الذي نجد فيه الصومعة المزدوجة للاله نبو ولزوجته الالهة تشميتوم . وتتكون كل من الصومعتين من غرفة طولية تنتهي بغرفة عرضية صغيرة نسبيا بها تمثال الاله والالهة وتحيط بالصومعتين ممرات من الجهات الاربع بحيث تترك الصومعتين متحررتين من الالتصاق باي جزء من المبنى التابع لهما (انظر شكل ــ ٤١) ومن بقايا الابنية في المنطقة الملكية

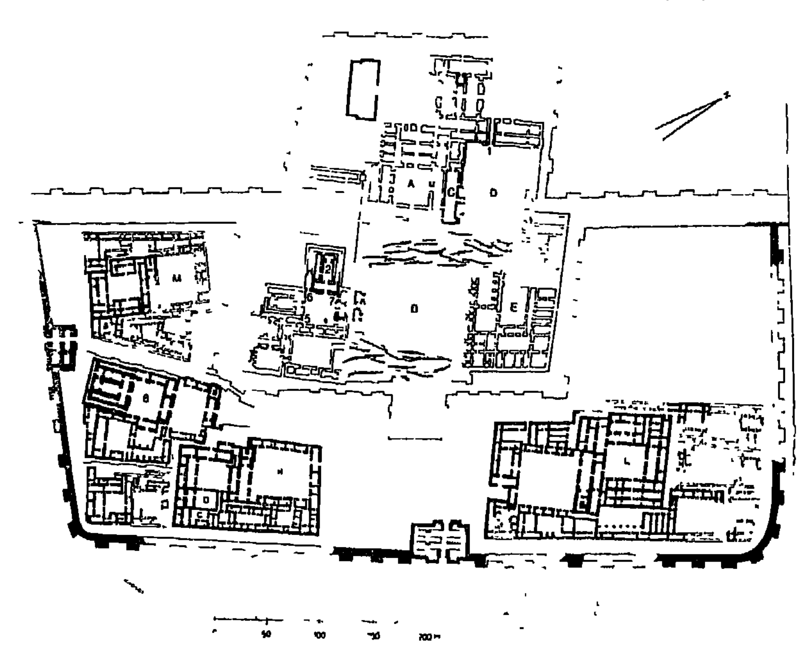


شكل ــ ٤١
معبد نابو المسمى اي ــ زيدا في نمرود

القصر الجنوبي الغربي الذي لم يبق منه الا قاعتان مزدوجتان (متلاصقتان) تطلان على ساحة مربعة كبيرة وتتصلان باتجاه الجنوب بجناح اخر على مايبدو .

ان اهم ظاهرة في هذه البناية هي كون فتحات الابواب الداخلية واسعة وفيها اعمدة وتتوسط كل فتحه عمودين دائريين ٠٠ وتنطبق هذه الظاهـرة على اربعة ابواب ٠

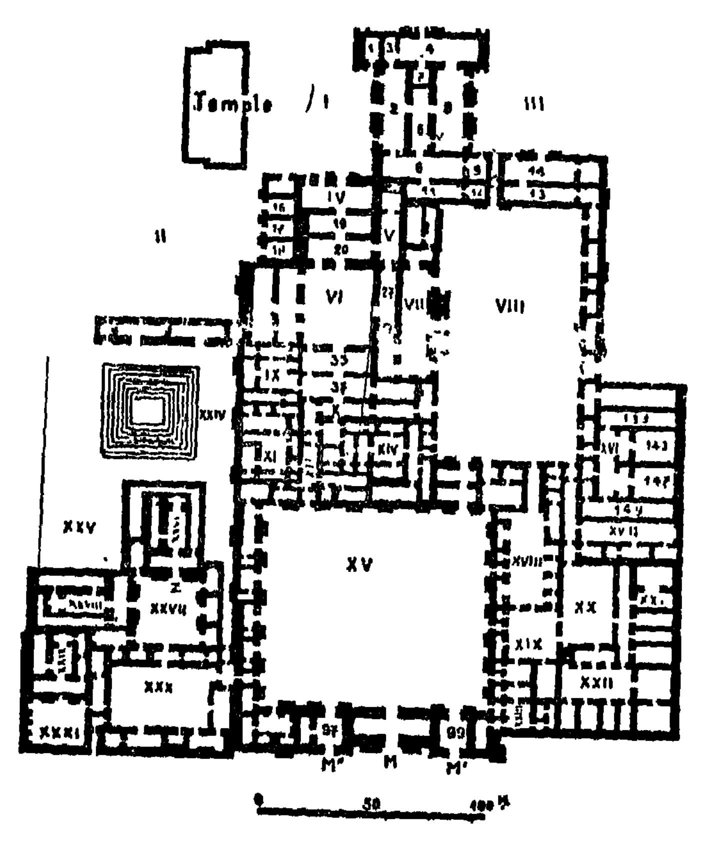
ومن الشواهد المعمارية المهمة مخلفات دور شروكين (مدينة سرجون) الملك الاشوري (٧٢١ ــ ٧٠٥ ق٠م) والتي تبلغ مساحتها ٢×١٫٦ كم ٠وهي مدينة مثالية التخطيط نسبيا تحافظ على قواعد توزيع الاجزاء والاقسـام الوظيفية للمدينة الاشورية مع محاولة لبناء اسوار تحيط بهـا بزوايا قائمـة لتشكل مدينة رباعية الشكل ومايعقب ذلك من توزيع للبوابات بحيث تؤدي الى نقاط عدة داخل المدينة وعددها سبع بوابات خارجية متشابهة تمامـا في مخططاتها وبوابتان داخليتان تقودان الى القلعة الملكية (شكل ــ٤٢) ٠



شكـل ــ ٤٢

المدينة الملكية مع القصر الجاثم فوق السور الخارجي لمدينة خرسـباد والقصور الارضية المحيطة بشرفة القصر

ويقع القصر الملكي داخل القلعة الملكية على مصطبة مرتفعة وتبرز نصف المصطبة تقريبا خارج اسوار المدينة باتجاه الشمال الغربي بينما يمتد نصفها الثاني داخل القلعة الملكية ليفصلها تلقائيا الى جزئين يحيطان بمبانيها بالمصطبة. تبلغ مساحة القصر حوالي ٢٠٠×٣٤٠م وبه ثماني عشرة ساحة منها ساحتان رئيسيتان وتحيط بها حوالي ١٧٠ غرفة منها عدد كبير من القاعات بالاضافة الى قاعة العرش الرئيسي على الفناء الثاني الداخلي (شكل — ٤٣) ٠



شكل — ٤٣
قصر سرجون الثاني في دور شروكين

كذلك نعرف من انماط العمارة من هذه الفترة الابنية المعروفة : (بيت آكيتو) في اشور ، وهو المكان المخصص للاحتفالات القومية والدينية ، بناه كل من سرجون الثاني وجده سنحاريب من بعده ويقع شمال غرب اشور خارج المدينة ويتكون في كلا الحالتين من بناء رباعي الاضلاع ٦٧×٦٠م له مدخل في الضلع الشرقي المقابل للنهر مرورا بغرفة مجاز عرضية تنتقل الى ساحة وسطية كبيرة تحيط بها غرف متعددة في الضلعين الشرقية والشمالية او قاعات طويلة بطول الاضلاع في الضلعين الجنوبية والغربية .

وتعتبر القاعة في الضلع الغربية الغرفة المقدسة . وقد ازدانت الساحة الوسطية وكذلك امام المدخل باشجار زينة كانت توضع مع ترابها داخل حفر في الصخر معدةلهذا الغرض مع قنوات تربط الحفر ببعضها لتصريف مياه السقي اليها . ويشبه بيت اكيتو في اشور معبد سيبتي فيخرسباد من حيث النظام العام .. الا ان القاعات الطويلة على جانبي الساحة الوسطية في معبد سيبتي كانت مزودة بدكاك للجلوس ملاصقة للجدران وبينها موائد حجرية طويلة لوضع الطعام وعلى مايبدو فان معبد سيبتي كان معبدا احتفاليا للمناسبات الجماعية التي يقدم بها الطعام بكثرة للالهة وكذلك للحاضرين .. فلقد صفت دكاك القرابين على هيئة مناضد دائرية ذات ثلاث قوائم .

ومن المعابد المهمة في اشور من هذه الفترة المعبد المزدوج لسن وشمش والمعبد المزدوج للالهين انو واداد . وهما بالرغم من تغيير المخطط الكامل لهما انما ينحدران من العصر البابلي الاشوري القديم والاشوري الوسيط لنفس المعابد المزدوجة وفي نفس المكان .

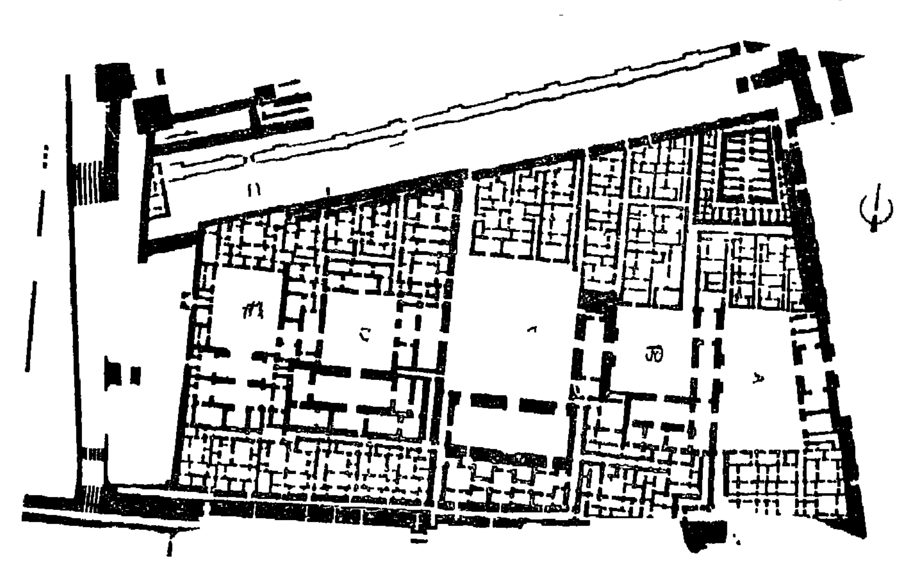
ولقد امتازت كل هذه المعابد بان الصومعة الداخلية المقدسة كانت غرفة طولية تنتهي بدكة تمثال الاله بينما غرفة المابين عرضية ملاصقة لضلع الساحة التي تنفتح عليه .

عمارة العراق في العصر البابلي الحديث (الكلدي)
(٦٢٦ ـ ٥٣٩ ق ٠ م)

امتاز العصر الكلدي بانه عصر العمارة الفخمة في جنوب العراق ولايمكن مقارنته الا بمدينة اور السومرية في العصر السومري الحديث او خورساباد في العصر الاشوري الحديث ٠ فلقد قام الملك نبوبولاصر ومن بعده ابنه نبوخذ نصر باعادة تخطيط مدينة بابل مع التركيز على القصور الملكية من جهة وتقليد القصور الاشورية برفعها فوق شرفات ومصاطب عالية ٠٠ مع تجاوز عزلتها عن بقية المدينة كما هو الحال لدى الاشوريين وذلك بواسطة ربطها بشارع رئيس يمر وسط كل المدينة وهو شارع الموكب ٠٠٠ ومن جهة اخرى التركيز على المعابد خاصة برج بابل الشهير ومعبد الاله مردوخ ايسانكيلا

ونعرف من النصوص القديمة انه كان في بابل ٥٣ معبدا رئيسيا و٣٦٠ صومعة ثانوية مع اعداد هائلة من المزارات لا يمكن ان نقبل بها معماريا مالم يكن في كل بيت مزار او مذبح واكثر ٠

ومن اهم المباني المكتشفة في مدينة بابل القصر الجنوبي ٠ وقد بناه نبوخذ نصر فوق بناء والده نبو بولاصر وبمساحة ٥٢ الف متر مربع فوق مصطبة عالية بعدما قام ببناء جدران القصر فوق الارض ثم دفنها على ارتفاع ٦ ـ ٧ م ٠ وقام بمعالجة الجدران السفلية هذه بالزفت لعزل المياه الجوفية٠٠ وبعدها صعد بالجدران الى ارتفاع حوالي ١٢ ـ ١٥ م فكانت اسافل الجدران المدفونة اساسا للقصر تحت مستوى المصطبة ٠٠ اي ان القصر لم يشيد فوقها وانما معها ٠٠ وهو اسلوب جديد لم يعرف سابقا في العراق القديم وكان مستوى القصر بمستوى شارع الموكب ومعبد نينماخ الذي يقابل القصر شرق الشارع وقبل مروره داخل بوابة عشتار (شكل ـ ٤٤) ٠



شكل ـ ٤٤
قصر نبوخذ نصر الثاني (القرن السادس ق ٠ م) في بـابـل

وللقصر ساحات خمس متتالية ٠٠ الثالثة منهن هي الساحة الوسطـية الكبرى ويبلغ طول ضلعها حوالي ٦٠م ٠ وتلتصق بضلعها الجنوبي قاعة العرش الكبرى وهي بمساحة حوالي (٥٥×٣٥)م٢ ، ولها ثلاثة ابواب تنفتح علـى السـاحـة ٠

ويعتبر المدخل الوسطي الكبير (عرض ٦م) المقابل لمنصة كرسي العرش٠ هو المدخل البروتوكولي الرئيسي بينما خصص المدخلان الجانبيان (بعرض٤ر٥م) للحاشية او للخروج ٠

وكانت واجهة قاعة العرش مزينة بالآجر المزجج المرسوم عليه فوق خـط من الاسود المزمجرة الرافعة لذيولها بتحد وجبروت ، مجاميع من اشـجار الحياة الطويلة والنحيفة نسبيا ٠

ويبلغ ارتفاع الواجهة ١٢ر٤٠م وهي بالوان الازرق الشذري والاخضر

والاصفر محاطة باطار ابيض وكلها مزججة • وفي القصر اكثر من ١٧٢ غرفة وبها عدة بيوت سكنية للحاشية وخدم القصر ، ويطل جناح الملكة غربا على نهر الفرات ويعزله عن النهر بناء كبير غريب يبلغ طوله حوالي ٢٥٠مترا وثخن جدرانه ٢٥مترا • وفي داخله ساحة وسطية مستطيلة تحتوي على بقايا غرف كثيرة • ويعتقد انه اذا كانت هناك جنائن معلقة في بابل فعلا فلابد أن تكون في هذا البناء لانه على ضخامته ذو جبهة متدرجة على النهر بثلاث درجات ممايتيح انشاء حديقة مدرجة على النهر •

وفي داخل الزاوية الشمالية الشرقية من القصر لصق بوابة عشتار عثر على بناية بمستوى سرداب القصر ثبت انها مخازن القصر ، وتتكون من نواة قوامها خطان من الغرف المصفوفة على جانبي ممر طويل وتنفتح عليه ويحيط بها ممر حلقي يطوف حول الاضلاع الاربعة ويفصله عن القشرة التي تنفتح على الممر الحلقي ثلاثة اضلاع لتشكل غرف خزن اضافية •

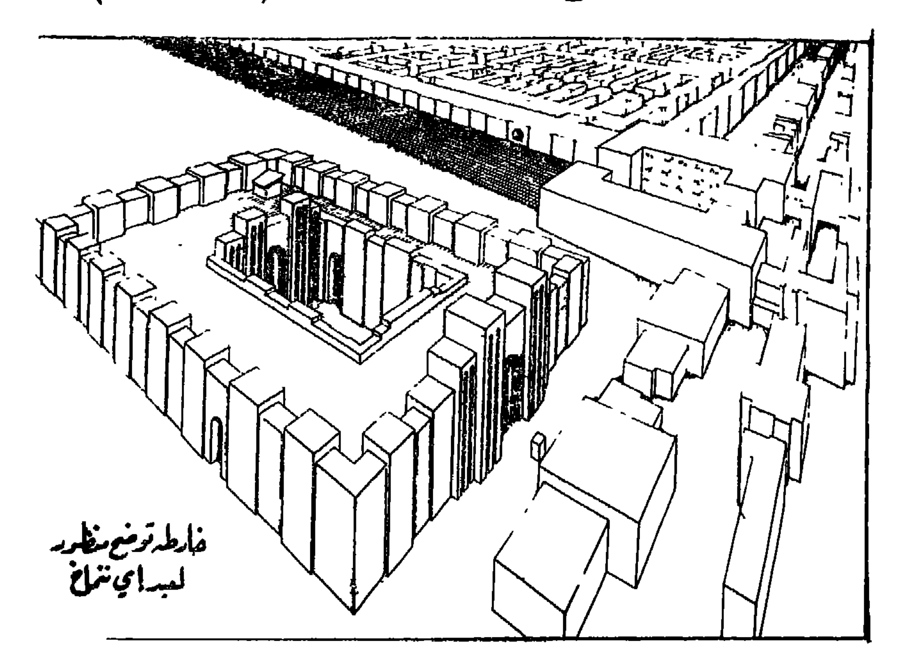
ولقدتم تحصين القصر من الخارج بعدة جدران ساندة تحيط بالجدار الرئيسي وبعرض لايقل عن ١٠م في كل الاحوال ويفصل هذا القصر عن قصر اخر يطلق عليه اسم (القصر المركزي) يقع شمالا ، عدة خطوط من الاسوار الداخلية التي تمتد من جهة النهر تقريبا لتلتقي ببوابة عشتار الا حتفالية •

اما البوابة فانها مشيدة بالاصل على مستوى ارضي منخفض عن مستوى القصر وشارع الموكب الى ارتفاع ٣٠ ر١٤م فوق مستوى الشارع • ولقد مرت البوابة بثلاث مراحل بنائية كان اخرها البناء الذي غلفت جدرانه بالآجر المزجج الذي زين بحيوانات اسطورية تسمى المشخشو وثيران السماء الملونة•

وتتكون البوابة من ساحة امامية مستطيلة تحيط بها جدران عالية بثخن ١٠م تقريبا وتنفتح على قاعة داخلية وغرفة حراسة مستطيلة عرضها ٢٥م • والبوابة بعكس الاسوار مشيدة بالآجر وليس باللبن • ويبلغ عدد الحيوانات

الناتئة على جدران البوابة بجزئيها ، المزجج العلوي والاعتيادي غير المزجج اسفله ، حوالي (٥٧٢) حيوانا •

ولقد أزدانت جدران شارع الموكب امام البوابة وخلفها بابراج وطلعات ودخلات مغلفة بالآجر المزجج على صورة اسود سائرة (شكل ــ ٤٥) •



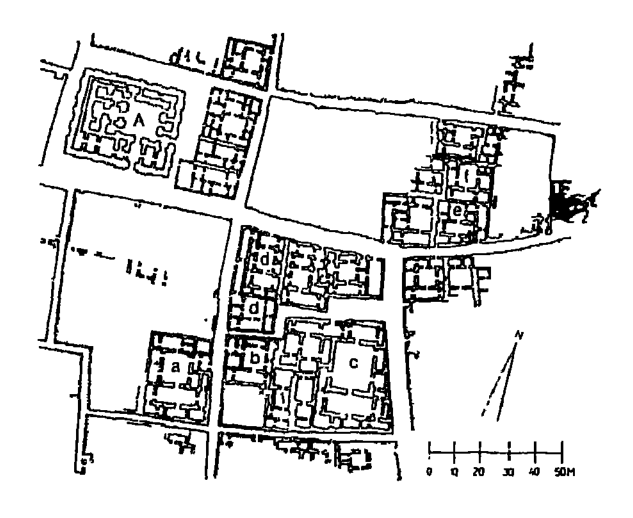
شكل ــ ٤٥
معبد نينماخ في بابــل

ولكنها وبعكس الاسود على واجهة قاعة العرش خافضة ذيولها دلالة على الخضوع امام الالهة عشتار علما بان الاسد هو الحيوان المخصص للالهة عشتار الحربية • ومن المباني الدينية الرئيسية في بابل الاي ــ تمن انكى (معبد حجر اساس السماء والارض) • ويتكون من صحن كبير في داخله وعلى مقربة من النهر زقورة بابل (برجها) المدرجة والتي يبلغ ارتفاعها ٩١م تقريبا •كما تبلغ مساحة قاعدتها (٩١×٩١) م٢ تقريبا •

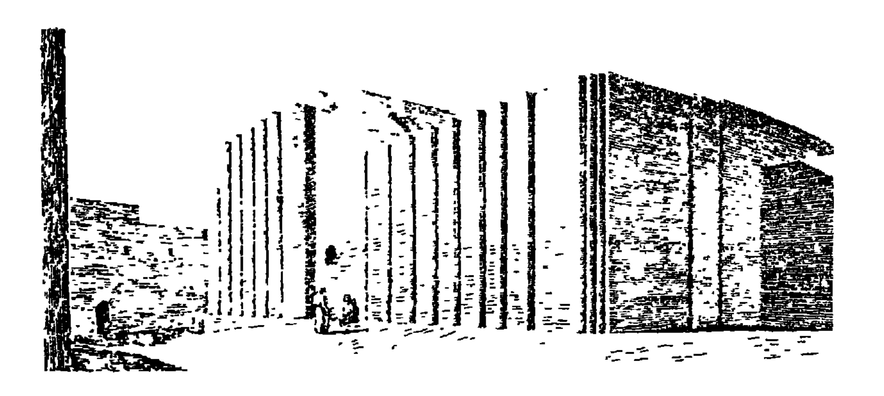
ولقد وصفت الرقم المدونة بالبابلية الزقورة وطبقاتها وابعادها وقياساتها، كما وصفها هيرودوت ويفترض انها بسبع طبقات تعلوها غرفة الاله .

اما ارتقاء الزقورة فلقد كان يتم بواسطة ثلاث سلالم متعامدة اثنان منها لصق الضلع الجنوبية للزقورة والثالث عمودي عليها .

ولقد شيد نبوخذنصر الزقورة من اللبن واحاطها بجدار من الآجر بثخن ٥٠ م اما الصحن المحيط بالزقورة فكان الدخول اليه من ضلعه الجنوبية بواسطة اربع مداخل وهي تشبه بمخططاتها الساحة الامامية المسورة امام بوابة عشتار ، الا انها هذه المرة ليست منفردة وانما تحصر بين بوابة واخرى بناء وسطياً له فناء داخلي تحيطه عدة غرف ويحيط بالزقورة سور يعزله عن مدينة الصحن كما يعزله النهر وقناة شمالية في ضلعيه الغربية والشمالية بينما يعزله شارع الموكب شرقا وجنوبا عن البيوت السكنية وعن معبد مردوخ.



بابل ــ المركز



بابل ــ نموذج لمنظور بيت بابلي والزقاق

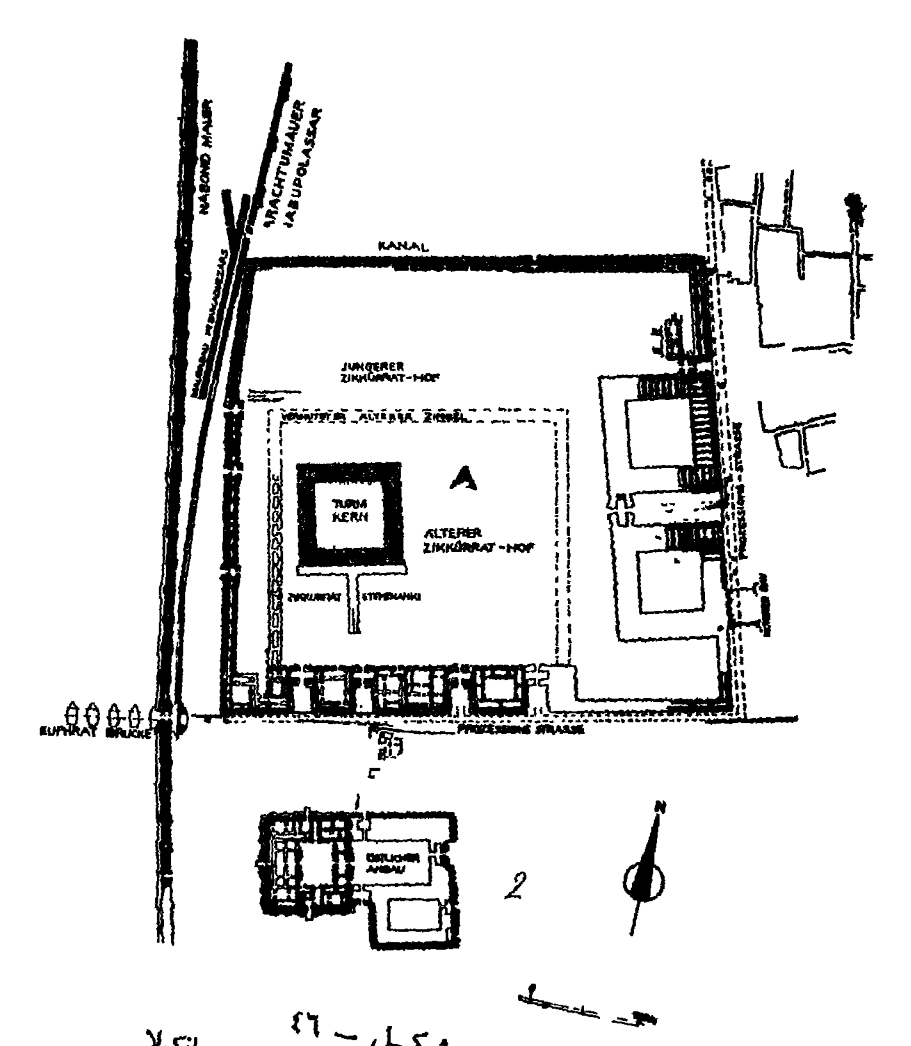
اما معبد مردوخ المسمى (أي ــ سانكيلا) فيتكون من ثلاثة اجــزاء منها ساحة • وتتصل فيما بينها عبر بوابات داخلية (شكل ــ ٤٦)•

ولقد تم تنقيب الساحة الجنوبية فيها فعثر على مداخلها الخارجية الثلاثة والمدخل الشرقي المابين والذي يربطها بالساحات الاخرى •

وتنحصر الساحة بين مجاميع من الغرف تحيط بها الا ان الدخول الــى الساحة لا يتم الا عبر عدة محاور منكسرة تمر بغرفة او غرفتين قبل الولوج الى الساحة المقابلة لضلع الجدار •

وبما ان الابواب الخارجية او الداخلية التي تطل على الفناء قد صممت موقعيا في وسط الضلع لذا كان لابد من ان يكــون هناك هــذا التضــاد في المحورين وتقع صومعة الاله مردوخ قبالة الباب الشرقي الداخلي الــذي يربطها بالساحة الشرقية (غير المنقبة بعد) •

الصومعة مزدوجة •• تتكون من غرفة (مابين) تليها غرفة قدس الاقداس وتنفتح عليها غرف صغيرة من الجانبين كانت لخزن اثاث الاله مردوخ اماجدران



شكـل ـــ ٤٦

معبد الاي ـــ تمن ـــ انكي واي ساتكيلا

الساحة فازدانت بالطلعات والدخلات المعقدة التركيب مما يشابه زينة الجدران الخارجية تماما .

ومن معابد هذه الفترة المشابهة لمعبدمردوخ هو معبد نابو في بورسباقرب بابل . وتبلغ مساحة هذا المعبد المتوقعة حوالي (١٠٠×١٠٠)م٢ ويتكون من ساحة مستطيلة امامية تقود الى صومعة الاله نابو التي تسبقهـا غرفتان

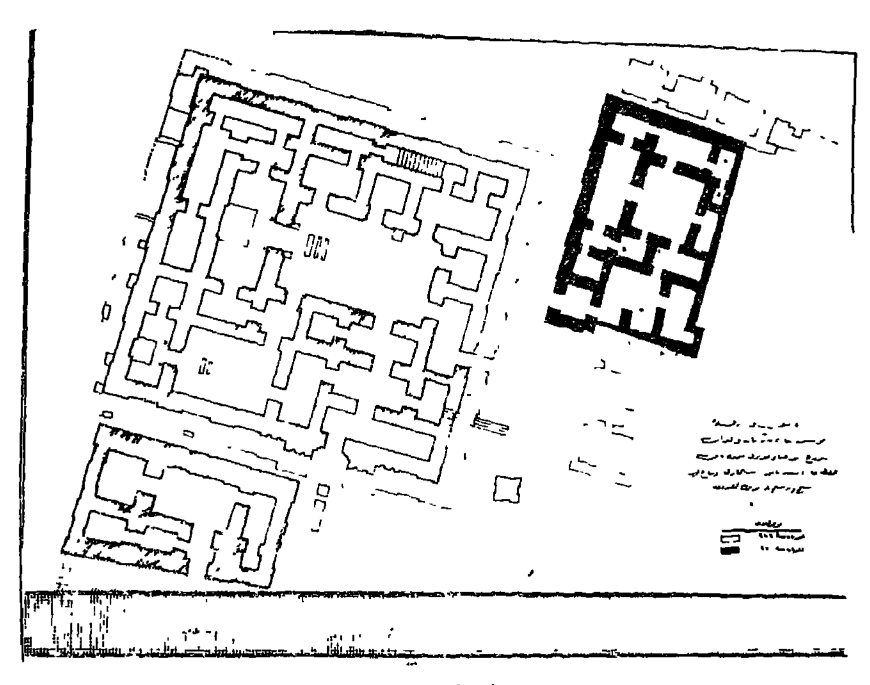
للمابين وبذلك يكون جناح قدس الاقداس مكونا من ثلاث غرف متوازية وليس من غرفتين كما هي العادة سابقا وهناك ساحتان تقود كل منهما الى عدة غرف تحيط بها ولربما كان بعضها مهيئا لالهة ثانوية تعبد مع نابو في نفس المعبد • خاصة الغرف في جنوب ــ غرب الفناء الجنوبي الملاصق للبناء الرئيسي •

ويقع المعبد لصق الزقورة في بورسبا والتي تخمن مساحة قاعدتها (٦٠×٨٠) م٢ ومازالت كتلتها قائمة • وقد ذابت الاجزاء العليا من الآجر فيها وتصخرت نتيجة لحريق اصاب الزقورة •

ومن المعابد الرئيسية في بابل معابد ننماخ وعشتار ونينورتا وغولا وهي جميعها تتشابه في المبدأ العام لتخطيطها حيث يقود الباب ذو الابراج الى بناء وسطي ومنه الى باب تكتنفه الابراج ايضا والتي تقع خلفها غرفة المابين • ثم غرفة الاله الرئيسية • وتتصل غرف صغيرة جانبية بالغرفتين الرئيسيتين في الصومعة وتستخدم هذه الغرف الصغيرة للخزن وربما لخلوة الكهنة (شكل٤٥)• ولكل هذه المعابد مدخل جانبي اخر له اتصال بالفناء عبر مجاز • ولكن له اتصال بممر يسير خلف غرفة الاله (قدس الاقداس) عن بقية المبنى ويكون الوصول الى هذا الممر مباشرة او عبر سلسلة من الغرف •

ومن المكتشفات الحديثة معبد نبو ــ شخارى في بابل ويقع شمال شرقي الاي ــ تمن ــ انكى لصق الجانب الغربي لشارع الموكب (شكل ــ٤٧)•

والمعبد بطبقاته البنائية الثلاث يقف عاليا بجدرانه الى ارتفاع (٥م) تقريبا ويتكون من غرفة مدخل مزدوجة تقود الى ساحة مستطيلة بسيطة تطل عليها عدة غرف وفي ضلعها الجنوبية مدخل للصومعة • وهناك ساحة صغيرة جانبية تقود الى صومعة اصغر في الزاوية الغربية من الضلع الجنوبية وترتبط هاتان



شكـل ـ ٤٧
مخطط معبد نبو شخاري في بابل مع المعبد الصغير امامه
ومخطط بيت سكن ملاصق له من العصر الكلـدي

الساحتان عبر غرفة مابينهما ، كما ان كلا من الساحتين تتصل بمدخل المعبد الرئيسي عبر غرفتي المجاز الاماميتين ،

ولقد عثر امام مدخل الصومعة الرئيسية على دكة عالية مغلفة بالقار تسبقها وتوازيها دكتان بنفس الطول ولكنهما اقل ارتفاعا وتشكل الدكاك الثلاث مصاطب لجلوس المتعبدين او قواعد لوضع القرابين والهدايا فوقها ،

اما الصومعة الصغيرة فتوجد امامها في الساحة دكتان على نفس المنوال احداهما اعلى من الاخرى ،

ومن الملاحظات المهمة عن هذا المعبد انه لم نعثر على اية ابراج تزيـن مدخلي الصومعتين فيه كما هو الحال في بقية معابد بابل ،

وكانت جدران المعبد مكسوة بالجص وعليها زخارف شريطية باللـون الاسود (من الزفت المخفف) تدخل بينها مساحات شريطية بيضاء .

ويبدو ان هذا المعبد هو من المعابد التي شيدت في فترة الحكم الاشوري في بابل واستمرت حتى نهاية العصر البابلي الحديث .

ولقد عثر في تل حداد في حوض حمرين على معبد اشوري امتازت جدرانه بنفس الزينة الشريطية كما انه كانت هناك دكاك طولية مشابهة امام الصوامع الثانوية المطلة على الساحة الرئيسية مما يشير الى تقاليد اشورية في هذا المعبد في بابل . وساحات المعبد مسيعة بالقار بعكس كل معابد بابل الاخرى المكسوة بالآجر المربع (الفرشي) كما انه لم نعثر في هذا المعبد على بئر الماء الذي يفترض وجوده في ساحات المعابد . الاانا عثرنا فيه على اكثر من ٣٠٠٠ رقيم طيني مكتوب بالخط المسماري البابلي تشير الى ان هذا المعبد كان معبدا مدرسيا استخدم لتدريب ابناء الخاصة والكهنة الصغار على الكتابة والعلوم الاخرى.

كما اعيد بناء معبد نينغال في داخل صحن زقورة اور بالاضافة الـى صحن الزقورة والصحن السابق له (فناء ــ ننار)

واحيطت كل منطقة المعابد في مركز المدينة بسور به ست بوابات بعضها يذكرنا ببوابات الاي تمن انكى الجنوبية في بابل . كما تم انشاء قنوات جديدة لتصريف مياه المعابد الى خارج المنطقة المقدسة في عهد الملك نبوخذنصر الذي سبقـه بفترة .

المراجـــع

١ ـ انطون مورتغات ، الفن في العراق القديم ، ترجمة د . عيسى سلمان وسليم طــه التكريتي بغداد . ١٩٧٥ .

٢ ـ اندريه بارو ، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة د . عيسى سلمان وسليم طه التكريتي بغداد . ١٩٧٧

٣ ـ اندريه بارو ، بلاد اشور ، ترجمة د . عيسى سلمان وسليم طه التكريتي بغـــداد . ١٩٨٠

٤ ـ د . مؤيد سعيد ، اين تقع الجنائن المعلقة ، سومر عدد ـ٣٧ـ١٩٨١ ص ٥٦ .

٥ ـ د . مؤيد سعيد ، المكان كمصطلح تاريخ فني في فنون العراق القديمة ، مجلة آفاق عربية العدد الاول ـ السنة الاولى ١٩٧٥ ص ٧٧ .

٦ ـ بارثل هرودا ، بعض الملاحظات حول طبوغرافية اشور ، سومر ، الجزء ١ـ٢ المجلد ٣٥ـ١٩٧٩ ص ٢٧٩

٧ ـ جون ساندرن ، تعقيدات ومتناقضات في عمارة مابين النهرين في الالف الاول ق . م سومر ٣٥ ، ١٩٧٩ ص ٣٥٠ .

Hrouda, Handbuch der Archeologie Vorderasien I Munchen 1971.

Fuad Safar, Seton Lloyd and M. Ali Mustfa, Eridu, Baghdad - 1981.

W. Orthmann, Der Alte Orient Propyläen Kunstqeschichte Ed. 14 S. 131-158; 241-288.

F. Thureau-Dangin Et Maurice Dunad, Til Barsib Paris.

P. Amiet, L'ART et les Grandes Civilisations Paris 1977.

E. Strommenger, Fünf Jahrtausende Mesopotamien München, 1962.

المبحث الثالث
العمارة في العصر السلوقي والفرثي

د . واثق اسماعيل الصالحي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

بعد انتهاء المرحلة المعمارية الاشورية والكلدية في العراق تتمخض مرحلة جديدة ذات مفاهيم محددة املتها الظروف الجديدة للاحوال السياسية والاجتماعية • فلقد تمكن الاخمينيون غفلة من اسقاط الحكم السياسي في العراق • ثم سقطت الدولة الاخمينية نتيجة الهزائم الحربية في المعارك الطاحنة التي دارت بين دارا الثالث (٣٣٦ ـ ٣٣٠ ق • م) والاسكندر المقدوني والتي تمخضت عن تأسيس الحكم الهلنستي الاغريقي حيث كان منعطفا مهما في تأريخ منطقة غرب آسيا • فمجيء الاسكندر وجنوده المقدونيين الاغريق الى آسيا ادى الى حدوث تغيرات مهمة وجذرية في مجتمعات الشرق القديم • فقد كان حلم الاسكندر ، منذ ان كان فتى صغيرا ، توحيد ودمج الحضارة الاغريقية مع الحضارات الشرقية وقد اتخذ اجراءات مهمة في سبيل الوصول الى تحقيق تلك الفكرة حيث أشارت بعض المصادر التأريخية الى أن الادارة الحكومية الجديدة قد شملت عاملين أو موظفين من ابناء الاقاليم والاغريق على حد سواء اضافة الى استقدام جنود

مقدونيين واغريق من بلادهم لغرض استيطانهم في مستعمرات انشئت حديثا لتكون مراكز اشعاع حضارية اغريقية للمناطق المجاورة لها وتذكر المصادر ايضا أن الاسكندر المقدوني قد شجع التزاوج بين الاغريق والسكـــان المحليين • ويشير بعض الكتاب الاغريق الذين رافقوا الاسكندر في حملته الى الشرق الى أن سكان بابل قد رحبوا بـه حيث كـــان ينوي جعل بابل عاصمته الشرقية فقد بقي فيها شهرا قبل أن يتوجـــه في عام ٣٢٤ ق • م في حملته الى برسي بوليس ثم الى باكتريا (افغانستان) والهند ولكنه في ربيع عام ٣٢٣ ق • م عاد الى بابل وتوفي فيها في ١٣ حزيران من عام ٣٢٣ ق • م عن عمر يقدر باثنتين وثلاثين سنة •

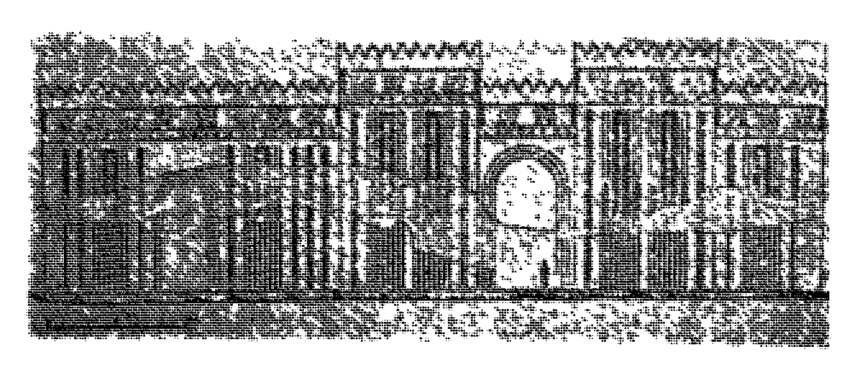
وورث سلوقس الاول ، احـــد قواد الاسكندر ، بعـد قتال عنيف المناطق الشرقية من الاراضي التي غزاها الاسكندر ومعها ايضا حلمـــه وفكرته في دمج الشرق والغرب • وتذكر المصادر أن سلوقس الاول ، بعد ان سيطر على المقاطعات الاسيوية ، عاد الى بابل وأعلن نفسه ملكا في خريف عام ٣١٢ق •م ولكنه قرر انشاء عاصمة جديدة له وهي سلوقية ، على دجلـة والتي تقع على بعد حوالي ٩٠ كم الى الشمال من بابل ، من المحتمل على موقع يعتقد بأنه كان موقع ميناء أوبس (Opis) في الفترة البابلية الحديثة ، وخلال الاحتلال الاخميني ، لان بابل قد عانت من التهديم والاذى على يد احشويرش سابقا ثم على يد قادة الاسكندر الذين قاتلوا بعضهم في سبيل السيطرة على اجزاء من امبراطوريته ولعل اختيار سلوقس للموقع الجديد كان لاعتبارات اقتصادية حيث أن نهر دجلة شكل منفذا مهما الى الخليج العربي ثم الى الهند أحسن من نهر الفرات • وتذكر بعض المصادر أن أنشاء سلوقيه قد بدأ في عام ٣٠٧ ق • م ، ثم اصبحت العاصمة السلوقية الرسمية في زمن انطيوخوس الاول (٢٨١ – ٢٦١ ق • م) في حدود عـام ٢٧٥ ق • م حيث أصدر أوامره الى السكان للانتقال اليها وفي نفس الوقت صدرت التعليمات

باعادة بناء الايزاكلا لتكون معبدا ومركزا دينيا للبابليين والدافع لهذا العمل غير واضح لحد الان ، فمن المحتمل أنه كان يمثل نوعا من التعويض لقاء التهديم الذي حدث فيه وربما لانه امتلك شعورا حقيقيا بقدسية القيمة التأريخية لبابل أو لعله اعتقد بأن حاكم بابل لايسكن أن يتجاهل مردوخ وفي نفس الوقت اصدر الاوامر ايضا لاعادة بناء « الايزدا » أو معبد نابو الاله البابلي الرئيس الاخر في بورسبا • وتشير الدلائل الاثارية الى الاهتمام مرة اخرى بالكتابات المسمارية حيث احتوت مكتبة الايزاكلا على سجلات تاريخية مهمة •

انصب اهتمام السلوقيين بالدرجة الاولى على سورية والعراق حيث شيدوا عواصمهم واهتموا كذلك بالطريق المار عبر هذه الاراضي من العراق وحتى باكتريا (افغانستان) وحافظ السلوقيون على ممتلكاتهم بواسطة اقامة المستعمرات والمدن لسكنى الجنود في مناطق استراتيجية مهمة واختلفت هذه المستعمرات في مساحاتها ومراكزها ولكن مهمتها الرئيسية كانت المحافظة على السلطة وحماية الدولة السلوقية ولكنها في نفس الوقت كانت مراكز للحضارة الاغريقية مارست تأثيرا اغريقيا هلنستيا على المناطق والمراكز الحضارية المتاخمة لها • وانتهت الهيمنة السياسية للسلوقيين على العراق في عام ١٣٩ ق•م عندما سيطر الفرثيون على عاصمتهم سلوقية ـ على دجلة وورث الفرثيون عن السلوقيين حلم الاسكندر في توحيد الشرق والغرب وكان هؤلاء قبائل بدوية نزحت من السهوب الروسية وسكنت اقليم بارثاوا (بارثيا) جنوب شرق بحر الخزر واستطاعت أن تتوحد وتمتزج مع السكان المحليين تحت قيادة زعيم يدعى « أرشاق » حيث ورد أسمه منقوشا على فخار وجد في نيسا وقد توج ملكا على قبيلة البارني في حدود عام ٢٤٨ ـ ٢٤٧ ق • م • اعتنق الملوك الفرثيون المعتقدات الاغريقية بحماسة بالغة وبخاصة في النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية حتى انهم اطلقوا على

أنفسهم « محبي الهلينية » • يتوقع الباحث في العمارة السلوقية في هــذه المنطقة وجود أسلوب وتصميم رسمي واحد برز نتيجة سيادة نوع واحـد من الطقوس الدينية التي فرضتها السلطة السلوقية في حين تشـير الدلائل الاثارية الى أن التقاليد المعمارية السلوقية قد تحورت أو تعدلت لاسـباب ودوافع عديدة منها مايتعلق بظروف المناخ المحلية ومنها مايعتمد على توفر مواد البناء بالاضافة الى تعدد الاساليب لتلائم الظروف والعادات المحلية • فعندما احتل الاغريق المستعمرون بلاد بابل وجدوا عمارة ســائدة تقوم أساسا على الطابوق ولها تقاليد واساليب معينة استطاعت أن تستمر وبقوة لالاف السنين مما دعا البنائين البابليين في هذا العصر الى تشييد ابنية دينيـة حسب طرازهم القديم المشتق من التقاليد المعمارية المحلية ، وأحسن مثال على ذلك معبد آنو ــ أنتم في الوركاء ، وهي المدينة العراقية العريقة التي استمرت السكنى فيها ، كما في مدن العراق القديم ، خلال السيطرة السلوقية • وشيد هذا المعبد، الذي خصص لآلهة عراقية قديمة فوق انقاض بنايات قديمة، الى الشمال الشرقي من معبد آنو القديم وقد شيد السلوقيون مسطبة كبيرة • ويتألف هذا المعبد الضخم من عدة ساحات مكشوفة واسـعة تحيط بهـا الحجرات من جوانبها المتعددة واحتوى على مصليات متعددة ، وتذكره كتابـة مهمة عثر عليها عام ٢٤٣ ق • م وقد عرفت هذه البناية بأســم بيت ريش (شكل ــ ١) • وشيد السلوقيون بناية اخرى بالآجر بعضه مــزجج باللون الازرق تقع الى الجنوب من المعبد السابق وتحتوي ايضـا على قاعات كبيرة وساحات واسعة • هذه البناية خصصت لعبادة الالهة عشتار حيث تقـع خلوتها في قسمها الغربي وعثر المنقبون الالمان فيها على كتابة آرامية تشير الى تشيدها في عام ٢٠١ ق • م •

لعبت مواد البناء وتوفرها دورا أساسيا ومهما في بلورة الاســاليب المعمارية التي سادت في العصر السلوقي • فالاحجار الطبيعية كانت مـادة

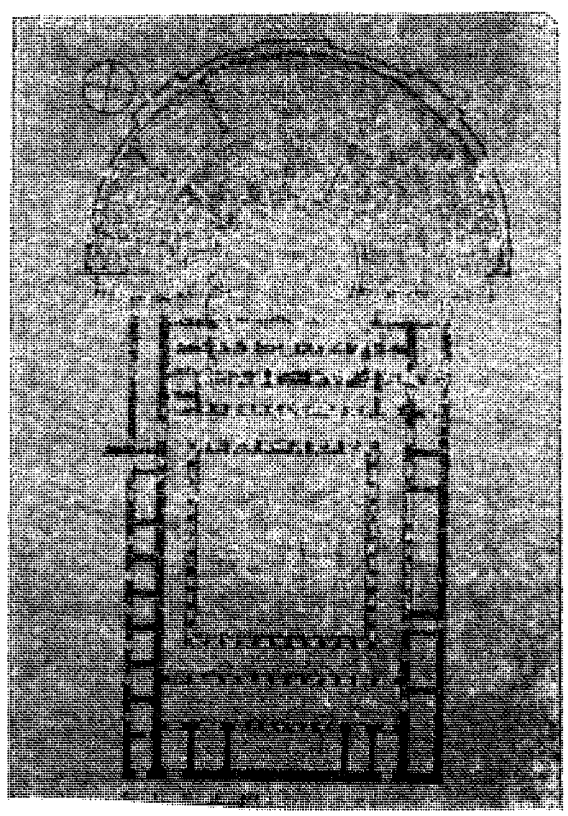


شكل ـ ١
الواجهة الجنوبية الغربية لمعبد آنو ـ انتم في الوركاء

البناء الرئيسية التي استعملها البناء الاغريقي في بلاده ولكنها أصبحت الآن مادة يصعب الحصول عليها لندرتها محليا أولا ولصعوبة نقلها بالطرق البرية فلذلك اعتمد على مواد البناء المتوفرة محليا ففضل بالتدريج استعمالها لمعرفته بخصائصها ومميزاتها وطريقة البناء • فبدلا من الحجارة شيدت الابنية من الطابوق أو اللبن بينما عملت بعض العناصر المعمارية والزخارف من الجص الذي يتميز بقابلية تشكيلية عالية ، فلذلك جاءت الاشكال الزخرفية الاغريقية محورة أو معدلة بشكل كبير وتدريجيا بدأت بالانحطاط والسبب قد يعزى الى أن العمال الفنيين الذين عملوها أو أشرفوا على تنفيذها لم يتعاملوا معها كما يتعامل العامل الاغريقي فالزخارف الجصية وبعض العناصر المعمارية في المسرح الاغريقي في بابل مثلا توضح وبشكل جيد أنواع التعديلات والتحويرات التي تسللت أو أثرت على الزخارف الاغريقية •

كانت الحضارة الاغريقية في الاساس تقوم على حضارة المدينة (Urban) فلذلك خطط الاغريق مدنهم في هذه الفترة حسب تخطيط منظم (Hippo domian) ويمكن تمييز هذا المخطط بسهولة في المدن القديمة وبخاصة من خلال التصاوير الجوية • فسلوقية على دجلة

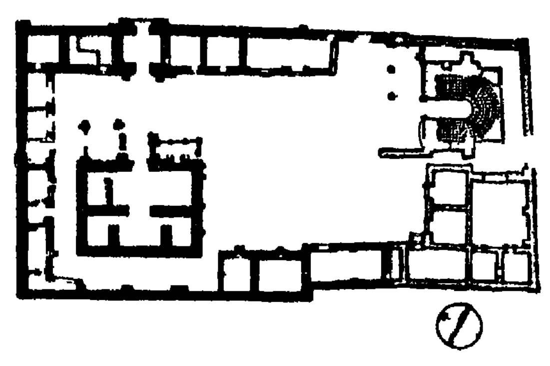
التي انشأها الاغريق كانت منتظمة في مخططها وتتضمن شوارع مستقيمة تتقاطع بزوايا قائمة • وقد اصبحت سلوقية في هذه الفترة من أوسع وأغنى مدن العراق القديم ويقدر عدد سكانها حينئذ بحوالي ستين الف نسمة واصبحت سلوقية كبقية المدن الاغريقية في الشرق القديم ، مقرا لجالية اجنبية فلذلك احيطت بأسوار قوية بالاضافة الى تحصينات عسكرية اخرى تتمثل بأبراج مربعة الشكل ، لا تزال اطلالها واضحة وتشكل تلالا عالية • وحافظ السكان الاغريق على تقاليدهم الاغريقية الخاصة ، على الرغم من بعدهم عن بلدهم الاصلي ، في طريقة معيشتهم فقد احتوت كل مدينة شيدوها على السوق أو مركز المدينة (Agora) ذات الاهمية التجارية والسياسة والدينية • واحتوت دورا يوربس (الصالحية الآن) المستعمرة السلوقية التي تقع في منتصف الطريق بين سلوقية على دجلة وأنطاكية على نهر بردى ، على (Agora) شيدت من اللبن على أسس من الحجر وبلطت سقوفها بالآجر ، وضمت أيضا ملعبا ومسرحا ويعتبر الاخير احدى صفات العمارة والشخصية الاغريقية ، فقد عثر المنقبون في احدى مربعات المدينة على بناية تحتوي على دعامات من الآجر والشواهد الاثرية تدل على اضافة ساحة تحيط بها اعمدة الى المسرح وهذا ما حصل ايضا في بابل حيث اكتشفت بناية تضم الملعب والمسرح في آن واحد ، فعلى الرغم من انها شيدت بالطابوق الا أن مخططها بقي اغريقيا • فبناية المسرح تألفت من مقاعد رتبت بصفوف بشكل شبه دائري لمواجهة خشبة المسرح التي زينت واجهتها بزخارف بالنحت البارز من الجص ووضعت قواعد من الطابوق لتماثيل وضعت قرب حافة الاوركسترا وخلف خشبة المسرح يقع الملعب وهو عبارة عن فناء مكشوف محاط بصف من الاعمدة وبدون شك ، كان لهذا البناء أهمية اجتماعية ضرورية للجالية الاغريقية في بابل حيث شجع الاغريق اقامة الالعاب الرياضية • ومن المحتمل أن المسرح في بابل قد شيد أيام الاسكندر ولكن



شكل ـ ٢
المسرح في بابل

اعيد بناؤه من زمن السلوقيين وقد هجر لفترة زمنية ثم اعيد بناؤه مرة اخرى على خطة نصف دائرية وساحة ذات أعمدة (شكل ـ ٢) ٠

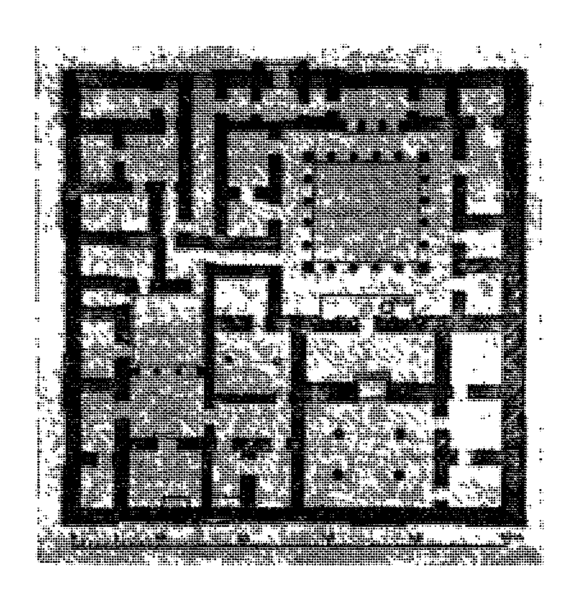
وتشير الدلائل الاثارية الى اضافة مسارح الى بعض المعابد الخاصة في سلوقية على دجلة ودورا يوروبس لتمكّن اكبر عدد من المشاهدين من مراقبة الستائر والمراسيم الدينية وفي دورا احتوى معبد أترعتا (اتركاتس) على مسرحين صغيرين (شكل رقم ـ ٣) ولعل هذه الميزة الغريبة تشير الى تقليد معماري محلي ٠ واقيمت بعض المعابد في هذا العصر حسب المخطط البابلي الذي يشتمل على غرفة واحدة مستعرضة يدخل اليها من أحد الجوانب



شـــكل ـــ ٣
معبد اترعتا في دورا يوروپس

الطويلـة وعلى جانبيها غرف اضـافية وخلوة تقع في الجدار الخلفي المقابل للمدخل ، ويفتح المعبد على ساحة وسطية قد تضم معابد او مزارات اخرى. وابرز مثال على معابد حسب التخطيط البابلي هو معبد آنو ـ أنتم في الوركاء الذي يؤرخ بحدود عام ١٧٠ق ٠ م • ودخل هذا التخطيط في معبد في سلوقية ـ على دجلة يؤرخ في حدود عام ١٤٠ق ٠ م • وكشف المنقبون في سلوقية على معابد مكشوفة تحيط بها ممرات من جوانبها الأربعة ومن المحتمل جدا أن مثل هذه البنايات قد احيطت جميعها بأعمدة • وعثرت بعثة التنقيب في سلوقية على شارع ذي اعمدة (Porticoed street) وعلى بناية لحفظ سجلات معبد أبولو احتوت على وحدتين بنائيتين تتألف كل منهما من سبع غرف احتوت على أعمدة وسطية وأبواب على الاضلاع القصيرة • ومن المعابد التي اقيمت حسب الطراز الهلنستي معبدا شحيرو ومرن (الهلنستي) في مدينة الحضر اللذان سنأتي على ذكرهما لاحقـا •

وخلال التنقيبات الاثارية في مواقع متعددة ، اكتشفت أبنيه واسعة ، بعضها معقد في تخطيطه وعناصره المعمارية ، قد تدل على انها كانت قصورا لسكنى الحكام المحليين ، فمثلا القصر الذي اكتشف في نفر ويعود بتأريخه الى الفترتين الهلنستية والفرثية (شـكلـ٤) ويتوضح لنا من خلال دراسـه



شكل ـ ٤
القصر في نفر

مخطط القصر أنه احتوى على بعض المميزات المعمارية الهلنستية ولكن مواد البناء كانت محلية فقد استعمل اللبن في تشيد الجدران ثم غطيت بطبقة من الملاط . واحتوى القصر على ساحة وسطية مكشوفة محاطة باعمدة دورية (Doric) وساحة اخرى مكشوفة ايضا وحولهما قاعات وغرف القصر ، بعضها احتوى على اعمدة حرة لتحمل السقف ، ومفتوحة نحو الساحات المكشوفة ، اما القصر الكبير في سلوقية فقد احتوى على عدة وحدات بنائية متشابهة تألفت الواحدة منها من غرف تحيط بساحة مكشوفة وقاعات (Megaron) مفتوحة من الجانب الجنوبي يوصل اليها من خلال سقيفة تحتوى على عمودين في مدخلها ومخططات القصرين في نفر وسلوقية تعكس اندماج أو توحيد فكرتين معماريتين ، بابلية وهلنستية ، فالقاعة (Megaron)

اغريقية والساحة المكشوفة بابلية • ولقد طرأت على القصر في سلوقية تغيرات مهمة جدا في الفترة الفرثية سنشير اليها بعدئذ •

أما بيوت السكنى فقد كانت تتركز حول فناء مكشوف أو في بعض الاحيان حول فنائين مستطيلين مكشوفين وقد استمرت السكنى خلال هذا العصر في بيوت شيدت حسب التخطيط البابلي القديم في مدن العراق القديمة وهذا التخطيط يتضمن ساحة أو فناء وسطيا مكشوفا تحيط به غرف غير منتظمة على الجانب الجنوبي وقد يتألف البيت من طابقين وقد يكون الطابق العلوي جزئيا ، كما في بابل والوركاء ، وقد يتضمن البيت قاعة ذات أعمدة كالبيت الذي اكتشف في بابل ويعود بتأريخه الى هذا العصر • أما البيوت التي بنيت في المدن التي شيدت في هذا العصر الهلنستي فقد كان تخطيطها بشكل منتظم ويتم ذلك بتقسيم الاراضي السكنية الى وحدات مربعة تفصلها شوارع ، ففي سلوقية مثلا قسمت الوحدة البنائية لتضم ثمانية بيوت وفي دورا يوروبس قسمت لتحتوي على بيتين • ومخطط البيت في سلوقية اشتمل ، في بعض الاحيان على طارمة أو سقيفة ذات عمودين في الامام تطل ، على الساحة واستمر تصميم البيوت في هذه المنطقة بهذا الاسلوب حتى القرن الاول الميلادي ثم طرأ عليه تغير جوهري نشير اليه في وقت لاحق • واشتملت بعض هذه البيوت على حمامات ضمت غرفة أو أكثر واحتوت على مجار فخارية خاصة بها لتصريف المياه ولها أرضية قد تكون من القار كما في القصر في نفر أو أرضية مبنية من الطابوق مغطاة بطبقة من الملاط •

واحتوت بعض بيوت السكنى على قبور في داخلها وتعتبر هذه استمرارية للتقاليد البابلية القديمة ولكن التنوع الحضاري في هذا العصر جعل عمارة القبور تختلف وتتنوع حسب تقاليد سكان المنطقة الجغرافية وتعتمد أيضا على كمية الاموال اللازمة ففي الحضر وآشور مثلا شيدت المقابر الضخمة

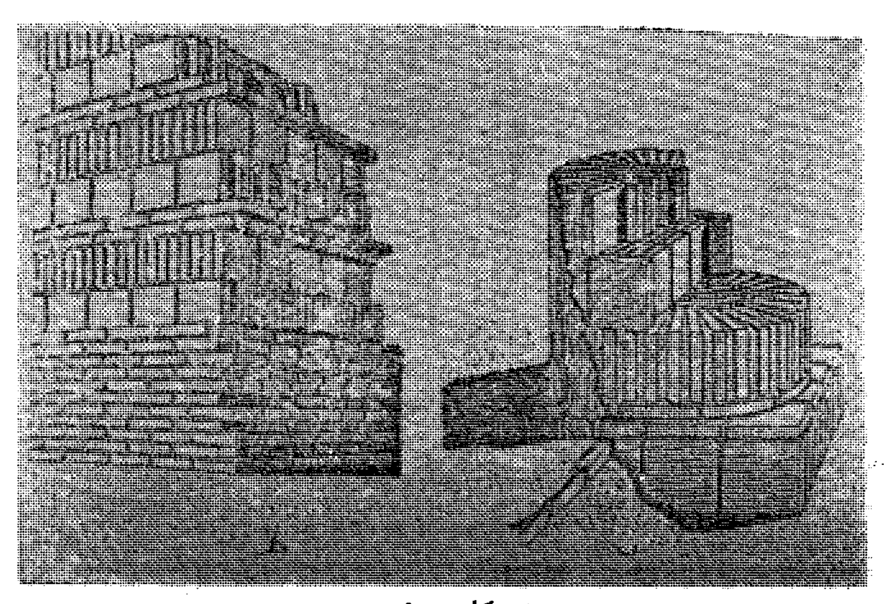
داخل الاسوار وفي بلاد بابل استمرت العادات القديمة في الدفن الذي كان يتم على شكل حفرة مستطيلة تبنى جدرانها من الطابوق ثم تغطى بواسطة أغطية على شكل التابوت الاغريقي ، وقد تكون هذه القبور نصف غائرة في الارض يوصل اليها من خلال سلالم الى الاسفل وتتألف من ممر وسطي على جانبيه غرف متعددة لوضع التوابيت ، كما في مقابر سلوقية ، واكتشف في بابل قبر من هذا النوع خلال تنقيبات المؤسسة العامة للاثار في المنطقة المسماة بالتل الشرقي وزخرفت واجهة القبر الداخلية بانصاف أعمدة ملتصقة مبنية بالآجر ومغطاة بطبقة من الملاط وعملت بعض الزخارف والتحزيزات بالجص وطليت باللون الابيض واحتوى كل جانب منه على ثلاث غرف جانبية . وعثر المنقبون على لقى جنائزية في داخل هذا القبر اشتملت على حلي ومواد مصنوعة من الذهب ترجع بتأريخها الى بداية القرن الثاني ق . م . وأجريت بعض أعمال البناء التي اشتملت على اعادة بناء بعض الجدران واضافة غرف الى ما يسمى بالقصر الصيفي في بابل في هذا العصر . واستمر نوع من السكنى في بعض العواصم الاشورية ، ففي نينوى عثر على اثار معمارية وفنية تعود بتأريخها الى هذه الفترة الزمنية . وتأسست في كالح (النمرود) قرية صغيرة في الزاوية الجنوبية الشرقية من القلعة خلال الفترة الهلنستية تؤرخ في حدود منتصف القرن الثالث ق . م وقد استمرت السكنى فيها زمنا طويلا حيث استطاع المنقبون تمييز ست طبقات بنائية تعود بتأريخها لمختلف الادوار الزمنية مستندين بذلك على الدلائل التاريخية التي تقدمها النقود المكتشفة في تلك الطبقات حيث تأكد للمنقبين بأن السكنى قد بدأت في حدود عام ٢٥٠ - ٢٤٠ ق . م وانتهت في حوالي ١٤٠ ق . م وتألفت هذه القرية من بيوت سكن صغيرة يتميز تخطيطها بعدم الانتظام ، حيث تألف البيت من عدد من غرف السكنى تحيط بساحة وسطية صغيرة

مكشوفة احتوت على افران فخارية (تنانير) لخبز الرغيف واحتوت ايضا على مجار مغطاة بقطع الآجر ، من المحتمل انها استخدمت لجميع مياه الامطـار .

ان الادلة المعمارية والاثارية لهذه الفترة لا تكفي لرسم صورة واضحة عن كافة الجوانب المختلفة للعناصر المعمارية التي تأثرت بالعديد من التقاليد والاساليب الفنية والتي في بعض الاحيان ، اعطت الطابع المتميز للعمارة العراقية خلال هذه الفترة ، فالتقاليد العراقية القديمة ، البابلية والاشورية ، كانت التراث الاصيل الذي اغنى المعمار وكانت مصدرا مهما لجميع الجوانب الحضارية . هذه التقاليد ، كما سبق ذكره ، امتزجت وبصورة تدريجية ، مع عناصر العمارة الاغريقية لتنتج عمارة ذات صفات متميزة . ومع ذلك فهناك عوامل متعددة يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند تشييد بناية كالحاجة الاجتماعية ، وتوفر الاموال اللازمة ، ونوعية مواد البناء وتوفرها ، والتقنية والمهارة في البناء ، اضافة ماذكر اعلاه من امتزاج التقاليد المعمارية المختلفة . فمدينة سلوقية على سبيل المثال ، احتوت على زقورة ، وهي الصفة البارزة في عمارة العراق القديم حيث كانت جزءا مهما من المدينة ، واشتملـت ايضا على معابد بنيت حسب التخطيط البابلي القديم واحتوت على المسرح والملعب وعلى الاكورا وهما من العناصر المهمة للمدينة الاغريقية اضافة الى أن تخطيط شوارعها كان حسب التخطيط الهيبوديمي المنظم .

هذه العوامل وغيرها بالاضافة الى تعدد التأثيرات الفنية وتشعبها وفي بعض الاحيان تناقصها لعبت دورا مهما وبارزا في تحديد ملامح وصفات العمارة العراقية في العصر الفرثي . فالمشكلة التي واجهت البنائين في هذا العصر تكمن في محاولتهم فهم مباديء وطرق العمارة الاغريقية ثم الرومانية من بعدها وكذلك كيفية تعاملهم مع مواد البناء المختلفة بعض الشيء عن تلك التي تعامل بها بناؤو العمارة العراقية القديمة .

فمن مواد البناء التي تعامل بها البنّاء في هذا العصر اللبن وهو المادة الشائعة الاستعمال في غرب وأواسط اسيا وكذلك في شمال غرب الهند وفي بعض الاحيان استعملوا مادة رابطة معه • وتراوحت قياسات اللبن في هذه الفترة بين ٣٠ -٤٢سم طولا وبين ١٠ - ١٣سم ثخنا واستعمل اللبن لتشييد الجدران على أسس من حجر أو تراب بأضافة قطع حجر صغيرة وغالبا ما كانت جدران اللبن تغطى بطبقة من الطين النقي واستعمل اللبن في تسقيف غرف واسعة بواسطة القبو كما في بعض الابنية في سلوقية والمعبد الثامن في الحضر ، واستعمل الجص كمادة رابطة ولتغطية جدران اللبن بطبقة لحمايته من عوامل الطبيعة ومنعه من التشقق • أما الخشب فقد كان نادرا في هذه المناطق ويستورد من مناطق بعيدة وقد ذكر سترابون (Strabo) أن سكان العراق قد شيدوا أقبية لتغطي سقوف غرفهم بدلا من استعمال دعامات خشبية • والآجر هو المادة الاخرى الشائعة الاستعمال ، فقد تعدد استعماله حيث استخدم لتقوية بعض اجزاء الجدران المشيدة باللبن • وفي بلاد بابل بلطت به الارضيات واستعمل في بناء دعامات القصر في نفر وفي اقامة الاعمدة في آشور ونفر بتنظيمه بطريقة عمودية (شكل - ٤ ب) وكذلك في البيوت في سلوقية ، أما تشييد البناية بكاملها من الطابوق ، فقد كان مقتصرا على الابنية الصغيرة ، كالمقابر او في بناء بعض التحصينات الدفاعية في الوركاء أو قصر الاواوين في آشور مثلا واستعمل الآجر في بناء الاقبية مع الجص السريع الجفاف في خلال القرن الاول للميلاد في العراق بشكل عام وفي اشور بشكل خاص • ووضع الآجر بصورة اعتيادية وبشكل افقي في تشييد الجدران ولكنه نظم بطريقة عمودية لبناء الاعمدة وقد تم جمع الترتيب الافقي والعمودي للآجر في تشييد بعض جدران قصر الاواوين في آشور (شكل ٤ جـ) • وهذه الطريقة تشابه الطريقة البابلية القديمة والموضحة في زقورة أاينا في



شـكل ــ ٤
ب ــ طريقة تشييد العمود من الآجر في نفر وآشور
حـ ــ طريقة اقامـة بعض جدران القصر في آشـور

الوركاء ويغطي الآجر بالجص ، وفي بعض الاحيان تضاف اليه بعض العناصر الزخرفية كما في احدى دور السكنى في سلوقية .

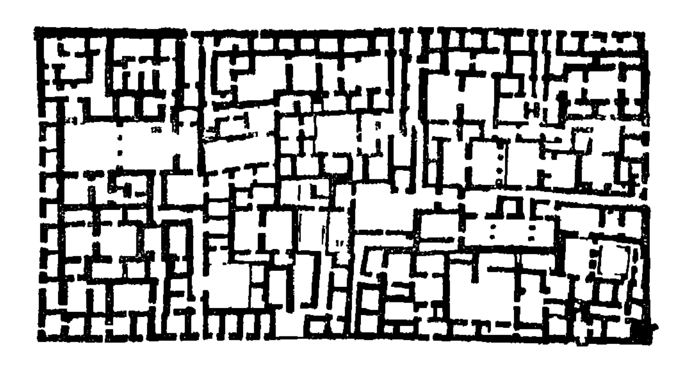
واستعمل الحجر بكافة احجامه وأنواعه في تشييد الابنية ، فالاحجـار المتوسطة والصغيرة الحجم استعملت في تشييد الاقبية مع استعمال الجص السريع الجفاف ، وفي بناء أسس جدران اللبن أو الآجر ، أما البناء بالاحجار المهندمة (Ashlar Masonary) فقد استعمل في مدينة الحضر حيث شـيدت الجدران والاقبية والاقواس من الاحجار المهندمة وكذلك في بناء دعامات وأسكفة المداخل . استعمل الحجر في بناء قواعد الاعمدة حتى ولو كان بدن العمود مصنوعا من مادة اخرى كما في سلوقية . اما انواع المواد الرابطة (المونة) المستعملة مع هذه المواد فكانت الطين والجص ، أما الملاط السريع

الجفاف فقد استعمل منذ بداية الفترة الهلنستية ، ولا يمكن الاستغناء عنه وساعد في اقامة ابنية عالية حتى لوكانت من لبن او طابوق واستعمل الملاط ايضا للزخرفة ولتغطية الجدران • فالتفاوت في توفير مواد البناء لعب دورا بارزا في تحديد نوعية وحجم البناء فمثلا استعمل اللبن والآجر في السهول الغربية من العراق واستعمل الحجر في المناطق الشمالية •

أن الشواهد الاثارية في العراق جاءت نتيجة تنقيبات وتحريات في مواقع من هذا العصر ، وبالرغم من تعدد هذه الشواهد ذات العلاقة بالتطور المعماري ، فأن رسم الصورة الكاملة والواضحة للتقاليد المعمارية للعراق التي تأثر بها البلاط الفرثي امر صعب لافتقارها الى الوثائق المدونة ، فلا نستطيع مثلا أن نعرف منها اذا كانت هناك مخططات نموذجية للقصور أو المباني الكبيرة للملوك التابعين أو النبلاء ، وهل اختلفت هذه المخططات من منطقة الى اخرى ؟ فبيوت السكن الاعتيادية تكونت من وحدة سكنية بنيت الغرف فيها حول ساحة وسطية مكشوفة حيث اتبع طراز البيت البابلي القديم ، كما في العصر السابق ، ويبدو ذلك واضحا في كافة مواقع وادي الرافدين التي شملتها اعمال التنقيب ، وانتشر التأثير البابلي ايضا ليشمل مدنا ذات أصل هلنستي كمدينة دورا يوروبس • هذه البيوت شيدت من طابق واحد وفي بعض الاحيان من طابقين ، وبنيت الغرف الرئيسية في الجانب الجنوبي من البيت واقيمت السلالم في احدى زوايا الفناء المكشوف ، واستعملت غرف الطابق الاول للنوم والطعام ، أما حجرات الطابق الارضي فقد استعملت للطبخ والمرافق الصحية • ومن بابل عثر على اراضي خالية قد تكون حدائق تفصل بين الوحدات السكنية • وأوضحت التنقيبات الاثرية مدى انتشار المستوطنات وبخاصة بيوت السكنى في مناطق مختلفة من العراق في هذا العصر • فبالاضافة الى العثور على الدلائل المعمارية في المدن العراقية المهمة كبابل وآشور والوركاء ونفر فالاستيطان في هذا العصر شمل

مواقع عديدة ، فبالقرب من مدينة بغداد الجديدة عثر على مستوطن في (تل حيدر) يضم عدة وحدات بنائية مشيدة من اللبن وهي ذات صفات معروفة بكونها تعتمد على الفناء الوسطي المكشوف أساسا لعمارتها ويحيط بالفناء غرف ومرافق اخرى من جوانبها الثلاث واستمرت السكنى في هذا المستوطن منذ أواخر القرن الثاني ق • م حتى النصف الاول من القرن الاول للميلاد كما يستدل على ذلك من العثور على لقى أثرية كالمسكوكات والفخار ، ومر البناء خلال هذه الفترة بخمس طبقات بنائية متعاقبة ومتطابقة الواحدة مع الاخرى من حيث التصميم ومواد البناء عدا مخطط الطبقة الثالثة ، فحصلت فيها بعض التغيرات • وعثر المنقبون ايضا في مستوطن بالقرب منه يدعى « تل أبو ذر » على بقايا تتألف من أربع طبقات بنائية شيدت الواحدة فوق أسس الاخرى وعثر في ارضية احدى الطبقات على نقود ضربت في مدينة سلوقية اثناء الثورة فيها تؤرخ في حدود سنة ٣٦ ـ ٤٠ للميلاد • وتنتشر آثار هذا العصر الى مواقع حمرين حيث اوضحت تنقيبات الانقاذ التي أجرتها المؤسسة العامة للاثار عن أشكال متعددة من الابنية • فعثرت في تل بردان مثلا على بناء معقد يعتقد بأنه كان قلعة او حصنا عسكريا من اللبن ، وفي تل صبره وتل آق تبة عثر المنقبون على أبنية تتميز بجدرانها السميكة والقوية وفي تل أرشيده والحميديات وتل الشعير وتل ابو كباب كشف المنقبون عن دلائل مختلفة للاستيطان في هذا العصر •

وطرأت تغييرات وتطورات مهمة على العمارة نتيجة لمحاولة البنّاء العراقي فهم عناصر العمارة الاغريقية ودمجها مع العناصر المحلية ، ويمكن أن نتتبع تطور الصورة المعمارية من خلال دراسة القصر في سلوقية على دجلة ، فقد ميزت الحفائر الاثرية ثلاث طبقات من التطور التدريجي للمدينة الاغريقية ، فالقصر في الطبقة الثالثة (شكل ـ ٥) ، تميز ببعض الصفات



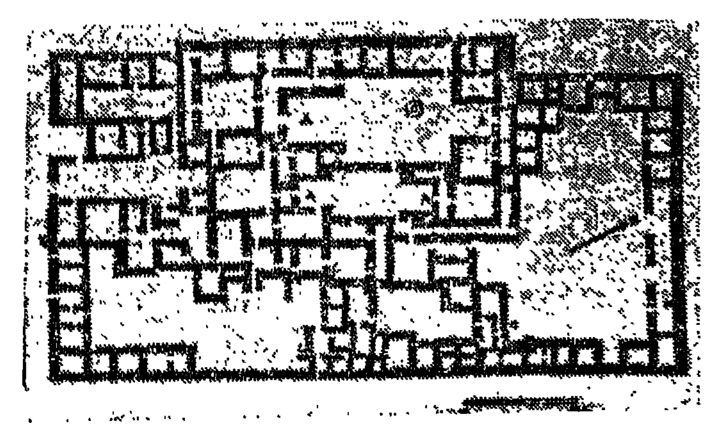
شكل ــ ٥

مخطط القصر في سلوقية (الطبقة الثالثة)

الاغريقية فقد تألفت من عدة وحدات متشابهة ، بنيت الغرف فيها حول فناءات مكشوفة تطل عليها قاعات (Megaron) تحتوي على عمودين في مداخلها وقد شيدت ، حسب التقاليد المحلية ، لتواجه الشمال ولا تحتوي على أعمدة خارجية ومن المحتمل أن سقوفها كانت مسطحة ولكن مخطط القاعات كان أغريقيا .هذه الطبقة تعود بتاريخها الى الفترة بين ١٤٠ق.م و ٦٩ ميلادي فأن القصر قد شيد بعد سيطرة الفرثيين على بلاد بابل ، في ذلك الوقت كانت فيه سلوقية مدينة اغريقية مستقلة . انتهت هذه الطبقة بحريق اثناء الثورة في المدينة والتي ادت الى استسلامها في حدود عام٤٢م واعيد بناء القصر في اواسط القرن الاول الميلادي بأختلافات رئيسية ، فلم تستعمل الاعمدة كعناصر بنائية اساسية بل استعملت عناصر زخرفية تتألف من انصاف أعمدة ملتصقة بالبناء ومغطاة بطبقة من الملاط الغرض منها تقسيم الواجهة الى حقول زخرفية متعددة . وحل محل القاعات(Megaron) المزينة بالاعمدة قاعات تتميز بأن مقدمتها مفتوحة نحو الفناء المكشوف وسقفت

بسقوف على شكل أقبية نصف دائرية وهي ماتعرف بالاواوين (شـــكل ــ ٦) ففي هذه الطبقة الثانية استعمل الايوان مدخلا للبناء الرئيس وكان الجزء الاساس تخطيط الساحة المكشوفة واستمرت السكنى في هذا القصر حتى مطلع القرن الثاني للميلاد ، حيث اعيد بناؤه بشكل واسع وضخم يتصـف بجدرانه السميكة وتعدد ساحاته المكشوفة الواسعة المتميزة بالايوان المقبأ الضخم • هذه الطبقة تعود بتأريخها الى حدود ١٢٠ ــ ٢٠٠ م استنادا الى الدلائل الاثارية التي عثر عليها المنقبون •

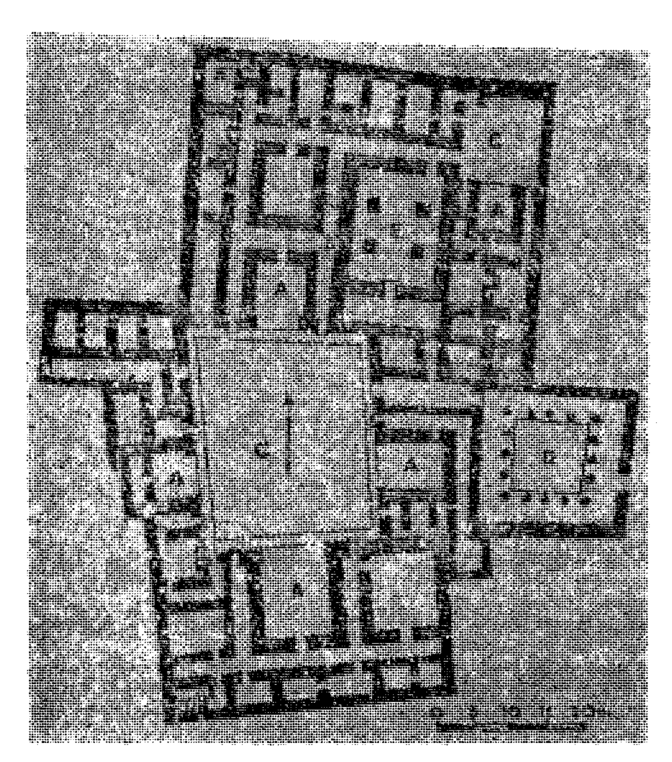
وبالرغم من توفر وتعدد الاثار المعمارية ذات العلاقة بالتطور المعماري للايوان ، الذي أصبح العنصر الواضح والمتميز للعمارة العراقية في هــذا العصر وفي العصور اللاحقة فان الغموض لا يزال يكتنف تأريخه المعماري • لقد درس بعض الباحثين هذا الموضوع وذهبوا في تأريخه مذاهب شتى ، فيعتقد البعض بأنه متطور من الغرفة المسقفــة المفتوحة مــن جانب واحــد وأمامها مايشبه السقيفة والتي عثر عليها في قصور اعالــي وادي الرافدين



شــكل ــ ٦
مخطط القصر في سلوقية (الطبقة الثانية)

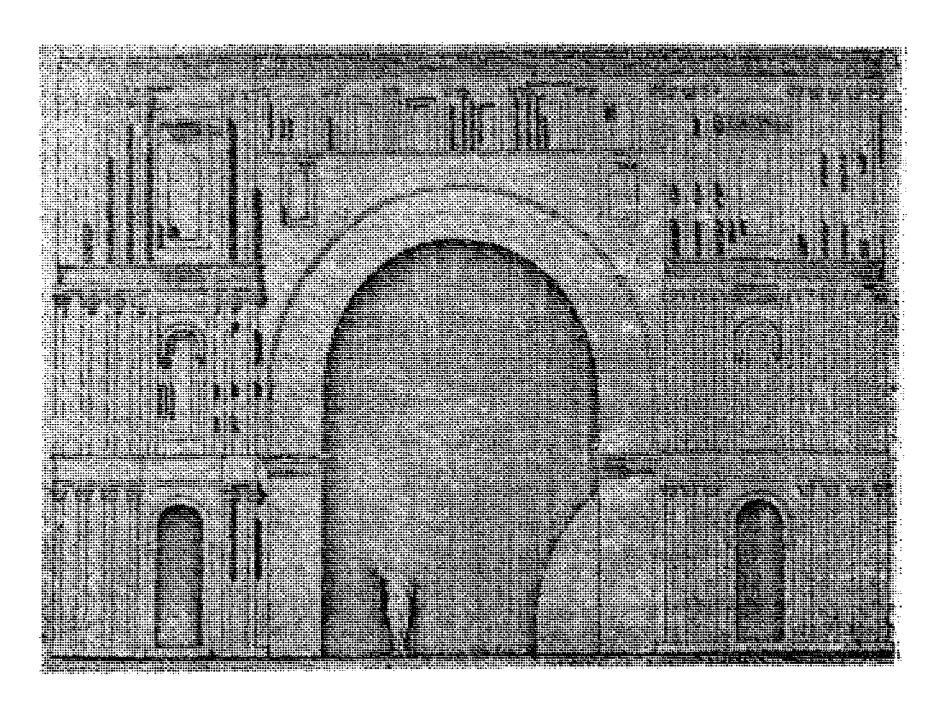
وشمال سورية في الالف الاول ق • م والتي يطلق عليهـا (بيت حيلاني)
والرأي الاخر يذكر بأن الايوان يمثل « الخيمـة الحجريـة » التي قد تعتبر
النتاج المعماري الطبيعي للقبائل البدوية التي رغبت في بناء مفتوح من جانب
واحد يشبه الخيمة • ومع ذلك فأن هذين الرأيين لم يفسرا تشييد الايوان
باتساق واحد ، كما في آشور والحضر ، أو حول الساحة المكشوفة ومهما
يكن من امر أصل الايوان فهو لايبدو اغريقيا بل عراقيا ومن المحتمل بأنه لم
يتطور عن عمارة البابليين أو الاشوريين الذيـن فضـلوا العيش في غـرفة
مغلقة • ولكن يظهر من حقيقة استقرار سكان مدينة الحضر قبل فترة قصيرة
من بنائها وحقيقة اواوينها القديمة المشيدة من اللبن مايؤيد ارجاع أصـل
الايوان الى العرب • وأوضح الامثلة لاستعمال الايوان وجد في آشور التي
اعيد بناؤها فوق خرائب العاصمة الآشورية حيث يتميز موقعها بأهميـة
سوقية لوقوعها على خط التجارة البرية المتجهـة من بـابل الى الشـمال
والشمال الغربي ، وقد شيدت الابنية فيهـا خلال فترات الازدهـار التي
تميزت بالعلاقات السلمية خلال القرن الاول الميلادي ولكن الامبراطـور
الروماني تراجان خرب جزءا منها خلال حملته الى الشـرق في عـام ١١٦
ميلادي وثم اعيد بناؤها وحصلت فيها توسعات ولكنها دمرت مرة اخرى في
عام ١٩٨ م خلال حملة سبتيموس سـفيروس ، ومع ذلك فقد اسـتمرت
السكنى فيها بحالة رديئة جدا الى أن نهبها ودمرها الملك الساساني شابور
الاول • فالميزة الرئيسية للقصر في آشور هي ايوانان متقابلان يطلان على فناء
وسطي مستطيل الشكل تقريبا واضيف ايوانـان آخران خلال القرن الثاني
للميلاد واشتمل القصر على فناء آخر يحتوي على أعمدة استخدم مدخلا للبناية

(شكل ــ ٧) ٠ وقــد زينت الواجهــات الاربع بطوابق من العمارة الصماء ،
تتضمن أعمدة ملتصقة رشيقة مزينة بتيجان حسب الطراز الايوني أو الدوري



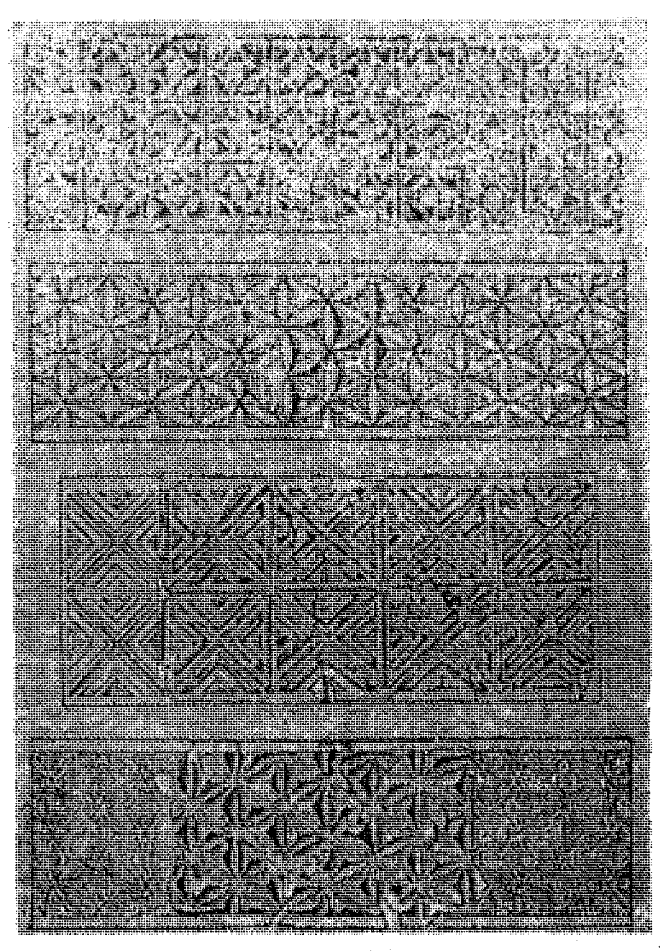
شــكل ــ ٧
قصر الاواوين في آشــور

وأقواسا وكوات أوحنيات متعددة أو نوافذ صماء وقد تم فصل كل طابق عــن
سابقة بأشرطة أو أفاريز جصية مزينة بزخارف هندسية أو طبيعية (شكل ٨) ٠
لقد أوضحت الدلائل المعمارية المتعددة أن وظيفة هذه الزينات كانت زخرفية
بالدرجة الاولى ولم تكن لها أهمية معمارية فقد تركزت حول تقسيم الواجهة
التي بدونها تبدو بسيطة جرداء وربما لتعطي نوعا من التوازن لفتحة الايوان



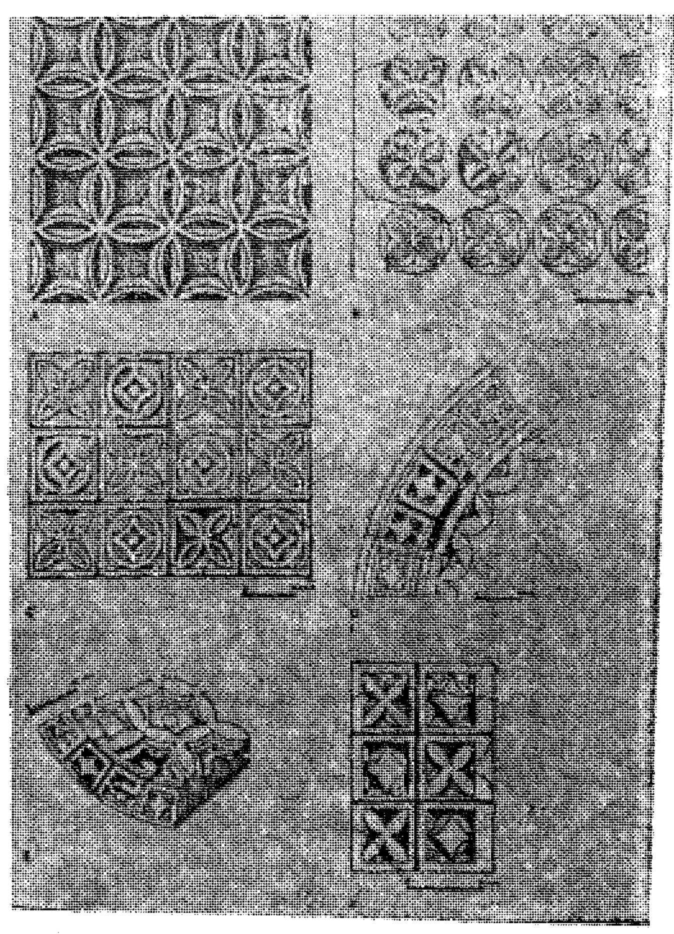
شــكل ــ ٨
واجهة احــد الاواوين في القصر في آشور

الواسعة . وفكرة اضافة الزخارف الجصية الى الواجهة قد تبدو لاول وهلة انها متعلقة بالعمارة الرومانية (شكل ٩) ، ولكن الرومان انفسهم قد اقتبسوا تلك الفكرة من التقاليد الهلنستية التي تطورت في هذه المنطقة نتيجة اتصالها بفنون الشرق القديم وتقاليدها في العراق والمتعلقة بتزيين واجهات الابنيــة البسيطة المبنية بالآجر بأضافة طلعات وحافات مؤطرة . واستعملت هــــذه الطريقة في سلوقية في تزيين الجدران المطلة على الشوارع ، أما الزخـــارف الجصية المتميزة بأسلوبها الفني والتقني العالي فقد وجدت في بلاد بابل بدليل العثور على بعض الكسر من المسرح الاغريقي في بابل ووجدت هذه الزخارف



شــكل ــ ٩
الزخــارف الجصية في آشور

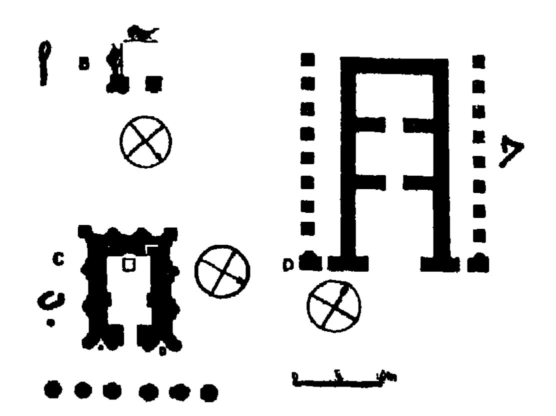
في القصر في سلوقية وبطبقاته الثلاث (شكل ١٠) • عملت واجهات الابنيــة في آشور بطريقة تقليدية سابقة حيث تم دمج الفكرة البابلية حول استعمال الضوء والظلال مع عناصر العمارة الاغريقية ويزداد تأثير هذا النسيج الزخرفي الجصي عندما يتعرض لاشعة الشمس المباشرة •



شكل ـ ١٠
الزخارف الجصية في سلوقية

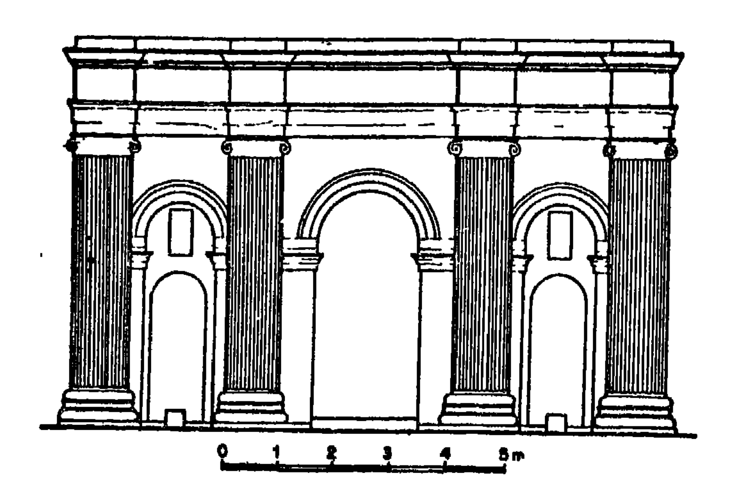
ولم يقتصر استعمال الايوان في الابنية المدنية بل تعداه الى الابنية الدينية التي لم تتنوع بتعدد الالهة في هذه الفترة والدلائل الاثارية التي وصلتنا عن التغيرات المعمارية خلال القرنين الاولين من سيطرة الفرثيين ضئيلة وهي تؤكد استمرار العمل بالمخططات البابلية القديمة والتي ازدادت شعبيتها

واقدمها المزار الصغير الملاصق لجدار معبد آنو ـ أنتم في الوركاء (شكل ١١ ـ أ)، المبني من الطابوق وواجهته الخارجية محلاة بزخارف تتألف من صف من أنصاف أعمدة ملتصقة تقسم الواجهة الى دخلات تعلوها أقواس • ونوع آخر من الزخارف ولكنه معقد بعض الشيء وجد على الواجهة الخارجية لمعبد آخر في الوركاء ألا وهو معبد كاريوس (شكل ـ ١١ ـ ب) • حيث



شكل ـ ١١
آ ـ المزار الصغير في الوركاء
ب ـ معبد كاريوس في الوركاء
ج ـ معبد Peripteros في آشور

شيد هذا المعبد من الطابوق واحتوى على العناصر الاساسية للمعابد البابلية التي اشتملت على مقدمة خلوة وخلوة ـ مصلى وكوة أو حنية لوضع تمثال الاله • وتظهر التأثيرات الهلنستية على الواجهة (شكل ١٢) التي تضمنت زخرفتها انصاف اعمدة ذات قواعد اتيكية وأبدان ذات اخاديد عملت حسب الطراز الدوري بينما عملت التيجان بأسلوب آيوني محور اضافة الى احتواء الجدران على دخلات تحتوي على أقواس صماء تقوم على دعامات وعملت كل

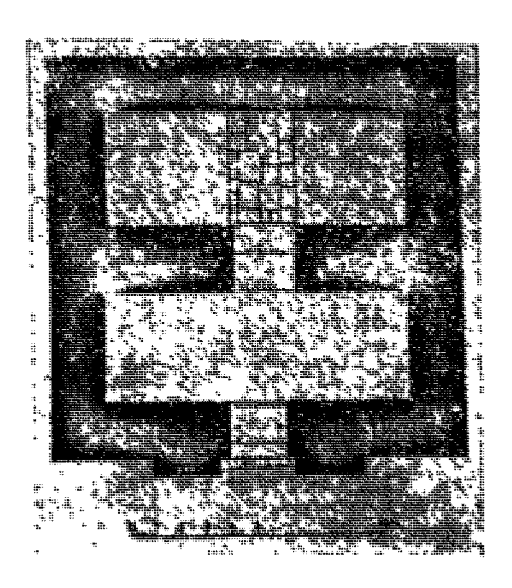


شكل ــ ١٢

واجهة معبد كاريوس في الوركاء

دخلة من الدخلات لتشابه قوس نصر روماني ولكنه لا يحتوي على الزخارفه التي تضمنها معبد كاريوس فالزخرفة كانت لحيوانات كالكلاب وتنين مجنح ذي ذيل طويل • طلي هذا المعبد من الخارج بطبقة من الملاط لغرض حماية المبنى من الاحوال الجوية ولاعطائه مظهرا زاهياً براقا وعثر المنقبون الالمان في الوركاء على كتابة مهمة تذكر بها أن المبنى ، الذي يرجع بتأريخه الى حدود عام ١٠٠ ميلادي ، كان مخصصا لعبادة الاله كاريوس • ووجدت أمام المعبد وعلى مسافة قريبة منه ست قواعد لاعمدة متصلة ببعضها بأقواس ، قد تشير الى أن منطقة المعبد قد احيطت برواق مسقف •

وفي آشور شيد المعبد الموسوم (أ) فوق أنقاض معبد سابق يشابهه في مخططه وقد خصص لعبادة الاله آشور وتضمن مخطط المعبد (شكل ١٣) العناصر التالية : مقدمة خلوة وخلوة ــ مصلى مع كوة في الجدار الخلفي



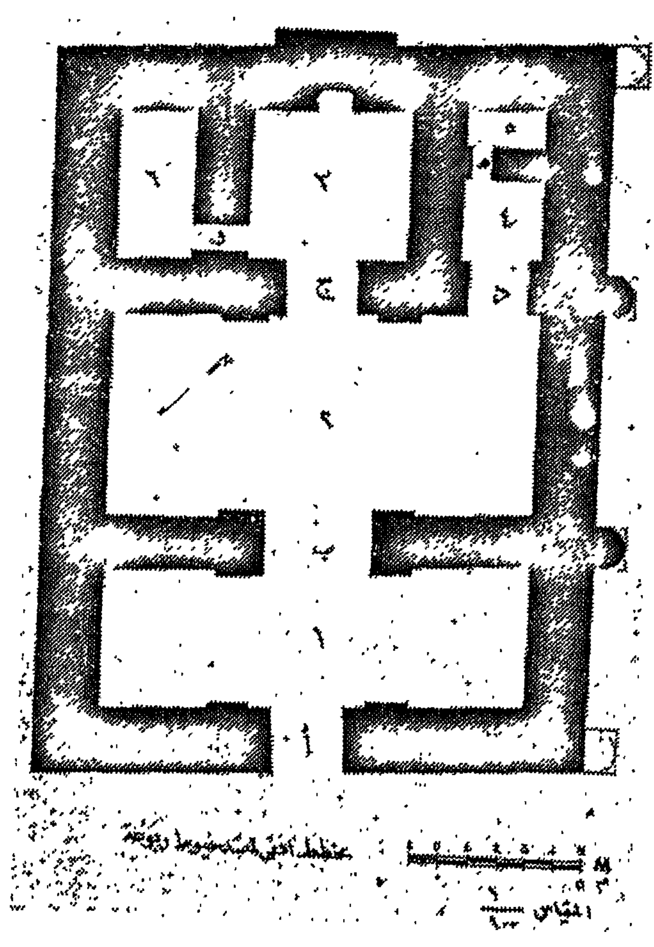
شكل ـ ١٣
مخطط المعبد في آشور (أ)

لوضع تمثال الاله وهي عناصر المعبد البابلي القديم والتي وجدت ايضا في معبد اطلق عليه المنقبون اسم (Peripteros) (شكل ـ ١١ ـ جـ) اضافة الى عناصر معمارية هلنستية مع الايوان الصفة المتميزة للعمارة العراقية في هذه الفترة وتألف المبنى من وحدة بنائية مستطيلة الشكل تحتوي على مدخل شيد على شكل ايوان ، تليه غرفتان الواحدة خلف الاخرى على محور طولي ، الاولى مقدمة خلوة والاخيرة الخلوة • واحيطت هذه الوحدة البنائية برواق يتألف من أعمدة بنيت من الطابوق من جوانبها الثلاثة عدا الواجهة الامامية والتي بدورها تضمنت الايوان وقوسه وأصبحت الصفة البارزة للواجهة • وانتشر التخطيط البابلي للمعابد في هذه الفترة ليشمل معظم معابد دورايوروبس التي بنيت بعد القرن الاول ق • م

ومثال على ذلك المعبد الذي خصص لعبادة الالهة التدمرية ومعبد آرتمس ناناي ، ومعابد مدينة الحضر الواقعة خارج سور المعبد الكبير التي سنتناولها في فصل آخر ، وأثر في تخطيط معبد بل في تدمر الذي شيد في حدود عام ٣٢ ميلادي في احتوائه على غرفة مستعرضة على جانبيها غرف صغيرة ملاصقة •

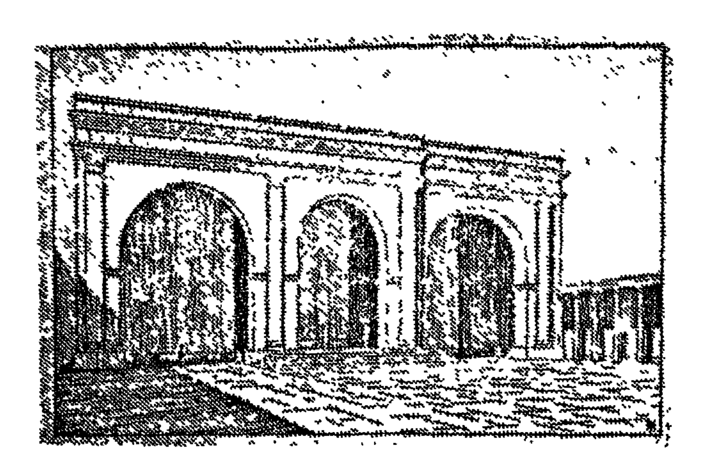
وكشفت تنقيبات المؤسسة العامة للاثار التي اجريت في عام ١٩٦٤ عن معبد واسع في مجموعة تلول تقع شرقي بغداد تعرف بخيوط ربوعة • شيدت جدران البناية على أسس من الآجر الاحمر اللون المربع الشكل • البناية مستطيلة الشكل أبعادها ٢٦٫٥م×١٩٫٩م وفي ضلعها الشمالي الشرقي أربع طلعات (او دعامات) على شكل قواعد مربعة كانت تقوم فوقها انصاف اعمدة دائرية الشكل • وتألف المعبد ، الذي رصفت أرضيته بالآجر ، من غرفة مدخل مستعرضة الشكل تؤدي الى ساحة مكشوفة توصل الى خلوة مربعة الشكل ضلعها ٥٫٥م من خلال مدخل تقابله كوة في الجدار الخلفي لوضع تمثال الاله (شكل ١٤) وعلى جانبي الخلوة غرفتان صغيرتان من الجهة الشمالية مدخلها من الساحة المكشوفة اما الجهة الجنوبية فيكون مدخلها من خلال الخلوة • ويتضح من خلال عمليات التحريات التي اجريت في أسس هذا المعبد بأنه قد شيد فوق انقاض ابنية اقدم منه ربما تكون معابد • هذا المعبد يتميز بأحتوائه على عناصر المعبد البابلي القديم ويرجع بتأريخه الى القرن الثاني ق • م استنادا الى دلائل اثارية •

واقيمت بعض الابنية الدينية في هذه الفترة حسب مخطط يختلف



شكل ـ ١٤

عن المخطط البابلي فقد عثر في آشور على معبد شيد فوق أنقاض معبد آشور القديم وهو يتألف من ثلاثة أواوين ، بني الواحد بجانب الاخر ولكل منهما غرفة خلفية (شكل ـ ١٥) وله واجهة متسقة واحدة نستطيع من خلالها ان نتتبع تأثير العمارة الحضرية على هذا النوع من المعابد . لقد كشفت بعض الدلائل الاثارية ان هذا المعبد قد اعيد تخصيصه



شكل ــ ١٥
واجهة معبد آشور في آشور

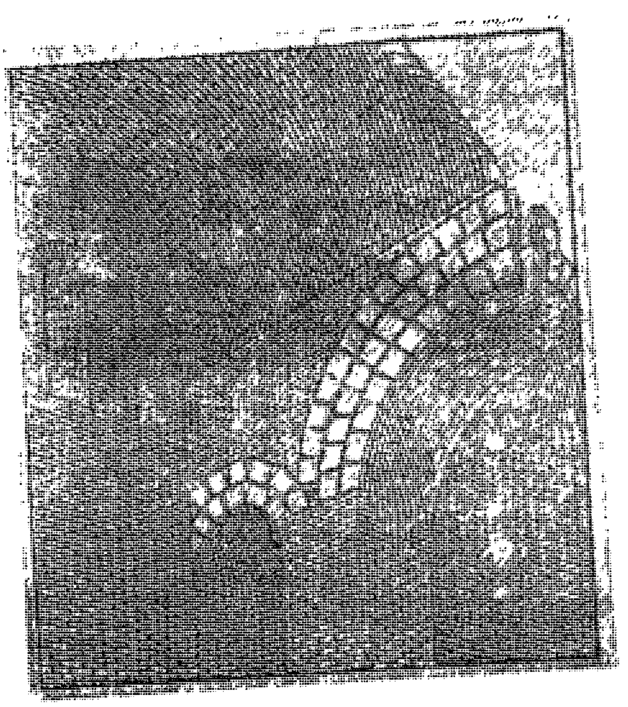
الى عبادة اشور على الرغم من التغيير الجذري الذي طرأ على مخططه القديم .
اما معابد الحضر فقد تنوعت وتعددت مخططاتها واساليب بنائها وسنتناولها في فصل لاحق .

يبدو واضحا من خلال استعراض بعض الابنية الدينية انها لم تكن ذات اسلوب واحد متميز وانما اختلفت فمنها ماشيد حسب المخطط البابلي القديم والامثلة كثيرة على ذلك ، ومنها ما احتوى في مقدمته على ايوان ولكنه يحمل بعض عناصر العمارة الهلنستية كمعبد (Peripteros) في آشور وبعض الابنية التي يكون فيها الايوان العنصر المعماري الاساسي، ومنها ما احتوى على غرفة مربعة تحيط بها ممرات كمعبد الشمس في الحضر. هذه التغييرات في تصميم الابنية الدينية تعزى وبدون شك ، الى الظروف الدينية والسياسية لهذا العصر ، حيث لم يفرض الحكام الفرثيون دينا رسميا واحدا ، بل على العكس فقد استمر السكان وفي مختلف المناطق

بأقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية الخاصة بهم وحسب طريقتهم الخاصة بهم ايضا وبناء معابدهم حسب تصاميم تلائم وتناسب مكانة آلهتهم .

يعتبر الايوان الميزة الرئيسية للعمارة العراقية في هذا العصر وشاع استعماله في بيوت السكنى اضافة الى دخوله في تصميم الكثير من القصور والمعابد ، كما ذكرنا ، ففي بيوت السكنى في آشور والحضر وضع الايوان على جانب واحد أو على جانبين من الفناء المكشوف الذي يشكل اساس تصميم البيت ، فاذا بني الايوان ليواجه جهة الشمال فأنه يوفر الظل ويسمح بدخول النسيم البارد في الصيف اما اذا بني ليواجه الجنوب فأنه بذلك يسمح بدخول أشعة الشمس المائلة في الشتاء وفي ذات الوقت يوفر الحماية اللازمة من الرياح الشمالية الباردة ، ولم يستعمل الايوان كغرفة معيشة فقط وانما غرفة استقبال للضيوف .

وتشييد الاواوين الضخمة وطريقة تسقيفها دون الاستناد على الاعمدة ولا حتى على صقالة ، كان ابتكارا معماريا رائعا وبخاصة في منطقة لا يتوفر فيها الخشب الا نادرا وغالبا ما يكون رديئا أو غالي الثمن فأصبح البناء يتم بالآجر ولكن باستعمال مونة أو مادة لاصقة مختلفة ، ألا وهي الجص وأهميتها تكمن في سرعة جفافها بعد الصاق الآجر ببعضه ممسكا به بعد وضعه مباشرة (شكل ـ ١٦) ، فلهذا اصبح بالامكان بناء الاقبية دون استعمال الصقالة ، حيث يبدأ البناؤون ، بعد اكمال بناء الجدار الخلفي والجدران الجانبية للايوان ، بوضع آجر القبو بشكل عمودي وبأنصاف دوائر ابتداءا من الجدار الخلفي وتدريجيا نحو الامام ولهذه الطريقة في البناء ميزة مهمة ، فقد اصبح من الممكن بناء جدران البناء الثلاثة من



شكل ـ١٦
طريقة تسقيف قبو من الآجر ، قصر الاواوين في آشور

اللبن ثم استعمال الآجر عندئذ في التسقيف بواسطة القبو . واستعملت الاقبية في تسقيف معظم مرافق قصر الاواوين في اشور ومن ضمنها الممرات ، وفي احدى غرف القصر ، لاحظ المنقبون تطورا مهما في تقنية البناء بالقبو ، فقد احتوت قاعدة الاعمدة الكبيرة على اربع دعامات ضخمة استعملت لتحل محل ثلاثة اقبية شكلت اساس تسقيف القاعة ويرجع استعمال القبو في التسقيف الى اصوله البابلية فقد تم العثور على ادلة عديدة من خلال عمليات التنقيب الاثارية التي جرت في المدينة وفي مستوطنات ومدن اخرى حيث ثبت ايضا انه كان يستعمل منذ فترات زمنية

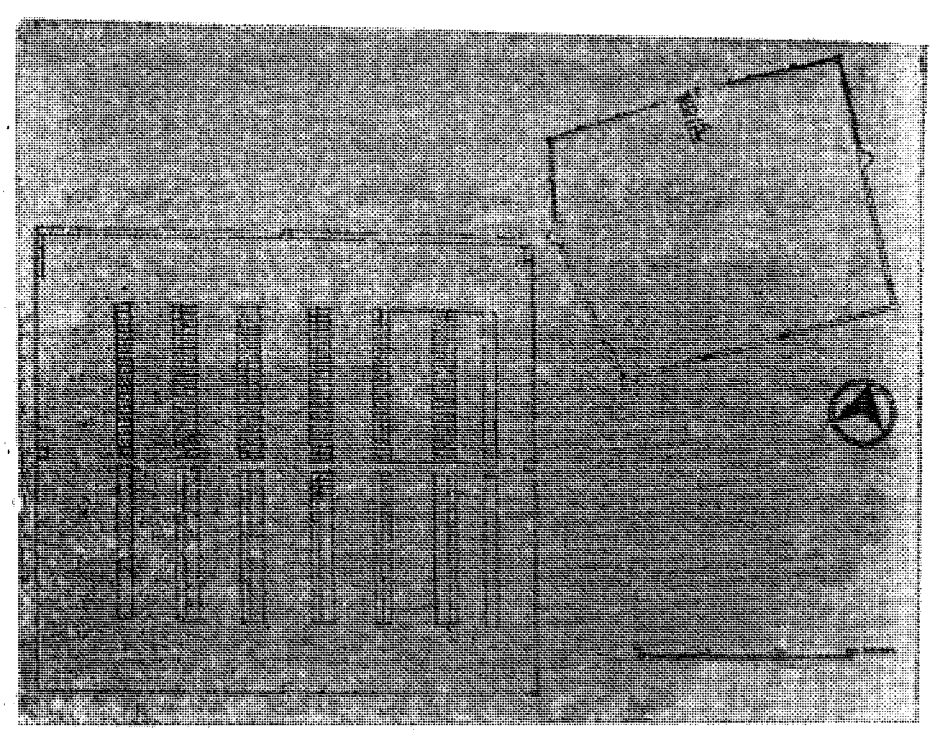
اقدم لغرض تغطية القبور والقنوات وكذلك استعمل في الاقواس الدائرية كمداخل المعابد والقصور وكذلك بوابات المدينة ، ومع ذلك فأن المعمار البابلي قد فضل السقف المستوى على القبو ربما لأسباب جمالية . ولم ينتشر التسقيف بالقبو بشكل عام في بلاد بابل خلال العصر السلوقي ، فمن غير المعقول توقع استعمال المعماريين الاغريق للقبو كعنصر اساسي في تصاميمهم بل على العكس من ذلك فقد وصلتنا دلائل معمارية واثارية عديدة تشير الى استعمال السقف الجملون في الابنية المختلفة بدليل العثور على بلاطات السقف الاغريقية . فلهذا اصبح من الواضح والثابت اثاريا ومعماريا ان التسقيف بالقبو قدشاع وبهذا الشكل المتطور والعلمي حيث اصبح من مميزات العمارة العراقية خلال هذا العصر واستعمل في تشييد الحمامات في بلاد الرومان التي اكتسبت اهمية اجتماعية واصبحت جزءاً مهما من حياة المدينة .

أما واجهات الابنية التي عملت حسب مخطط واحد ، وبخاصة في مدينة آشور فقد زينت من الاعلى بكورنيش (طنف) افقي ولكن استعمال الشرفات المدرجة في الزخرفة يشير الى أن مثل تلك الشرفات قد استعملت فوق الكورنيش ، حيث عثر في الوركاء على كسر من قطع كبيرة جدا تمثل تلك الشرفات مما يدل على انها استعملت في اعلى البناية واستعمال الشرفات المدرجة من الآجر وجدت في عمارة العصر الكلدي وفي عمارة هذا العصر والعصر اللاحق .

كشفت التنقيبات الاثرية التي جرت في العديد من المواقع في العراق عن مقابر ترجع بتأريخها الى هذا العصر استنادا الى دلائل آثارية مهمة وبخاصة

النقود ، وتختلف هذه القبور وتتنوع حسب تقاليد السكان الخاصة وتوفر الاموال اللازمة • فالقبور في نينوى كانت مبنية من الحجارة المهندمة ومغلفة بألواح الحجارة وتسد مداخلها بألواح من الحجارة المهندمة ايضا ، بينما وجد ما يشابه هذه القبور في مواقع متفرقة من العراق مبنية بالطابوق • وهذه القبور قد تكون منفردة او تكون مقابر عائلية خاصة مقبأة ، ففي آشور وبابل وتل أسود تألفت من أكثر من غرفة واحدة وتكون عادة منخفضة عن مستوى الارض الطبيعية بينما قد تظهر قمة الاقبية فوق الارض • وعثر على مثل هذه الانواع في سلوقية وطيسفون وبعض مواقع حمرين وحديثة ، في بعضها عثر على توابيت فخارية ، احتوى قسم منها على هياكل عظمية •

وكشفت الحفائر الاثرية التي اجريت في تلين أثريين كبيرين واقعين بالقرب من قرية عين سينو التي تقع على بعد حوالي ٣٠ كم الى الشرق من بلد سنجار عن بنايتين (شكل ــ١٧) ، تضمنت الاولى منهما ثكنة حربية واسعة محاطة بسور مربع الشكل ضلعه ٣٤ م يحتوي على مداخل في وسط اضلاعه الشمالية والغربية والجنوبية • وتألفت الثكنة التي بنيت لسكنى الجنود الرومان ، كما يستدل على ذلك من النقود الرومانية المكتشفة ، من صفين من سبع أبنية طولية الشكل احتوت كل منها على صفين متلاصقين من غرف يربو عددها على اثنتين وعشرين في كل جهة ، وتقدر المسافة بين بناية واخرى بحوالي ٣٠ م • وهذه الثكنة الحربية تعود بتأريخها الى حدود النصف الاول من القرن الثالث الميلادي • أما البناية الاخرى فتحتوى على قلعة تشرف على منطقة جغرافية مهمة وتتضمن ابنية بسيطة لسكنى الجنود الرومان ومحاطة بسور غير منتظم •



شكل — ١٧
مخطط الثكنة والقلعة في عين سينو

وخلاصة القول أن المعمار العراقي في هذا العصر الذي تعددت فيه التقاليد العمارية الفنية استطاع خلال القرن الاول الميلادي أن يسيطر على المشاكل البنائية التي تنتج من محاولة دمج التقاليد العراقية بتقاليد العمارة الاغريقية ويحوّل استعمال عناصر العمارة الاغريقية من العمود والتراكيب المعمارية الدقيقة وغيرها الى اشكال زخرفية . فالاعمدة تحولت الى أنصاف أعمدة ملتصقة بالجدران أو دعامات بارزة عنها وتحولت التراكيب المعمارية فوق الاعمدة الاغريقية الى أفاريز زخرفية ، ومما ساعد في هذا التحول استعمال الآجر كمادة بناء رئيسية اضافة الى التطور التقني والزخرفي لمادة الجص ونتيج

عن تحوير العناصر المعمارية الاغريقية الى عناصر زخرفية تعددت أساليبها فأنتجت بالتالي اشكالاً زخرفية جديدة وغريبة بعض الشيء وأحسن مثال على ذلك الواجهة الملونة للاواوين في آشور حيث أصبح ايضا قوس الايوان العنصر المعماري المسيطر على تلك الواجهة . ويكمن الابداع المعماري لوادي الرافدين في استعمال الجص كمادة رابطة الذي سهل بناء القبو مما أدى الى خلق عنصر جديد الا وهو الايوان . ومهما يكن من أمر المعمارين العراقيين وعلاقتهم مع العمارة الاغريقية وتعاملهم مع مبادئها وأساليبها فأنهم كانوا ، وبدون شك ، نخبة جيدة من المعماريين القدماء الذين استطاعوا دمج افكار وأساليب مختلفة متعددة وبالتالي خلقوا أساليبهم القوية التي استطاعت أن تثبت ديمومتها على مدى قرون عديدة وتركت طابعا خاصا بها استطاع أن يؤثر وبشكل واضح على الاساليب الفنية اللاحقة .

المراجــع

١ ــ طارق مظلوم «حفريات تل آبو ذر في بغداد الجديدة» سومر ١٥ (١٩٥٩).
٢ ــ نجيب كيسو « معبد خيوط ربوعة » سومر ٢١ (١٩٦٥) ص٣٠١ ــ ٣٠٦ .
٣ ــ د . واثق الصالحي « الحضر ــ التنقيب في مجموعة من المقابر » سومر ٢٨ (١٩٧٢) .
٤ ــ معتصم رشيد « التنقيبات الاثرية في تل حيدر » سومر ٣٤ (١٩٧٨)
٥ ــ ميسر سعيد « طبقات العصر الفرثي » سومر ٣٥ (١٩٧٩) ص٣٢٨ــ٣٣١
٦ ــ محمد عجاج جرجيس « مخازن العصر الفرثي » سومر ٣٥ (١٩٧٩) ص ٣١٥ ــ ٣٢٤
٧ ــ ليوتروميلبمان « المباني الفرثية في آشــور » سومــر ٣٥ (١٩٧٩) ص٢٨٧ ــ ٢٩٠
٨ ــ عادل نجم عبو « تنقيبات جامعة الموصل في تل ابو ظاهر في حوض سد الموصل » سومر ٣٧ (١٩٨١) ص ٨١ــ١٠٠ .
٩ ــ عبد المالك يونس « تنقيبات جامعة الموصل في تل ابو ظاهر في حوض سد الموصل » سومر ٣٧ (١٩٨١) ص ١٠١ ــ ١١١

1- A.U. Pope, **Survey of Persian Art, Parthian Architecture,** by Oscar Reuther, Oxford, 1938.

2- Clark Hopkins, **Topography and History of Seleucia on the Tigris,** Ann Aibor 1973.

3- G. Gullini, "Preliminary Reports of the Excavations at Seleucia and Ctesiphon" Mesopotamia I, II, III, IV, V, VI, VII.

4- R. M. McAdams, **Land Behind Baghdad,** London and Chicago, 1965.

5- D. Oates, **Studies in the Ancient History of Northern Iraq,** London, 1968.

6- J. Oates, **Babylon,** London, 1979.

البحث الرابع

عمارة الحضر

د . وائل اسماعيل الصالحي
كلية الاداب - جامعة بغداد

يتميز موقع مدينة الحضر الذي يبعد حوالي ١١٠ كم الى الجنوب الغربي من مدينة الموصل بصفات سوقية استراتيجية اهمها هو موقعها الجغرافي المهم الذي يسيطر على الطرق والمسالك البرية التجارية والعسكرية المحاذية لنهري دجلة والفرات ووفرة المياه العذبة حيث تتجمع مياه الامطار في المناطق المجاورة لها وكذلك قربها من وادي الثرثار الذي تكثر فيه المياه طيلة فصول السنة وتقل ايام الصيف فقط . اما عن تأسيس ونشأة المدينة فهناك اعتقاد بانها كانت قرية في زمن الاشوريين وهذا الافتراض يبدو ضعيفا لعدم العثور على دلائل مادية آثارية تسنده ، ولكن في الفترة السلوقية ، وفي حدود القرن الثاني ق . م اشارت الدلائل المعمارية واللقى الاثرية المختلفة بوضوح الى استيطان الموقع وتشييد ابنية من حجر واخرى من اللبن في اطراف مختلفة من الموقع الذي يتميز ايضا بوقوعه على احد الطرق البرية الذي يربط مدينة سلوقية على دجلة بانطاكية في سورية . وازدادت أهمية المدينة

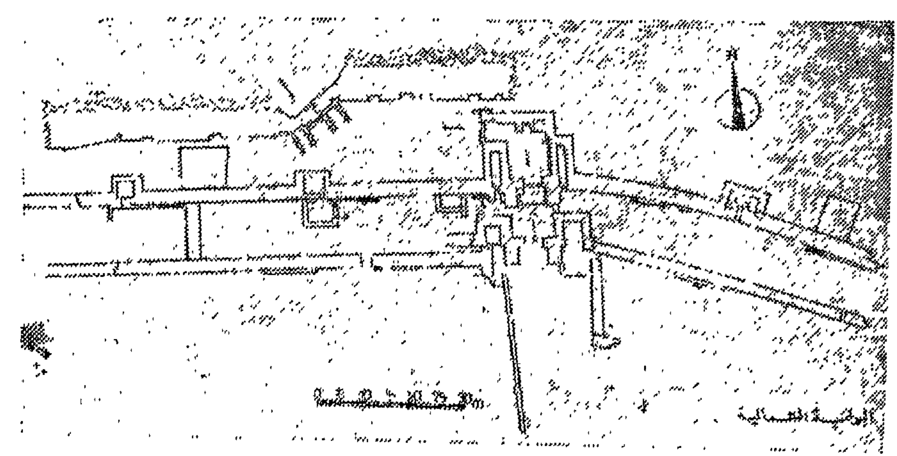
العسكرية عند اندلاع الحروب الطويلة بين الامبراطوريتين الرومانية في الغرب والفرثية في الشرق وبخاصة في الاعوام بين ٦٩ ـ ٣٦ ق • م حيث برزت اهمية القبائل العربية التي تسكن البادية الغربية والتي اتخذت من مدينة الحضر مركزا مهما لها ، فالحضر كانت عاصمة لمملكة عربية وردت في كتابات الحضر الارامية باسم عربايا (أي بلاد العرب) وحكمها ملوك عرب ، لقبوا انفسهم بملوك العرب المنتصرين وتمتعت بنوع من الاستقلال الذاتي ضمن السيطرة العامة للامبراطورية الفرثية ، وهي بذلك تشابه تدمر ودورا يوروبس اللتين ازدهرتا في فترة تاريخية سماها المؤرخون العرب « عصر ملوك الطوائف » حيث كان لها الحق في ادارة شؤونها الداخلية وممارسة طقوسها الدينية الخاصة بها •

فالعوامل السياسية الخاصة والظروف التاريخية الملائمة جعلت من مدينة الحضر مركزا مهما للقبائل العربية من جوانب عديدة وبخاصة الدينية منها • حيث شيدت لها معابد صغيرة ومزارات خصصت لعبادة آلهتها المفضلة وساهمت في تشييد معابدها الضخمة ايضا عن طريق تقديم الاموال اللازمة وثم تكريسها لعبادة آلهتها الوطنية • واقامت تلك القبائل مقابرها الخاصة في الطرف الشرقي من المدينة • وتوضحت أهمية المدينة من الناحية العسكرية في تخطيطها العام ومناعة اسوارها واستحكاماتها الدفاعية التي اشتهرت بها لدى المؤرخين الكلاسيكيين أمثال ديوكاسيوس وهيروديان الذين كتبوا عن حصار الاباطرة الرومان وعن حصار اردشير الساساني وفشلهم في السيطرة عليها • وازدهرت المدينة خلال القرون الثلاثة للميلاد بسبب تدفق الاموال عليها نتيجة ازدياد اهميتها التجارية نظرا لوقوعها على الطريق البرية التجارية التي انشغلت في نقل البضائع والسلع في منطقة الشرق القديم ، مما ساعد على نموها الذي انعكس في تشييد ابنيتها الضخمة •

كشفت اعمال التنقيبات والتحريات الاثرية التي اضطلعت بها المؤسسة العامة للاثار منذ ربيع عام ١٩٥١ م ولحد الان عن بعض معالم المدينة المهمة فشملت معظم ابنية المعبد الكبير وعددا من المعابد والمزارات الصغيرة وعن دور سكنى قريبة منها بالاضافة الى مجموعة من المقابر وبوابة المدينـــة الشمالية وجزء من البوابة الشرقية للمدينة •

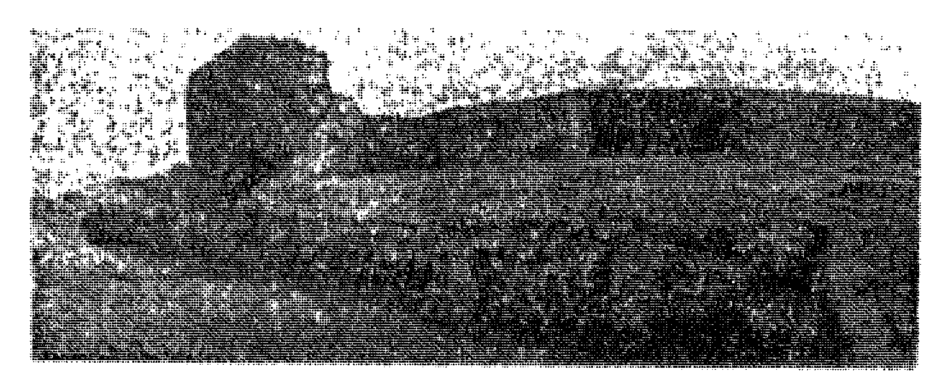
وعثرت البعثات العراقية نتيجة عمليات التنقيب واعمال الصيانة التـــي صاحبتها منذ عام ١٩٦٠ على كنوز مـــن الاثار زينت متاحف القطر كافـــة وخاصة المتحف العراقي •

زودتنـــا التنقيبـــات بمعلومـــات مهمـــة عـــن التحصينـــات والاستحكامات العسكرية للمدينة أثبتت بأن سورها الرئيس الحالي شبه الدائري المتضمن العديد من الابراج والقلاع قد تم تشييده خلال الفترة بين القرن الاول قبل الميلاد والنصف الاول مـــن القرن الاول الميلادي ومـــن المحتمل ايضا ان حفر الخندق المحيط بها من كافة جوانبها قد تم في هـــذه الفترة ، مما يشير واستنادا الى دلائل آثارية الى ان الحضريين التجأوا الـــى المعبد الكبير ، داخل سوره القديم المدعم بطلعات نصف دائرية أثناء فترات الخطر قبل احاطة مدينتهم بسورها الحالي ، وقد شيد هذا السور (شكل ـــ١) من اللبن المنتظم وكان عرضه ثلاثة امتار يقوم على أسس من احجار مهندمة قد رتبت بصفين فوق مستوى الارض الطبيعية ، وزيادة في مناعته ومتانته فقد زود بالعديد من الابراج ، قد يزيد عددها عن ١٦٣ برجا ومجموعة مـــن القلاع الصغيرة الملاصقة والمنشآت الاساســـية دفاعية اضافة الـــى استخدام سقوفها لوضع المدافع والمعدات الحربية المختلفة • ويحيط بالسور الداخلي خندق يتراوح عمقه بين ٥ ـــ ٤ امتار وبعرض ٨ أمتار وجانبه القريب من المدينة بني بشكل جدار من الحجر يقوم على الارض الصخرية البكر ومدعم بطلعات او ابراج صغيرة لاسناده وزيادة مناعته ، وفوق الخندق وفي منطقـــة



شكل ــ ١
البوابة الشمالية والسور المحادد لها

البوابة الشمالية بنيت قنطرة بعرض ٥ امتار توصل الى ارض الحضر (شكل ٢) ، وللمدينة سور خارجي يبعد عن السور الرئيسي بحوالي ٥٠٠ متر يحيط بها من كافة جوانبها • وقد اثبتت التنقيبات الاثرية بان هذا السور ترابي واسسه مرصوفة باحجار صغيرة وبغير انتظام وقد اقامه الحضريون مانعا اوليا لاعاقة الجيوش الغازية •

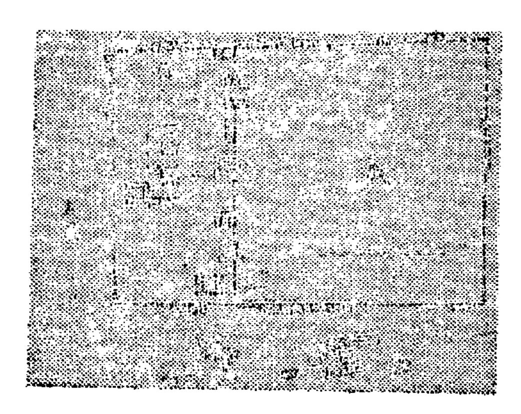


شكل ــ ٢
سور الحضر وابراجه والخندق

لمدينة الحضر اربع بوابات مزورة مشيدة على سورها الرئيسي بالاتجاهات الاربعة الطبيعية وهذا التصميم يساعد على ضبط الاتجاهات والرصد وصممت مداخل البوابات بشكل يتعذر على العدو المهاجم اقتحامها لمناعة ابـراجهـا العديدة • وكانت بعرض ٣و٨٠م وتسد بواسطة ابواب خشبية ثقيلـة تدور علـى صنارات حجرية وتغلق بمزلاج سميك ويحف بالمدخـل مـن الشمالية والشرقية باحة زينت بتماثيل الهه لها علاقة بحياة الجنـود كتمثال هرقل ــ نرجال الذي اطلق عليه اسم (د حشفطا) والذي يعنى (آمـر الحرس) •

وللبوابة الشمالية مدخل آخر الى جنوب المدخل الرئيسي يشابهه في التصميم والبناء والقياسات وله ايضا باب خشبي كان يسد بواسطـة مزلاج ولكنه يختلف عنه في تاريخ البناء فقد بني في فترة لاحقـة (حوالـي ٢٣٠ ميلادية) ويمتد من جهتي المدخل الشرقية والغربية سور آخر واطيء عرضه ٣ امتار على جانبيه سلالم يرقى عليها ويعتبر هذا السور خطا دفاعيا ثانيا وقد أثبتت تنقيبات البوابة الشرقية والصور الجوية للموقع بأن هذا السور يمتد بموازاة السور الرئيسي في معظم الاحيان • وعلى كل حـال فان للمدينـة تحصينات رباعية وهي تشمل السور الترابي الخارجي والخندق والسـور الرئيسي المدعم بالابراج والقلاع والسور الثاني وقد كانت السبب في صمود اهلها وبسالتهم المتناهية وجرأتهم الفائقة في الدفاع عن مدينتهم الصـامدة الباسلـة •

أبنية الحضر الرئيسية في وسطها تقريبا يحيط بها سور مستطـيل الشكل ، وقد عرفت بالمعبد الكبير حيث اطلق الحضريون انفسهم هـذه التسمية على هذه المجموعة المتناثرة من الابنية حيث سموه (هيكلا ربا) او (بيت الها) أي بيت الالهة (شكل ٣) • لسور المعبد مداخل متعددة يتراوح عددها احدعشر مدخلا عدا مدخله الرئيسي الذي يقع في ضلعـه



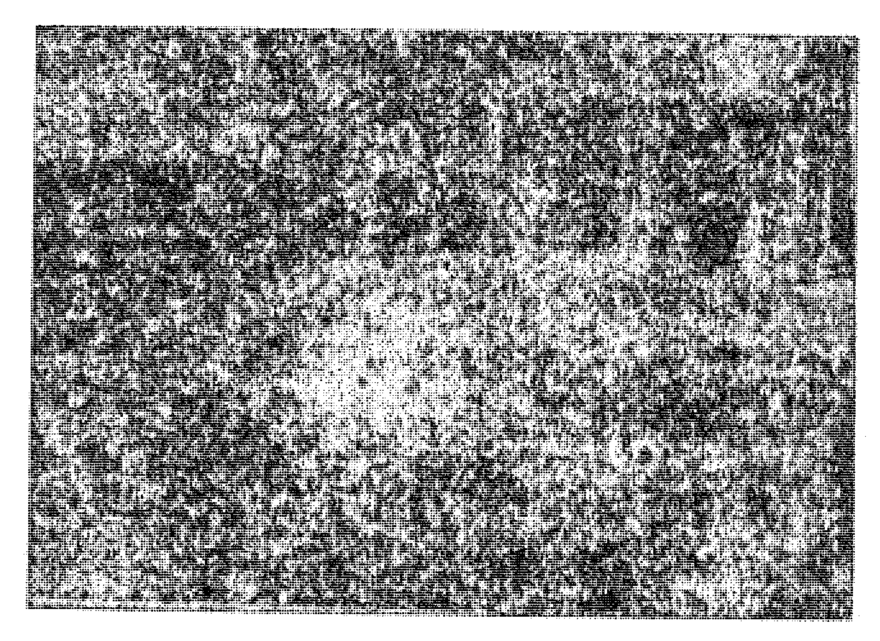
شكل — ٣
المعبد الكبير

الشرقية ويقسم المعبد الى قسمين رئيسيين هما الحرم والصحن بواسطة جدار فاصل يمتد باتجاه شمالي — جنوبي ويحتوي على اربعة مداخل اثنان منهما رئيسيان يتألف كل منهما من ثلاث فتحات اكبرها يقع في الوسط • واثبتت التحريات الاختبارية عن الادوار التعميرية والبنائية لسور المعبد الحالي بان له تاريخا اقدم وانه احتوى على طلعات نصف دائرية الشكل لزيادة مناعته بينما ضم السور الحالي طلعات وابراجا مستطيلة او مربعة الشكل اضافة الى العديد من الغرف التي كانت تستعمل كمكاتب لمختلف الاعمال ومخازن وقد اوضحت التنقيبات التي اجريت في قسم منها وجود فندق للزوار واشتمل على مخازن اخرى يتم بها البيع والشراء ، فلهذا كان للمعبد الكبير وظيفة تشابه وظيفة « الاكورا » الاغريقية •

وفي حرم المعبد الكبير بنيت اهم معابد الحضر بالحجر المهندم وهي تشتمل على صف من اواوين متسقة تواجه الشرق وتتألف من ثلاث وحدات بنائية واضيف خلف الوحدة الجنوبية منها معبد مربع خصص للاله شمش ، ومعبد للالهة شحيرو ، يقابله معبد آخر ربما خصص لسميا وخلفه معبد التثليث الحضري ، مر نومرتن وبرمرين ، وفي الصحن شيد معبد كبير خصص

للالهة العربية اللات ومعبد مرن او مايعرف بالمعبد الهلنستي لطراز الغربي الشكل وسنستعرض اولا ابنية حرم المعبد .

يرقى الى الأواوين المتسقة بواسطة ست درجات من الساحة الامامية وهي تتألف من ثلاث وحدات بنائية وحدتان منها تتشابهان في التصميم والبناء ويتألف كل منهما من ايوان وسطي كبير على جانبيه ايوانان صغيران وبطابقين وخلفهما غرف اخرى (شكل ٤) . وزينت اقواس فتحات الاواوين بالتحليات والزخارف المتعددة اضافة الى منحوتات نصفية بارزة لآلهة الحضر وملوكها وامرائها والتي بدونها تبدو سطوحا بسيطة والمقطع الجانبي لحجرات الاقواس يدل على انها مشتقة من بعض الزخارف التي تزين طراز العمود الايوني واشتملت زخرفة واجهة الاواوين على اعمدة نصف دائرية ملتصقة



شكل ــ ٤

الاواوين المتسقة في الحضر

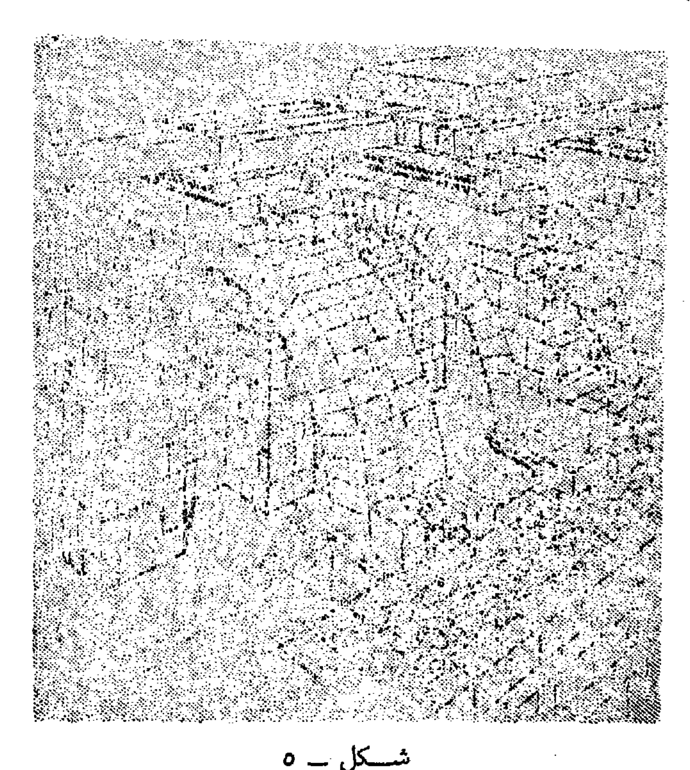
بمقدمة البناء تعلوها تيجان كورنثية الطراز ورفوف مزينة في الاسفل بصورة مدوسة وجدران الايوانين الوسطيين مزخرفة باقنعة مسرحية ووجوه الغرض منها طرد الارواح الشريرة ، ولكل منها ايضا طنف (افريز) على جدرانها الطويلة وضعت فوقها تماثيل لعقبان ، وتشير الدلائل الكتابية ان وحدة الايوان الجنوبي كانت مخصصة لعبادة مرن وان وحدة الايوان الشمالي ربما كانت مخصصة اما لمرتن او لبرمرين وفي داخل كل من الايوانين مذبح من المرمر المعرق مطعم بأشكال صنعت من الذهب والفضة والنحاس ومذبح الايوان الشمالي كان مسقفا بمظلة تتألف من اعمدة من الحجر واثار تثبيتها في صدر الايوان لا تزال ماثلة للعيان ، وكانت للاواوين الوسطية الكبيرة ابواب خشبية بنفس الحجم يستدل عليها من وجود ثقوب واسعة في دعامات الايوان لتثبيت اخشاب الابواب وحزوز الاقفال التحتانية وكذلك حجارات صغيرة في أرضية الايوان لغرض منع الابواب من الاصطدام بجدران الايوان ، اما عتبات الابواب فقد طعمت باحجار بالوان مختلفة ، وصلنا البعض منها وفقد القسم الاخر ولكن اماكنها لاتزال مرئية على العتبات والوحدة الثالثة تتألف من ايوانين متوسطي الحجم يفتحان من الخلف الى حجرة مستعرضة، وقد اطلق المنقبون علىهذه الوحدة اسم « معبد العجول » للعثور على مقدمة عجول بالنحت البارز العالي تزين الايوان الجنوبي منها لعلها ترمز الى بعلشمين اله الرعد والعواصف في الحضر وقد ورد ذكره في كتابات الحضر وعثر على منحوتات تمثله ويرمز اليه بالعجل . والايوان الاخر يرجح انه مخصص لعبادة اترعتا والتي ورد اسمها في الكتابات ايضا وانها مرافقة لبعلشمين لعلهما تكون زوجته ، حيث خصص الحضريون لها احد المعابد الصغيرة وخصصوا المعبد المجاور لعبادة بعلشمين ، وسنأتي على ذكرها لاحقا . وتشير الدلائل الاثارية الى ان هذه الاواوين كانت في الاصل مشيدة من اللبن بدليل العثور على اربع طبقات بنائية اقدم منها تخترقها

اسس الاواوين ، ربما قد استعيض عن الابنية السابقة بابنية تعتمد الايوان في تخطيطها ومقبأة بالحجر المهندم في حدود النصف الثاني من القرن الاول الميلادي ونستدل في ضخامة وسعة الاواوين المتسقة بان ثلاثة اجيال من حكام الحضر الذين لقبوا انفسهم بمريا (السـيد) قد اشرفوا علـى بناء الوحدتين الجنوبية والشمالية وتركوا اسماءهم منقوشة على اجـزاء البناء التي تمت تحت اشرافهم اضافة الى العثور على اسماء المعمارين والنحاتين الذين ساهموا في تشييد البناء ونحت زخارفه وهم برنني (المعمار) بـن يهبشي واولاده الثلاث ادى وزبيدو ويهبشي وكفع ـ نني (المعمار) حيث يستدل من اسمائهم على انهم كانوا من ابناء جزيرة العراق او بالاحرى من الحضر .

وقد اضيفت بناية مربعة الشـكل تقريبا (١١و٧٥ × ١١و٩٦ م) خلف الايوان الجنوبي مباشرة يقع مدخلها في وسط صدر الايوان بعد ان استعيض عن مدخل آخـر لا يقـع على محور واحـد مع فتحة الايـوان . والبنايـة المربعة محاطة من جوانبهـا الاربعـة بممرات ولها مدخل آخـر يقع في ضلعها الغربي وقد سد بعدئذ من الخارج بمسطبة مسقفة او سقيفة ملتصقة بالجدار الغربي وقد عثر على دلائل كتابيـة واثارية تشـير الـى ان سنطروق الملك بن نصرومريا كان مسؤولا عن اقامة السقيفة وتزيين واجهة البناية من الخارج بشرفات تتالف من اعمدة ذات تيجان كورنثية وقد ترك اسمه منقوشا على عدد من احجار البناء ، ومن المحتمل انه قد اكمل تشييد هذه البناية المهمة المخصصة لعبادة الاله شمش الذي يعتبر على رأس مجموعة الالهة الحضرية وقد كرست الحضر لعبادته بدليل نقش العبارة « حطرا دي شمش » والتي تعني (الحضر مدينة شمش) على النقود الحضرية ، وعلى اسكفة المدخل الرئيس يظهر الاله شمش وحول رأسه هالة مشعة وعلى جانبيه نسور ومحاط بغرافين من الكائنات الخرافية ، واشتهر معبد شمش لـدى بعض

المؤرخين الكلاسيكيين باحتوائه علـى الذهب ، دليل ازدهـار وانتعاش احوال المدينة الاقتصادية .

سقفت خلوة شمش بقبو بالحجر المهندم بارتفاع اعلى من الممرات المحيطة بها التي يعلوها سقف مختلف حيث هناك اقواس تربط بين كل جداريـن متقابلين منها ثم رصفت بأحجار كبيرة فوق المسافات التي بين الاقواس ليصبح سقفها مستويا وتعلوها شرفات لتكون بارتفاع قبو الخلوة (شـكل ٥) . وطريقـة التسـقيف هذه تعتمـد علـى سـلسلة مـن الاقواس لتحمل سقفا مستويا اصبحت صفة بارزة للعمارة الرومانيـة والعمارة المسـيحية المبكرة في منطقة حوران وكذلك في البتراء ، حيث استعملت لتغطي بعض

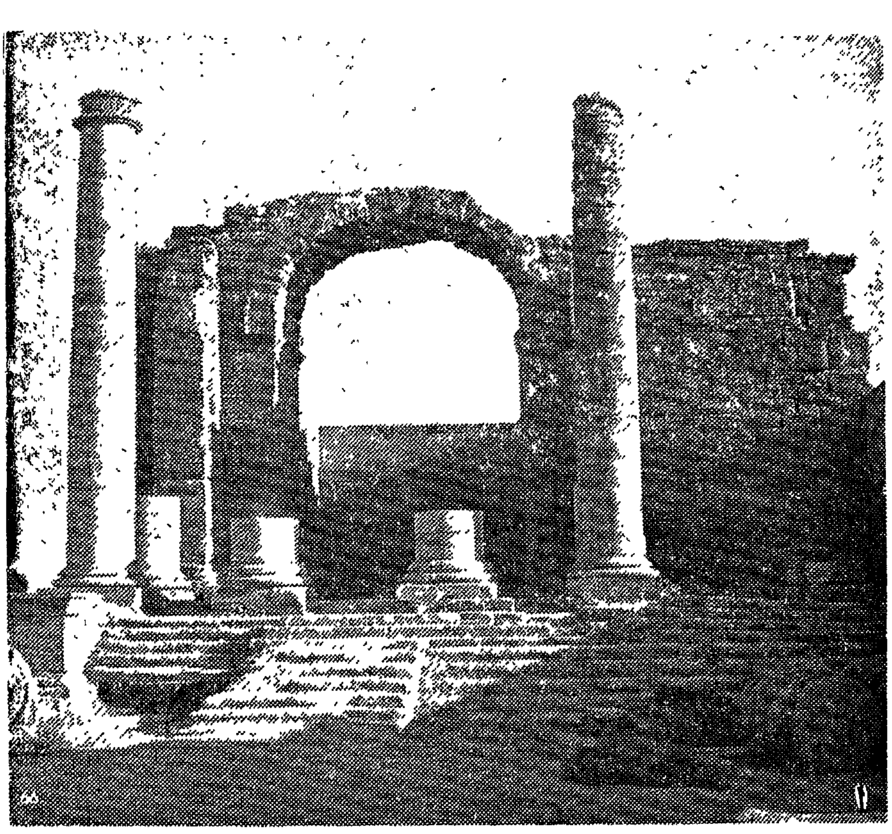


شـكل ـ ٥

رسم تخطيطي يوضح طريقة تسقيف الممرات المحيطة بمعبـد الشمس

مجاري المياه ، فمن المحتمل ان المعمار قد لجأ الى العمل بنوعي التسقيف المعروفين لعدم درايته باستعمال الاقبية المتقاطعة او القبات لتسقيف خلوة شمش المربعة الشكل • ومع ذلك فيبدو ايضا ان المعمار الحضري قد عرف استعمال القبة في فترات لاحقة بدليل العثور على مصغرين لمعابد او مزارات تعلوها قباب ولكنها ليست كافية للاستدلال على ذلك ولكنها قد تثير سؤالا مهما حول المدى الذي وصلت اليه معرفة التسقيف بالقبة ومدى تطبيقاته الانشائية ، ومهما يكن من امر فان الحفائر الاثرية في مرافق المدينة المختلفة لابد وان تكشف عن دلائل مهمة تؤدي الى مؤشرات قد تساعد في تقديم بعض الحلول لهذا السؤال •

ومن الابنية المهمة الاخرى في حرم المعبد الكبير ، معبد خصص لعبادة شحيرو ، نجمة الصبح ، يقع الى الشرق من الاواوين المتسقة ويواجه الجنوب (شكل ٦) ويتألف معبد شحيرو من خلوة يعلوها قبو وامامها سقيفة امامية مكونة من ستة اعمدة كورنثية ، اربعة منها في الواجهة وعمود واحد خلف كل من عمودي الركنين • لقد مر هذا المعبد بادوار تعميرية متعددة فقد كان في ادواره الاولى يتألف من الخلوة المستطيلة الشكل ، والسقيفة الامامية يعلوها سقف سنامي الشكل ، وفي الدور الاخر حصل تبديل في طريقة التسقيف حيث استبدل السقف بقبو مشيد بالحجر المهندم وتبعته ايضا بعض التغيرات الانشائية في بعض الجدران وفي السلم الامامي ، ثم اضيفت سقيفة جانبية من الجهة الغربية كما اضيفت غرفتان الى جهة المعبد الشرقية لاحداهما غرفة تحت الارض قد تكون قبرا • يعتبر بعض الباحثين هذا المعبد من اقدم معابد الحضر بعد معبد مرن (الهلنستي) لانه يعتمد العمود في واجهته وباسلوب بناء بعض جدرانه الذي يعتمد على وضع احجار البناء بشكل عمودي متناوب •

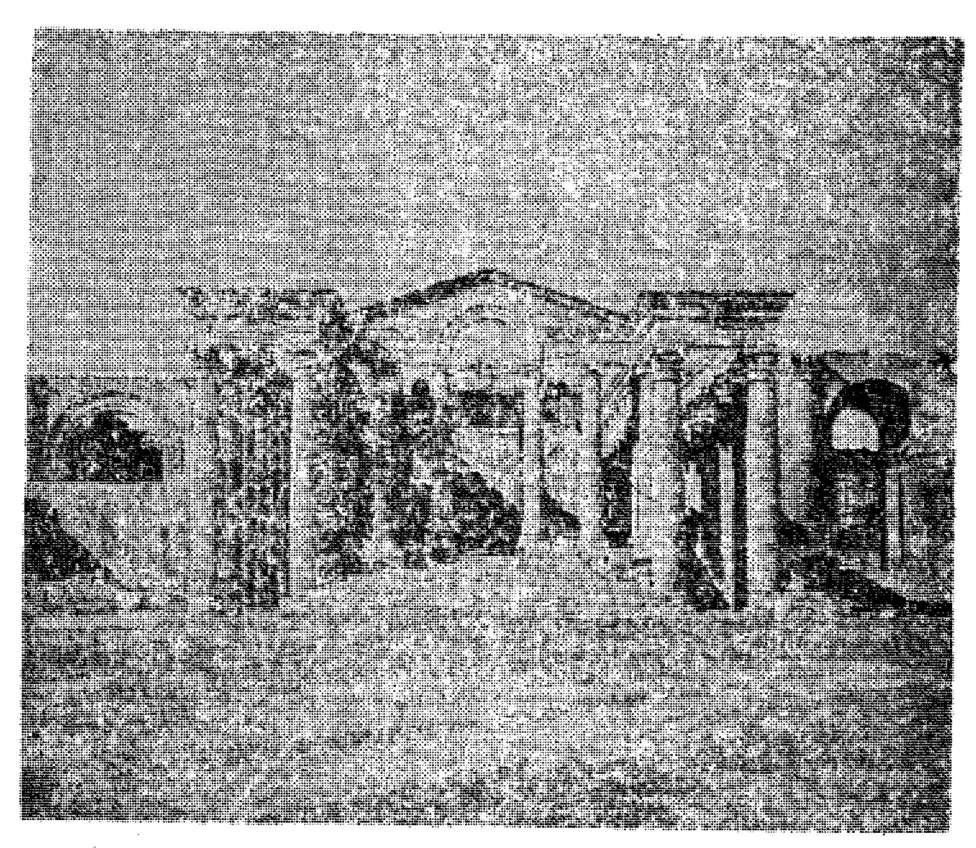


شكل ـ ٦
واجهة معبد شحيرو

والى الجنوب من معبد شحيرو يقع معبد آخر ربما خصص لعبادة سميا استنادا الى دلائل آثارية ويتألف من ايوان وسطي كبير على جانبيه ايوانان صغيران وبطابقين وغرف اخرى خلفهما . واعتبر المنقبون هذا المعبد من اقدم الابنية في الحضر التي تعتمد الايوان في مخططها لاسباب عديدة من اهمها ان الواجهة قد اتسمت ببساطة زخرفتها فقد جاءت خالية من انصاف الاعمدة التي تزين جانبي الايوان ومن النحت البارز للرؤوس التي تغطي احجار الاقواس ، كما في اقواس الاواوين المتسقة ولهذا المعبد مذبح أو دكة لوضع تمثال الاله الرئيسي وفي داخل الجدار الخلفي توجد كوة صغيرة .

ومن الابنية التي شملتها الحفائر الاثرية في حرم المعبد الكبير معبد يقع الى الجنوب من معبد سميا ويعتمد الايوان في مخططه ايضا ويتألف من ايوان وسطي واسع وعلى جانبيه ايوانان صغيران بطابقين وقد خصص لعبادة الهة التثليث الحضرية « مرن ومرتن وبرمرين » « سيدنا وسيدتنا وابن ساداتنا » بدليل العثور على الواح بالنحت البارز تمثلهم • قسـمت واجهة المعبد الامامية زخرفيا بواسطة عدد من انصاف اعمدة دائرية ملتصقة واقواس زينت احجارها وبخاصة احجار اقواس الايوان الكبير بالنحت البارز لالهة مثل « هرقـل » و «اللات» و « النسر » و « سميا » بينما نحتت رؤوس لسادة وسدنة المدينة على احجار اقواس الاواوين الصغيرة من بينها رأسان يمثلان نصرو مريـ الذي يرجح انه كان سيد المدينة في حدود الاعوام ١٠٥ ــ ١٣٥ ميلادي • وقد صور في المرة الاولى بهيئة شاب وفي الثانية رجـلا في مقتبل العمر • وقد عثر المنقبون في هذه البناية على كتابة مهمة تشير الى ان نصرو مريا بن نشر يهب كان مسؤولا عن تشييد هذه البناية • ويقع امام معبد التثليث هذا منخفض اثبتت التحريات الاثرية انه احتوى على مدرجات من جهات ثلاث دعا بعض الباحثين الى اعتباره مكانا لاجتماع مجلس المدينة وتجرى الان دراسة طريقة رصف الاحجار وعلاقتها ببعضها واحتمال نقل احجار بناء من مناطق اخرى لها بعد التهديم •

اما معبد مرن (الهلنستي) (شكل ٧) • فيحتل موقع الصدارة في صحن المعبد الكبير وهو يتألف من صفين من الاعمدة تدور حول الخلوة التي بنيت فوق مسطبة طولها من الاسفل ١٣٫٨٣ م وعرضها ١٠٫٥٢ م وبارتفاع قدره ١٫٨٠ م عن الارضية ، والاعمدة الداخلية وهي ذات طراز آيوني تقوم على حافات المسطبة واما الاعمدة الخارجية فهي الاكبر حجما تقوم مباشرة على



شـكل ــ ٧

معبد مرن (الهلنستي)

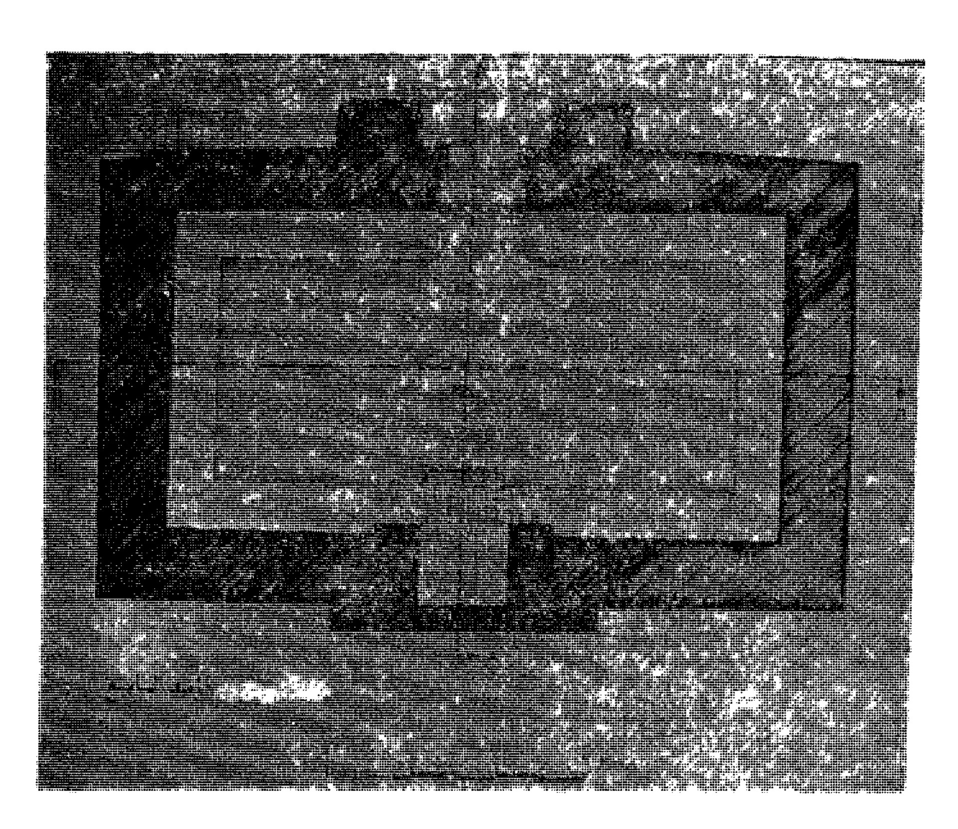
الارض وعددها ٢٥ عمودا من الطراز المركب • وللمعبد سقف غريب فمن جانبيه الشمالي والجنوبي اى بين الاعمدة الصغيرة والكبيرة شيد مستويا ثم على شكل جملون فوق الخلوة ، وعثر على بلاطات مربعة الشكل مزينة بمشاهد مختلفة ومطعمة باحجار ملونة كانت تحلي بعض اجزاء السقف بعد وضعها في اطر خشبية • وقد تم تمييز فترتين رئيستين من تاريخ هذا المعبد كانت البناية في الفترة الاولى تتألف من الخلوة والاعمدة الايونية وفوق المسافة الوسطية بين العمودين اللذين امام باب الخلوة بني قوس • اما الاعمدة

الخارجية مع القوصرتين الامامية والخلفية فقد اضيفتا في الفترة التعميرية الثانية وتمدنا بعض الدلائل الاثارية والمعمارية وبخاصة الزخارف بمؤشرات حول تشييد هذه البناية التي يرجح انها تعود بتاريخها الى القرن الثاني قبل الميلاد وعثر اثناء الحفائر الاثرية في المعبد على تماثيل رومانية ترجع باسلوبها الى اسلوب النحت الهلنستي من بينها تمثال لابولو وبوسايدون وايروس وهرمز تعود الى حقبة متأخرة من تاريخ المدينة عندما تحالف الحضريون مع الرومان ضد الغزاة الساسانيين بعد سقوط الامبراطورية الفرثية ومن المحتمل ان هذه التماثيل كانت توضع في كوات في الجدران الخارجية السابقة للخلوة ٠ وعثر المنقبون ايضا على تماثيل كانت تزين اركان المعبد من الاعلى (الاكروتيريون Acroterion) من بينها تمثال برونزي لالهة النصر نايكة وتمثال آخر لها صنع من الحجر ٠ لقد امدتنا الكتابات الارامية المنقوشة على ارضية المعبد وعلى بعض جدرانه بأدلة تشير الى انه قد خصص لعبادة (مرن) ٠

وشملت اعمال التنقيبات الاثرية ايضا بناية اخرى في صحن المعبد وقد اتضح بانها تتألف من ايوان كبير وعلى جانبيه ايوانان صغيران وهي بذلك تشبه الطراز الحضري المألوف في الاواوين المتسقة ولكنها تختلف عنها من حيث السعة والضخامة وبالتفاصيل الزخرفية المعمارية المختلفة التي كانت تزين الواجهة ، وتشير الكتابات الارامية الى ان الملك سنطروق الاول قد بنى هذا المعبد وخصصه لعبادة الالهة العربية «اللات» بعد ان زينه بمجموعة رائعة وبنحت بارز لعازفين على مختلف الالات الموسيقية سواءا الات النفخ منها او القرع يصاحبهم آخرون يصفقون ويزغردون فرحين بقدوم الهتهم المفضلة والمنحوتة صورتها وهي راكبة على ناقة ٠ وترك سنطروق الاول تمثاله وتمثال ابنه وولي عهده عبد سميا منحوتا في صدر كل من الايوانين الصغيرين واتضح من خلال

بعض الدلائل الاثارية والكتابية بأن ابنه عبد سميا الذي خلفه في الحكم قد اكمل المراحل الاخيرة من هذه البناية الضخمة .

وامتدت اعمال الحفائر الاثرية لتشمل عددا من بيوت الاصنام او المعابد الصغيرة في اماكن متفرقة من المدينة وقد عثر فيها على تماثيل ومنحوتات كثيرة تمثل الهة واشخاصا كانوا مسؤولين عن تشييدها كما عثر على منحوتات مماثلة لكهنتها وهذه المعابد متشابهة في تخطيطها وتتبع اسلوب تخطيط المعابد البابلية القديمة وهي ذات علاقة مع المعابد المعاصرة في كل من دورايوروبس وتدمر ، فكل منها يتألف من قاعة مستعرضة الشكل هي المصلى وخلوة مربعة الشكل في احد الاضلاع الطويلة تقع بمواجهة المدخل الرئيسي والحقت بها ، في بعض المعابد ، غرفتان على كل جانب استعملتا لوضع القرابين والنذور المقدمة لاله المعبد الرئيس (شكل ٨) وقد امدتنا الكتابات التي عثر عليها محفورة باسكفة المدخل او على ارضية وجدران المبنى بمعلومات عن عائدية هذه المعابد ، فمن المحتمل ان بيتي الاصنام الاول والثامن كانا مخصصين لعبادة نرجول ــ اله العالم الاسفل والعاشر لهرقل ــ نرجول ، والثالث لبعلشمين والرابع لاترعتا والخامس لتقديس اللات والسابع لهرقل والثاني عشر لعبادة نابو وسقفت معظم هذه المعابد بطريقة متشابهة لبعضها ، فسقف كل منها تألف من ثلاثة اقبية تقوم على الجدارين العرضانيين وعلى قوسين يرتكزان من جهة على دعامتين واقفتين على جانبي الخلوة ومن جهة على الضلع الذي يحوى مدخل المعبد ورصفت ارضية المعابد باحجار من مرمر اخضر اللون والتي بنيت بها ايضا درجات السلا لم التي تؤدى الى سطوح المعابد . وزينت معظم مداخل هذه المعابد بزخارف بديعة ويحمل قسم منها منحوتات تاريخية في اسكفته ، كالمعبد الخامس مثلا ، وقد نقشت بعض الكتابات على اسكفات المداخل ، كالمعبد الثامن (أ) والثاني عشر ، وهي تشير الى القبائل او الاشخاص الذي كانوا وراء تشييدها ومن ثم تخصيصها الى الهتهم المفضلة .



شـكل ــ ٨

مخطط المعبـد السابع

وبنيت المعابد الصغيرة من اللبن على اسس من حجر مهندم تصل الى ارتفاعات مختلفة قد ترتقي الى ثلاثة امتار ، وغطيت جدران اللبن والحجر بطبقة او بطبقتين من الجص وبني السقف مـن كسر حجر وبثلاثـة اقبية كما ذكرنا سابقا .

وتقع امام هذه المعابد فناءات واسعة مكشوفة تطل عليها من جوانبها المختلفة دور خاصة لسكنى المواطنين وفي بعض الاحيان اواوين او اروقة

ومخازن ذات علاقة بالمعابد • وشيدت دور السكنى في الحضر باسلوب تقليدي واحد تقريبا ، فهي تتألف من فناء او ساحة مكشوفة يطل عليها من جهة الجنوب ايوان وعلى جانبيه غرفتان وتحيط بالساحة غرف من جوانبها الاخرى ، اما الدخول الى البيت فكان يتم بمدخل ينفذ الى مجاز طويل يصل الى الساحة ووجد المنقبون بيتا واسعا ملاصقا للمعبد الاول ، سمي بيت معنو استنادا لادلة كتابية وهو يتألف من ساحة على جانبيها ايوانان متقابلان وعلى الجانب الاخر اروقة والجانب الرابع يحتوي على منفذين يؤديان الى وحدتين بنائيتين متجاورتين يتألف كل منهما من غرف واواين تحيط بساحة مستطيلة الشكل•واجريت اعمال التنقيبات الاثرية في مرفق كبير قريب من البوابة الشمالية واتضح انه قصر واسع بنيت جدرانه من اللبن على اسس من حجر وغطيت بطبقة من الجص،وتألف من عدة فناءات مكشوفة تحيط بها الغرف من جوانبها المختلفة مع وجود ممرات تربط بين الفناءات وامام القصر توجد ساحة واسعة مكشوفة يطل عليها ايوان مقبأ بالآجر وعلى جانبيه غرفتان واسعتان يتم الدخول اليهما من خلال الساحة الامامية وترك الحضريون لنا رسومات جدارية محززة على جدران هذا القصر ، كما في مواقع اخرى من المدينة ، وهي تمثل مشاهد صيد ورسوم هندسية ومعمارية مختلفة ورسوم لالهة مختلفة ولحيوانات تعكس لنا احداثا من حياتهم •

اما مقابر المدينة فيقع معظمها في الجهة الشرقية منها وقسم منها داخل المعبد الكبير • ومدافن الحضر بنيت من الحجر المهندم على اشكال متعددة ابسطها ذات طابق واحد مربع الشكل يتألف من غرفتين يربط بينهما ممر ومدخل منحدر من الخارج الى الداخل • من الابنية التي شملتها الحفائر

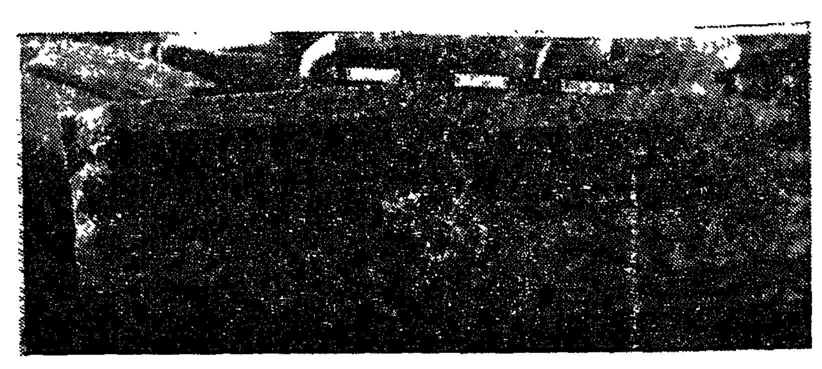
الاثرية مدفن لقبيلتي تيمو وبلعقب ، يتألف من طابقــين ، الطابق الارضي تكون من ثلاث غرف وممر يوصل اليه من خلال مدخل ينحدر نحو الداخل بدرجات قليلة وفي احدى الغرف سلالم تؤدي الى الطابق الثاني الذي يتألف عن طريق نوافذ ضيقة ترتفع عاليا في الجدران ومداخلها سدت بأبواب حجرية واحدة تحتوي جدرانها على رفوف او قواعد Console ربما لوضع تماثيل الاموات الذين دفنــوا في الابنيــة المجاورة • لقــد زخرفت بعض المدافن بتحليات واعمدة نصف دائرية ملتصقة بالواجهة وسقفت بالاقبية وكانت تضاء عن طريق نوافذ ضيقة ترتفع عاليا في الجدران ومداخلها سدت بأبواب حجرية ثقيلة تدور على صنارات حفرت في العتبات السفلى للمداخل • مدافن الحضر تشبه نظائرها في دورايوروبس وتدمر ، ففي تدمر تشكل المقبرة مدينــة حقيقية للاموات بنيت خارج المدينة في واد قريب •

اثرت عناصر العمارة الحضرية في ابنية موقع جدالة التي تبعد عن الحضر بمسافة ٥١ كم الى شمالها الشرقي وقد شملتها اعمال التنقيبات الاثرية في السنوات الاخيرة واتضح بأنها ربما كانت مقرا لحامية عسكرية او مركزا دينيا لاحتوائها على معبد مهم يقع على طرق التجارة البرية وكان مخصصا لعبادة هرقل • بنيت ابنية جدالة من اللبن على اسس من حجر وقد تضمنت بعض القلاع في سورها الرئيس المربع الشكل وحجرات متراصفة الواحدة بجانب الاخرى على طول السور ، اما في داخل السور فشيدت بناية تتميز باحتوائها على ثلاث سقائف تستند على دعامات مربعة الشكل وداخل البناية مقسم الى غرف بترتيب غير منسق ، وعثر على اسكفتين لمدخلين عليهما بعض

النقوش بالنحت البارز وكتابة آرامية حضرية بالخط واللغة وتحمل تاريخا يحسب بالتقويم السلوقي الى حدود سنة ١٤١ ـــ ١٤٢ ميلادي .

نستطيع ان نستخلص ان البناء بالايوان ، وهو الابتكار الاصيل للبناء العراقي قد استعمل في تشييد المعابد الفخمة الواسعة والمهمة وفي بناء دور السكنى البسيطة . فالايوان في الحضــر دخل في كل ابنيتها في معابدهــا وقصورها وبيوتها واصبح الصفة البارزة والشائعة للعمارة الحضرية التي اثرت عناصرها المعمارية في الابنية المعاصرة في مواقع اخرى كاشور مثلا وبخاصة في تخطيط وبناء معبد آشور الذي تألف من اواوين متسقة ، ولكن الاختلاف قد يظهر في مواد البناء المستعملة ففي آشور ، كما ذكرنا سابقا ، استعمل الطابوق المغطى بالملاط بينما استخدم الحجر المهنــدم في مدينــة الحضر . لقد طور المعمار الحضري عناصــر مختلفة متناقضــة ، في بعض الاحيان ، للعمارة المعاصرة والعمارة العراقية القديمــة واســاليب العمارة الهلنستية وبعض عناصر العمارة الشرقية ـــ الرومانية ووضعها في ما يشبه بودقة انصهار وحصل على اسلوب جديد متميز ، فهــو مثلا صــمم وبنى الاعمدة الحضرية بنوعيها الحر والملتصق من الحجر المهندم بالطريقة الاغريقية التقليدية حيث اقامها بواسطة اساطين الواحدة فوق الاخرى وجعل قياسات ثلثها العلوي تتناقص حسب مبادىء العمارة الاغريقية في خداع النظر . واما الزخرفة والتي تشمل الجمع بين اوراق الاكانثوس والحبل المبروم والبيضة ورأس الرمح اضافة الى اشكال حيوانية وهندسية فهي من ابتكاره وكان قد ورث بعض عناصر العمارة الاشورية المشابهة التي كانت تزين قاعــات ومعابد الاشوريين ومزجها بعناصر العمارة الهلنستية . ومن ابرز الخصائص

الزخرفية الحضرية هي جمع رأسين او ثلاثة رؤوس حيوانية على حجرة قوس واحدة اضافة الـــى استعمال الزخرفــة الحيوانية وبخاصة الغرفــن Griffin ذي الظهر المقوس والارجل الخلفية الملتفة والمنقوشة صورها على واجهات الابنية وعلى بعض اسكفات المداخل (شكل ٩) .



شــكل ــ ٩

الزخرفة الحيوانية في معبد مرن الهلنستي

مصادر مختارة

باللغة العربية

١ ــ فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ــ الحضر مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤

٢ ــ ماجد الشمس : الحضر ، بغداد ١٩٦٨

٣ ــ د . واثق الصالحي « الحضر ــ التنقيب في البوابة الشمالية » سومر ٣٦ (١٩٨٠) ص١٥٨ ــ ١٨٩

٤ ــ د . واثق الصالحي « الحضر ، التنقيب في مجموعة من المقابر » سومر ٢٨ (١٩٧٢) ص ١٩ ــ ٣٠

باللغة الانكليزية :

1- **Maleolm Colledg, The Parthians,** London 1967.

2- W. Andrae, **Hatra,** Vol. I, wvdog 9, 1908.

3- ————, **Hatra,** Vol. II, wvdog 21, 1912.

4- **A. U. Pope, Survey of Persian Art,** Oxford, 1938.

البحث الخامس

العمارة قبل الأسلام

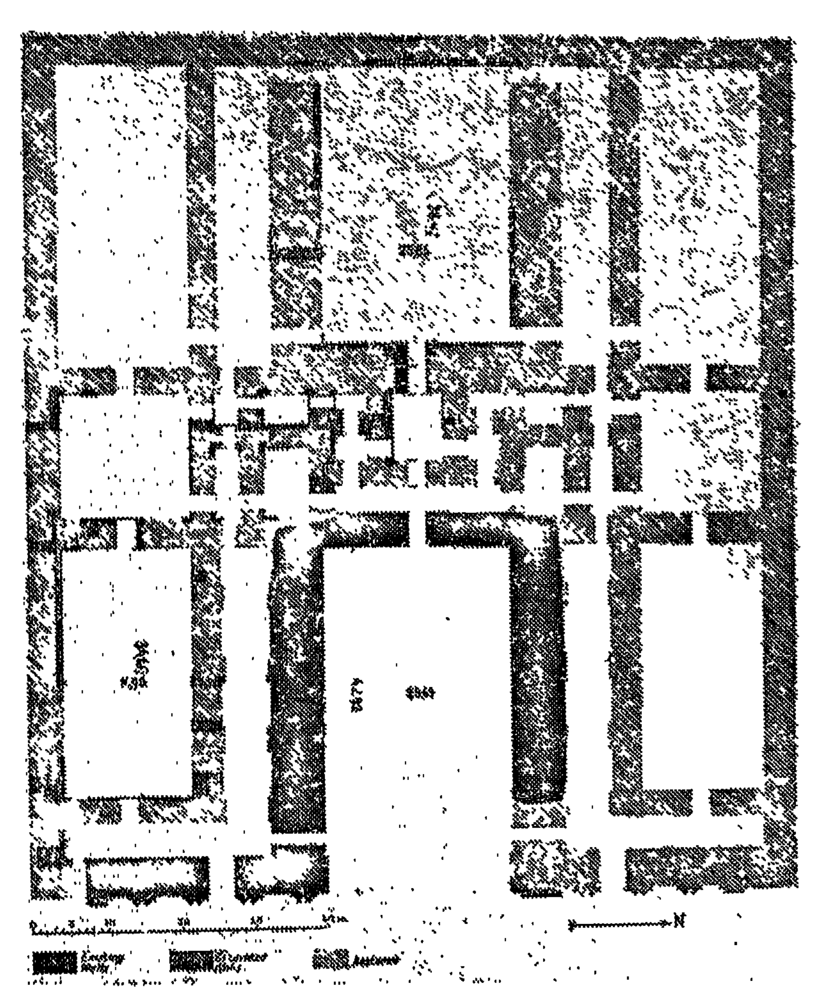
د. واثق اسماعيل الصالحي

كلية الآداب - جامعة بغداد

تأسس الحكم الساساني في أقليم فارس التابع للمملكة الفرثية اثر تسلط اردشير بن بابك على مركز الحكم فيه ثم امتد ليشمل ايران ويزحف الى العراق ويضع نهاية حكم الفرثيين بسيطرته على طيسفون (المدائن) العاصمة وقتل آخر ملوكها آرطبان الخامس في عام ٢٢٦/٢٢٧ ميلادي ، واستمر هذا الحكم الى سنة ٦٣٦ ميلادي أي حوالي اربعة قرون من الزمن حيث انهى العرب المسلمون ذلك التسلط الاجنبي بقوة السلاح .

أتصفت العمارة في العراق خلال هذه الفترة بصفات تعتبر لدى معظم المختصين ، امتدادا طبيعيا للصفات التي اتسمت بها العمارة العراقية في الفترة السابقة وبخاصة تلك التي تميزت بها عمارة الحضر والتي كما بينا تحمل العديد من الميزات التي اتصفت بها العمارة العراقية القديمة فأعتماد البناء سواء كان بيتا أو قصرا أو مركزا اداريا أو دينيا على الايوان المسقف بقبو كان من ابرز خصائص العمارة ويعتبر ايوان المدائن الكبير من اهم نماذج

القصور التي وصلتنا فقد كشفت الحفائر الأثرية عن مخطط القصر الذي يؤلف الايوان الجزء المهم منه واتضح بانه يختلف في تخطيطه عن قصـــور الساسانيين الاخرى وقد يعزى هذا الاختلاف الى تفاوت الفترات الزمنية والتي سنشير اليها عند مناقشة تاريخ الايوان ، فأيوان المدائن (شـكل ١)



شـــكل ــ ١

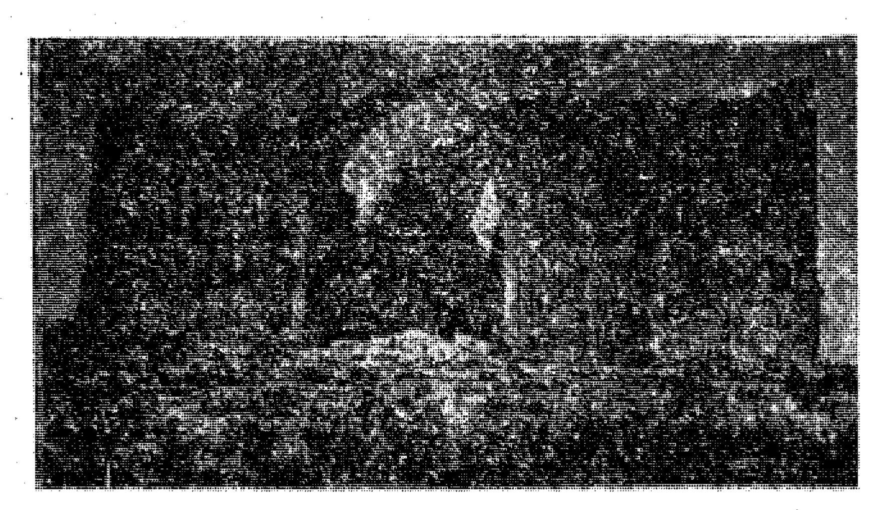
المخطط الارضي لايوان المدائن

يواجه الشرق ارتفاعه ٣٥ م وعرض فتحته ٢٥ م وامتداده الطولي حوالي ٥٠م بنيت اسسه من الآجر والجص ورصفت بشكل عمودي وعلى غرار بعض جدران ابنية آشور ، عمل البناء العراقي على جعل هذا الايوان متينا وقويا فزاد في سمك الجدران كما فعل في اواوين الحضر لتستطيع حمل القبو الذي كان بسمك حوالي متر واحد من الاعلى وجعلها في بعض الاحيان اكثر من ٤ امتار ولم يزين الجدران بكوات او حنيات كما فعل في بقية القصور لاعتقاده بأن الشكل البسيط هو الاصلح انشائيا ووضع بعض الخشب في داخل الواجهة لزيادة قوة وتحمل الجدران واحتوى جداره الخلفي دعامات خشبية ايضا وكان استعمال الخشب في تقوية الجدران من التقاليد المعمارية العراقية وشاع استعمالها في العمائر العربية الاسلامية ايضا .

احتوى الجدار الخلفي للايوان مدخلا يقع على المحور الطولي يفضي الى سلسلة من الغرف الصغيرة المتصلة ببعضها عبر فتحات الابواب ومنها الى قاعة واسعة مغلقة بعرض الايوان والتي يبدو انها سقفت بقبو كما تشير بعض الدلائل الاثارية وتوجد غرفة على كل جانب من جانبي الايوان اصغر من القاعة المغلقة الخلفية يفصلها عنه دهليز ضيق واثبتت الحفائر الاثرية تناظر مخطط القصر حيث اتضح بانه يتألف من وحدتين بنائيتين تتكون كل منهما من ثلاث غرف واسعة نمتد على محور واحد ، وتكون الوسطى في كل منهما اوسع بسبب ضخامة قياساتها وشكلت القاعة الوسطية في الوحدة الامامية الايوان المفتوح الى جهة الشرق وهذا يوضح مبدأ التقسيم الثلاثي للابنية في عمارة العراق القديم وبخاصة في وحدات الاواوين المتسقة في الحضر . وكان للغرف الصغيرة بين الوحدتين والتي بنيت على محور مغاير اهمية خاصة فهي تفصل بينهما وبنفس الوقت تكون حلقة الوصل بين القاعات الكبيرة .

يشكل المخطط الارضي لقصر المدائن نقطة التقاء وتشابه مع بعض ابنية آشور وبخاصة القصر المعروف بقصر الاواوين حيث عثر على دلائل ، من خلال

الحفائر الاثرية ، لوجود أيوان اخر يقابله في الغرب وفي الخلف والجانبين شيدت غرف عبر ساحة وسطية فهو بهذا يشابهه ويشير بوضوح الى ان البناء قد اتبع التقاليد العراقية في تشييد القصور اما تصميم وتنفيذ زخرفة الواجهة بما يعرف بالعمارة الصماء (شكل ــ ٢) التي تشتمل على انصاف اعمــدة



شــكل ــ ٢

واجهة ايــوان المدائن قبل سقوط الجــزء الشــمالي

ملتصقة وعلى اقواس صماء فيدل على تأثير واضح لعمارة الحضر علــى زخرفــة واجهة الايوان من خلال واجهات ابنية آشور المبنية بالآجر والمغطاة بزخارف جصية فقسمت الواجهة على جانبي الايوان الى ســت طبقات أو مراحل تتألف من انصاف اعمدة دائرية الشكل ملتصقة بالجدران تختلف من مرحلة الى اخرى صعودا ومن اقواس صماء وحنيات وعناصر زخرفية اخرى واستعملت الشرفات الاشورية لتزيين اعالي تلك الواجهة .

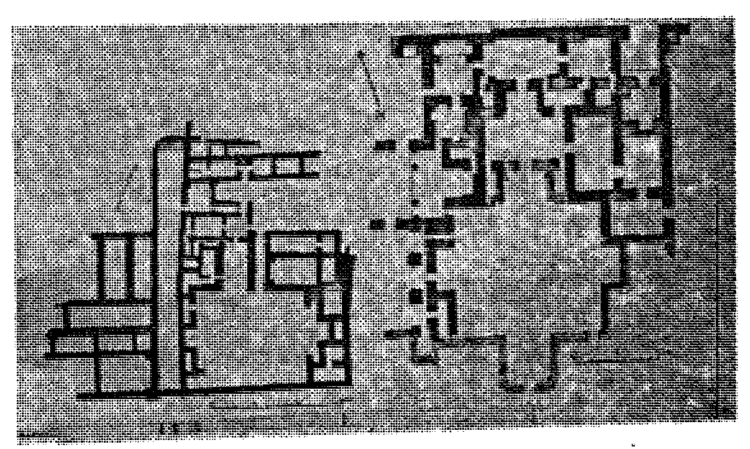
وتشير بعض المصادر الى ان بعض جدران الايوان الداخلية كانت مغلفة بألواح المرمر الملون المنقولة من كنيسة مسيحية في انطاكية والبعض

الاخر احتوى على مشاهد حربية عملت بالفسيفساء توضح حصار كسرى لتلك المدينة ، ويبدو ان اسرى انطاكية اجبروا على عملها . وقطع الفسيفساء هذه تتألف كما اثبتت الحفائر الاثرية من احجار ملونة ومذهبة كانت تشكل وحدات فنية زخرفية معينة اتصفت بها جدران الايوان ، ويؤيد ما ذهب اليه بعض الكتاب العرب من انها كانت مكسوة بزخارف ملونة ، وعملت الارضيات حسب ما ورد ببعض المصادر من الواح مرمر سميكة ثم غطيت بسجاد حرير عليها مناظر اشجار وحدائق وقنوات مياه ، ويقال ان كسرى عندما كان يستعد لاستقبال المدعوين يجلس على وسادة ذهبية وضعت فوق العرش في نهاية الايوان ويظهر مرتديا ملابس مزخرفة وذات نسيج ذهبي وفوق رأسه تاج عظيم مصنوع من الذهب والفضة ومطعم باللؤلؤ والاحجار الكريمة ويقال ايضا بان وزنه كان عظيما يقدر بأكثر من ٩٠ كغم لذلك فانه كان يعلق بالسقف بسلاسل طويلة من الذهب .

لقد اطلق على هذا الايوان اسم ايوان كسرى او طاق كسرى ونسب بناؤه الى كسرى أنو شروان (٥٣١-٥٧٩ م) او كسرى برويز (٥٩٠ - ٦٢٨ م) لاعتقاد بعض الباحثين بأحتوائه على عناصر معمارية مختلفة تشبه تلك التي سادت خلال القرن السادس في العمارة البيزنطية وتوضحت من خلال بعض الابنية في سورية اضافة الى بعض نقاط التشابه مع الواجهة الشمالية للساحة الوسطية من قصر الاخيضر الذي لعله كما يرجح بعض الباحثين يعود بتاريخه الى الفترة العربية الاسلامية الاولى . وهناك من يعتقد بان تشييده قد تم اما في عصر أردشير او عصر شابور الاول ٢٤٠ - ٢٧٢ م مستندا بذلك على بعض الاشارات التاريخية التي وردت في المصادر المكتوبة. ومهما يكن من امر تشييد القصر فانه وكما اوضحنا يشبه في مخططه وطريقة بنائه وزخرفة واجهته ابنية واواوين الحضر وآشور والتي شكلت المبادىء المعمارية الاساسية التي عرفها واعتمدها البناء في اقامة مثل هذا البناء

الضخم ، ولهذه الاعتبارات اعتقد بان زمن بنائه يعود اما الى نهاية العصر الفرثي او الى بداية العصر الساساني وربما كان المعمار العراقي الذي ابدع في خلق الايوان المقبأ قد استنسخه في فترة لاحقة من ابنية اقدم عهدا قد تكون الحضر او طيسفون العاصمة التي اسسها ورود الفرثي وازدهرت لتصبح مركزا تجاريا مهما في المنطقة وعرفت بالمصادر التاريخية بالمدينة العتيقة واحتوت على القصر الابيض الواقع على نهر دجلة الذي جعله العرب المسلمون بعد فتح المدائن مسجدا لهم ، في حين تشير بعض المراجع الى ان موقع الايوان كان في اسبانبور (Aspanbur) احدى المدن السبع التي تألفت منها المدائن التي اشار اليها الكتاب العرب •

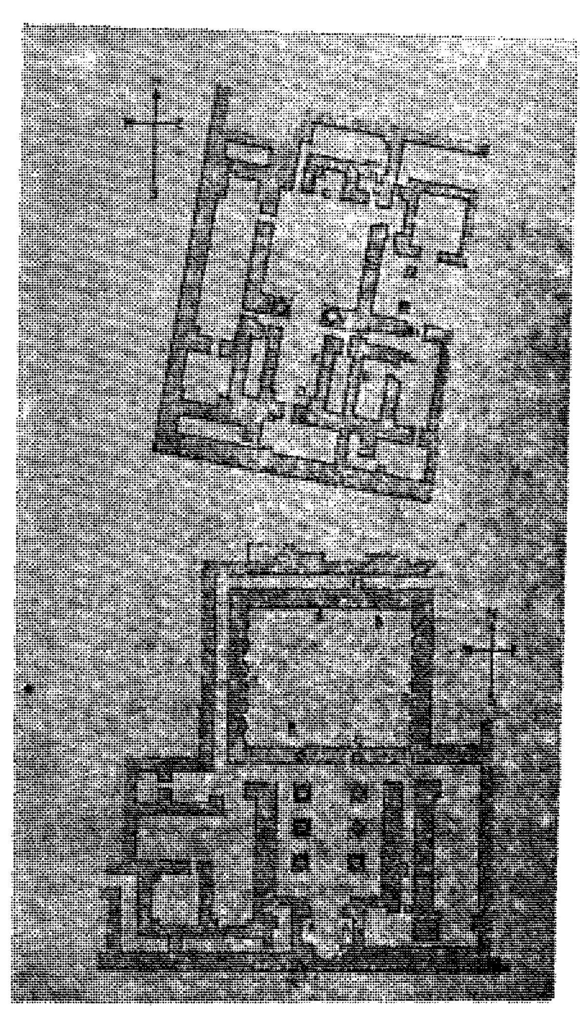
اما بيوت السكنى في المدائن فقد شملتها بعض اعمال التنقيبات الاثرية واتضح بانها قد ترجع بتاريخها الى فترة متأخرة من العصر الساساني استنادا الى بعض الدلائل الاثارية وتتميز هذه البيوت او الوحدات السكنية بصفات العمارة العراقية بأحتوائها على الساحة الوسطية المكشوفة والاواوين التي تطل عليها (شكل ٣) فقد يوجد ايوان واحد في احدى واجهات الساحة



شكل ـ ٣
مخطط بيوت في المدائن

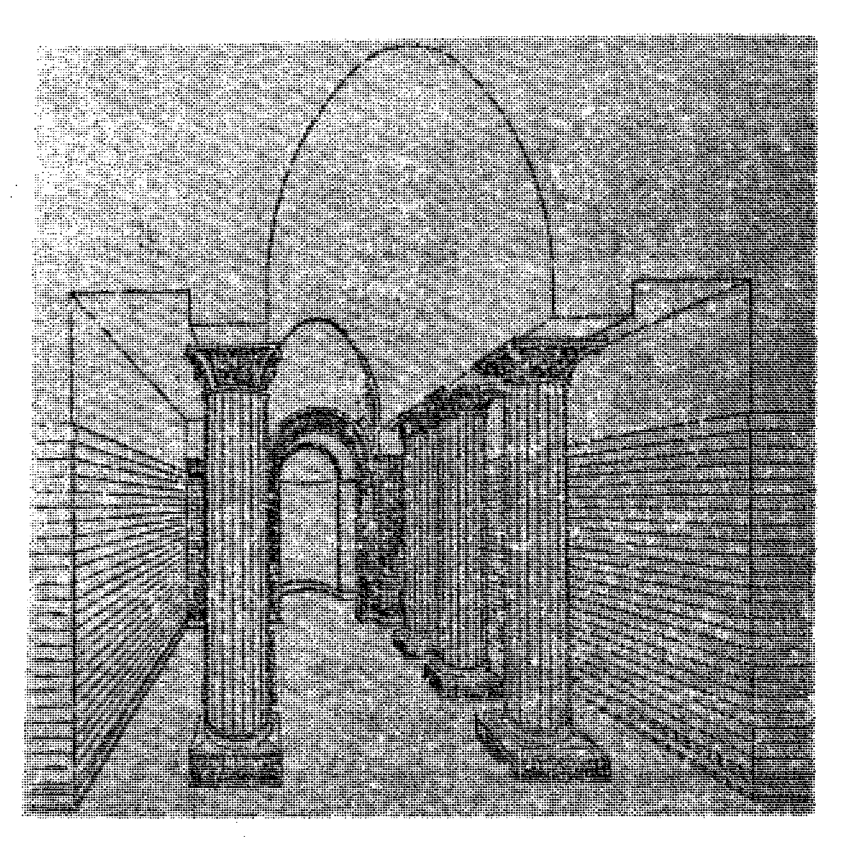
او يوجد ايوانان متقابلان وفي بعض الاحيان ثلاثة اواوين او اربعة اواوين متقابلة في الاضلاع الاربعة للفناء وهو بهذا يعيد الى الاذهان مخطط قصر الاواوين في آشور • ورتبت الحجرات في الجوانب والغرف بشكل متناظر في الوحدات السكنية الكبيرة بينما لايحصل مثل هذا التناظر في المخطط في بعض الوحدات السكنية وبخاصة الصغيرة منها وانما تنظم الغرف خلف الايوان على محور طولي واحد واصبح اكبر الاواوين في البيت القاعة المهمة بينما تحولت الاواوين الاخرى في بعض الاحيان الى حنيات اوكوات ضحلة ذات طابع زخرفي في الجدران واحتوت بعض البيوت على غرف مداخل (طارمات) يزينها عدد من الاعمدة في الامام تقع امام الاواوين وتشكل معه مايشبه حرف T او L المقلوب واقيمت الاعمدة من الاجر بطريقة الرصف العمودية التي لاحظناها في اعمدة آشور ونفر • ولم تكشف الحفائر الاثرية عن دلائل تشير الى امكانية وجود طابق ثان حيث لم يعثر على أية اشارة الى بناء سلالم ومع ذلك فانها ربما تكون في اماكن الدهاليز او الممرات الضيقة التي توجد في المخططات الارضية والتي تكون حلقة الوصل بين مجاميع الغرف التي تقع على جوانب الساحة الوسطية المكشوفة •

وكشفت الحفائر الاثرية التي اجريت في موقع كيش القريب من بابل عن بنايتين واسعتين مشيدة جدرانهما من اللبن مغطاة بطبقة من الجص عملت بأشكال زخرفية متنوعة تشير الى انهما شيدتا لتكونا قصورا (شكل ٤) وقد عانت هاتان البنايتان كثيرا من التعرية الطبيعية واملاح التربة التي اتت على معظم جدرانهما لولا تغطية تلك الجدران بطبقة من الزخارف الجصية التي استطاعت ان تحافظ على بعض منها • تضمن البناء غرفة او قاعة مهمة تحتوي على حنية (Apse) في جدارها الشمالي وتحيط بها غرف وممرات



شــكل ــ ٤
مخطط الابنيــة في كيش

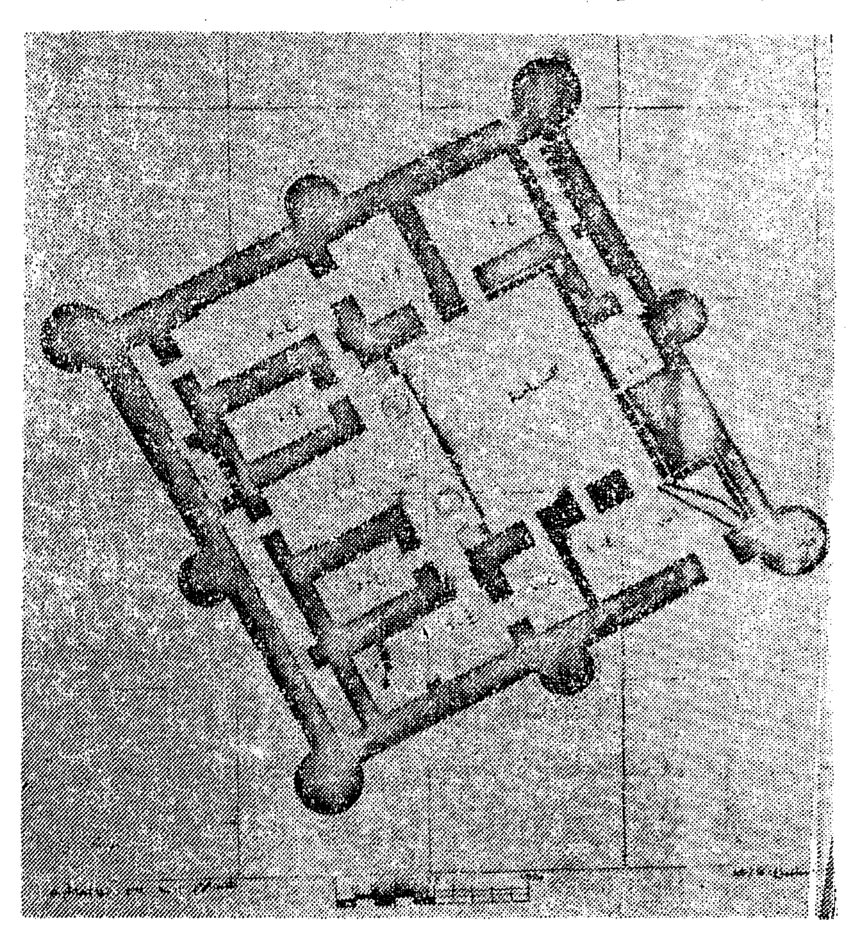
عملت بشكل معقد بعض الشيء بينما احتوى مخطط القصر الثاني على نفس القاعة او الغرفة المهمة الواسعة ولكنها احتوت على صفين من اعمدة شيدت من اللبن وطليت بطبقة من الجص المزخرف ولها قواعد مربعة الشكل اما الحنية فتأخذ شكلا نصف دائري (شكل ٥) .



شـكل ـ ٥
رسـم تخطيطي لقاعـة القصر في كيش

وعملت الزخارف الجصية بنسق وترتيب واحد وبدون اختلاف واشتملت على اوراق نخيل وبعض الازهار والأوراق النباتية اضافة الى العثور علـى رؤوس عديدة عملت بالجص البارز تزين جدران القاعة يعتقد بانها تمثل شابور الثاني (٣١٠ ــ ٣٧٩ م) وزينت بعض الغرف بزخارف ذات اشكال حيوانية ومجموعات زخرفية البعض منها يمثل اسودا تصارع ثيرانا ، ويحمل قسم من هذه الزخارف بقايا اصباغ باللون الاحمر والازرق والاصفر ، ورأس شابور الثاني تؤرخ البناية في الفترة التي حكم فيها هذا الملـك .

وشملت اعمال التنقيبات الاثارية الانقاذية في مواقع حوض حمرين تلا يدعى « تل ابو شعاف » يقع في القسم الشمالي من مواقع الحوض واتضح من نتائج الحفائر بان التل يضم بناءاً مربع الشكل طول ضلعه ٢٧م مبنيا مـن اللبن والطين (شكل ـ ٦) وطليت الجدران بطبقة من الطين وفي بعض الاحيان غطيت بطبقة اخرى من الجص وبخاصة في بعض الغرف ومن ضمنها الايوان



شكل ـ ٦

مخطط البناية في (تل ابو شعاف) في حمرين

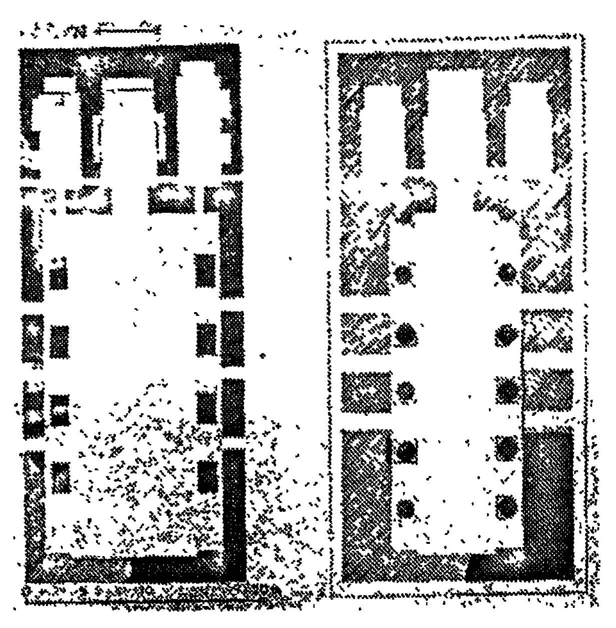
الرئيس ، وكذلك ارضيات الغرف والممرات والمخازن والساحة الوسطى ايضا بطبقة من الجص يتراوح سمكها بين ٢ ــ ٤ سم بعد رصفها بطبقة من الجص. بنيت الجدران الخارجية للبناية بسمك حوالي ٦٠وام ، ودعمت بابراج دائرية الشكل في اركانها الرئيسية الاربعة اضافة الى اربعة ابراج نصف دائرية اصغر من الاولى في منتصف كل ضلع ، واما التقسيم الداخلي للبناية فيكاد يكون منتظما ومتناظرا في محوره الطولي حيث تألفت البناية مــن ساحة وسطى مكشوفة يطل عليها ايوان في مقدمته اربعة اعمــدة كبيرة اثنان ملتصقان بركني الغرف الجانبية المطلة على الساحة عبر ممرات ضيقة والاخران حران . وقد اقيمت هذه الاعمدة الاربعة من الآجر والجص بطريقة عمودية كما في اعمدة آشور ونفر والمدائن ويمكن مقارنة مدخل الايوان ذي الاعمدة بنظيره الذي عثر عليه في القصر في المدائن حيث يشكل مع الايوان T

وتوجد فتحة في جدار الايوان وعلى محوره الطولي تؤدي الى ممـ طويل خلفه لعله احتوى على السلالم التي تؤدي الى سطح البناية وعلــى جانبي الايوان توجد غرفتان تفتحان على مداخل اعتيادية نحو الساحة وهي بهذا تشكل واجهة ثلاثية التقسيم تشبة واجهة الاواوين المألوفة في آشور والحضر ويقابل الايوان ايوان آخر اصغر منه تحول الى كوة في الجــدار تؤدي عبر ممرات ضيقة الى مخزن احتوى على دكاك عثر فيها على طبعات طينية . وتضم الساحة على جانبيها الاخرين غرفا متشابهة منتظمة احداهــا احتوت على مدخل البناية الرئيس وربما كانت غرفة استخدمت لحراس المبنى حيث تشير الادلة المعمارية الى ان البناية قد استخدمت اما لسكنى الحاكم أو لاغراض عسكرية ومن اهم مظاهرها جدرانها السميكة المدعمة بالابراج وضيق مدخلها وقد اجريت بعض الخنادق الاختبارية للبناية واتضح بأنها قد بنيت على الارض البكر وقد استمرت السكنى فيها لفترات متعاقبة بدليل

اعادة تغطية الجدران بطبقات من الجص • ويعتقد المنقبون بان هذه البناية تعود بتاريخها الى الفترة الساسانية بدليل ماعثر عليه من اعداد كبيرة من طبعات الطين المنبسط التي تحمل كتابات تؤرخها في هذه الفترة اضافة الى التشابه المعماري في وضع الاعمدة امام الايوان مع البيوت الساسانية المتأخرة في المدائن •

ومن الابنية المهمة في هذه الفترة التي امتدت اليها معاول المنقبين الاثاريين ثلاث كنائس مسيحية في المدائن والحيرة حيث تشير الوثائق المسيحية الى عدد من الكنائس في مدن الدولة الساسانية ولكنها تعرضت للتدمير والنهب مرات عديدة وبخاصة في فترات الاضطهاد الديني التي تميزت بها الفترة الساسانية في عهد كل من شابور الثاني ، ويزدجرد الاول ، وبهرام كور ، في حين ترد بعض الاشارات الى تسامح الملوك المتأخرين بعض الشيء مع النصارى ولكن ضمن حدود معينة تمليها الظروف السياسية للفترة وتذكر بعض المصادر ان كسرى الثاني بتأثير من زوجته المسيحية قد بنى كنيستين في المدائن ويعزى هذا التغيير في الموقف من المسيحيين الى الظروف التي صاحبت فصل الكنيسة الشرقية النسطورية عن الكنيسة البيزنطية الغربية وكانت كنائس المدائن تتبع الطقوس النسطورية • وشهدت نهاية السلطة الساسانية كما تشير بعض المصادر المكتوبة بناء كنيسة كتدرائية في كوخة او سلوقية الجديدة اشارت اليها تلك المصادر بالكنيسة الكبيرة في سلوقية وقد عانت التدمير مرتين الاولى في عهد شابور الثاني والاخرى في عهد بهرام كور وكان يعاد بناؤها بعد كل تهديم • وتشير المصادر النصرانية الى وجود العديد من الكنائس مثل كنيسة العذراء في المدائن وكنيسة القديس سركيس فيها ايضا وكنائس اخرى في مناطق تكريت وكركوك واربيل وكانت الكنيسة التي شملتها الحفائر الاثرية في المدائن مبنية من الاجر والجص واتضح من خلال دراسة مخططها واجزائها الباقية انها شيدت حسب الخصائص المعمارية

العراقية السائدة آنذاك ولم تتأثر بعمارة الكنائس المتبعة في سورية كما يعتقد بعض الباحثين فقد تألفت (شكل ــ ٧) من بناء مستطيل الشكل طوله



شكل ــ ٧

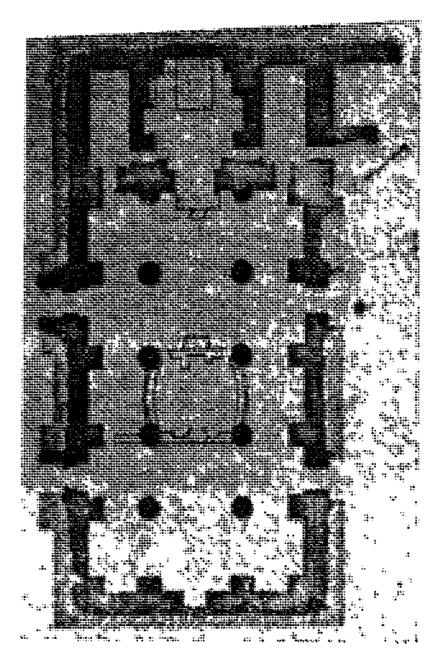
مخطط كنيسة المدائن بدوريها

١٨ر٢٧ م وعرضه ١٥ر٠٦ م واحتوت على دعامات مستطيلة الشكل على طول الجدارين الطوليين وعلى مقربة منهما ، وتم الربط بين الدعامات والجدارين بأقواس وتكونت نتيجة ذلك كوات سقفت بأقبية بينما ارتفع قبو المصلى اعلى منها وعند اعادة بناء هذه الكنيسة بعد تدمير شامل اصابها استعيض عن الدعامات المستطيلة الشكل باخرى دائرية الشكل وضعت ايضا على طول الجدارين الطوليين ، وتخطيط مثل هذه الكنيسة يطلق عليه في بعض الاحيان القاعة الثلاثية المصلى من النوع البازيليكي ، ويتوضح ذلك من خلال دراسة خرائب كنيستين اخريين في الحيرة وهذه الميزة هي صفة معمارية عراقية انتشرت

في العراق حيث تشبه واجهة الاواوين الثلاثية الشكل كما في اواوين الحضر حيث شيد المصلى بثلاثة اقسام وحسب موقع الاعمدة او الدعامات التي ابتعدت تدريجيا عن الجدران الطويلة . واحتوت الاضلاع الشرقية من كنائس المدائن والحيرة على ثلاث غرف مستطيلة الشكل الوسطى منها تكون هي الاوسع وربما احتوت على المذبح وكان الدخول الى الداخل يتم جانبيا عن طريق ثلاثة ابواب في كل من الجدارين الطويلين الشمالي والجنوبي وليس على محور طولي حيث لايحتوي الجدار الغربي المقابل لغرفة المذبح فتحة للدخول واحتوت كنائس الحيرة ، وسنأتي على ذكرها لاحقا ، على ميزة لاتوجد في كنائس المدائن فقد عثر على منصة قليلة الارتفاع مبنية من اللبن ومغطاة بالجص في وسط المصلى يوصل اليها بواسطة درجتين وعلى جانبيها رتبت المقاعد بشكل منحن ربما استخدمت للتعليم (Schola Cantorum) كما في الكنائس الغربية وعثر على زخارف جصية نباتية تشمل كوزات الارز واوراق العنب اضافة الى اشكال الصليب التي كانت تزين داخل البناية ، وعثر في كنيسة المدائن على كسر قليلة من تصوير جداري ملون على الجص لشخص قد يمثل المسيح نفسه .

أما كنيستا الحيرة فهما قريبتا الشبه في مخططاتها مع تخطيط كنيسة المدائن التي ذكرناها سابقا ، فقد شيدتا من اللبن وغطيت جدرانهما من الداخل بطبقة من الجص وبلطت ارضية الكنيسة الاولى وغرفها الجانبية بآجر مربع الشكل (٢٦سم × ٢٦سم) وبشكل مائل وزخرفت جدران غرفة المذبح الواقعة في النهاية الجنوبية الشرقية بتصاوير جدارية ملونة قسم منها يحمل زخرفة حيوانية (طيور صغيرة) وزخرفة هندسية (دوائر) وبعض الزخارف النباتية وقد استمر استعمال هذه الكنيسة في العصور الاسلامية الاولى بدليل العثور على طبقة من الجص تغطي الجدران من الداخل تعود الى تلك الفترة وعلى بعض اجزائها كتابات بالخط الكوفي . اما الكنيسة الاخرى التي

عثر عليها في تل اثري آخر ، فقد اتضح من خلال الدلائل الاثارية ان سقفها كان يستند في الاصل على اقواس من الآجر تقوم على دعامات دائرية الشكل مبنية من الآجر ايضا وهي تقسم الساحة الرئيسية للمصلى الى ثلاثة اروقة وقد بلطت ارضيته بالآجر المربع الشكل قياسه ٢٠×٢٠سم ورتب بشكل مائل ايضا (شكل ـ ٨) وهذه الكنيسة تختلف عن الاخرى بأحتوائها على المنصة



شكل ـ ٨
مخطط كنيسة الحيرة

التعليمية وقد مرت بتاريخ طويل بدليل التصليحات والترميمات التي اجريت عليها واعتقد المنقبون ان جزءها الجنوبي الشرقي تألف من ثلاث غرف الواحدة بجانب الاخرى حيث تكون الوسطى منها هي الاوسع واحتوت على المذبح ، يقارن مع ذلك الجزء من المعابد الآشورية والبابلية التي تحتوي على الخلوة وعلى جانبيها غرفتان صغيرتان ٠

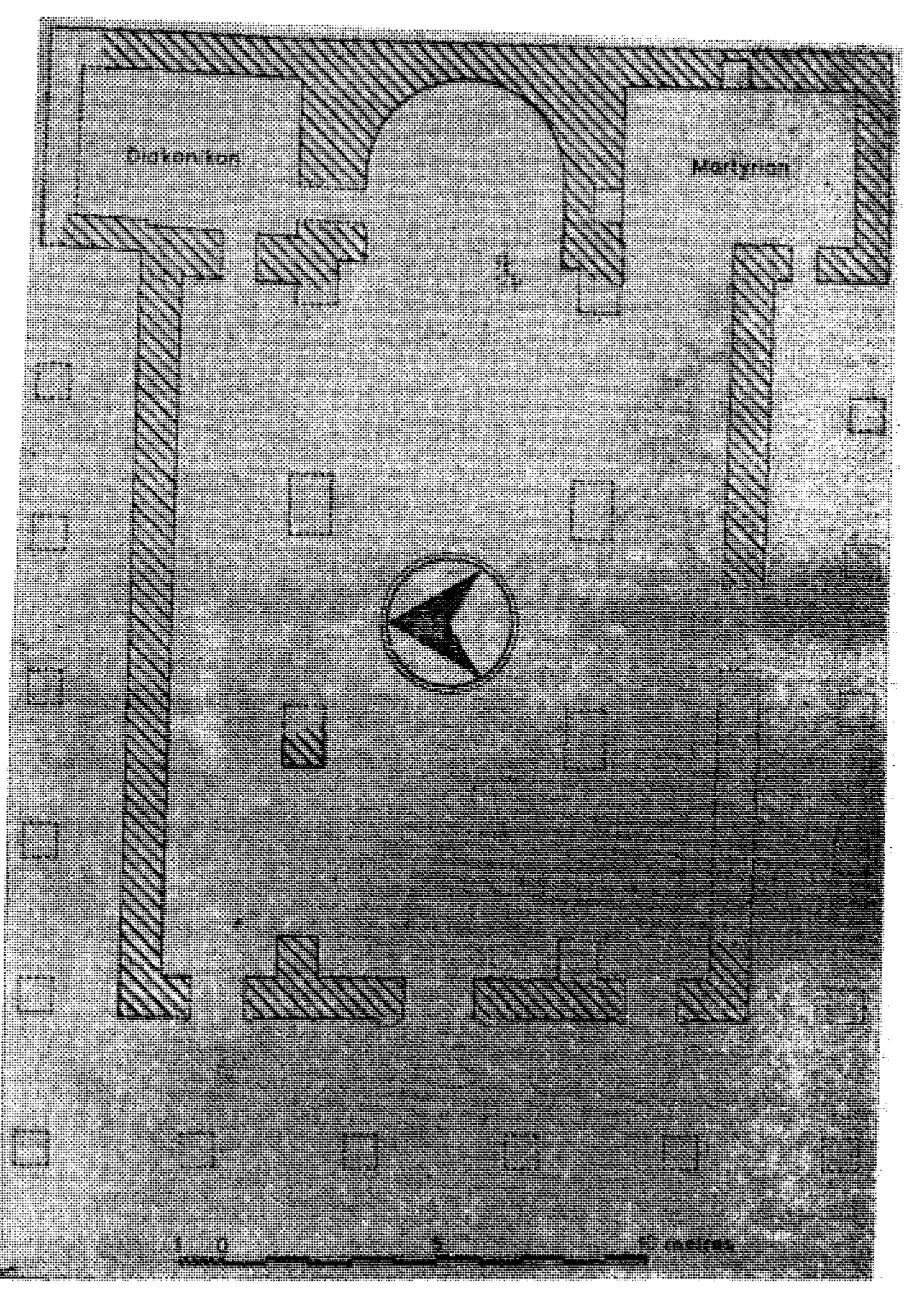
والحيرة من المدن العربية التي ازدهرت قبيل الاسلام واستمرت فيها السكنى في العصور الاسلامية كما تشير الى ذلك الدلائل الاثارية التي كشفتها حفائر بعثات اعمال التنقيب الاجنبية والعراقية التي عملت في موقعها الذي يبعد عن الكوفة مسافة ٥كم ، ولاسم الحيرة معان عديدة والمرجح انه مشتق من كلمة (حرتا) الآرامية الاصل والتي تعني المعسكر او الدير او الحصن . وكشفت التنقيبات الاثرية عن ابنية قسم منها ذات مخططات ارضية واسعة ربما تكون لتلك القصور الفخمة التي ذكرتها المصادر التأريخية ولكن فقدان أجزاء كثيرة منها يجعل من الصعب جدا تحديد اسمائها التي اشتهرت بها . فقد تم العثور على بناية واسعة تتألف من طابقين تحيط غرفها بساحة وسطى مكشوفة وتقع غرفها الرئيسية في الطابق العلوي وقد اجريت عليها ترميمات متعددة امتدت حتى الفترات الاسلامية وربما تكون قصرا او بيتا كبيرا . وبنيت اسس بعض ابنيتها من الآجر وبلطت قاعاتها الكبيرة بالآجر ايضا واشتهرت الحيرة بطراز معماري كما ذكره المسعودي ، قد استخدم في العمائر الاسلامية اللاحقة فالطراز الحيري يتألف من الصدر وهو لجلوس الملك والكمين ، واحتوى الكم الايمن على خزانة الكسوة وفي الكم الايسر خزنت انواع من الشراب وكان للبناء رواق امامه ويشير بعض المنقبين الى ان كثيرا من اعمدة الرخام والآجر قد اقتلعت من ابنية الحيرة ونقلت الى الكوفة عند انشائها في زمن سعد بن ابي وقاص وحتى في الازمنة الاخرى اللاحقة التي تجدد فيها بناؤها كزمن زياد بن أبيه وغيره .

وذكرت المصادر التاريخية العديد من القصور التي كانت في مدينة الحيرة واهمها قصر الخورنق الذي يعتقد بانه قد تألف في بعض اجزائه من عدة طوابق كما تشير بذلك اشعار عبد العزى التي تقول بان سنمار البناء قد « بناه كالجبل الشامخ بقمم عالية » وفي محل اخر يشير بعض المؤرخين الى ان النعمان بن امرىء القيس كان يستطيع النظر من فوقه الى ارضه التي

امتدت الى بحيرة النجف (حوالي ٢٥كم) وربما يكون هذا سبباً رئيسـاً لبنائه وقد اقترح بعض المختصين بان الاصول المعمارية لقصر الاخيضر قـد وجدت في قصر الخورنق والسدير القصر المهم الاخر ويدل اسمه على انه احتوى على ثلاث قباب ويذكر المؤرخون اسماء اخرى كقصر سنداد والزوراء وقصر العذيب والعنبر .. الخ .

وكشـفت التنقيبـات الاثريـة في موقـع القصـير الـذي يقع بالقرب من الاخضير وعين التمر عن كنيسة مشيدة بالحجر المهندم تضم بقاياها اقواسا بيضوية الشكل وترجع بتاريخها استنادا الى كتابات باللغة السريانية وجدت مكتوبة مع عدد من رسوم الصلبان الملونة على طبقة الجص التي تغطي داخل البناء الى حدود القرن الخامس او السادس للميلاد ويرجح احد المختصين ان يكون في موقع القصير موقع مدينة السيلمون احدى المدن والمواقع التي احبها النعمان بن المنذر ومع ذلك فان التنقيب في المستقبل قد يكشف المزيد من المعلومات عن هذا الموقع المهم .

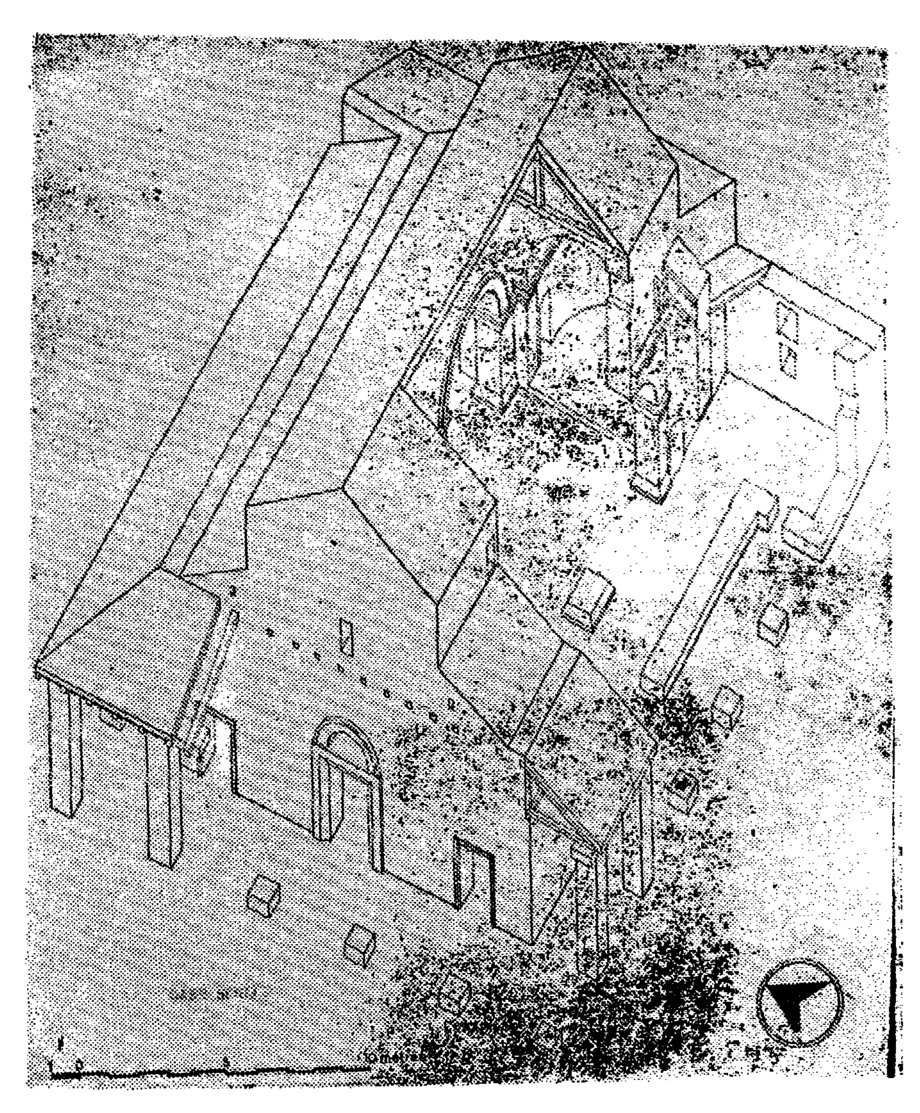
والى الشمال الغـربي من مدينـة الموصـل بحوالـي ٦٠ كـم وعلى السـفح الجنوبـي لجبـل قصـير تقـع بنايـة تعـرف محليـا « قصـر سـريج » ولكنهـا ليست قصـرا وانمـا كنيسة مشيدة من الحجر المهندم وتقف بعض جدرانها الى ارتفاعها الاصلي تقريبا وقد تم بناؤهـا خلال القرن السادس للميلاد ويعتبر مخططها فريدا مـن نوعه بين الاثـار الشاخصة في العراق لانها في مخططها تشبه مخطط نوع من الكنائس الصغيرة التي شاع استعمالها في شمال سورية ولايزال قسم منها شاخصافي الوقت الحاضر ، يتألف البناء المستطيل الشكل (٢٣×١٤ م) من مصلى وسطي وعلى جانبيه رواقان بكوة (حنية) نصف دائرية عليها كتابة متآكلة وتوجد على جانبيها غرفتان صغيرتان تبرزان عن الجدران الخارجية الشمالية والجنوبية للكنيسة (شكل-٩) ومن المحتمل ان الشمالية منها كانت (diakonikon) اوغرفة المقدسات وملابس الكهنة والجنوبية هي (martyrion) التي احتوت



شــكل ــ ٩
مخطط كنيسة مــار سركيس

على بعض اثار الشهداء من القديسين المسيحيين التي بحوزة الطائفة الدينية ، وقد عثر عليها في الكنائس السورية الشمالية بدلا من (prothesis) في الكنائس البيزنطية وتعتبر البروزات الخارجية الجانبية لهاتين الغرفتين من نوعها وربما تعكس فكرة بناء الكنيسة نفسها وعدم فصلها عن الابنية المحيطة بها .

ويتضح من خلال المسح الاثاري للبناية ان لها مدخلا رئيسيا في الضلع الغربي منها مزينا بقوس عليه زخرفة متآكلة بسبب تعرضه للعوامل الطبيعية. ويوجد فوق المدخل صف من ثقوب كانت تثبت فيها دعائم سقف الرواق الامامي في الواجهة (شكل ١٠) . واحتوى منور الكنيسة على نافذة واحدة لاتزال باقية وهي بهذا تختلف عن الكنائس الاخرى المعاصرة لها زمنيا حيث تضمن منورها على عدة نوافذ وشيدت نصف القبة التي تعلو الحنية من الحجر والجص ايضا ، ومن الضروري ذكر الظروف التي ادت الى تأسيس الدير في هذه المنطقة في الوقت الذي كانت تتصارع فيه قوتان هما البيزنطيون في الغرب والساسانيون في الشرق . فقد تأثر سكان المناطق المحاددة لمواقع القتال في كل من شمال سورية وشمال العراق وبخاصة في النصف الاول من القرن السادس للميلاد وحتى عام ٥٣٢م عندما تم توقيع معاهد سلام دائم بين الطرفين المتنازعين بعد اعتلاء كسرى الاول عرش الساسانيين والذي اهتم ايضا بالصراع الديني والجدل القائم حينذاك بين معتنقي المسيحية فأيد احديمة مطران نينوى وساعده ليصبح مطران (بيت عربايا) ، « وهي المنطقة السهلية الشمالية من العراق بين نصيبين وجبل سنجار يحدها الخابور من جهة الغرب ودجلة من الشرق » واستطاع ان يكسب ود بعض القبائل العربية وينشر بعض التعاليم المسيحية وتذكر بعض المصادر



شـكل ــ ١٠
مخطط تخيلي للكنيسـة مـار سركيس

(Petrologia Orientalis) « انه بيت كبير وجميل من الحجـر المهندم في وسط منطقة بيت عربايا تسمى عين قينوية Qenoye او قينا Qena

ووضع فيها مذبح وبعض الاثار المقدسة واطلق عليه اسم مارسركيس (الشهيد المشهور) لان بعض القبائل العربية قدست اسمه فلذلك حاول القديس أحديمة ان يبعدهم عن بناية مارسركيس في بيت رصافة لانها بعيدة، وقد شيدها لتشبه تلك التي في الرصافة ، وبالقرب من الكنيسة ، شيد الدير المعروف من عين قينوية ..... » وقد شيدها بقياسات اصغر وتتميز ببساطة تصميمها و زخرفتها وهي بذلك تعكس بدون شك قلة الموارد البشرية والمادية المتوفرة للقديس احديمة وتشير المصادر الى ان كسرى الاول قد ناصب القديس احديمة العداء لانه استطاع ان يقنع احد امراء البلاط الساساني ويعمده في عام ٥٧٣م فلذلك هرب الى سورية وسجن فيها حتى مماته سنة ٥٧٥م .

وفي مدينة سنجار توجد بعض الابنية التي ترجع بتاريخها الى الفترة الرومانية المتأخرة وبخاصة سور المدينة وبعض قلاعها واحدى بواباتها .

المراجـــع

١ ـ الدكتور صالح احمد العلي « المدائن في المصادر العربية » سومر ٢٣ (١٩٦٧) ٤٧ ـ ٦٥

٢ ـ الدكتور طارق عبد الوهاب مظلوم « المدائن (طيسفون) ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ » سومر ٢٧ (١٩٧١) ١٢٩ ـ ١٤٢

٣ ـ الاستاذ عواد الكسار « تنقيبات تل ابو شعاف ـ حمرين » سومر ٣٥ (١٩٧٩) ٤٦٨ ـ ٤٦٩

1- D. Talbot Rice, "The Oxford Excavation at Hira", **Ars Islamica, Vol. 1, 1934, PP. 51-73.**

2- A.U. Pope, **Servey of Persian Art,** Oxford, 1938.

3- D. Oates, **Studies in the Ancient History of Northern Iraq, London, 1968.**

البحث السادس

الرسوم الجدارية منذ اقدم العصور

د . مؤيد سعيد

المؤسسة العامة للآثار والتراث ــ بغداد

عرف الانسان العراقي القديم الرسوم الجدارية الملونة في فترة مبكرة نسبيا (*) • ويعتقد الاستاذ طه باقر ان اقدم مثال من هذا النوع من الفنون هو من بناء من تبة كورة (الطبقة ١٤) من الالف الرابع ق•م • الا ان افضل نموذج عرفه عصر جمدة نصر من تل العقير في جنوب العراق على جدران المعبد الملون وهو معبد اقيمت جدرانه فوق ارضية مسيعة بالقار لشرفة مرتفعة (مصطبة) •

كانت الجدران مغطاة بطبقة من ملاط طيني بثخن ٣ــ٥ سم ثم صبغت باللون الابيض بواسطة طبقة جصية خفيفة في خارج المعبد •

اما في الداخل فلقد طليت الجدران بالماء الملون الرائب عدة مرات بحيث تحول ملاط الجدران الى طبقة ناعمة من الطين المخلوط بالتبن ثم طليت باللون

* اثبتت تنقيبات عام ١٩٧٤ في موقع ام الدباغية في جزيرة الموصل بان الانسان العراقي القديم عرف نوعا من الرسوم الجدارية المبسطة
IRAQ. Vol. XXXVII (1975) pl. 7,8.

الابيض بالمادة الجصية ذاتها • وبعدها قام الفنان بتحديد العناصر المطلوب رسمها باللون الاحمر (او البرتقالي) ثم حددها مرة اخرى بلون اسود الى جانب اللون الاحمر •

وكان النظام الافضل في توزيع الالوان هو استخدام الحقول الشريطية ذات اللون الواحد ، واعتياديا كان هو اللون الاحمر •• وكانت اسافل الجدران تطلى به والى ارتفاع متر واحد تقريبا •

ويعلو هذا شريط آخر به زخرفة هندسية الى ارتفاع ٣٠ سم • اما الاجزاء الاعلى فكانت مزخرفة برسوم اشخاص وحيوانات •

ولم يبق من الشخوص المرسومة على الجدران اكثر من الجزء الاسفل لنجسم وحتى مستوى الخصر بسبب فقدان الجزء الاعلى من الجدران •

ان اهم رسوم تل العقير التي وجدت كاملة في المعبد هي هذه التي رسمت على واجهة دكة المذبح على مقدمته بعرض ٢٫٦٠ م وارتفاع ٩٠ سم تقريبا وعلى الجانبين بعمق ٣٫٦٠ م •

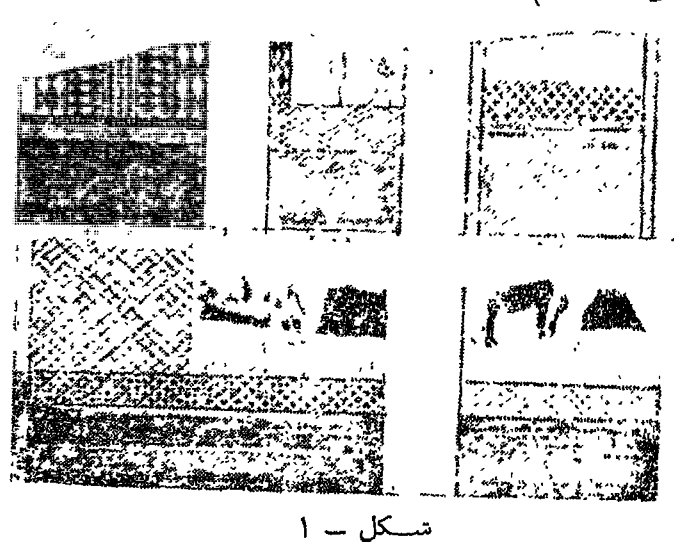
وكانت رسوم الواجهة ذات طبيعة معمارية ، وتشابه صورة لواجهة معبد مصغر حيث أشرت الطلعات والدخلات بالالوان وبخطوط ثلاثة متوازية داخل كل طلعة بينما امتلأت الدخلات بنقشات هندسية تشابه الزخارف الموزائيكية التي عرفناها من الوركاء •

ويعلو هذه السطوح اللونية العمودية شريط افقي يبدو وكأنه يمثل افريزاً لمعبد •

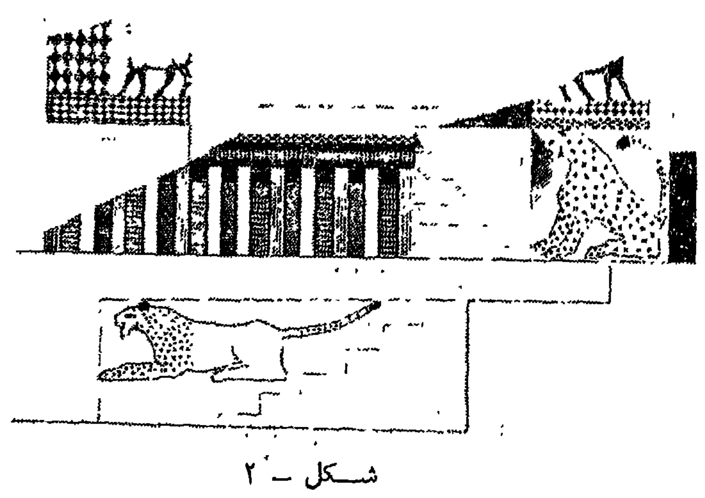
كانت الطلعات ملونة باللون الابيض والاصفر على التبادل ، الا الطلعتين في وسط الواجهة تماما حيث كانتا ملونتين باللون الابيض على التوالي ، ويحصران بينهما دخلة ملونة ولربما كانت هذه اشارة الى انها مدخل المعبد المرسوم •

اما على الجانب الايمن للمذبح وعلى الجزء الامامي من الزاوية اليمنى من القاعدة فلقد رسمت صور لاسود رابضة او راقدة الا ان اجسامها كانت

مرقطة ببقع سوداء مما دعا المنقبين الى اعتبارها فهوداً وليس أسودا •
وكانت الخلفية التي رسمت عليها الاجسام هي من اللون الابيض المحدد باللون القرمزي ثم ثخنت باللون الاسود ، ثم قام الرسام بملء العيون والفك والآذان ونهاية الذيل باللون الغامق (شكل ـ ١و٢) •



شكل ـ ١



شكل ـ ٢

الرسوم الجدارية من تل العقير

ولابد وان يكون العراقي القديم قد استخدم الالوان في زينة مبانيه وزخرفتها ، الا ان الاشارات الاولى تدل على ان العصور السومرية لابد وان تكون قد قصرت باستخدام الالوان على المباني الدينية . كما انها عوضت الالوان ببدائل افضل عندما تتيسر الوسائل لذلك .. وهذا مايفسر اختفاء الرسوم الجدارية لفترة طويلة .. وحتى بداية العهد البابلي القديم .

لقد عرف السومريون النقوش البارزة والمسطحة التي استخدموا لتحقيقها المعادن والاحجار والاصداف وكانت اجزاء هذه النقوش تعمل كل على حدة ثم تجمع على واجهات المعابد في افاريز واعمدة وابواب وغيرها .

ولا ننسى هنا معابد الوركاء حيث استخدمت المسامير الفخارية المخروطية بألوان مختلفة في تزيين الجدران على مبدأ الموزائيك . كما لا ننسى معبد تل العبيد من عصر فجر السلالات الذي اشرنا اليه في فصل العمارة بأفاريز الحلابين وصانعي الزبدة وتماثيل الابقار والوعول البرونزية .

ولقد عثر المنقبون في كيش وماري وأور على اجزاء من احجار تمثل شخوصا استخدمت في تطعيم المباني كما هو الحال في تل العبيد .

الا ان الرسوم الجدارية الملونة بالذات تعود للظهور مجددا في العصر البابلي القديم وفي مدينة ماري في القصر ، حيث عثر على لوحة جدارية ضخمة تمثل تنصيب الملك زمريلم الاول ملك ماري وتناوله اشارات السلطة من الالهة عشتار الحربية (شكل ــ ٣) . كما عثر على اجزاء من مشاهد اخرى ترينا جنودا محاربين ومنظرا اسطوريا يرينا الليل والنهار .

ويعتقد البعض ان قسما من هذه الرسوم يمكن ان تؤرخ في العصر السومري المتأخر اي من عصر سلالة اور الثالثة وذلك اعتمادا على مقارنات من ذات العصر .



شـكل ــ ٣
الرســوم الجدارية في قصر الملـك
زمريلم في مدينـة مـاري

اما الالوان المستخدمة فهي ذات الالوان المستخدمـة في العصـور السابقة واللاحقة من الأحمر بدرجاته وحتى الاصفر والازرق والاسود ولقد رسمت اهم لوحة في الساحة الرئيسية على الجدران يمين المدخل الى قاعة العرش رقم (٦٤) ويتكون المنظر من جدارية تنقسم الـى مستطيلين فوق بعضهما في داخل المستطيل الاعلى يقف الملك زمريلم والالهة عشتار قبالة بعضهما

والملك يرتدي ملابسه الاحتفالية الكثيرة الاهـداب والشراشيب ، وقبعـة بيضوية على رأسه بينما الالهة عشتار ترتدي ثوبا مشقوقا من الجانب وتضع قدمها اليمنى فوق اسد رابض •

وتقدم عشتار للملك بيدها اليمنى الحلقة والعصا بينما تخفض يسراها بسيف منجلي وهي تحمل على ظهرها كل اسلحتها القتالية •

وتقف خلف كل من الالهة والملك الهتان ثانويتان ترفعان ايديهما بالتحية يعقبها اله يلبس تاجا مقرّناً في اقصى يمين الصورة •

اما الاطار الثاني فيحوي داخله منظرا لالهتين تحمل كل منهما انـاءً فوارا تخرج منه سيول المياه ، بالاضافة الى نبتة طويلة ، وتتوزع المياه على اربعة خطوط تنساب الى اسفل وتطوق حتى الالهة حاملة الاناء، وتتصل مياه الاناء الاول بما ينبع من الاناء الثاني عبر خطوط سيول رسمت افقيا فـي وسط الصورة • ولقد رسمت الاسماك فوق المياه وهي تسبح عكس اتجاه سيلانها • وترتدي الالهتان تاجين مقرنين •

والمنظر عموما يشبه جزءا من مسلة للملك گوديا حيث رسمت الالهـة عليها وهي تحمل مشتركة الاواني الفوارة •

وعلى مايدو فان الساحة الرئيسية في القصر قبالة قاعة العرش الكبرى كانت ساحة احتفالات أساسية • فلقد رسمت على جدرانها بالاضافة الـى لوحة التنصيب مناظر اخرى منها منظر لرجال يقودون ثورا علقت بين قرونه حلية على شكل هلال مع صليب معقوف وقد رسمت على الجدار مقابل لوحة تنصيب زمريلم نفسه • اما في قاعة الاستقبال العليا رقم (١٣٢) في القصر فلقد عثر المنقبون على بقايا لوحة جدارية ، تبدو فيها مناظر تقديم وتعبـد امام الهة جالسة حيث يسكب الملك السوائل كقرابين امام اله القمر (تنار) في الحقل الاسفل • كما تقدم القرابين الى الاله الشمس (شمش) في المنظر

العلوي ، والمناظر مليئة بالالهة المتعددة والشخصيات الخرافية كالعفاريت والحيوانات المجنحة والثيران وغيرها وهي قريبة في نظامها من مسلة اورنمو من العصر السومري الحديث •

ولقد جرى سكان القصر في التلوين على استخدام الارضية البيضاء او المصفرّة قليلا مع تحديد حدود الرسوم بالاحمر والاسود واستخدام الاسود والاحمر والابيض والازرق الفاتح في التلوين •

ومن عصر الاحتلال الكشي في القصر الملكي في دور كوريگالزو(عگرگوف) عثر على رسوم جدارية في الجناح الشمالي من القصر حيث لونت الجدران بألوان متعددة غلب عليها الاسود او الاحمر • ولقد كانت النقوش في القاعات هندسية الطابع او نباتية اما في الداخل فلقد اضيفت اليها صور لمواكب رجال يدخلون القاعات او يخرجون منها •

ولقد عثر على النقوش الهندسية والنباتية في القاعات الكبيرة المحاذية للساحة الشمالية • وكانت مرسومة على كافة الجدران وعلى ارضية مصفرة قليلا ضمن اشرطة طويلة باللون الاحمر ووريدات حمراء وصفراء وزرقاء •

اما المداخل فلقد كانت عتباتها مطبقة بالآجر المربع (الفرشي) ومسيعة بالقار بطبقة ثخينة • ويبلغ عمق المداخل (بثخن الجدران) حوالي ٣٦٠ سم • ولقد تم تأطيرها بخطوط قرمزية اللون على ارتفاع يبلغ اكثر من متر ، وباسلوب هندسي •

وكان الجزء الاوطأ من الاشرطة ملوناً بالاحمر فوق الازرق (الكوبالت) ويقسم الى مساحات مربعة وكان الشريط الذي يعلوه مزخرفا بدوائر حمراء وزرقاء • أما الخطوط التي تعلوها فكانت بالاحمر على أرضية مبيضة والشخوص تحتها تقف مباشرة على مستوى تبليط المدخل

وتنظر باتجاه الدخول على جانب من المدخل وباتجاه الخـروج على الطرف المقابـل •

وعلى الحافة الخارجية للمدخل يسـتمر الشريط ذو الخطوط الحمراء المتوازية لمسافة قصيرة ثم ينقلب بزاوية قائمة عموديا الـى اسـفل تاركـا مسافة بينه وبين الحافة تكفي لرسم شخص واحد •

الارضيات التي رسمت عليها الشخوص هي من الاستميز المصفر عليها خطوط الشخوص وملابسهم بالاحمر • امـا الفراغات بين الخطوط فبلون الكوبالت الخفيف الزرقة ، بينما اللحى والشعر والاحذية والحافات الخارجية للشخوص كانت باللون الاسـود •

اما الملابس فهي بطول الركبة ومن النوع المكسر الطيات وبكم قصير جدا وكانت فتحة الياقة والكم مؤشرة بالاسود بينما الحزام بالاحمر •

والشخوص اما عارية الرأس ومربوطة بشريط علـى الجبهة او ترتدي غطاء راس على شكل طربوش وعدد الاشخاص ١٠ في حالة او ٨ في حالـة اخـرى •

وبعـد سقوط بابـل وفي العصر الاشـوري الوسـيط انتشـرت الزخارف والرسوم الجدارية في القصور الملكية في كل المدن الرئيسية على ما يبدو وكذلك في المعابد • وكان الملك توكلتي نينورتا في مدينته التي ابتناها له مقابل مدينة اشور تقريبا على الضفة الشرقية لنهر دجلة من الذين عرفت اثارهم في هذا المجال • فلقد بنى له مدينته المسماة باسمه كارتوكلتي ـ نينورتا وبنى فيها قصرا ومعبدا للاله اشور •

وكان القصر مشيدا فوق مصطبة (او شرفة) على ارتفاع ٢٠ مترا فوق مستوى نهر دجلة و ١٢ مترا عن مستوى القصر الارضي المجاور •

ولقد عرفت في هذا القصـر الالوان السوداء والبيضـاء والحمـراء

والزرقاء ، وكما في الحالات السابقة استخدم الابيض للارضيات والاسود لتحديد الاشكال المرسومة • ولم تكن الرسوم والاشكال متشابهة ومتناسقة في القياس والاحجام بل انها رسمت بيد حرة لم تلتزم بنموذج قياسي واحد •

وكانت الجدران عادة تنقسم الى ثلاثة مستويات فوق بعضها • وفي المستوى الاوطأ لونت اسافل الجدران وحتى ارتفاع ٥٠ سم باللون الاسود القيري يعقبه في المستوى الذي يعلوه لون احمر الى ارتفاع ١٤٠ سم ثم تعلوها مساحات جدارية بيضاء جصية تستخدم كأرضيات للزخارف النباتية والحيوانية والتي من اهم نماذجها :

النموذج الاول من الزاوية الشمالية في الشرفة

عثر المنقبون على اجزاء من زخرفة جدارية صار بالامكان تكملتها اعتمادا على مبدأ (تجميع الاجزاء واكمال النواقص في مابينها) وكانت النتيجة لوحة جدارية جميلة مفاد تفاصيلها هو انها تنقسم الى حقول مربعة تشكل سوية شريطا على الجدار وبألوان تتسلسل على التوالي : الازرق ، الاحمر ، الابيض وتفصلها عن بعضها اشرطة مقسمة الى مستطيلات حمراء وزرقاء مع رسم الوردة الاشورية البيضاء داخل المربعات الحمراء •

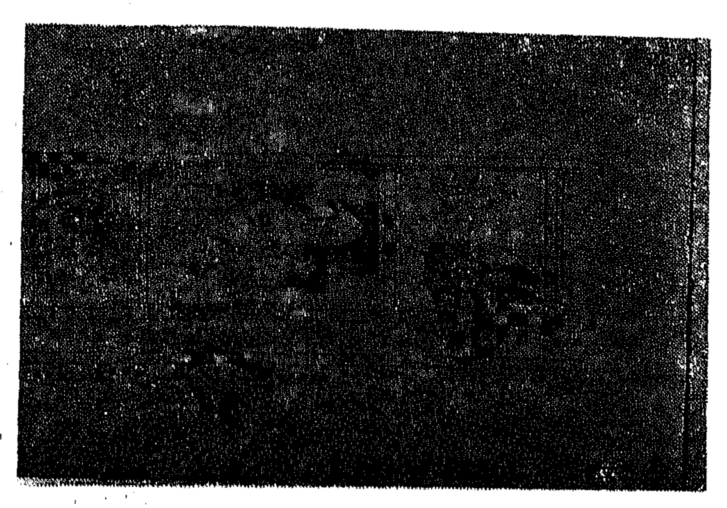
اما في نقاط تقاطع الاشرطة الفاصلة بين المربعات فلقد رسمت بوردات كبيرة ذات اوراق بيضاء وحمراء وفي داخل المربعات رسمت اشكال نجمية تتألف من دوائر واوراق واشجار واشرطة معقوفة تتجمع على بعضها بتشكيلة جميلة •

اما المساحات فوق مستوى المربعات فكانت على شكل حقول طويلة مزخرفة بالوردة الاشورية وزهرات اللوتس واشكال تبدو وكأنها انصاف نجوم ذات اشعة مزدوجة •

النموذج الثاني من الزاوية الجنوبية من الشرفة

في هذا النموذج رسم الموضوع الرئيسي داخل مساحات رباعية الشكل غير متساوية المساحة مع بعضها تحوى داخلها رسوم غزلان تتقابل مع بعضها امام نخيلة وفي اخرى منظر النخيلة لوحدها •

وتحيط بهذه المربعات اشرطة تنقسم الى مربعات زرقاء وحمراء داخلها زهرة اللوتس والوردة الاشورية على التوالي اما الشريط الاعلى فيحتوي على شريط متموج تنبثق منه على التوالي زهرة اللوتس والنخيلة (شكل ــ ٤) •

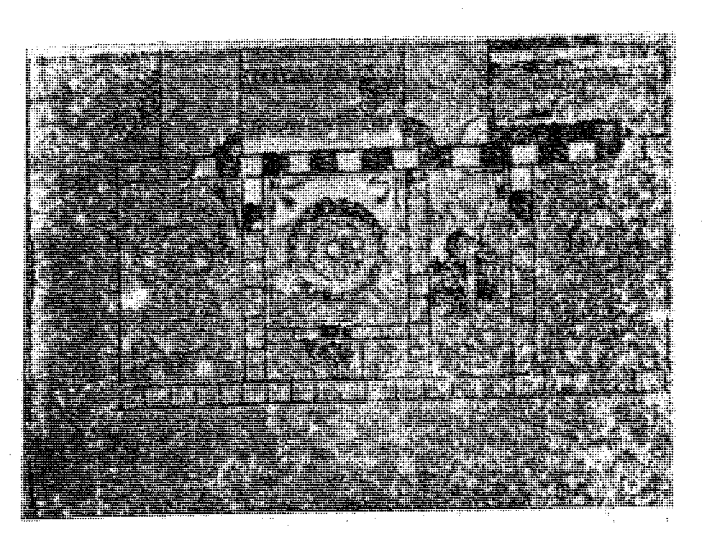


شكل ــ ٤

وفي نموذج جداري ثالث

نرى داخل الحقول اشكالاً نباتية مركبة ، عناصرها الاساسية هي النخيلة تتجمع على بعضها حول نخيلة مركزية لتشكل معها شجرة الحياة الاشورية (شكل ــ ٥) •

اما الحقول العليا فلقد رسمت فيها حيوانات اسطورية مجنحة او ثيران مؤطرة بأشرطة ذات زخرفة هندسية • ومن نوزى قرب كركوك تعرفنا على



شــكل ــ ٥

اساليب جديدة في تلوين الجدران والرسوم عليها • ولقد استخدم ســكان نوزى نفس الألوان • الا ان اللون الابيض الجصي كان اثخن بحيث يبـدو بارزاً فوق مستوى الالوان الاخرى •

ولقد اعتاد السكان هناك القيام بتلوين الجدران الثلاثة من الغرفـة باللون الرمادي • اما الجدار الرابع المقابل للباب عادة فكان يلون بثلاثـة مقاطع الى جانب بعضها وهي على التوالي : الرمادي ، الاحمر ، الرمادي وقد تفصل عن بعضها باشرطة ضيقة عليها خطوط حلزونية متداخلة •

ولقد عثر في قصر نوزى وفي الغرف المؤدية الى الحمامات خلف قاعـة العرش والجناح الخاص بالملك على مساحات لونية متساقطة على الارض • وعند فحص هذه القطع توضح ان الجدارية كانت منقسمة الى عدة مستويات افقية • وكان الجزء الاعلى منها منقسما عموديا الى مساحات لونية رباعيـة الاضلاع استخدمت فيها الالوان الرمادي والاحمر والوزدي • وكانت تبدو وكأن الرسام يريد رسـم واجهة معبد مع باب وشباك مثلث فوقه •

وكانت هذه المساحات مؤطرة باشرطة فاصلة بها زخرفة هندسية باللونين الابيض والاسود او الرمادي والاحمر .

تحت هذه المساحات رسمت اشرطة افقية بعرض ١٧ سم تقريبا وباللونين الاحمر والوردي وتحت هذه الاشرطة تعود المساحات العمودية للظهور مجددا وتنقسم الى مربعات او مستطيلات رسمت داخلها على التناوب رؤوس ثيران باللون الرمادي والقرون السوداء على ارضية حمراء او رمادية او بيضاء ثم شجرة الحياة على ارضية رمادية او سوداء ثم وجه لامرأة بدون فم او انف ولها عينان وتسريحة شعر واذنان طويلتان مثل آذان الثيران المرسومة .

وفي العصر الاشوري الحديث استمرت تقاليد الرسوم الجدارية واستخدمت في الاجزاء العليا من الجدران فوق الالواح الحجرية البارزة النقش التي كانت في نمرود ملونة ايضا ولم يصلنا الكثير من الرسوم الجدارية الكاملة من هذه الفترة الا جزء من رسم لزخرفة هندسية باللونين الاحمر والازرق من احدى القاعات الخلفية في القصر الشمالي الغربي لاشور ناصر بال الثاني (القرن ٩ ق . م) في نمرود ، وكذلك الجدارية المزججة من حصن شلمنصر الثالث في نمرود والتي استخدم فيها اسلوب تجميع اجزاء اللوحة المرسومة على الآجر والمزججة بواسطة الحرق ، في الغرف على الجدار لتشكل منظرا مستقلا يبدو وكأنه لوحة معلقة على الجدار .

وتتكون هذه الجدارية من ٣٨ صفاً افقيا من الآجر المزجج باللون الاصفر عموما مع رسم الشخوص عليه باللون الاسود واضافات اخرى بالازرق والابيض والاحمر • يبلغ ارتفاع اللوحة حوالي ٤ م •

وتحت مركز اللوحة نرى الملك يتعبد شعارا مجنحا لاله يرفرف فوق رأسه • ويقابل الملك منظره في الطرف الثاني فيبدو وكأنه يقف امام نفسه •

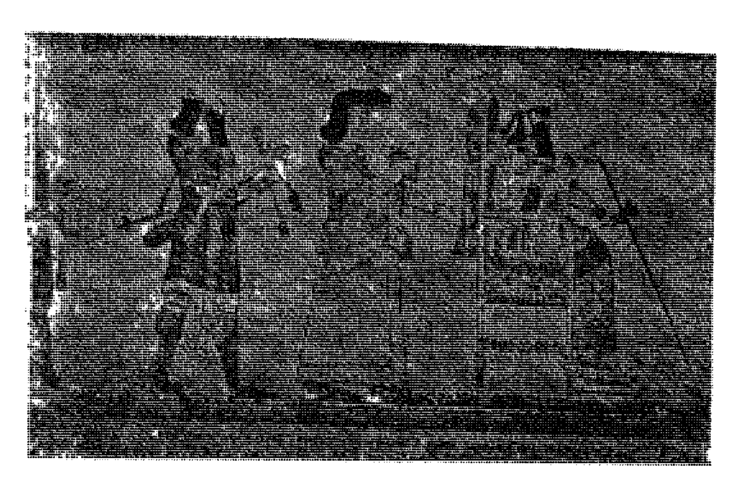
وتعزل المنظر كتابة مسمارية اشورية باربعة اسطر عن المنظر الذي يعلوه وهو لحيواني ماعز يقفزان على شجرة الحياة الاشورية مع التفاف الراسين الى الخارج ، وتطوف حول المناظر هذه عدة حقول متوازية متداخلة تؤطر اللوحة المقوسة وتحوي هذه الحقول على التوالي حقل وريدات صغيرة وزخرفة لحبل مضفور ووريدات كبيرة وشريطا من براعم اللوتس المغلفة والنخيلة والماعز على التوالي •

واتجاه الماعز هو من الجانبين الى الاعلى بحيث يلتقي اخر اثنين في القمة متقابلين على نخيلة يحصرانها بينهما •

رسوم تجلاتبليزر

الا ان اهم الرسوم الجدارية الملونة من العصر الاشوري جاءت من مقر الحاكم الاشوري من تل برسيب على الفرات •

وتمثل مناظر استقبال الملك للحكام الخاضعين لسلطانه وتقبل الهدايا والخيول والغنائم الاخرى (شكل ــ ٦) •



شــكل ــ ٦

كما رسمت اشكال اسطورية مجنحة لحماية المداخل بدلا من تماثيــل الثيران المجنحة .

ومن المناظر المشهورة : الخيول الوردية والزورق الحربي باللون الاحمر والمحاربون حاملو التروس الدائرية ذات الحلقات المتداخلة باللونين الازرق والاحمــر .

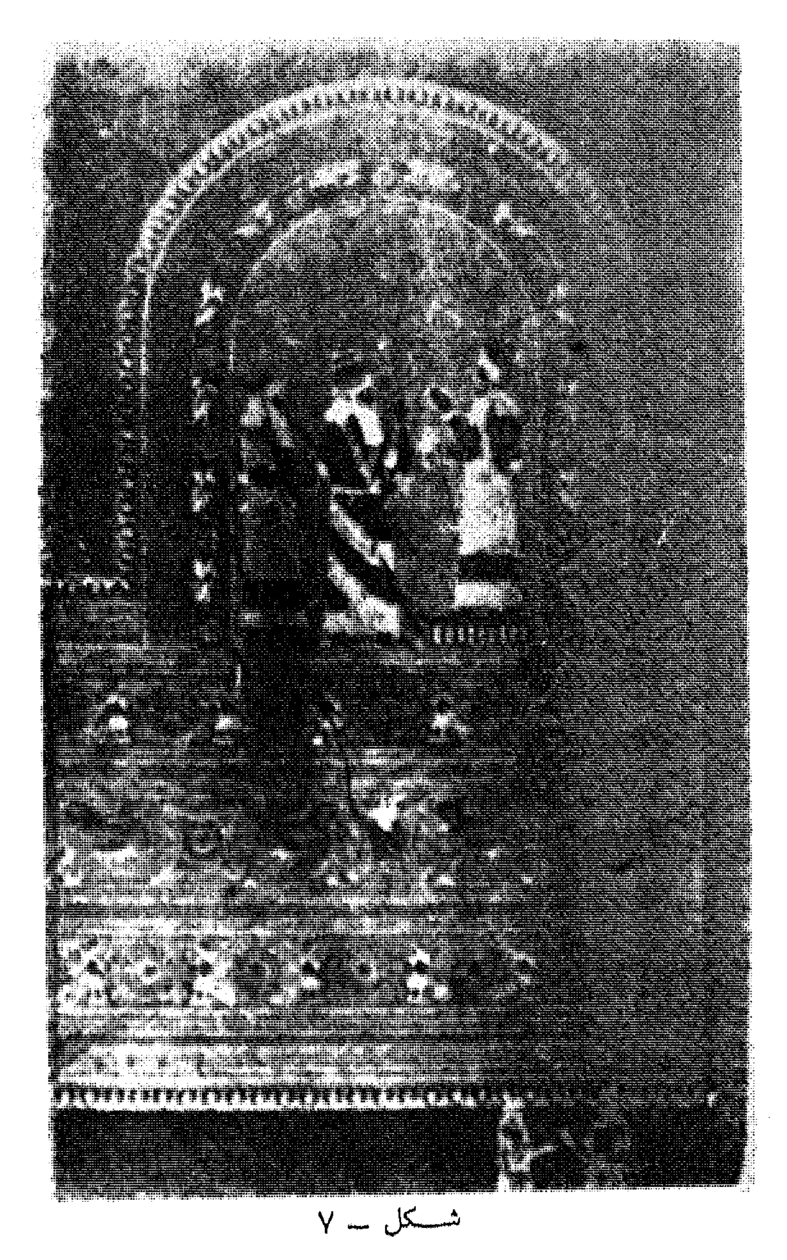
ان اهم اللوحات الجدارية جاءتنا من قاعة العرش (رقم ٢٢ على الخارطة الخاصة بالقصر) . وهي باللونين الازرق والاحمر على ارضية مصفرة قليلا وترينا في منظر رئيسي الملك جالسا على كرسي العرش فوق قاعدة او منصــة مزدانة بزخارف على شكل وريدات حمراء فوق خلفية زرقاء . خلفه وزراؤه وحاملو اسلحته وحرسه الخاص وهو يمسك بعصا طويلة يســندها فــوق القاعدة ويمسكها مائلة بيده اليمنى وباليسرى نبتة تبدو كأنها سعفة نخيل او اغصان نبات او اوراق متعددة صغيرة .

ويبدو الكرسي وعليه وسادة محاكة من قماش ذي مربعات حمـراء وزرقاء ومسند الظهر مغطى بسجادة من نفس القماش تغطي وجهي المسـند وتنتهي خلف الكرسي بذؤابات طويلة الخيط •

وظهر الجنود وهم يرتدون احذية قماشية او جلديـة باللونين الازرق والاحمر حيث تبدو الكعوب عادة باللون الاحمر • وكذلك الحزام فهو قد خيط من قطع باللونين ذاتهما • اما بقية تفاصيل الملابس فلقد اسـتخدمت لتحديد تفاصيلها خطوط خفيفة بالاسود ومن دون اي تلوين اما الشعر واللحى فهي سوداء اللون وكذلك العيون •

ومن اللوحات الاخرى لوحة مرسومة على جدار القاعة (رقم ١٢) في القصر المرقم (K) فيخرسباد (دور شروكين) مدينة الامبراطور الاشـوري الكبير سرجون الثاني (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق٠م) (شكل ـ ٧) •

وبلغ ارتفاعهـا ١٢٫٨ م مرسومة على ارضية من الجص وحـددت شخوصها وحافاتها باللون الاسود وتنقسم الى قسمين الاسفل الى ارتفـاع يتراوح بين ١٫٥م ـ ٧٫٥ م وهي اشرطة او حقول افقية تحتوي على زخرفة كاملة بها عناصر مثل الوردة الاشورية والنخيلة وزهرة اللوتس وثمرة الرمان، وهي تؤطر اشرطة اخرى بارتفاع ٦٥ ـ ٨٥ سم تحتوي على اشكال متكررة ومتوالية لحيوانات اسطورية وثيران ووريدات كبيرة واشكال رباعيـة ذات اضـلاع متقعـرة الوسط فتكاد ان تشـكل نجوما رباعية • اما الجـزء المقابل لمدخل القاعة فترتفع هذه الاشرطة لتشكل قوسا عاليا يحوي داخلـه



شکل ــ ۷

منظرا على ارتفاع ٤٠ر١٢ م وترينا منظرا للملك وهو يتعبد امام اله واقف فوق منصة وبيده العصا والحلقة • ويقف خلف الملك وزيره الذي لا يرتدي على رأسه الا طاقية بسيطة بعكس الملك الذي يرتدي تاجا مدرجا •

المراجع .

1. Richard Starr, Nuzi Vol. I, II Cambridge, 1937.

2. W. Andrae, Assur Farbige Keramik, Berlin, 1923.

3. Taha Baqir, Iraq Government Excavation at Aqar-Quf, 1942-1943.

4. Iraq Supplement, 1944.

5. Ibid Vol. VIII, 1946.

6. P. Amiet, l'Art et les Grandes Civilizations, Paris 1977.

7. E. Strommenger 5. Thausend Jahre Mesopotamien.

8. B. Hrouda, Handbuch der Archaeologie Vorderasien I München, 1971.

٩ ـ انطون مورتغات ، تاريخ الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي . بغداد ١٩٧٥ .

الفصل الثالث

المدينة العراقية

المبحث الأول

نشأة القرى العراقية الأولى

بين الاستيطان الاول وحتى العصر الحجري الحديث

د . عدنان مكي البدراوي

مركز التخطيط الحضري والاقليمي

للدراسات العليا ـ جامعة بغداد

مقدمـة :

لقد كانت المدينة مركز اشعاع الحضارات على مر العصور وما بقي من هيكلها ومحتواها كان التراث الذي يتحدث عنه الاخرون • ان المدينة العراقية القديمة هي مهد الحضارة (حضارة العراق القديم) او ما نسميه (بحضارة وادي الرافدين) •

ان الاستيطان في العراق القديم بدأ في الجزء الشمالي حيث وجدت اول قرية في مرتفع (زاوي جمي) ، ثم (جرمو) والتي كانت اول قرية زراعيـة في العراق ، ثم انتشرت الى الجزء الاوسط حيث وجدت طلائع المدن العراقية

الاولى في الطبقات الثلاث السفلى من تل الصـــوان حتى وصلت الى الجـزء الجنوبي منه • لقد كانت اور والوركاء واريدو (ابو شهرين) اقدم المستوطنات التي قامت على الطرف الجنوبي الغربي للهور الكبير ، كما انبثقت عن هــذه الحضارة انظمة اقتصادية واجتماعية وسياسية كانت الاولى من نوعها في العالم القديم مثل انظمة الري والزراعة الواسعة ومجلس المدينة ومجلس الشورى للمدينة الذي يساعد حكام المدن •

ان تسمية المستوطنات البشرية في العراق القديم لا تفرق بين مدينة او قرية (كما سنرى من هذا المبحث) • فمستوطنة (تل الصوان) ـ مثلا ـ في دور سامراء (الطبقة الثالثة) كانت اكبر وانظم مراكز الاستيطان في تلك الفترة التاريخية وهو ما يقابل « العاصمة » في تنظيم المدن الحديث ، اضــافة الى خصائص متميزة في البنية الداخلية والتكوين الاجتماعي والاقتصادي تفرض وجوب وجود (معيار) يميز بين (القرية) و (المدينة) في العراق القديم لنتمكن من تحديد (القرية والمدينة العراقية الاولى) •

مفهوم القرية والمدينة عبر التاريـخ Notion & Criteria

لقد ظل التمييز بين القرية والمدينة غير معروف حتى العصور الاوربية الوسطى حيث كانت المدينة مؤسسة اجتماعية واضحة المعالم لكنها على صلة وثيقــة بالارض وفعالياتها فقد اكد ترفليان بأن المدينة الانكليزية في القرن الرابع عشر كانت مجتمعا ريفيا زراعيا بجانب كونها مركزا للتجارة والصناعة ، تحيط بتلك المدن غير المسورة الحقول حيث يزرع كل مواطن بريطاني ارضه ويرعى ماشيته في مرعى المدينة المشترك •

ان لويس ممفورد يعتقد بأن الفرق بين القرية والمدينة يكمن في عنصرين :

أ ـ مركز اجتماعي منظم (المعبد مثلا) يستقطب جميع اركان بنية المجتمع •

ب ـ مجموعة المباني والمرافق المتميزة التي اوضحت قدرة الانسان وقللت اعتماده على الارض وزادت سيطرته على البيئة مثل الطـرق المعبـدة والجسور ومشاريع الري والبزل وتنظيم ماء الشرب والحرف الصناعية •

كانت الفروق بين القرية والمدينة في المدن القديمة ذات منحى متميز فقد اكد (ادمز) بان هنالك خصائص مشتركة لبعض المدن القديمة مثل :

آ ــ وجود المباني العامة كالمعابد والقصور في قلب المدينة التي تمثل المركز الاعلى مستوى من ناحية الخدمات والذي تتفرع منه شبكة الطرق العامة الرئيسية ٠

ب ــ دور الطبقة الغنية من السكان التي تقع على امتداد الطرق الرئيسية وتمتاز بسعة مساحتها وتعدد غرفها بينما تقع احياء الطبقة الفقيرة من السكان خلف الاحياء السكنية للطبقة الغنيـة وهي ذات مساكن صغيرة المساحة على جانبي ازقة ضيقة وملتوية ٠

جـ ــ الميناء ويقع على ابواب المدن ويكون مركزا تجاريا ٠

د ــ الاسوار : تحاط اغلب المدن باسوار وخنادق لحمايتهـا من هجمـات القبائل المتجولة واطماع الحكام المجاورين ٠

هـ ــ منطقة الضواحي : وتقع خارج السور حيث تتواجد الحقول الزراعية والمراعي التي تحتضن القرى كمراكز للاستيطان ٠

لقد ذهب (جايلد) الى اعتماد الاختراعات العلمية والكتابية وتقسيم العمل والمباني العامة والتركيب الطبقي الاجتماعي وحجم السكان والتجارة الخارجية وجمع الضرائب كأساس للفرق بين القرية والمدينة القديمة ٠

لقد وصف (جايلد) اواخر العصر الحجري الحديث للتفريق بين القرية والمدينة بأنه ثورة حضاريـة (Urban Revolution) او مولد الحضارة حيث اعتمد على نتائج الثورة الصناعية وقد كان مصطلحا لا يخلو من المبالغة٠

لقد ظلت طلائع المدن القديمة محافظة على علاقتها التقليدية بالزراعة والتي يمكن ان نسميها (بالمدن الزراعية) لقد كان اقليمها الظهير (Hinter Land) مصدرا لقوتها وغذائها الى ان بدأت طلائع التطور التكنولوجي في العصـر الحجري المعدني وتقدمت وسائط النقل والتعدين ٠ ان تلك الاسباب ادت

الى توسيع نفوذ المستوطنة البشرية الاقتصادي والاجتماعي والسياسي حيث ادى هذا التطور الى التقليل من اعتمادها على مواردها المحلية فظهرت نتيجة لذلك المراكز الحضرية التي اطلق عليها اسم (المدن) خلال وبعد (٤٠٠ — ٣٥٠٠ ق ٠ م) مثل اريدو والوركاء وجمدة نصر واور وكيش ٠

ان المصطلح السومري والاكدي بالنسبة للمستوطنات البشرية لم يفرق بين القرية والمدينة حيث اطلقت كلمة (اورو — URU) في السومرية و (آلو — ALU) في الاكدية وهو يشمل كل مستوطن دائمي يحتوي على بيوت مشيدة (لبن او اكواخ) ، بينما يوضح (الدكتور وليد الجادر) بان النصوص البابلية تشير الى ان (ALU) تعني خواص المدينة كذلك وانها قد استخدمت للتعبير عن (المدينة) و (المقاطعة السكنية) في الوقت نفسه ٠ لقد اصبح السور الحد الفاصل بين المدينة والقرية فيما بعد كما اصبحت كلمة (اورو) مشابهة الى كلمة (بولس POLIS اليونانية التي لم تكن مشيدة بجدار يسورها بالضرورة، وعلى هذا الاساس فقد تألفت المدينة السومرية من :

١ — مركز المدينة (Qabalti Ali) ويشمل المعبد والقصر ومقرات الموظفين التابعين للبلاد وبيوت الموظفين ٠

كانت المدينة توجه القوانين في (بوابة) او (بوابات) تقع في مستوطنة كبيرة حيث يمارس رئيس البلدية وظيفته وقد خصص لكل بوابة فناء ضمن المدينة ٠

٢ — الضاحية (uru-bar) والتي تعني خارج المدينة ، تتجمع فيها البيوت والمزارع وزرائب الماشية ٠

٣ — الا ان تصنيفا اخر لمكونات المدينة اضاف الى (مركز المدينة) الميناء (كار — Kar) حيث تقع المخازن وخانات المسافرين والتجار ، لقد كان الميناء محاطا بسكن التجار من غير اهل البلاد الا انه فيما بعد

صدرت قوانين سمحت باقامة الاجانب في المدن (اور) حيث وجد جزء خاص (ضمن سور المدينة) لاقامة الاجانب مثل شارع الاهالي في (اشنونة) وفي مدينة (سبار) وقد وجد في مدينة (نفر) شيء مماثل لذلك

ويلاحظ في هذا التصنيف بأن (السور) هو الحد الاساس في هذا التركيب شطر المدينة الى قسمين :

آ ــ داخل السور : مركز المدينة وبنيتها الاساسية .

ب ــ خارج السور : الضواحي والميناء .

وهي معايير طبيعية تتعلق بتركيب بنية المستوطنة (Morphology) دون التأثر بالفعاليات والانشطة الاقتصادية والاجتماعية وهذا غير ممكن ؛ لانه يعني توقف الحياة والحركة لهيكل المدينة وابقائها كتلة عمرانية مجردة .

نشاة وتطور القرية العراقية :

ان المراحل التكوينية التي مرت بها نشأة وتطور القرية العراقية توضح بان الارتقاء والتطور الذي رافق نشأة تلك المستوطنات عبر التاريخ الطويل كان دائما تطورا له ابعاده الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، اثرت فيه روح ذلك العصر او الفترة التاريخية المعينة بكل ما فيها من مظاهر التقدم . فقد اثر ذلك التطور الاجتماعي الذي تناول علاقة الانسان بالانسان والاسرة والمجتمع بكل ما احاط به من عادات وتقاليد محلية ، فكانت العبادات وتخصص العمل والادارة والتنظيم بكافة مستوياته المعينة في هرم تلك المجموعة البشرية ذات الخصائص الحضارية المعينة والتي سميت في عصر فجر السلالات بدويلات المدن .

انالتطور الاقتصادي الذي شمل الفعاليات والانشطة الاقتصادية المختلفة والتي بدأت بالزراعة وتربية الحيوان ثم تطور الصناعات والحرف اليدوية والذي ادى من خلال زيادة فائض الانتاج الى الحاجة الى تبادل السلع ثم

تصدير ذلك الفائض خارج حدود تلك المستوطنات (التجارة) . ان سيطرة الانسان النسبية على المياه لاغراض الزراعة وتطور وتقنيات واستخدام المعادن وتنظيم عمليات الخزن للسلع الزراعية وتطور وسائل النقل والمواصلات قد تمت عبر تلك الفترة الزمنية التي أشرنا اليها سابقا لتوضح اهمية تخصص العمل والادارة والذي اشرنا اليه اعلاه في تسيير الشؤون الاقتصادية في تلك المستوطنات والتي حصلت فيما بعد الى (الحكام) و (الامراء) ثم (الملوك) . ان التطور الاجتماعي والاقتصادي رافقه تطور عمراني تناول التخصص في استخدامات الفضاءات المعينة الذي رافق التوسع في مباني الخدمات المختلفة والوحدات السكنية . ان ظهور طبقات مختلفة من السكان كالعمال والمزارعين والتجار والكهنة والحكام على مر العصور يتطلب مستويات وخصائص غير متطابقة من العمارة والابنية التي تناسب وظائف وحجوم ومواقع فضاءاتها الداخلية ذلك المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمستفيدين من تلك الابنية . لذا جاء تطور العمارة في تلك العصور ضمن سياق وتسلسل منطقي يوازي التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي مر عبر التاريخ على تلك المستوطنات . ان المواد الانشائية وتصنيعها محليا واستخدامها في وحدات انشائية وعمرانية مختلفة على مر العصور كانت هي الاخرى الضوء الذي أنار طريق الباحثين ليتحسسوا معيارا حضاريا ماديا آخر يؤشر تراث تلك المستوطنات والامم . فقد تطور استخدام تلك المواد من الاغصان والاشجار الطبيعية مرورا بالكتل الطينية والحجرية المصنعة جزئيا الى صناعة اللبن والطابوق وبالتالي ادخال مواد التجميل والريازة الداخلية والخارجية التي تميزت فيما بعد بأستخداماتها الملونة (مخاريط ملونة) سدت بكل فترة تاريخية .

ان ما اوردناه اعلاه يوضح بأن (مراحل التكوين Morphological Stages) الاولى والثانية للمستوطنات العراقية قد اثر في نشأة وتطور القرية العراقية الاولى وهي :

المرحلة التكوينية الاولى ـ مرحلة ماقبل القرية ـ (٦٠٠٠٠ ـ ٩٥٠٠ ق.م) .

وتمتد بين العصر الحجري القديم (Paleolithic) وحتى نهاية العصر الحجري الوسيط (Mesolithic) .

لقد تركزت الحياة في هذه المرحلة في المناطق الجبلية في كهف شانيدر وكهوف هزار مرد وسبيلك ، وبراك ، وكيوان ، وحجية (انظر خارطة رقم ١).

المصدر : المؤسسة العامة للآثار والتراث

خارطة رقم (١)

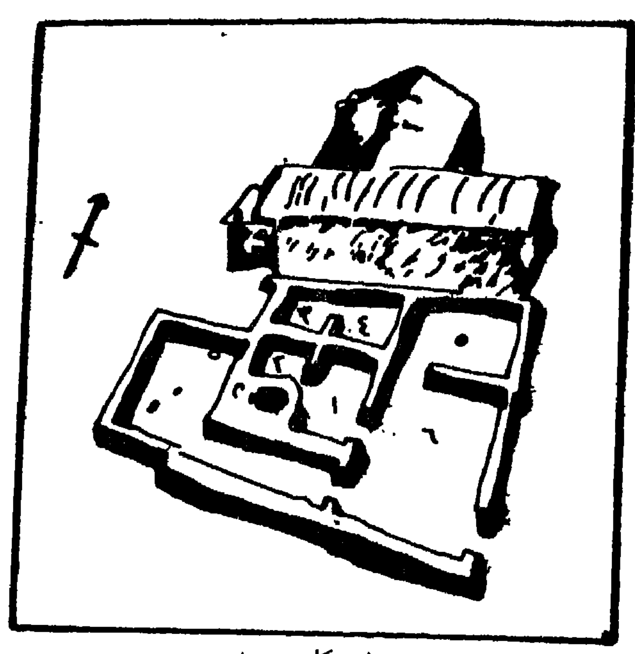
يعتقد بأن اسباب اختيار الانسان لهذه المواقع يعود لاسباب نفسية ناجمة عن الخوف من الحيوانات الوحشية ، وطبيعية تعود الى حاجة الانسان الى الغذاء واعتماده على النباتات الطبيعية والحيوانات التي يصطادها ، ومتجنبا مشاكل فيضانات الانهار • الا انه في فترة متأخرة من هذه المرحلة انتشر الى مجموعة الكهوف والاراضي المرتفعة (خارج الكهوف) في المناطق المجاورة • لقد اختار الانسان كهوفه بفتحات تتجه نحو الجنوب الجغرافي حيث الاختيار البيئي والمناخي الافضل وبموقع قرب مصادر المياه والاراضي الخصبة زراعيا •

أن خصائص الانسان وتجمعه تدل على (التعاون الجماعي) الذي فرضته الحياة القاسية عليه •

المرحلة التكوينية الثانية (نشوء القرية وتركز استيطانها)

وتمتد بين نهاية العصر الحجري الوسيط (Mesolithic) والعصر الحجري الحديث (N·olithic) لقد انتشر استيطان الانسان في هذه المرحلة الى مناطق ابعد نسبيا كما في مواقع ملفعات ، وزاوى جمي ، وجرمو والتي تبقى ضمن المنطقة الجبلية والمرتفعات في الجزء الشمالي من العراق (انظر خارطة رقم ١) وضمن منطقة ديمية واراضي خصبة قريبة من مصادر المياه •

تعتبر مستوطنة زاوى جمي واحدة من مستقرات الانسان الاولى من نوعها في العراق • لقد اكد (فؤاد سفر) على وجود مساكن وابنية دائرية المسقط في قرية زاوي جمي يعتقد بان سقفها كان على شكل (قبة) كحل انشائي للتسقيف حتى ظن بأنه بداية عمارة الـ (Tholoi) والتي ايدها (سيتون لويد) وبذلك يكون العراق اول من استخدم ذلك النمط من العمارة في العالم • اما مستوطنة (جرمو) فتعتبر اول قرية زراعية تقع (١١ كم شرق جمجمال) مساحتها (١٦٠٠٠ ــ ١٢٠٠٠) متر مربع ، كثر فيها على (٣٠ ــ ٤٠) مسكن طيني (باشكال مستطيلة) (شكل رقم ١)



شكل ــ ١

بيت شبه منتظم ــ ط ٥ جرمو (المصدر : جاكيت و وولي)

يسكنها (١٥٠ ــ ٢٠٠) نسمة اي ان معدل نسبة الاشغال للمسكن الواحد (Occupancey Rates) هو (٥ فرد / المسكن) ٠

لقد تطور نظام الحركة في هذه المرحلة حيث يعتقد ان تدجين الانسان للحيوان قاد الى استخدامه لاغراض النقل والحركة من خلال ظواهر آثارية اهمها وجود الزجاج البركاني الذي يعتقد بان الانسان قد جلبه من ارمينيا في بلاد الاناضول ٠

ان المقيدات الاجتماعية للانسان والاسرة والمجتمع تدل على زيادة خصوصية واهمية كيان الاسرة ٠ ان الظواهر الدينية لهذه المرحلة تدل على تقديس المرأة من خلال تماثيل الطين التي فسرها المنقبون بأنها الهة الخصب (الالهة الام ــ Mother Goddess والذي يجسد واقع العبادة بشكل اكثر وضوحا من المرحلة السابقة ٠ لقد وجد في القبور تحت المساكن بعض ما يحتاجه الانسان من عدد ولوازم وقلائد زينة للنساء فسرها

الكثيرون بانها دليل اعتقاد الانسان بالحياة الاخرى •

اما المقيدات الاقتصادية ، فقد شهدت هذه المرحلة (ثورة اقتصادية) ، كانت الاولى من نوعها في التاريخ ، حيث مارس الانسان زراعة القمح والشعير والعدس كما دجن الحيوانات كالماعز والخراف • اما الفعاليات الصناعية والحرف فكانت صناعة الغزل والنسيج ، جيث عثر على (مغزل) بين الاثار اضافة الى صناعة الادوات المنزلية والانتاجية من الحجارة الصلدة كأدوات الزينة والنحت ومناجل الحراثة • لقد تطورت صناعة المواد الانشائية حيث صنع الانسان الطين والاخشاب لبناء مساكنه ان ما ذكرناه اعلاه عن نقل الحجارة من خارج العراق يدل على ظاهرة التجارة الخارجية ولابد انها قد أعتمدت على مبدأ تبادل السلع وفائض الانتاج الذي خزنه في مواقع من مسكنه •

لقد ابرزت المقيدات العمرانية لهذه المرحلة من خلال عمارة المساكن (شكل رقم ١) بأن الانسان توصل الى تقطيع الفضاءات داخل مسكنه لاستخدامات متخصصة ومختلفة كما وجد في المسكن آثار (موقع الطهي) والذي هو بداية (التنور) كما وجدت اماكن للخزن والمعيشة والمنام • ان اهمية وجود الحيوان مع الانسان في مسكنه اوجد له فضاءات خاصة مبينة في (الشكل رقم ١) • يعتقد ان الحل البيئي لسقوف المسكن المناسب للخصائص الجغرافية والطبيعية والمناخية لتلك المنطقة التي توصف بالبرد والمطر الشديدين قد قاده الى استخدام السقوف المائلة (ومن جانب واحد او جانبين كما في هيكل جملونات السقوف Truss) • ان عمارة المساكن تدل بأن الانسان قد وفر فرصا افضل لحياته ولحياة اسرته في الراحة والامان وتحقيق الخصوصية • ان نظام الحركة البسيطة وقلة عدد سكان القرية قد كرس (نظام ازقة الطرق غير المنتظمة) •

لقد افرزت هذه المرحلة نشأة وتطور القرية العراقية الاولى بقدر مناسب من التطور الاجتماعي والاقتصادي والعمراني •

المبحث الثاني

المدينة الأولى

بين العصر الحجري المعدني وعصر فجر السلالات

د. عدنان مكي البدراوي

مركز التخطيط الحضري والاقليمي
للدراسات العليا ـ جامعة بغداد

المدينة

لقد تطورت الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية للقرية التي نشأت في المرحلتين التكوينيتين الاولى والثانية الى (طلائع أو بدايات المدن) التي ظهرت في المرحلة التكوينية الثالثة ثم انتشرت وتوسعت في المرحلة التكوينية الرابعة وتطورت في المرحلة التكوينية الخامسة . لقد كانت مظاهر (المدينة) المادية والمعنوية اكثر تقدما وازدهارا في المرحلة التكوينية السادسة كما نراه فيما يلي :

المرحلة التكوينية الثالثة (طلائع وبدايات المدن)

وتمتد بين العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني (ولو ان البعض يضع العصر الحجري المعدني في هذه المرحلة امتدادا للعصر الحجري الحديث نظرا لثبوت وجود التعدين في الجزء الاخير منه فقط .

تشمل هذه المرحلة مستوطنات وسكلن ادوار حسونة ، وحلف التي امتدت بين الجزء الشمالي الجبلي حتى وصلت الى الجزء الاوسط المنبسط

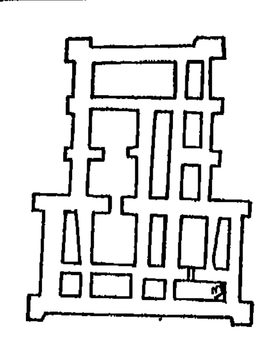
على ضفاف الانهار او قربها • ان مستوطنة (تل الصوان) التي تقع ١١ كم جنوب سامراء بمساحة موقع (٢٢٠×١١٠ م) تقريبا من اكثر مستوطنات هذه المرحلة تميزا • ان المتغيرات الاساسية في تكوين المستوطنات لهذه المرحلة توضح بان سكانها كان امتدادا للسلالات التي سبقتها في العراق كما يرى البعض بان السومريين عاشوا في النصف الثاني من هذه المرحلة •

لقد تقدم نظام الحركة والنقل والمواصلات حيث يعتقد باستخدام حيوان الارخص Onager (التي وجدت صورته على جدران أحد مساكن هذه المرحلة) في هذه الخدمة • لقد وجد (ملوان) صورة (للعجلة) على كرة وعاء من فخار طور حلف يعود الى اواخر الالف السادس ق • م ، يعتقد بأنه قد استخدم لاغراض النقل والمواصلات • ان وجود المستوطنات على ضفاف الانهار ، والتقدم الحضاري النسبي الذي رافق نشاة مستوطنات هذه المرحلة وسعة انتشار مراكز الاستيطان ووعورة طرق المواصلات البرية، ووجود ما يدل على (استيراد) الانسان بعض السلع والادوات من خارج موطنه ، (كما وجد في حسونة والاربجية) ، كل تلك الظواهر تقرب الاعتقاد باستخدام النهر لاغراض النقل والمواصلات (او بمعنى اخر بداية استخدام الميناء) ، (ولو ان اللقى الاثرية لم تؤكد ذلك ماديا) • ان البنية الارتكازية الجديدة لنظام المواصلات والنقل والخزن قد طور (التجارة) في هذه المرحلة • لقد وجدت بعض الادوات الحجرية والاخشاب التي يعتقد بانها جلبت من خارج العراق •

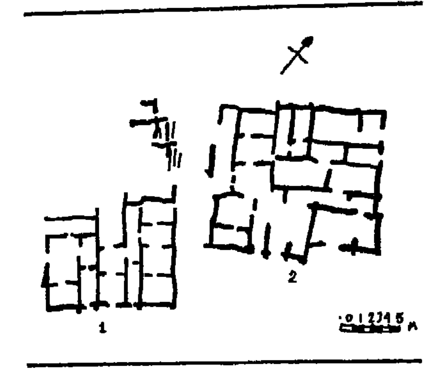
استخدم الانسان في هذه المرحلة مواد انشائية جديدة ، حيث استخدم الجص واللبن المصنع بقوالب ذات اشكال هندسية منتظمة اضافة الى استخدامه الحجر والطين والاخشاب في الابنية المختلفة •

ان المقيدات الاجتماعية توضح بان عبادة الالهة الام Mother Goddess المصنوعة من الرخام قد بدا واضحا في بعض الابنية

والتي يعتقد بانها (المعابد الاولــى) في العراق ، سواء تلك التي وجــدت في (تل الصوان) على شكل حرف T والتي تحتوي على (١٤ غرفة) مشيدة من الطابوق اللبني (شكل ٢) او تلك التــي وجدت في (يارم تبة)



معبد ط ٤/تــل الصــوان يشــبه الحـــرف اللاتيني T ٥٣٥٠ ق.م (المصــدر خالد الاعظمي)

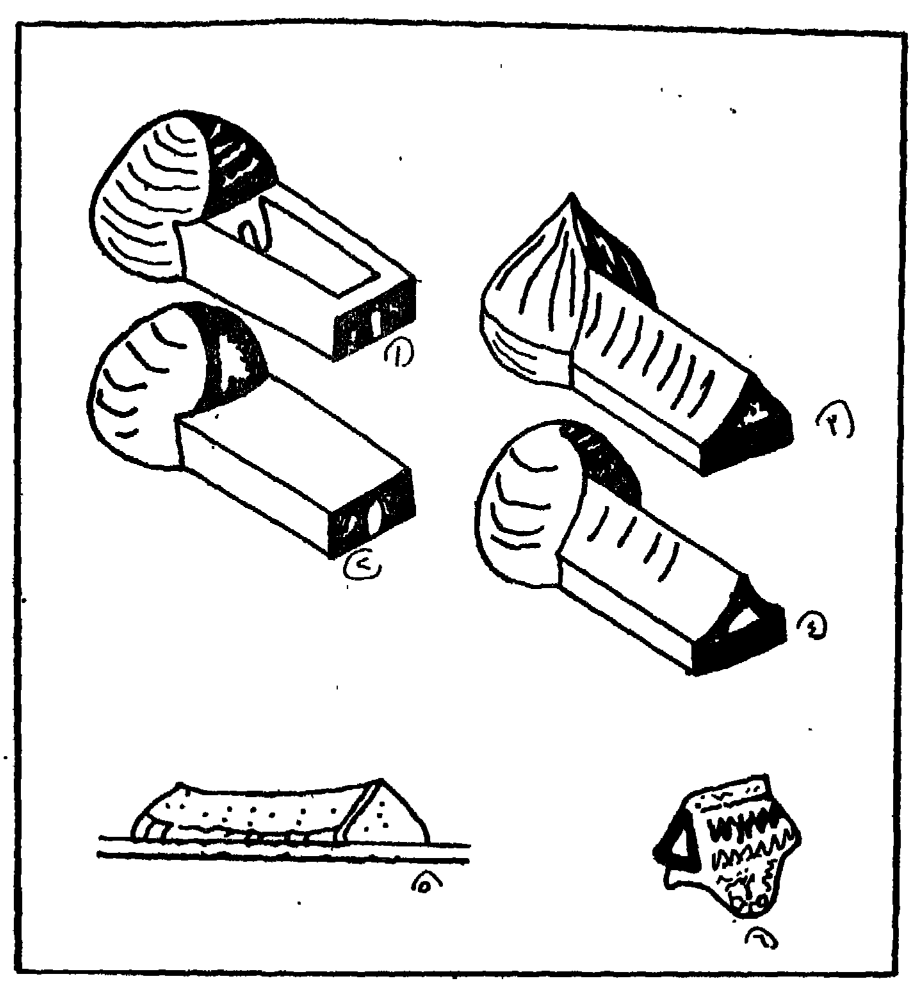


بيتان شــبه منتظمان ط١ / تــل الصوان (المصدر : فيصل الوائلــي وابو الصوف)

شـــكل ــ ٢

بيتان شبه منتظمان ط٤/تل الصوان (المصدر : فيصل الوائلي وابو الصوف)

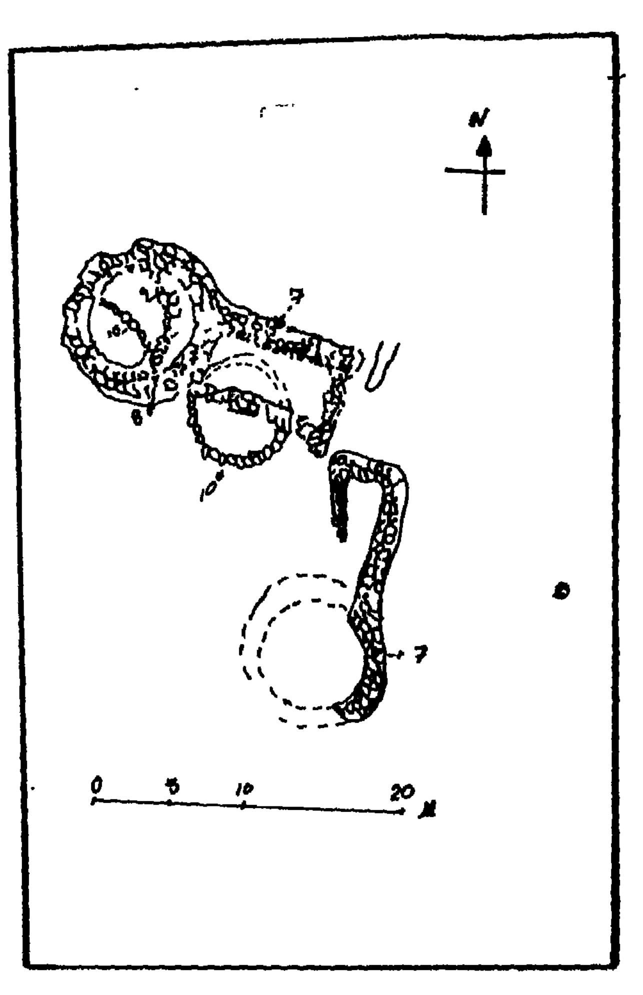
و (حسونة) و (الاربجية) حيث وجد في الاخيرة ابنيــة متعددة تمثــل بناية (الــ Tholoi) (شكل ٣ ــ ٤) والتي اكد فؤاد سفر وسيتون لويد على وجودها في حسونة ، الا ان استخدامها قد يكون لاغراض ادارية او اجتماعية او سياسية او دينية (كمعابد) . وهنــا نرى بأن بنايــة (الـ Tholos) اليونانية التي وجدت في مايسيناي قد اقتبســت من العمــارة العراقية . ان تخصص الابنية والفعاليات الاقتصادية والاداريــة والدينيــة يوضح وجود طبقات تخصص مهني واجتماعي مع اتساع (طبقة الكهنة) . ان



شكل ـ ٣

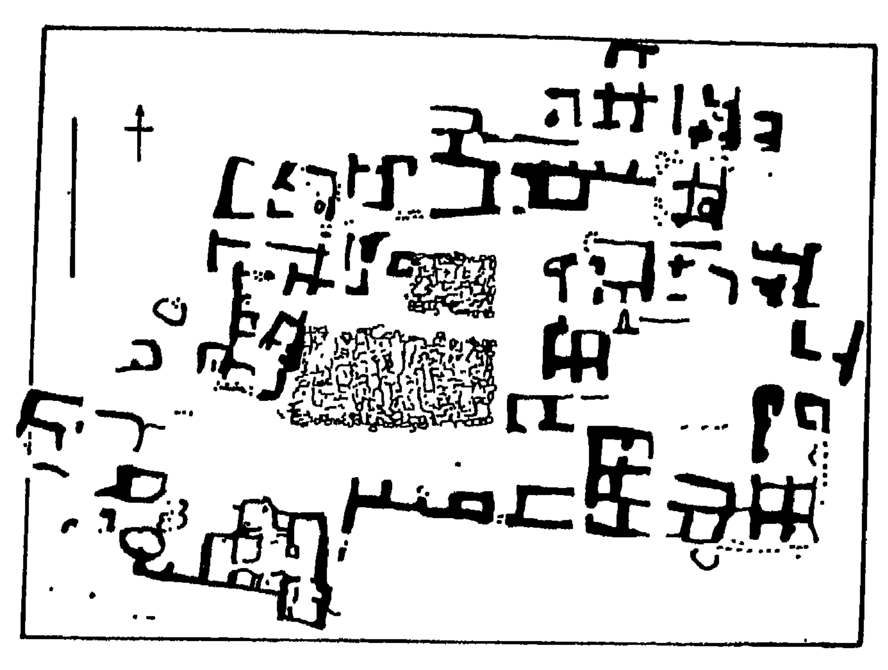
١ـ٤ نماذج لبيوت مدورة
٥ مخزن حبوب حديث في الاربجية (٩٠٠ ق٠م)
٦ نموذج لسقف جملون
(المصدر : ملوان)

تصاميم الوحدات السكنية تدلل على ان (الاسرة البسيطة) ظلت تشكل جزء هاما من انماط الاسر في المجتمع ولو ان النمط الغالب ظل بجانب (الاسرة المتحدة) ٠



شـكل ــ ٤
البيوت المدورة / تل الاربجية
(المصدر : ملـوان)

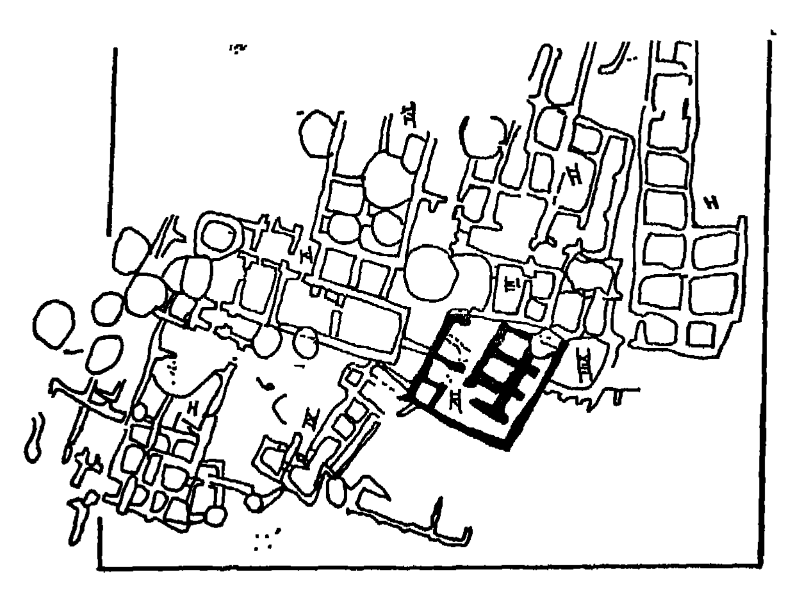
اما بالنسبة للمقيدات الاقتصادية ، فنرى بان الانسان في هذه المرحلة قد سيطر على عملية الانتاج افضل من خلال معاملة مع فائض الانتــاج ، حيث وجدت المخازن بشـكل واسع ومتعدد في الابنية كما في (أم الدباغية) التي تقع بين حسونة وسامراء (شكل ٥) حيث عثر على جرار فخارية كبيرة



شكل ــ ٥

ط٣ / تل ام الدباغية ٥٧٠٠ ق.م بيوت شبه منتظمة ومخازن متكونة من عدة غرف (المصدر : كيرك برايد)

مدفونة تحت الارض وقرب المساكن وفي (يارم تبة) جنوبي غربي مدينة تلعفر(شكل ــ٦) اما في (تل الصوان) فقد وجدت المخازن في ابنية متخصصة. ان زيادة الانتاج يدل على تطور نسبي (لنظام الري) من خلال شق الترع والقنوات او الحماية من خطر فيضان الانهار اما بالنسبة للصناعة والتطور التكنولوجي ، فأن مظاهر انشاء الابنية والادوات الحجرية والنحت وتصنيع مواد الانشاءات وتطور صناعة الغزل والنسيج تدلل على تطور ملموس في ذلك المجال. في هذه المرحلة كان وجود بعض الخرز وشفرة صغيرة من النحاس المطروق في احد قبور الطبقة السفلى في (تل الصوان) يدل على (التعدين) في هذه المرحلة . اما بالنسبة للتجارة فقد اشرنا الى ذلك في اسطر سابقة من هذه الفقرة .



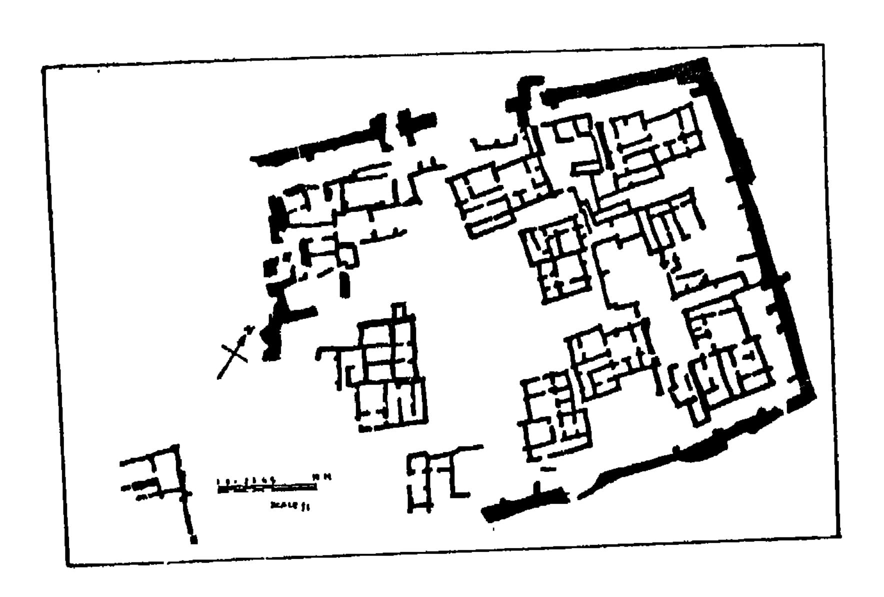
شـكل ــ ٦
بيـوت شبه منتظمـة / ط ٥ / تل ١ ــ يارم تبه
(المصدر : ميربرت)

لقد افرزت المقيدات العمرانية تقدما واضحا في التخطيط والعمارة •
فقد وجدت المدن الدائرية والمستطيلة ، اضافة الى التخصص الواضـح في الابنية المناسبة لخدمات وفعاليات معينة ووجود الساحات العامة والخضراء والسور والضواحي (سوف توضح ذلك فيما بعد) اضافة الى التكرار في استخدام نفس التصاميم في نفس المدينة وانتظـام الاشكـال الهندسية في التخطيط والعمارة •

ان التصميم الاساسي (لتل الصوان) (شكل ٧) يوضح التركيب الداخلي التالي :

١ ــ السـور

لقد وجد السور ذو الابراج والمحاط بخندق دفاعي لاول مرة في هذه المرحلة من (تل الصوان) حيث وجدت آثار (سلّم) مبني من الجص يربط



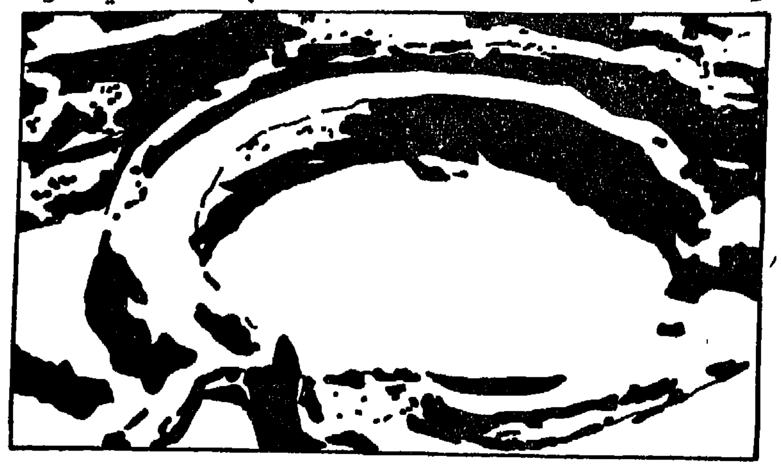
شـكل ـ ٧
بيـوت منتظمة تشبه الحرف اللاتيني T ط٣ (تـل الصوان)
(المصدر : ياسين)

مستوى الارض باعلى السور • يوضح (ابو الصوف) بان هذا السـور يشكل اقدم نظام دفاعي من نوعه في بلاد الرافدين كما اشار الى ذلك عند التنقيب في مواقع تل الثلاثات (قرب مدينة تلعفر) • لقد كان السور حداً فاصلاً بين مكونـات المدينـة (داخـل السـور) وبين الضـواحي (خارج السور) •

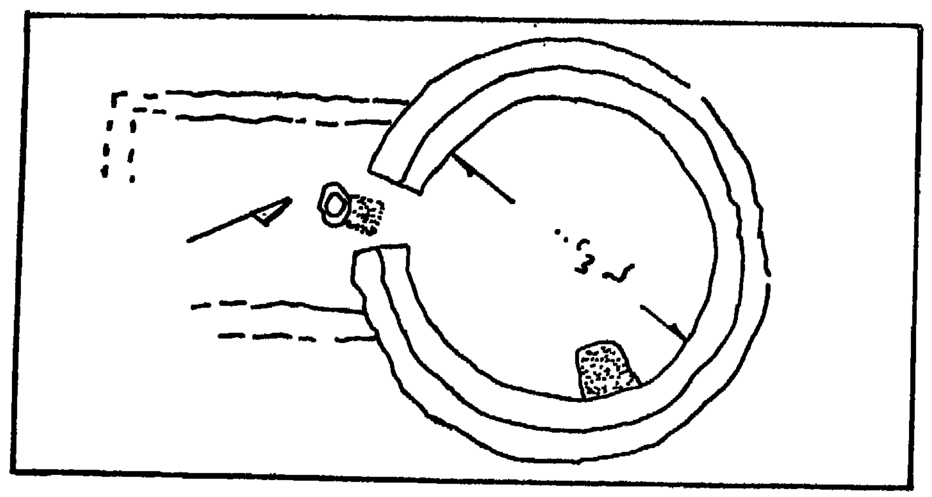
ب ـ الابنية العامـة والمساكن

لقد وجدت في هذه المرحلة الابنية المتخصصة التي تضم المعابد والابنية السكنية المختلفة • لقد عثر في (يارم تبة) على مجموعة مبان تشمـل ١٠٠ غرفة وكانت مسـاكن تلـك المستوطنة تحتـوي على التنـور ومخـزن الحبوب وتقع على ازقة ضيقة • وفي (أم الدباغية) حيث وجدت المخـازن في الوحدات السكنية التي ظهر على جدران بعضهـا صـورة (الارخص)

وقد استخدمت مادتي الطين والجص في تلك المساكن (٦٠٠٠ ـــ ٥٧٠٠ ق ٠م) وكانت غرفة المساكن بمساحة (٢×٥ر١م) تقريبا مع مدخل على شكل اقواس، اما في تل حسونة (شكل ٨ ، ٩) في الطبقة الرابعة ، وجد (فؤاد سفر وسيتون لويد) بفعاليات وفضاءات ذات وظائف مختلفة وابعاد هندسية واضحة

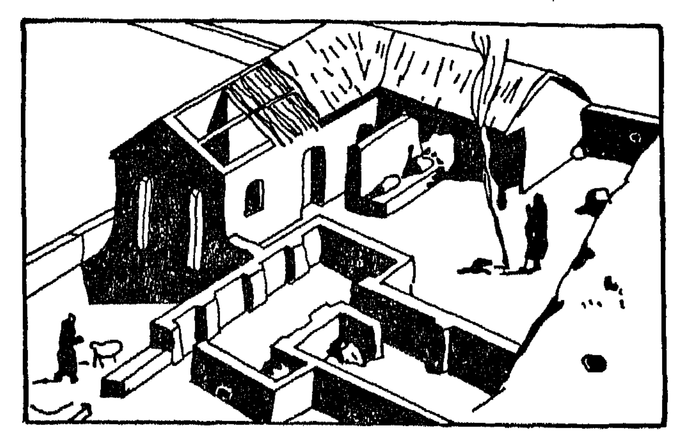


احد بيوت الفلاحين المستديرة في تل (يارم تبه) الواقع في سهل سنجار بالقرب من تلعفر (عصر حسونة الالف السادس ق ٠ م) ٠

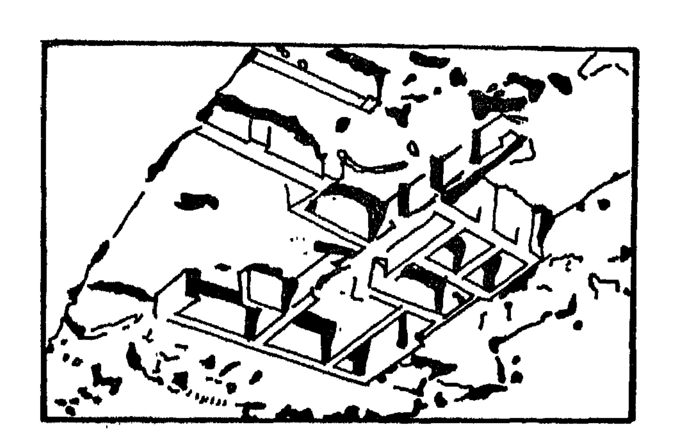


شكل ـــ ٨
مخطط ارضي للبيت المستدير في تل (يارم تبه) بالقرب من تلعفر

وخصوصية استخدام للفضاءات في ذلك المسكن في فصلة بين سكن الانسان والحيوان ووضع مخزن الحبوب والتنور في موقع معين من المسكن بينما وضعت فضاءات المنام والمعيشة في موقع اخر منه •



صورة مجسمة لدار عثر على اسسها في (تل حسونة) الطبقة الرابعة الواقع في ناحية الثورة على بعد ٢٢ ميل جنوب الموصل ، يرجع الى العصر الحجري المعدني القديم (٥٦٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق ٠ م)

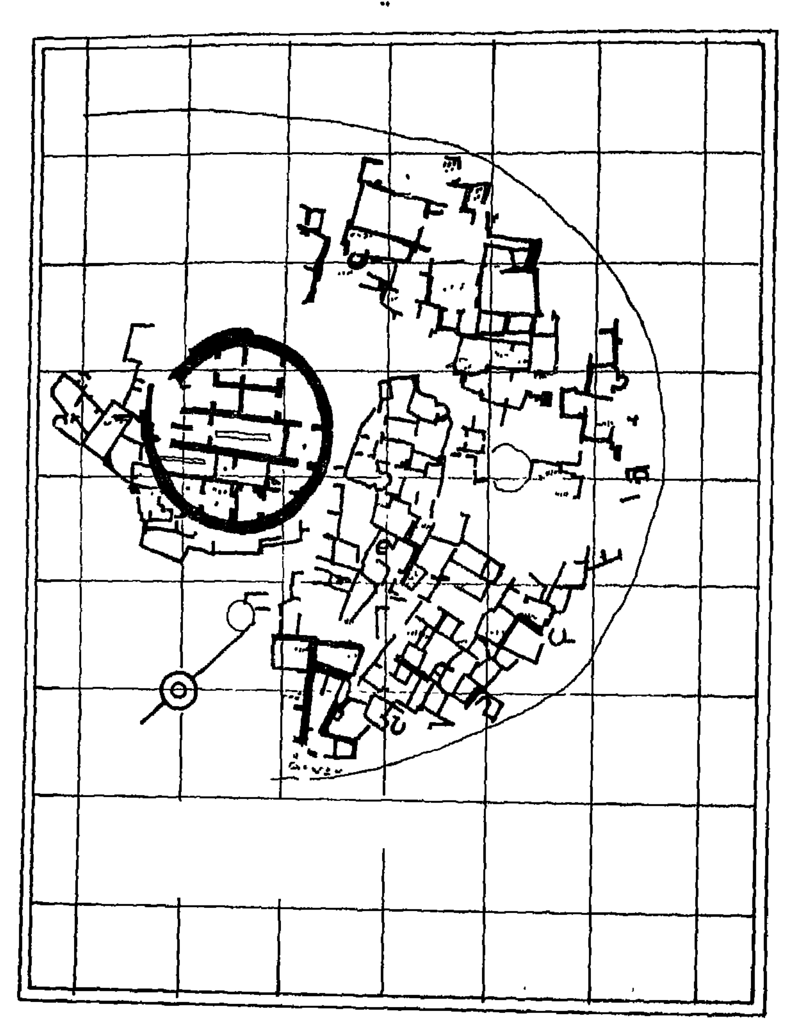


شكل ـ ٩

ط٤ / تل حسونة / اعادة بناء مقترح لاحد البيوت مع مخططه مثلما اكتشف
المصدر : (سلوين لويد وفؤاد سفر)

ج ـ الطـــرق

لقد وجد في هذه المرحلة ، وفي تل الصوان وتبة كورة (شكل ١٠) ثلاثة انماط من الطرق الداخلية ، وهي :



شكل ـــ ١٠

قرية تبة كورة ويظهر فيها البيت المدور الكبير في الوسط وسور المدينة والساحات ونظام الحركة (توبلر) الطبقة (١١ـا) (المصدر : توبلز)

١ ـ الازقة الضيقة غير المنتظمة التي تتوسط المساكن الصغيرة ٠

٢ ـ الطرق الواسعة التي يقع عليها بعض المساكن الكبيرة والابنية العامة ٠

٣ ـ الطرق غير النافذة Cul - de - Sac

د ـ الساحات المفتوحة والخضراء

لقد تأكد في (تل الصوان) وفي يارم تبة (شكل ٦) كما يرى (ميربرت) وجود مساكن متعددة الغرف تتجمع حول ساحات مفتوحة مع عدد من الابنية الدائرية والمستطيلة اضافة الى بناية مركزية يعتقد بانها بناية المعبد الذي يقع في وسط المستوطنة ٠

هـ ـ الضواحي

وتمثل القرى الصغيرة التي تقع (خارج السور) حيث يسكن بعض الفلاحين ورعاة الحيوانات في المناطق الزراعية المحيطة بالسور ٠

ان مناقشتنا للمتغيرات الاساسية والمحددات الرئيسية لمستوطنة (تل الصوان) في (٥٣٥٠ ق ٠ م) ولواقعها الاجتماعي والاقتصادي والعمراني المتميز عن فترات زمنية سبقته ، والذي اصبح (الاساس) لفترة زمنية لحقته، نرى بانها (بداية او طلائع المدينة العراقية الاولى) ٠ لقد كانت هذه المستوطنة هي اكبر مستوطنات تلك المنطقة ، فاذا كانت (قرية) ٠٠٠ فاين هي (المدينة) اذن ؟ لقد اصبحت مكونات هذه (المدينة) هي الاساس في بنية هيكل المدن التي لحقتها مع الاخذ بنظر الاعتبار التطور الذي اصاب كافة جوانب الحياة المادية والمعنوية ، والتي اثرت في تطور التصميم المعماري والصناعات الانشائية المناسبة لذلك العصر المعين اضافة الى زيادة حجم السكان والخصوصية التي تناولت طبقاته ومهنهم ومواقعهم الاجتماعية والانشطة الاقتصادية المتميزة لتلك الفترة التاريخية ٠

المرحلة التكوينية الرابعة (انتشـــار وتوسيع مراكــز الاســتيطان)
٥٠٠٠ ــ٤٠٠٠ ق ٠ م

وتمتد مع العصر الحجري المعدني للفترات التالية :

أ ــ دور حلف

ب ــ دور العبيـــد

لقد وجدالانسان في الجنوب ربما قبل دور العبيد واريدو حيث عاش واستقر حول الانهار قرب الاهوار في السهل الرسوبي بين رأس الخليج العربي وهيت وسامراء شمالا حيث كانوا يبنون قــوارب واكواخــا من القصــب ويصطادون السمك ويربون الماشية ٠

يؤكد (سيتون لويد) وجود حضارة في جنوب العراق (منطقة الاهوار) قبل (٥٠٠٠ ق٠م) اي قبل وجود السومريين ، كما يؤكد (ليونارد وولي) وجود سكان في موقع العبيد سكنوا بيوتا من القصب في منطقة الاهوار ٠ اي ان اهل العبيد وجدوا في العراق قبل السومريين ــ يؤكد (فؤاد سفر) ، في السهل الرسوبي في جنوب العراق الذي وجد في اوائل الالف الخامس بعــد اول مستوطنة في ذلك الموقع في العراق ٠ لقد نزح سكان العبيد من الجنوب الى الشمال في هذه المرحلة بمحاذاة الانهار الرئيسية ليكونوا اول سكــان في العراق ينتشرون في الجزء الشمالي والاوسط والجنوبي من العراق ٠

لقد اختلف الموقع الطوبوغرافي والجغرافي للمستوطنات في هذه المرحلة فهي تمتد بين مواقع الانهار والاهوار في السهل الرسوبي الجنوبي والاراضي السهلة المنبسطة في وسط وشمال العراق ٠

ان التطور الذي شمل نظام الحركة والنقل والمواصلات شمل :

١ ــ النقل البري ــ داخل المستوطنات بواسطة الحيوانات ٠

٢ ــ النقل النهري ــ حيث كانت القوارب الصغيرة والسفن الشراعية وغير الشراعية تستخدم لاغراض النقل المائي ، حيث عثر في هذه المرحلة على

قارب صغير من الفخار في وسطه حفرة لتثبيت الشراع الامر الذي يؤكد استخدامه كواسطة في هذه المرحلة • يؤكد (الدكتور سوسة) وجود زوارق ضيقة كوسيلة للمواصلات في الالف الرابع قبل الميلاد وفي منطقة الاهوار والسهل الرسوبي في وسط وجنوب العراق •

لقد صاحب التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي في هذه المرحلة تطوراً في تصنيع واستخدام المواد الانشائية الاولية • فقد استخدمت الحجارة في البناء ورصف الطرق كما استخدم القار في صناعة الزوارق وفي بعض المنشآت •

ان المحددات الاجتماعية توضح بأن (المعبد) اصبح في هذه المرحلة واضح المعالم والاستخدام • لقد سميت الفترة الواقعة بين دور العبيد الاول (٤٩٠٠ ق• م) وحتى نهاية فجر السلالات الثالث بدور (سيادة المعبد) والتي تمثل وجود نظام اجتماعي جديد يرتكز على التعاون الجماعي بأشراف كهنة المعبد والذي يدل على انبثاق نظام اداري واجتماعي واقتصادي جديد ، ولربما كانت بداية (حكومة المعبد) • ان المساكن التي وجدت في (تبة كورة) قرب الموصل ايدت احتمال (عدم وجود اي تمايز طبقي) من خلال التوزيع المتساوي للمساحات •

ان المحددات الاقتصادية لهذه المرحلة تميزت بتطور النشاط الزراعي من خلال تطور نظام الري وتطور امكانات الخزن والنقل والمواصلات التي دعمت تطور التجارة الخارجية والتصدير • ان تربية المواشي وصيد الاسماك يدعم اقتصاد هذه المرحلة • اما بالنسبة للصناعة فقد تطورت بشكل ملموس حيث تطور التعدين ولا سيما النحاس والرصاص واستخدم للاغراض الصناعية كما تطورت صناعة العجلات والزوارق والاختام المنبسطة Stamps Seals فلقد عثر (ملوان) في (الاربجية) على فأس من النحاس واختام مسطحة كما وجد سبايزر Speiser معابد

وقبوراً غنية بالحلــى الذهبية واستعمل النحاس في (تبة كورة) كما عثر على عدة ادوات مصنوعة من البرونز • لقد عثر في هذه المرحلة على نوع خاص من دولاب الخــزف (القــرص Tournette) حيث ازدهرت صــناعة الاواني الخزفية الخاصة بهذا الدور •

لقد تميزت المحددات العمرانية لهذه المرحلــة باستخدام الابنية ذات الارتفاع الذي يزيد على طابق واحد (متوســطة الارتفاع **Medium** Rise والتي توضحت في بناية المعبد التي تقع على كتلة عمرانية اخرى هي (المصطبة) والتي يشكل منسوب سقفها مستوى آخر اعلى من مستوى الارض الطبيعية• لقد تعددت المصاطب في ادوار لاحقة من هذه المرحلة والتي كانت بداية عمار الزقورات في العراق والتي تطورت معهــا عملية انشاء الســلالم **Stairs** و المنحدرات Ramps كواســطة للارتقــاء بين مســتوى الارض الطبيعية مرورا بالمصاطب المتعددة ووصولا الى المعبد في القمة •

لقد انتظمت تجمعات بيوت السكن التي شيدت من اللبــن المنتظم في (اريدو والعقير وتبه كورة) والتي تطورت الى مدن كبيرة فيما بعد • لقــد ظهرت في هذه المرحلة مساكن الكهنة والحكام وطبقــات الشعــب الاخــرى مصفوفة على طرق وازقة متدرجة في السعة والاستقامة والاهمية كما وجدت الساحات المفتوحة والتي يعتقد بانها كانت ساحات مزروعة (ساحات خضراء) •

بين (ادمز) انتشار القرى الزراعية الصغيرة في الجزء الجنوبي من السهل الرسوبي في نهاية الالف الخامس او بداية الالف الرابع واخذت تمتد شمالا باتجاه (الوركاء) واحتل بعض هذه القرى مركزا رئيسيا بين تلك المجاميع الصغيرة للقرى التي تعد مصدر قوت وتموين واقتصاد المدينــة (الاقليــم الظهــير Hinter Land) •

المرحلة التكوينية الخامسة (تطور المدن) ٤٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق ٠ م

وترافق العصر الحجري المعدني الاخير في :

١ ـ دور العبيد الثالث

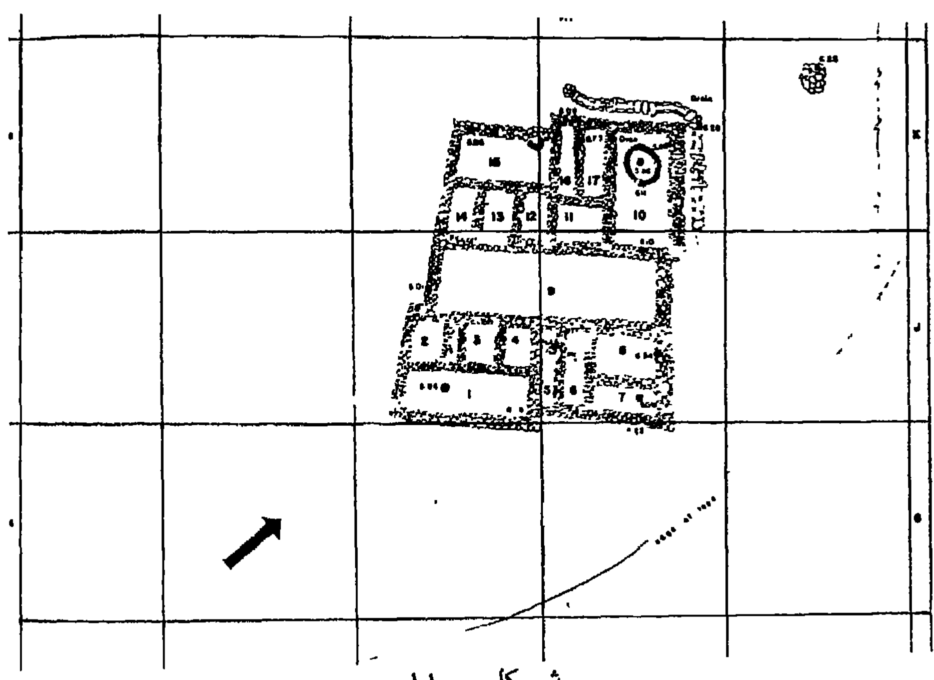
٢ ـ دور العبيد الرابع ٠

٣ ـ دور الوركاء :

آ ـ القديم ويشكل الطبقات (١٢ ـ ١٧)

ب ـ الوسيط ويشكل الطبقات (٦ ـ ٥)

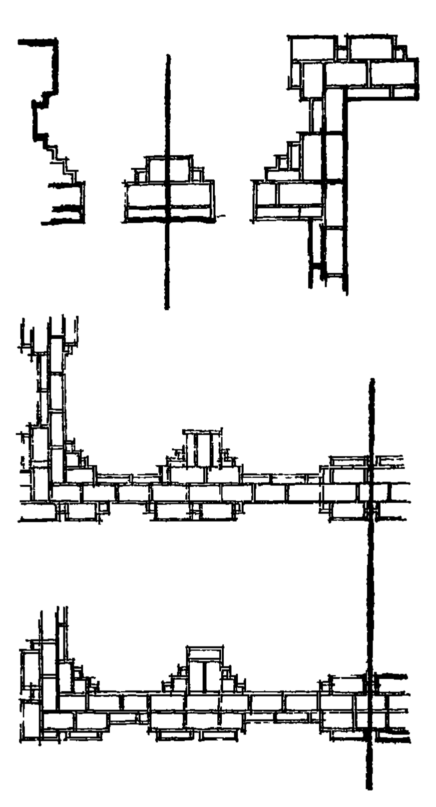
ان ازدهار حركة العمران والانشاءات اظهر استخدام انظمة متقنة للبناء كما جاء في (تبة كورة) (شكل ١ ـ ٢) في الطبقات ١٣ ، ١٤ كما شاع استخدام الحجارة كاسس للابنية والانشاءات (شكل ١١ ، ١٢) اضافة الى



شكل ـ ١١

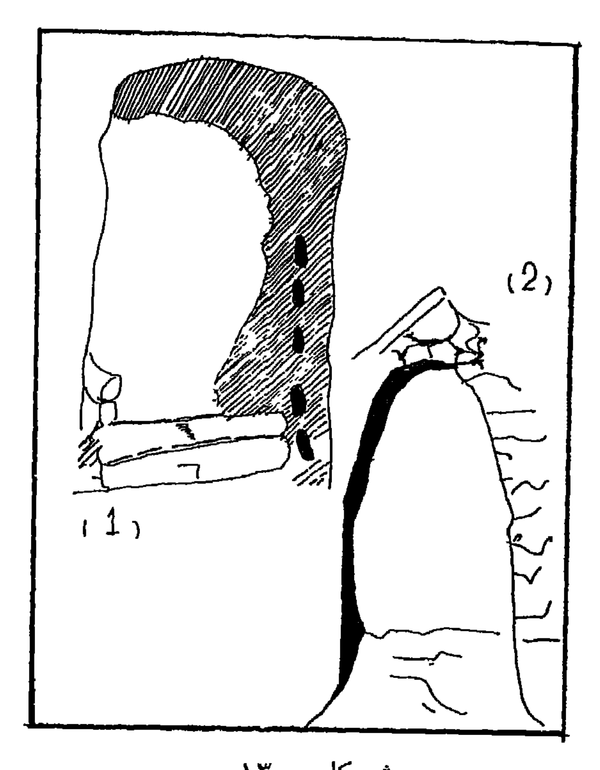
اسس لبناية في تبه كورة (المصدر : تومبلر)

زيادة عدد مستويات الانشاءات والتـي تجلت في ابنية المعابـد ثم شـاع استخدام الحجر واللبن في انشاءات القوس (شكل ـ ١٣) والقباب • لقد استخدم الطابـوق في فترة متأخرة من هذه المرحلة • استخدم الانسـان



شكل ـ ١٢
نظام الربط الانشائي الذي استخدم في ابنية تبة كورة (الصدر : تويلر)

القصب والبردي والذي ايد (جورج كونتينو) بان عمارة الابنية في منطقة الاهوار في العراق القديم مماثلة للعمارة في القرون الحديثة ، كما شـاع استخدام القار في هذه المرحلة •



شكل – ١٣
(١) نافذة في جانبها مواضع قضبان
(٢) باب يعلوه قوس (عصر الوركاء في اريدو)
المصدر : فؤاد سفر

توضح المحددات الاجتماعية بان (المعبد) كان المؤثر الاساس من (البنية الاجتماعية) اذ تطورت سلطة (جماعة المعبد) وتوسع نفوذها حيث يؤكد (فرانكفورت) بانها اصبحت السلطة المركزية التي تدير البلاد باسم الالهة وكانت اولى بوادر (التنظيم المدني) • ان (الكاهن الاعظم) او (الكاهن الاكبر) كما يسميه (فرانكفورت) كان يدير هذه الجماعة التي سميناها (حكومة المعبد) • ان (جايلد) و (دياكونوف) يعتقدان بان التطورات الاجتماعية فرضت تلك السلطة وتطورها لتصبح اساسا للحركة الاجتماعية والادارية •

اما المحددات الاقتصادية في هذه المرحلة ، فيرى (الدكتور سامي سعيد الاحمد) و (سوسة) بأن الزراعة وتربية الحيوان في هذه المرحلة قد شهدت تطورا كبيرا نظرا لتطور نظام الري كاقامة السدود لمقاومة الفيضان والقنوات الاصطناعية للزراعة . لقد تطورت صناعة المحاريث والعجلات وعربات النقل اضافة الى صناعة الزوارق والسفن الشراعية والنسيج والدباغة والجلود والاصواف والفخار وصنع التماثيل . ان فائض الانتاج الذي تحدث عنه (طه باقر) في هذه المرحلة وتطور وسائط النقل والمواصلات والخزن طور (التجارة الخارجية) حيث استورد الانسان الاخشاب والمعادن ، حيث شملت هذه التجارة (دلمون ــ البحرين) ومدن سواحل البحر المتوسط وبلاد عيلا وبلاد الاناضول ووادي النيل و (مگان) التي يعتقد البعض بانها احدى موانيء وادي السند .

اما بالنسبة للمحددات العمرانية فان التصميم الاساسي للمدن Master Plan يضم نفس التكوين السابق للمدينة في (تل الصوان) مع اختلاف بسيط يناسب تطور العصر في تلك الفترة التاريخية الطويلة الذي نجم عنه تطور الصناعات الانشائية اضافة الى التخصص والتطور الاجتماعي والصناعي والتجاري . يضم التصميم الاساسي الجديد للمدن ما يلي :

١ ــ السور

وقد وجد بابراج مراقبة (تبة كورة) في دور العبيد الرابع محاطا بخندق .

٢ ـ مركز المدينة

ويضم المعابد ، التي تطورت في عمارتها وعددها (معبد المدينة الرئيس والمعابد الفرعية) ومعبد رأس السنة الذي يقع في احدى اطراف المدينة عند سورها الخارجي يرتبط بقلب المدينة ، او بالمعبد الرئيس بواسطة (الشارع العريض Avenue والذي سمي بـ (شارع الموكب) حيث اكد (لويس ممفورد) وجود شوارع رئيسية تقع على جانبيها مساكن الكهنة والتجار والاداريين ثم الازقة الضيقة التي تقع عليها مساكن عامة الشعب •

كانت العمارة في هذه المرحلة (بطابق واحد) بالنسبة للمساكن ، الا ان السلالم والمنحدرات استخدمت بشكل واضح في (المعابد) • بقيت عمارة المعابد محافظة على نفس خصائص المرحلة السابقة (تتجه الزوايا نحو الاتجاهات الجغرافية الاربعة) من ناحية وشهدت تطورا في تخصص ملحوظ وانتظام في توزيع ووظيفة فضاءاتها ، ثم استخدام الطلاء الابيض وبعض الالوان او الاحجار الملونة ، الا ان الطين لم يفقد موقعه المقدس كمادة انشائية •

٣ ـ الميناء والسوق الكبير

لقد كان مدخل المدن (التي تتمثل في غالبيتها بموقعها على ضفاف الانهار والاهوار) الرئيسي والمركزي هو ميناء المدينة الذي كان مدخل التجارة اضافة الى النقل والمواصلات •

٤ ـ الضواحي

وتضم سكن الفلاحين والقرويين والرعاة والمزارع والمراعي التي تخدم المدينة • لقد اورد (ادمز) بانه من نهاية دور العبيد ظهرت مستوطنات مكثفة على هيئة مدن صغيرة وقرى زراعية واخرى اصغر حجما ، واخذت

في خلال الادوار المتعاقبة تنظم بعضها البعض لتشكل مدناً تطورت الى (دويلات المدن City States) في عصر فجر السلالات ، برز منها دويلات (الوركاء) و (اور) و (أوما) وكانت الوركاء اهمها (شكل رقم ٣) •

لقد بين د • سامي الاحمد بان اول المدن ظهرت من عصر « العبيد » وكانت هذه المدن متجمعة في منطقة واحدة وهو قطاع ضيق على طول ضفاف الاهوار المحاذية للخليج العربي وظلت هذه المدن محدودة طيلة عصور العبيد والوركاء وقسم من العصر الشبيه بالكتابي ، وفي القسم الاخير من العصر الشبيه بالكتابي اخذت المدن تتوسع شمالا باتجاه (شروباك ونفر) حتى منطقة ديالى وقد اكد (آدمز) هذا الرأي • اما هنري فرانكفورت فقد بين بانه في منتصف الالف الرابع ق•م تغير الوضع في « بلاد الرافدين » حتى نجد زيادة في حجم المستوطنات والابنية ولاول مرة نستطيع ان نتكلم بحق عن البناء الضخم كصفة مميزة بارزة للمدن الكبيرة •

المرحلة السادسة (ازدهار المدن) (٣٥٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق • م)

وتشمل المستوطنات التي ظهرت في :

١ ـ دور الوركاء الاخير

٢ ـ دور جمدة نصر

٣ ـ فجر السلالات

ان ما سنورده في هذه الفقرة هو ما يميزها عن باقي المراحل التكوينية الخمس • فقد رسخ هيكل المدينة وتصميمها الاساسي الذي اوردناه سابقا في المرحلة الثالثة مع تطور متميز لفعالياتها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية بشكل يستحق الاهتمام وكان بمثابة (انقلاب حضاري وتخطيطي) •

كان اول اختراع للكتابة في التاريخ في هذه المرحلة قد شكل حجر الاساس للنهضة الاجتماعية الجديدة الذي كان لتطور دور المعبد وتوسيع حدود مهامه الاثر الاخر في هذا المضمار . لقد ظهرت في هذه المرحلة ولاول مرة طبقات اجتماعية متميزة اقتصاديا واجتماعيا غيرت مفهوم النظام الديمقراطي التعاوني الذي كان سائدا في مرحلة التكوين الرابعة . ان التطور الاقتصادي والصناعي والعمراني اوجب وجود تلك الطبقات (الحاكمة) و (المتنفذة) التي كانت تدير شؤون البلاد الادارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . لقد وجدت في هذه المرحلة دلائل وجود ابنية ادارية غير ابنية المعابد في الطبقة الرابعة من دور الوركاء حيث اتخذ مجلس الكهنة من بعض الابنية التي تجري فيها الشعائر الدينية مكانا للاجتماع .

لقد ظهرت (الزقورة) لاول مرة في دور الوركاء من هذه المرحلة وتعددت الالهة والمعابد ، حيث ان اكثر من مائة مستوطنة صغيرة كانت تقع ضمن سيادة معبد الوركاء في منتصف الالف الرابع ق . م .

ان المحددات الاقتصادية لهذه المرحلة قد شهدت حالة متميزة حيث كان التطور التقني الذي شهد وجود (الاختام الاسطوانية) (ودولاب الفخار) واستعمال (عجلة العربة) وتقدم فن التعدين وانتشار استعمال المعادن قد اثر على تطوير وسائل الانتاج المستغلة في الزراعة والصناعة والفنون (كالنحت المجسم والبارز على الحجر) . لقد شهدت هذه المرحلة تطوراً متميزا في نظام الري وفي التجارة الخارجية .

اما بالنسبة للمتغيرات العمرانية في هذه المرحلة فقد كانت المظاهر التالية :

ا ـ السور

يعتبر السور الذي وجد في (جمدة نصر) نموذجا لاقدام سور في السهل الرسوبي . لقد احاطت مدينة الوركاء اسوار كذلك .

ب ـ المعبـــد

لقد تعددت ابنية المعابد نظرا لتعدد الالهة • ظهرت الزقورة لاول مرة في هذه المرحلة •

جـ ـ الميـنـــاء

كان جزء هاما من المدينة لاعمال التجارة وسكن التجار والاجانب كما وجد في اور واريدو • لقد استخدمت السفن الشراعية في هـــذه المرحلـــة بشـكـــل واضـــح •

د ـ نظام النقل والمواصلات

لقد ظهر (الشارع العريض Avenue) بشكل واضح في هذه المرحلة اضافة الى الشوارع والازقة التي وصفها (ليونارد وولي) • يعتقـــد بان تطور استخدام العجلة والتعدين قد قاد الى استخدام العربة كواسطة للنقل والذي يعتقد بأنها مبررات عرض ذلك الشارع • يصف الدكتور احمد سوسة هذه المرحلة بانها تؤشر نظام مواصلات وشبكة طرق داخلية وخارجية متميزة في هذه المرحلة كما اكد (لويس ممفورد) بان السفينة الشراعية وعجلة صنع الفخار والكتابة والنسيج اليدوي ظهرت في نفـــس الـــوقت لقـــد وجـــد (فرانكفورت) عربة ذات عجلات من دور الوركاء الطبقة الرابعة ووجد شيئا مماثلا يمثل دور (جمدة نصر) •

هـ ـ الساحات المكشوفة والمناطق الخضراء

لقد غطت المناطق الخضراء اكثر من نصف مدينة الوركاء وظهر هذا التخصص في استخدام الفضاءات بشكل واضح في هذه المرحلـــة • يصف (كريمر) المدينة السومرية ومفاتنها من بوابات عالية وشوارع يتنـــزه بهـــا الناس بالاضافة الى الشوارع العريضة حيث كانت تقام احتفـــالات الميـــلاد والاحتفالات الدينية الكبيرة •

و ـ المساكن

ان ظهور طبقات اجتماعية مختلفة ومهن وانشطة اقتصاديـة متعـددة ومعابد قاد الى وجود وحدات سكنية مناسبة لكل طبقة من هذه الطبقـات اضافة الى طبقة العمال والفلاحين .

ان الظاهرة العمرانية المتميزة لهذه المرحلة هي ظهور (القصور) لاول مرة في هذه المرحلة في (جمدة نصر) والذي يدعم وجود طبقـات متميـزة وعمارة متقدمة في نفس الوقت . كما ظهرت العمارة التي ترتفـع باعلى من مستوى فوق سطح الارض الطبيعية من خلال عمارة الزقورة المتعددة الطوابق التي ظهرت في هذه المرحلة والذي شمل تطور استخدام المـواد الانشائيـة (الطابوق) والفسيفساء (المخاريط الملونة) والاعمدة التي وجدت في بعض ابنية المعابد . لقد استخدم في هذا العصر نوع خاص من اللبن اطلق عليه في الالمانيـة (Riemchen) وهو لبن مستطيل الشكل مربع المقطع .

ز ـ الاسـواق

يبين (كريمر) ان السوق وجد في بلاد الرافدين في العصر السومري ويؤكد بان القتال الذي دار بين (انكيدو وكلكامش) وقـع في (سـوق البـلاد) . الا انه وصف لدى البعض بانه الساحة المكشوفة غير المسقفـة التي تقع قرب مدخل المدينة (بوابة السور) او (امام الميناء) ويرى عدد من الباحثين بان (الدكاكين) كانت موزعة هنا وهناك . اما (هارى ساكس) فقد اكد وجود الاسواق في هذه المرحلة حيث تعقد الصفقات في الساحات العامة في مداخل المدن مستندا بذلك الى العهد القديم والاسفار والاصحاح . ان (اوبنهايم) يرى بان الساحة المكشوفة عند بوابة المدينة والتي اشـرنا اليها اعلاه تمثل الاساس الذي اعتمدت عليه (الاكورا) اليونانية فيما بعد .

ان محاور مناقشة هذا الفصل تؤكد ان مستوطنة (تل الصوان) كانت تمثل الهيكل والمحتوى الاساس في نشأة وتطور طلائع المدن العراقية الاولى التي تطورت بعد اكثر من الفي سنة ليتضح فيها ذلك التطور والتقدم الحضاري في الجوانب المادية والثقافية .

الاستنتاجات

نرى مما تقدم بان المعيار الذي يفرق بين القرية والمدينة لا يمكن ان يرتبط بمبنى اوكتل عمرانية مجردة حتى ولو كانت تلك الكتل العمرانية متعددة الوظائف ،بل يعتمد على تفاعل نسبي لمجموعة من المتغيرات والمحددات ، تنحصر في محورين اساسين :

المحور الاول ـ المتغيرات الاساسية

وتتمثل (خصائص متميزة) للانسان والاسرة وحجم السكان في تلك المستوطنة التي يكون لطبيعة الارض التي تقع عليها وما تحويه من موارد طبيعية (خصوبة ارض ، مياه ، معادن) الاثر الكبير على نمو تلك المستوطنة حيث يتحقق للانسان فيها نظام معين للحركة (للمشاة والحيوان والعجلات) داخل المستوطنة ونظام بري ونهري او بحري آخر ، خارج المستوطنة ، يتناسب مع امكانات وقدرة وتقدم الانسان وكفاحه وجديته في تحقيق طموحه وطموح المجتمع . ان ذلك التميز في الامكانات والقدرة ينعكس على استخدامه المواد الانشائية المحلية ومقدار الاستفادة من تصنيعها لتحقيق (الهيكل العمراني) او التراث المادي للحضارة التي يصنعها ذلك الانسان . ان هذه المتغيرات تعتبر الاساس في كيان اية مستوطنة ، قرية كانت ام مدينة ، الا ان خصائصها (المتميزة) ، هي المعيار الاول .

المحور الثاني ـ المحددات الرئيسية

ان المحددات الرئيسية بمفهومها الاجتماعي والاقتصادي والعمراني والبيئي والتقني والاداري هي المعيار الثاني ، والاكثر وضوحا ، في تقييم الفرق بين القرية والمدينة في نشأتها وحتى تطورها وازدهارها ، فان بساطة نظام الاسرة والمجتمع ، وعدم تنظيم علاقة الانسان بالانسان من خلال (مبدأ) او (مفهوم) عام يربط المجتمع ويديره لا يمكن ان يرتقي الى مستوى نظام الاسرة والمجتمع وطبقاته الاكثر تعقيدا والاكثر تخصصا وتقسيما والذي تكون للاسرة فيه خصوصية متميزة في علاقتها مع المجتمع . كما يكون للتقدم الاقتصادي الزراعي والصناعي والتجاري ملامحه التي تميز القرية عن المدينة ، من خلال مركز التجارة والصناعات الرئيسية في المدينة في حين تبقى القرية للزراعة وتربية الحيوانات وبعض الحرف اليدوية . اما المحددات العمرانية ، فهي التي توضح مدى تطور العملية التخطيطية والتصميمية من خلال تحقيق التخصص في استخدام وظائف وحجوم الفضاءات ذات الاستخدامات المختلفة ، اضافة الى تحقيق مبدأ الراحة والامان . كما ان تطور العمارة يتضح من خلال مواقع استخدام المواد الانشائية المصنعة في الجزء الداخلي والخارجي من تلك الابنية ومدى مقاومتها للظروف البيئية والمناخية في تلك المستوطنة لتحقيق مبدأ الراحة والامان والخصوصية (التي أشرنا اليها) . ان بساطة ذلك الاستخدام (في نفس الظروف العامة والفترة الزمنية) في القرية ، يقابل التعقيد النسبي في المدينة الذي يشبع حاجة المجتمع لتحقيق الرفاه المنشود . ان للمحددات التقنية اثرها الكبير في التمييز بين القرية والمدينة وذلك من خلال تسيير الانسان الفكري والمادي لقدراته وللامكانات التي تتوفر اماكن ومدى الاستفادة منها في الاستخدام اليومي لحياته . ففي

حين يفتقر مجتمع القرية الى بعض الوسائل البسيطة التي تسير حياته ومجتمعه نرى ان المدينة تمتص معظم الامكانات التي تبدو واضحة في حركة المجتمع اليومية على المستويات الاجتماعية والاقتصادية (الصناعة والتجارة) والنقل والمواصلات وحركة العمـــران والانشاءات الاكثر تعقيدا والتي تحتاجهـــا مؤسسات المدينة الواسعة • ان تلك المعايير تقودنا الى ظهـــور طبقـــات وتخصصات في المهنة ومستوى عام للدخول في المدينة والتي تحتاج بالتالي الى (نظم سياسية وادارية ومؤسسة) مناسبة لتشغيل مرافقها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والسياسية تبرز بشكل اكثر وضوحا الفـــرق بين القرية والمدينة حيث تتركز الادارات العليا والطبقات المختلفة التي يقـــل التجانس بينها (نسبة الى القرية) والخدمات ذات المراتب العالية فيها •

وهـكذا نـــرى :

١ ــ بان القرية الاولى نشأت وتطورت في المرحلة التكوينية الثانية •

٢ ــ وان المدينة العراقية الاولى ظهرت طلائعها او بداياتهـــا في المرحلـــة التكوينية الثالثة الا انها ازدهرت في المرحلة التكوينية السادسة •

٣ ــ وان العراق القديم سجل تقدما حضاريا متميزا بين العالـــم في مجال المبادىء الاساسية للتخطيط والعمارة •

البحث الثالث

المدينة من عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي الحديث

د . مؤيد سعيد

المؤسسة العامة للآثار والتراث ـ بغداد

لا تتوفر المعلومات التفصيلية عن المدن العراقية المنقبة جميعها ، وفي كثير من الحالات فان المعلومات التكميلية لصور متعددة لمدن اثرية حفرت جزئيا لا تقدم لنا طبوغرافية حقيقية لكل المدن ولكل الفترات الزمنية . الا ان هذا لا يعني انه لا يكمن الحصول على صورة دقيقة للمدينة العراقية في اكثر من فترة زمنية واحدة .

فان مدنا صغيرة مثل تل حرمل وتل محمد واخرى كبيرة مثل اور وبابل ونفر وآشور وخرسباد ونينوى ونمرود قدمت لنا معلومات غنية وأساسية . وعموما فان المدينة العراقية لم تنشأ الا قرب مصدر مائي خاصة في جنوب ووسط العراق .

اما في المناطق التي لم تتوفر فيها التيارات المائية الجارية فكان لابد من وفرة الابار وغزارة الامطار .ولقد انتقلت المدينة منذ بداية العصر السومري

الاول (فجر السلالات السومرية) الى نظام اجتماعي ـ اقتصادي مركب وأصبحت لها واجبات تنحو نحو المركزية • وهكذا نشأ المركز القيادي الديني ـ الدنيوي للمدينة والذي نمت المدينة حوله • ثم توسعت حتى اخذت شكلا نموذجيا او قياسيا للمدينة العراقية القديمة •

ان من اهم شواهد هذه الفترة وما يليها هو الاستمرارية في تأكيد اصالة المركز الديني وديمومته باعتباره نقطة جذب واستقطاب له تأثيرات اجتماعية داخل اسوار المدينة وله نفوذ على المناطق والقرى المحيطة بالمدينة وفي بعض الاحيان له تأثير اقليمي او على صعيد البلاد كلها •

ومعبد (أريدو) هو خير مثال على ذلك • فلقد اكتشف المنقبون ان المعبد بنى في نفس المكان عدة مرات حتى بلغ عدد المعابد المشيدة فوق بعضها ثمانية عشر معبدا والى ان جاءت الزقورة التي شيدها الملك اورنمو في اريدو في العصر السومري الحديث لتقبع بكتلتها البنائية الهائلة فوقها جميعا •

ان الحرص الشديد على استمرارية موقع المعبد في نفس مكانه ، اصبح ظاهرة شوهدت في كل مدن العراق ومنها معابد اور وكذلك معابد نفر ومعابد اشور وبابل الرئيسية •

الا ان الذي يهمنا هو مركزية بناء المعبد وديمومته والتصاق القصر او مسكن الحاكم وادارته بالمعبد او تقربه منه كي يخلق النواة الحضرية الاساسية لتجميع كافة مرافق المدينة الاخرى حولها •

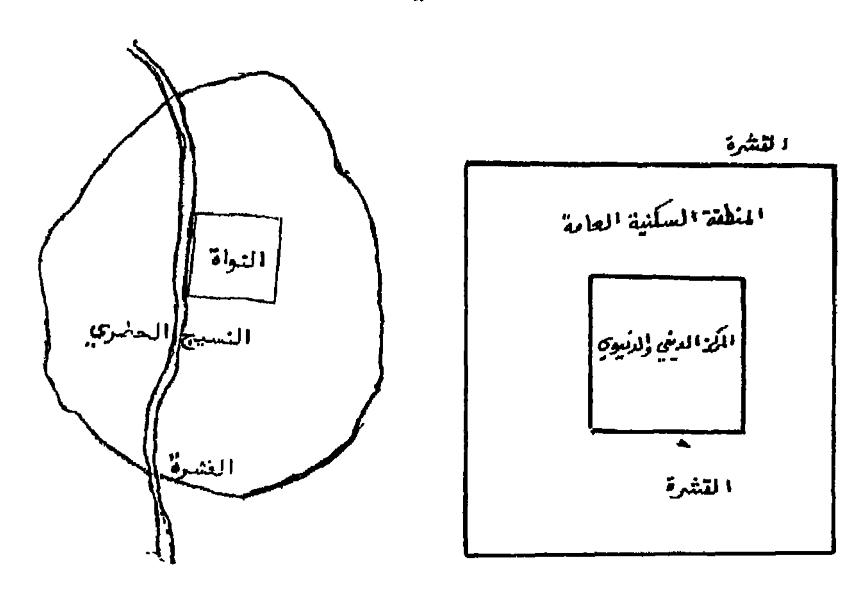
والمعروف لدينا ان أهم جوانب الصورة الحضرية لمدينة عراقية قديمة هـو :

١ ـ النواة الحضرية (المعبد والقصر)

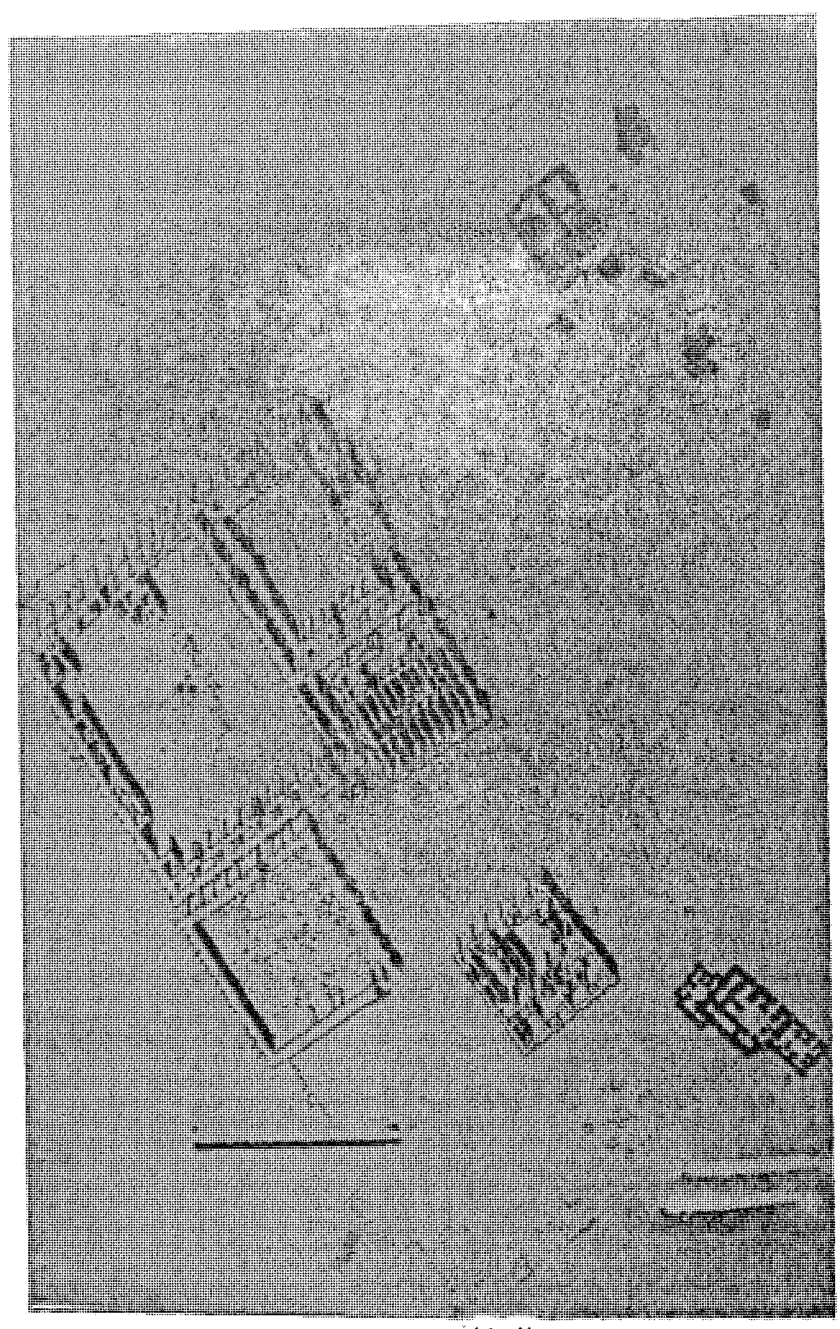
٢ ـ القشرة الخارجية (الاسوار والخنادق المحيطة بها ان وجدت) •

٣ ـ النسيج الحضري (المرافق الاخرى والاحياء السكنية) • (شكل ١)

ولقد عرفت المدن العراقيــة صــورا كثيرة حيث تتداخل فيها المعالم المختلفة • ففي تل اسمر مثلا لم تتميز المدينة بوجود نواة مركزية اساسية وانما بانتشار للمواقع الدينية والدنيوية في اماكن مختلفة بين البيوت والاحياء ، ولكن داخل سور المدينة (من فجر الســلالات) • وكذلك في تل حرمل فالمعابد وان كانت متقاربة الا انها تأتي مباشرة بعد بوابة المدينة ولا تبتعد

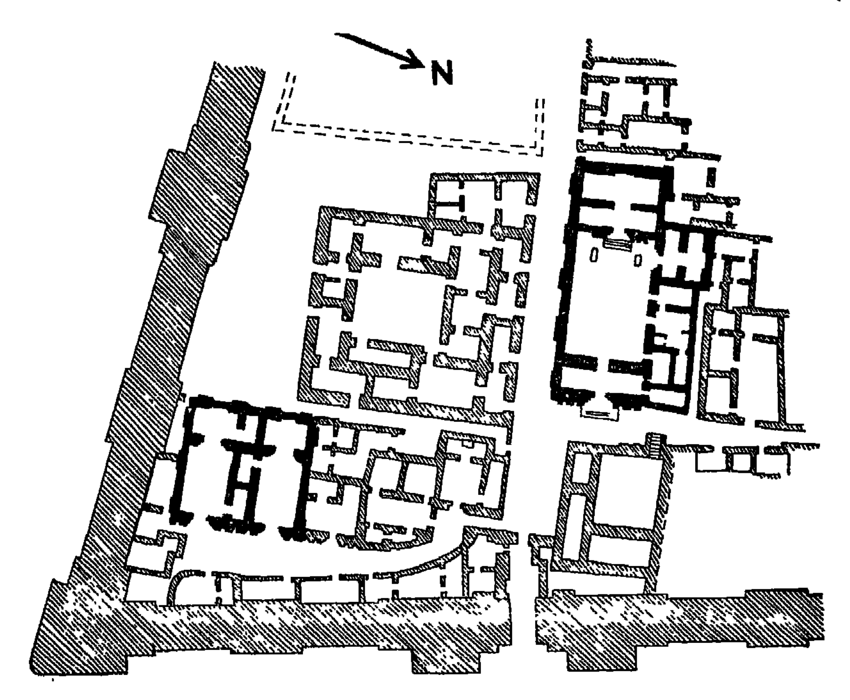


شكل ـ ١ (أ)



الشكل ــ ١ (ب)
مخطط مدينـة اور

كثيرا عن البيوت التي تتداخل بينها (العصر البابلي القديم) • (شــــكل ٢)



شـــكل ـــ ٢

الا ان نموذجا اكتشف حديثا يوضح لنا بجلاء الشكل الذي يمكن ان تنمو اليه المدينة مع تخطيط بسيط بحيث تنعزل النواة عن النسيج المعماري المحيط بها والنموذج هو المدينة البابلية القديمة في تل محمد جنوبي شرقي بغداد •

فلقد عثر المنقبون هنا على نواة شبه مستطيلة في احد طرفيها المعبد وفي الطرف الثاني بناء كبير لمقبرة رئيسية مهمة ، وتحصر البنايتان بينهما بيتا سكنيا كبيرا ينفتح على المعبد كما ينفتح على الخارج ايضا • ويحيط بالنواة زقاق

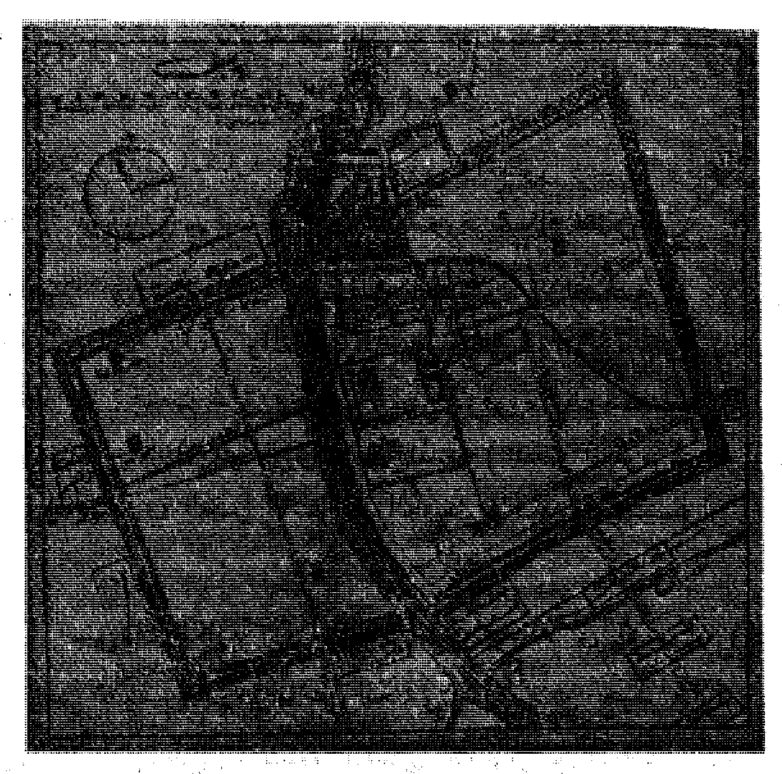
او شارع يدور حوله فيعزله عن البيوت الاخرى المحيطة به والتي تكون بقية المدينة (من العصر البابلي القديم) •

اما في المدن الكبيرة مثل اور وبابل واشور ونمرود ونينوى ودور شروكين (خرسباد) ، فلقد توضحت الصورة بشكل افضل •

وتعتبر أور من المدن ذات الاستخدامات الاجتماعية ـ الاقتصادية المنظمة والى درجة عالية ، والمعابد والقصور الدينية والملكية وارشيف المملكة ومقابر ملوكها تجمعت شرق وجنوب صحن الزقورة في وسط المدينة بالذات، تحيط بها كلها جدران عالية وبيوت عامة المدينة (العصر السومري الحديث)• كما تم تحصينها في العصر الاشوري الحديث والكلدي باسوار ومداخل مهيبة •

أما البنى الارتكازية في المدينة فكانت اضافة الى الاسوار والسدود الترابية التي تحيط بها وتعزلها عن الخندق المائي الذي يحيط بها •• متمثلة بمينائين ، شمالي وغربي ، يقعان ملاصقين للاسوار من الداخل ولهما مداخل مائية تسهل مرور السفن والزوارق عبر مياه الخندق الدفاعي الى النهر والاهوار القريبة منها •

ومن مدن العراق الجنوبية نعلم انها كانت تفضل محاذاتها للنهر من جهة واحدة كما في سبار وكوثى وخفاجي الا انها كانت تمتد على ضفتي النهر ايضا اذا ما اقتضت الحاجة كما هو الحال في بابل وكيش ونفر ، الا ان المركز الرئيسي للمدينة او نواتها يبقى عادة في جانب واحد • وهذا ما نراه في بابل من عصر نبوخذ نصر الثاني الكلدي حيث تتجمع المنطقة الدينية والمدنية على الجانب الغربي لشارع الموكب في الجزء الشرقي من المدينة وحيث تتحول الى جهة معمارية واحدة على ضفة النهر الشرقية • (شكل ــ ٣) •



شـكل ـ ٣

ولقد عزلت المنطقة الدينية (معبد مردوخ وصحن الزقورة مع الشوارع داخلها) باسوار عالية تحيط بها جميعا بينما عزلت المنطقة الملكية برفعها على شرفة عالية ثم بناء القصرين الجنوبي والمركزي وبوابة عشتار ومعبد ننماخ فوقها •

ان معظم المدن العراقية في الجنوب هي من النوع المنبسط فوق السهل الرسوبي ولا يمكن ان تتحدد في نموها الا بانشاء اسوار حولها او ان تكون هناك حافات مائية تحيط بها •

ويبدو ان نشوء النواة هي ضرورة حتمية لانها النقطة التي تتجمع

حولها كل اجزاء المدينة في مراحل لاحقة ولا تنشأ الاسوار عادة الا في اللحظة التي تحتاج بها المدينة الى استحكامات تحميها من أي هجوم او عدوان . (شكل ـ ٣ أيضا في ص ٣٢٧) .

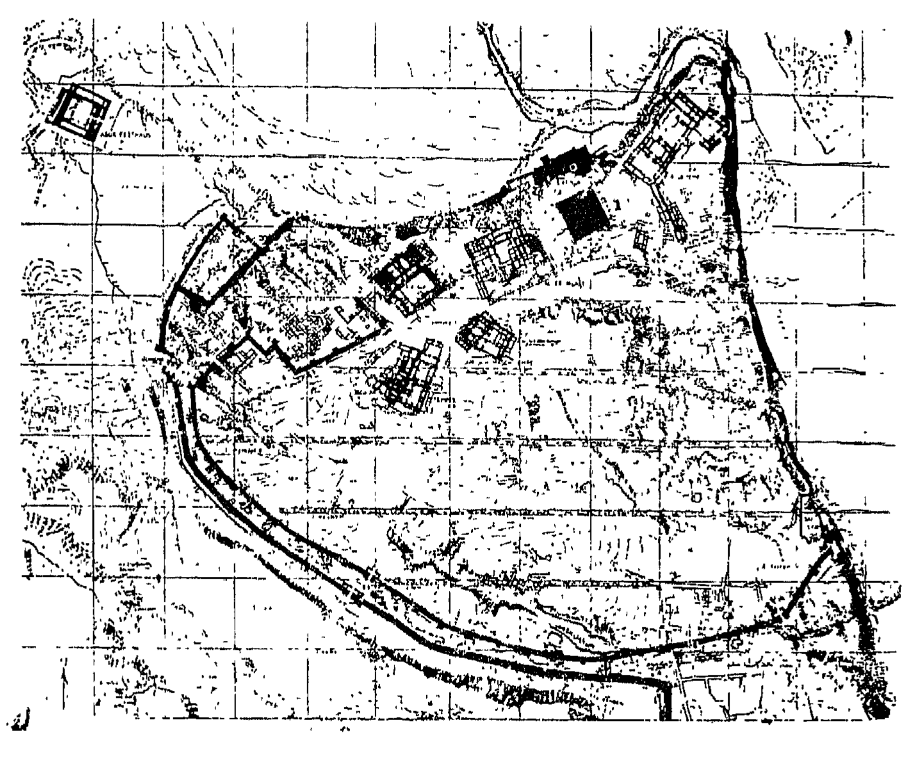
أما في الشمال فلقد استن الاشوريون سنة جديدة بدأت اول الامر في مدينة اشور كضرورة ملحة على ما يبدو ، ثم اصبحت تقليدا في المدن الاشورية الاخرى .

ان ارض مدينة اشور هي عبارة عن مرتفعا تصخرية غير مستوية وتقع مرتفعة بحدود ١٢ م في بعض الاماكن عن سطح النهر المجاور .

ولقد دفعت طبيعة الرف الصخري الذي تقع عليه المدينة على الضفة الغربية لنهر دجلة في امتدادات لجبل مكحول الى استغلال هذا الرف المرتفع لبناء مركز المدينة عليه فجاءت القصور والزقورات والمعابد ممتدة على حافة المدينة الشمالية . وكان لابد لبقية المدينة ان تلتقي جنوبا بهذا المجمع المعماري الديني ـ الملكي وحسب الاهمية في التدرج . وجاء السور المنحنى ليدور حول المدينة من شمال الغرب الى شرق الجنوب ليعصمها امام الهضاب والتلال الغربية المحاذية لها .

ولم تستطع المدينة عند اضطرارها الى التوسع الا الاندفاع جنوبا على حافة النهر ولذات الاسباب الطبوغرافية .

وبذلك فلقد تشكلت مساحة سكنية ثالثة خارج الاسوار مما اقتضى اعادة تسوير المدينة القديمة مع المدينة الجديدة بسور اضافي . وعندما تقرر اقامة قصر لولي العهد الاشوري في المدينة كان لابد من اختيار موقع جيد له خارج المركز الديني الدنيوي باعتباره ما زال غير مستلم لقيادة الدولة . فاقيم له مجمع صغير خاص على حافة النهر جنوب شرق المركز . (شكل ـ ٤) .

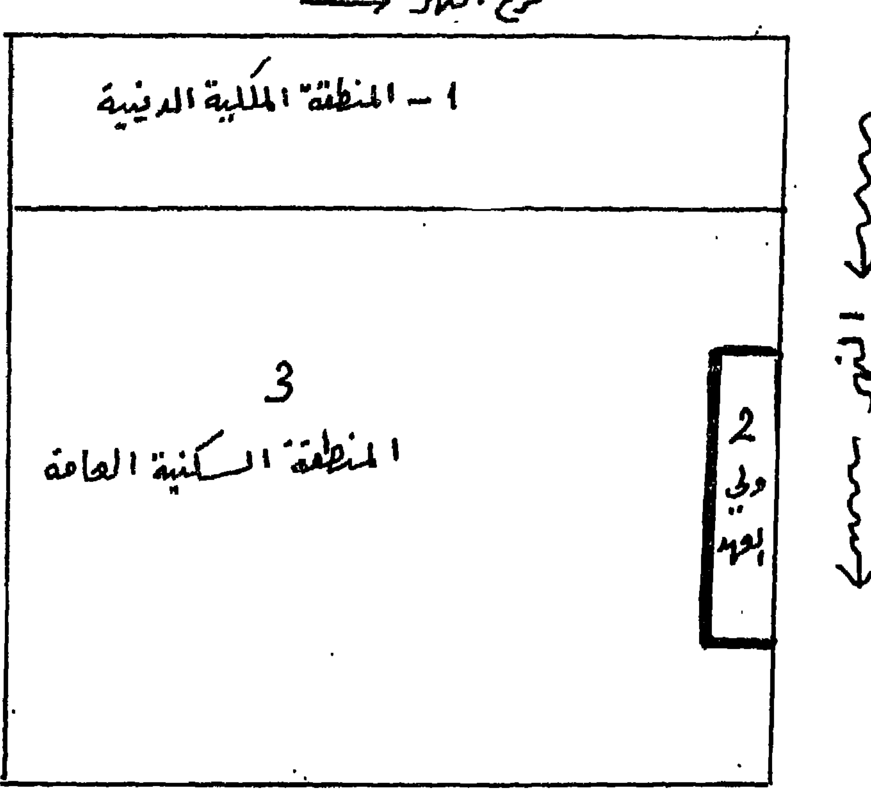


شكل ـ ٤

وبذلك ثبتت صورة المدينة الاشورية الى الابد وعلى شكل المخطط التالي :

ولقد تم انشاء العاصمة الاشورية الثانية نمرود في القرن التاسع ق ٠ م على نفس المبدأ ، فكانت القلعة الملكية شرقا على النهر ثم تليها المدينة السكنية وبعدها يأتي حصن شيلمنصر في الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة ٠

وهكذا سكن الملك اشور ناصر بال الثاني في القلعة بينما كان ابنه



شكل ـ ٥

وولي عهده شلمنصر في الطرف المقابل من المدينة بمحاذاة السور وبينهما المنطقة السكنية العامة (شكل ـ ٥) •

ولكي يتأكد هذا التخطيط فان مدينة نينوى لا تختلف تماما عنها فهي تشكل شبه منحرف يمتد على طول دجلة فوق ضفته الشرقية وتبرز منه قلعتان ملكيتان الاولى هي مايسمى اليوم بـ (قوينجق) وهي القلعة المركزية وفيها قصور بانيبال وسنحاريب ومعبدا عشتار • والثانية تقع فوق

نفس السور ايضا ولكنها الى الجنوب من الاول بمسافة تقارب الكيلومترين (تل النبي يونس) وفيها قصر الملك اسرحدون وزقورة المدينة • اما المدينة السكنية فكانت تلتصق بالقلعتين وتستقر خلفهما وبينهما ضمن اسوار المدينة الحجرية ويكون الدخول اليها عبر البوابات المتعددة من جميع الجهات •

ولقد بلغت المدينة الاشورية ذروتها في التخطيط في نموذجين اثنين الاول هو مدينة كارتوكلتي ننورتا (تلول العقر) مقابل مدينة اشور تقريبا على الضفة الشرقية لنهر دجلة وهي تنقسم بواسطة اسوار متوازية طويلة الى قسمين طوليين يلتصقان بضفة النهر • وفي القسم المحصور بين النهر والجزء الثاني نرى المعبد والقصر ، وبالرغم من ان التنقيبات لم تكمل فان الصورة العامة للمدينة تتضح من خلال التخطيط الواضح لاسوار المدينة المستقيمة والموازية لخط النهر •

اما المثال الثاني والاكثر اكتمالا فهو مدينة الملك سرجون الاشوري (دور شروكين) ، وهي مدينة شبه مربعة غير متساوية الاضلاع الا انها ترينا اسوارا مستقيمة للغاية،ومحاولة لخلق زاوية قائمة عند التقاء ضلعين ولكنها وفي ذات الوقت تعطى مؤشرات لوجود شوارع مستقيمة ايضا وموازية للاسوار• فالبوابات السبع الخارجية تتوزع بمعدل بوابتين على كل ضلع ما عدا الضلع الشمالية ففيه بوابة واحدة • ولقد تم وضع البوابتين في كل ضلع في اماكن متقاربة او متباعدة وفق معايير معينة •

وتشير الدلائل الى ان كل مجموعة من البوابات على ضلعين متقاربتين تسهل المرور عبر الاسوار في هذه المنطقة الى القلعة التي تجاورها او تقابلها • فالبوابة الاولى والسابعة تحاذيان شمال شرقي وشمال غربي القلعة الرئيسية

التي تجثم بجزء كبير منها فوق السور الشمالي الغربي للمدينة وتبرز عنه الى العراء فوق شرفة عالية •

اما البوابات : الثانية في الضلع الشمال الشرقي والثالثة والرابعة في الضلع الجنوبية الشرقية والبوابة الخامسة في الجنوب الغربي فهي تقابل القلعـة (F) التي تجثم شرفتها البارزة على العراء ايضا فوق الضلع الجنوبي الغربي•

ولقد انقسمت القلعة الملكية الى ثلاثة اجزاء :

أ - القصر الملكي فوق الشرفة

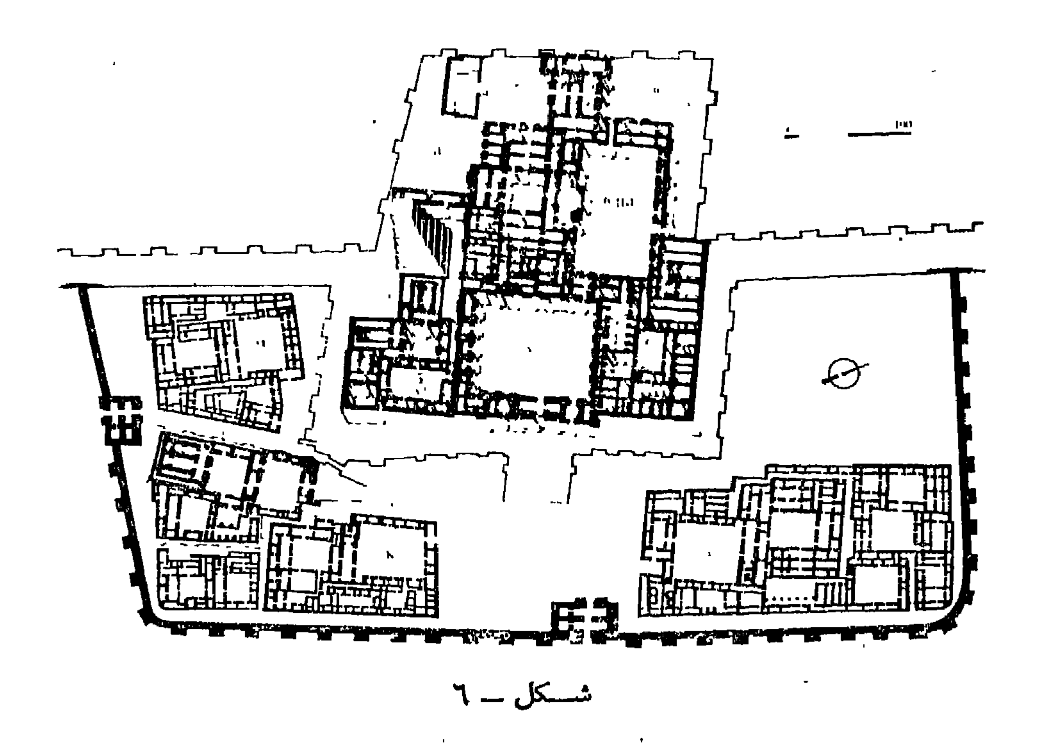
ب - معبد نابو فوق شرفة مستقلة داخلية

جـ - بيوت الامراء المشيدة فـوق الارض مباشرة والتي تحيط بالشرفتين • ويحيط بكل هذه سور داخلي يتصل بالسور الخارجي في نقطتين فيشكل وحده مدينة صغيرة داخلية مستقلة عن المدينة السكنية وبها اقسام مرتفعة واخرى بمستوى ارضي (شكل - ٦) •

الشوارع

عرفت المدن العراقية نوعين من الشوارع في التخطيط العام : ففي النوع الاول نرى شوارعا تنمو وتتلوى مع اشكال القطع السكنية والانشائية المختلفة كما انها تبقى رهينة بالمساحة المتروكة لها ، فتصبح عريضـة فجأة او تضيق وقد تتحول الى ساحة •

وتبرز المعاناة الاساسية عندما تكون هناك معابد رئيسية داخل المناطق السكنية فيضحى الوصول اليها معقدا نوعا ما • وفي حالات معينة انفتح الشارع المؤدي الى المعبد على ساحة تمهيدية تقود اليه ، الا انه وفي امثلة معينة وبعد عدة اجيال اضيف الى املاك المعبد واحيط بجدران او غرف فاتسع المعبد ولكنه بقي يطل على شارع غير منتظم •



شـكل ــ ٦

ان مثل هذه الشوارع تنمو بشكل اكثر انسانية من الشوارع المستقيمة المخططة سلفا ، فهي تتحمل كل المبادرات والرغبات الشخصية كما انهـا تستجيب للاحتياجات اليومية للانسان • وبالطبع فان هذه الشوارع كانت تنفتح وتتسع عند مداخل المعابد الكبرى والقصور ولاشك ، وخلف بوابات الملك مباشرة ، حيث كانت الاسواق ومجالس القضاة •

وتختلف اشكال هذه الشوارع وسعتها باختلاف المدن وحجمها الا انها عموما تتفرع كتفرع اغصان الاشجار وتتوزع عليها البيوت والمباني كما تتوزع اوراق الشجر على الاغصان •

أما النوع الثاني فهو الشوارع المستقيمة المنتظمة وهي مهيئة اصلا في المدن ذات الطابع الديني مثل بابل او الطابع العسكري مثل خرسباد لاستقبال حشود كبيرة • ولقد عرفت هذه الشوارع في بابل باسماء الالهة او البوابات التي تقود اليها هذه الشوارع ، فقد تسمى شارع بـ (جحافل الجيش الكبير) مثلا ليعني انه معد للاستعراضات العسكرية عند عودة الجيش من حملاته •

وهناك شوارع احتفالية ترتبط باحتفالات رأس السنة البابلية بالاخص منها شارع الموكب في بابل وشارع الاحتفالات في اشور وفي الوركاء •

يعتبر شارع الموكب في بابل من أهم الشوارع في تاريخ الحضارة العراقية وذلك لانه تعرض عدة مرات الى تغييرات انشائية لكي يتماشى ارتفاعه وعرضه وقدرة تحمله مع طبيعة المباني الدينية والدنيوية المجاورة • فعندما قام الملك نبوخذ نصر ببناء قصره (القصر الجنوبي) على ارتفاع يزيد عن السهل المجاور بـ ١٧ م ورفع مستوى بوابة عشتار للمرة الثالثة وبنى معبد نينماخ فوق مصطبة القصر كان لابد من رفع الشارع في هذا الجزء كي يكون بنفس مستوى المباني المشيدة ومستوى مدخل بوابة عشتار •

اما بعد المرور من البوابة بمسافة كامل المصطبة شمالا فان الشارع يبدأ بالانحدار مجددا نحو البساتين كي يرتبط ببيت الاحتفالات البابلية الموجود هناك • أما باتجاه المدينة جنوبا فانه يبدأ بالانحدار بعد تجاوز القصر الجنوبي حتى يصل النهاية الجنوبية لحافة الايتمين ـ انكي ثم ينعطف غربا وباستواء حتى الجسر الثابت المشيد فوق النهر •

ولقد استخدم نبوخذ نصر في تعلياته العديدة التراب النقى والآجر بعدة طبقات بينها مادة الزفت والقار حتى كانت تعليته الاخيرة فقام بتلبيط الشارع بحجر بركاني (احمر منقط بنقط بيضاء) وبقياسات حوالي٦٥×٦٥سم وكتب على حافاتــه نصوصــه البنائيــة التي يشــير بها الى الشــارع والى تعلياتـــــه ٠

الاســوار

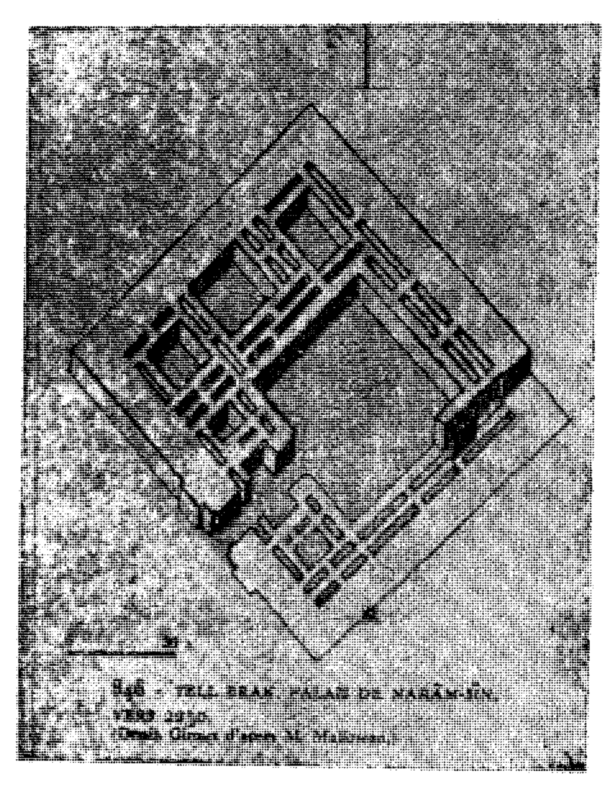
شيد العراقيون الاسوار منذ اقدم القرى التي عرفها الانسان ومنها سور تل الصوان قرب سامراء ٠

ولقد قام السومريون الاوائل بانشاء اسوار دفاعية حول مدنهم بمادة اللبن وبأساليب مختلفة كانت بادىء الامر بسيطة تتماشى مع بساطة العدة الحربية وامكانية هجوم الاعداء ٠

ومن هذه الاسوار نذكر الاسوار المحيطة بتل اسمر وخفاجي وتل العبيد وكانت البوابات التي توجد في هذه الاسوار بسيطة وغالبا مدعومة بركائز جدارية اضافة لاسنادها ٠ الا انه لم تكن هناك ابراج حول المداخل بالمعنى الصحيح ٠ وكانت الاسوار غير منتظمة وتدور مع حافات المدينة وتأخذ شكل محيط المدينة ٠

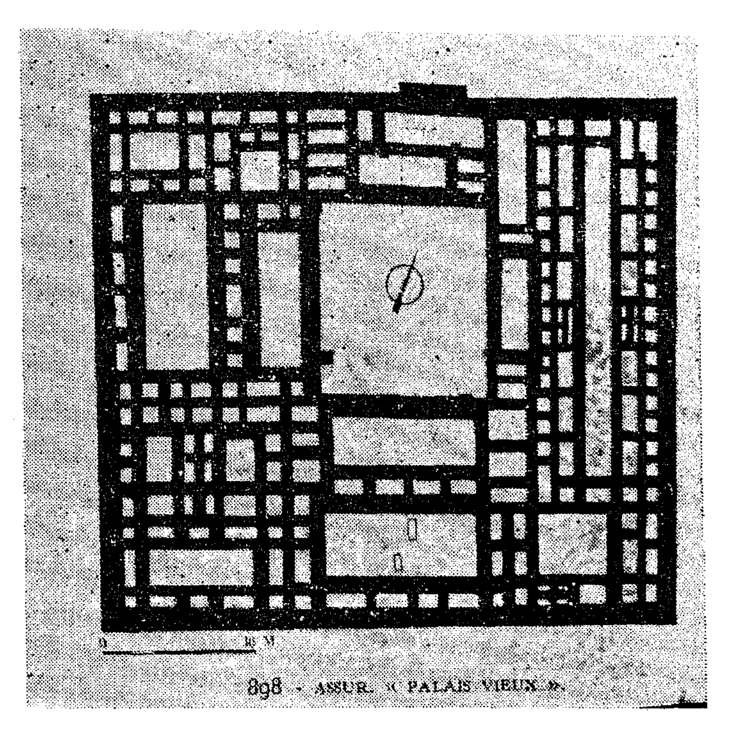
أمـا في العصر الاكدي فلقد بدأ النزوع الى الاستقامـة والانتظام في المباني يقدم الدليل على فكر معماري شمولي وبالرغم من عدم توفر معلومات ن مدن اكديــة نشأت في هذه الفترة (مدينة أكد ما زالت مجهولة) الا ان الاستدلال على الظاهرة ممكن من خلال المقايسة بحصن نرام سين الدفاعي

في تل براك (شكل — ٧) وبالقصر — الحصن الاكدي في اشور من نفس العصر (شكل — ٨) وبالاسوار الدائرية لتل طاية (قرب تلعفر) .



TELL BRAK. PALAIS DE NARÂM-SÎN.

شكل — ٧

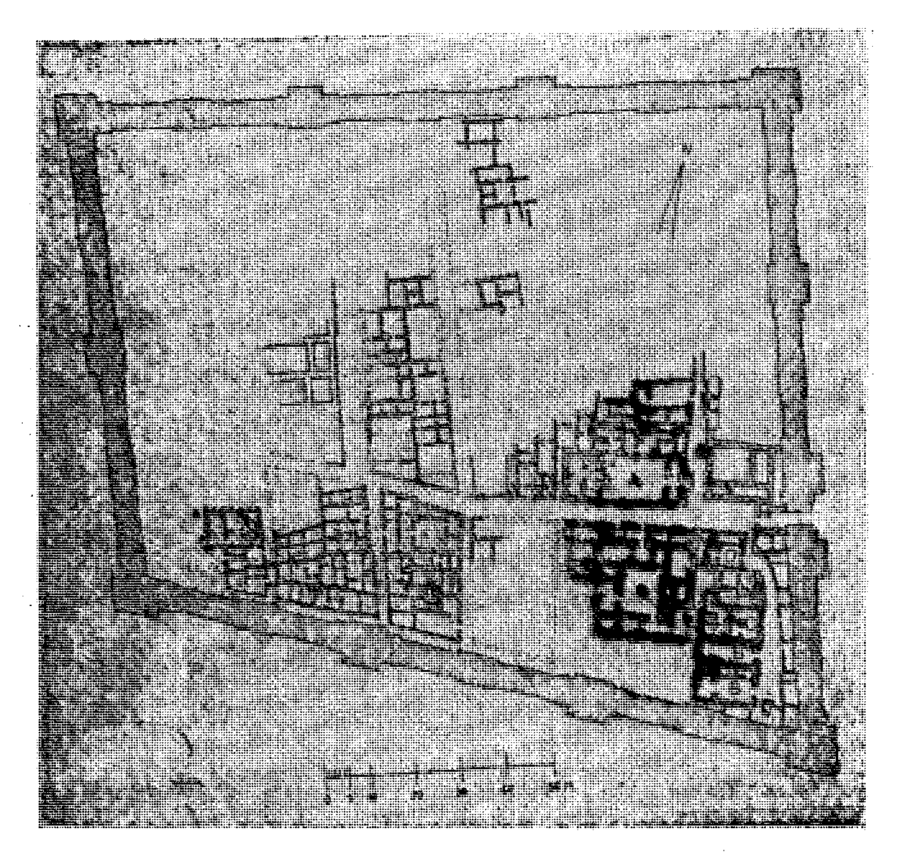


شكل ـ ٨

الا ان الاسوار في العصر البابلي القديم تبدأ باتخاذ شكل واجهات المعابد والمباني بابراجها الدفاعية الموزعة على طول الجدران على شكل طلعات ودخلات كما في اسوار تل حرمل (شكل ـ ٩) •

ويبلغ سمك الجدار عموما ٥ امتار الا انها مدعومة على الوجهين بطلعات متقابلة وتبدو بذلك وكأنها ابراج يبلغ سمكها مع الجدار المحصور بينها حوالي ١٠ م الا انها على ما يبدو لم ترتفع اكثر من السور نفسه •

ولقد دعم مدخل بوابة السور ببرجين يزيدان من متانة الجدار في هذه المنطقة الا انها لا تزيد على سمك الطلعات الاخرى حول السور ولقد حاول سكان تل حرمل تحصين فتحة البوابة من داخل السور باضافة جدران



شــكل ــ ٩

ثانوية تضيق الشارع خلف البوابة وترتبط بها غرف حراسة الا انها لم تكن في اصل مخطط السور •

أما في العصر الاشوري الوســيط فان اسوار مدينة كار توكلتي ــ ننورتا الواقعة على ضفة دجلة الشرقية (٣ كم شمال اشور) شيدت باستقامة هندسية كاملة مما يوضح طبيعة المدينة الجديدة بأكملها موقعا وسكنا واسوارا وان تم تخطيطها برمتها لهذا الغرض •

وما عدا هذه الحالات فلا زالت اسوار اشور وتحصيناتها تقـدم لنا الدليل الكافي على سعة المقدرة العسكرية العراقية القديمة في فهم متطلبات الدفاع الوطني التي بدأت تتعقد يوما بعد يوم بسبب ظهور اسلحة ثقيلة قادرة على هدم الاسوار وظهور الدول المركزية التي وبعكس دويلات المدن اصبحت قادرة على تجييش اعداد هائلة من الجند وحصار المدن المعادية لفترات طويلة • فلقد استخدم الاشوريون الخنادق الجافة التي تحيط بالمدينة وتملأ بالماء عند الحصار • كما قاموا ببناء الاسوار العالية من اللبن فوق جدران صخرية تلامس مياه الخندق ، وبتشييد بوابات ذات غرف حراسة متعددة وسلالم تقود الى اعلى الاسوار وحصنوها بابواب ثقيلة تقفل من الداخل برتاج ومتاريس من الحديد والبرونز والخشب • كما تعددت الممرات فوق مستويات الاسوار بحيث يمكن حتى للعربات الحربية المرور فوقها • أما في الحصن الشمالي الغربي للمدينة فلقد ترك سكان المدينة شقوقا طولية في الاسوار استخدمت كمزاغل لرمى السهام والحراب والزيت الساخن وغيرها من وسائل الدفاع • وفي نينوى لم يكتف سكانها بأسوار اللبن المرتفعة بل قاموا ببناء اسوار امامية تتقدمها من الحجر بارتفاع ١٢ م تقريبا تدعمها ابراج دفاعية ذات شرفات لها حيطان مسننة الفتحات من الصخر ايضا تساعد على الرمي البعيد وعلى الاتقاء من الهجوم •

وفي فترات الهجوم والحصار لم يترك الاشوريون في نينوى بواباتها تتساقط تحت ضربات الاعداء ، بل قاموا بتضييقها باضافة جدران واقواس جديدة من اللبن تحت الاقواس القديمة العالية وبين الجدران التي تحملها •

الا ان أهم ابداع لديهم هو تشييدهم لساحات امامية مسورة كما في نينوى وخرسباد الغاية منها تلقف اعداد المهاجمين للبوابات وحصرهم

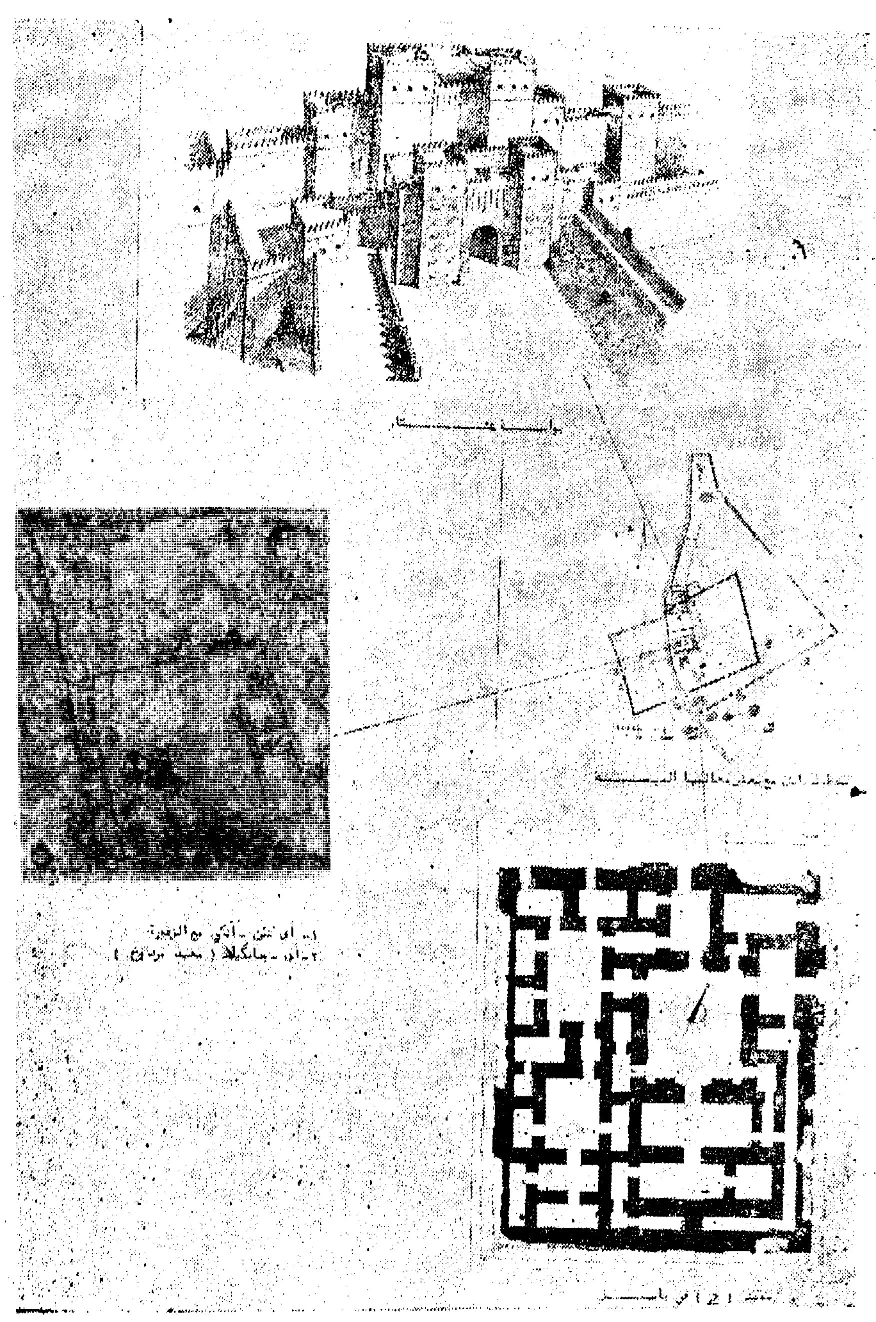
داخلها ثم الهجوم عليهم من فوق الاسوار وابراج البوابة للقضاء عليهم فباتت كالمصايد امام البوابات .

انتقلت هذه الطريقة الى البابليين ايضا الا انهم قاموا بتشييد هذه الساحات خلف المداخل داخل السور بحيث تكون هي موقع المرحلة الثانية لتصفية المهاجمين اذ لم تفلح البوابات في صدهم .

ولقد قام نبوخذ نصر بتشييد اسوار بابل الشهيرة في التاريخ والتي رويت عنها المبالغات الكثيرة الا انها في حقيقتها تترك انطباعا لدى زائري بابل انذاك بعظمتها ولاشك .

فلقد كانت الاسوار بثلاثه خطوط تدور حول المدينة الداخلية . وكان السور الاول من الداخل اقوى وامتن هذه الاسوار وبه البوابات التي ترتبط بها جدران الساحات المغلقة التي تكلمنا عنها سالفا .

وكانت الابراج تبرز على وجهي السور في نقطة واحدة وكانت المسافة بين برج واخر حوالي ٣٨ ـ ٤٠ م عرض الدخلة التي بينهما وكانت تبرز عن وجه السور بمعدل ٥ر٣ م .. أما عرض البرج نفسه فكان بحدود ٥ر٩ م ويلي هذا السور سور اخر اضعف منه قليلا ويتصل به في مناطق البوابات ايضا ، ثم سور ثالث له ابراج متباعدة على الوجه الخارجي فقط ، ثم الخندق المائي الذي يحيط بالمدينة متلقفا الماء من النهر شمال المدينة ليعود فيصب الماء فيها مجددا في الجنوب . ولقد قام نبوخذ نصر ببناء سور خارجي يبدأ شمال القصر الصيفي الذي شيده على شرفة عالية شمال مدينة بابل . ثم يميل جنوبا شرقا وينعطف بزاوية حادة ويسير بخط مستقيم حتى يوازي السور الجنوبي من خارجه وعلى مبعدة ٣٠٠ م تقريبا منه . (شكل ـ ١٠) .



شكل (١٠) مخطط مدينة بابـل ومواقع بعض معالمها المهمة

تبلغ اطوال الاسوار الداخلية لمدينة بابل حوالي ٨ر٥ كم وبها ثماني بوابات سميت باسماء الالهة وتنطلق منها شوارع مستقيمة الى داخل المدينة معظمها يوازي شارع الموكب او يتقاطع مع موازياته .

أما المدينة الخارجية فكانت في معظمها خالية تستغل للزراعة الموسمية ولاحتواء اللاجئين الذين يبحثون عن حماية اذا ما هاجمهم الاعداء . ونشير الدلائل المعمارية الى ان تحصينات الوركاء ونفر وكيش وبورسبا وسبار واور لم تختلف كثيرا عن تحصينات بابل وان كانت ابسط منها في الحجم والاطوال .

مصادر الفصل الثالث

١ ـ الدكتور سامي سعيد الاحمد
العراق في كتابات اليونان والرومان ـ مجلة سومر ـ م ٢٦ ـ ١٩٧٠ .

٢ ـ ليواوبنهايم
بلاد ما بين النهرين ـ ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق ـ دار الرشيد للنشر ـ ١٩٨٠ ـ بغداد .

٣ ـ سيتون لويد
آثار بلاد الرافدين ، ترجمة د . سامي سعيد الاحمد ، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ .

٤ ـ لنتون رالف :
شجرة الحضارة ـ ترجمة الدكتور احمد فخري ـ ج ١ ـ مكتبة الانكلو المصرية ١٩٥٥ .

٥ ـ الدكتور احمد سوسة
حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ـ دار الرشيد للنشر ١٩٨٠ ـ بغداد .

٦ ـ الدكتور هاري ساكس
عظمة بابل (موجز حضارة دجلة والفرات القديمة) ترجمة الدكتور عامر سليمان ، مؤسسة دار الكتاب للطباعةوالنشر ـ الموصل ١٩٧٩ .

٧ ـ الدكتور احمد سوسة
الري والحضارة في بلاد وادي الرافدين ـ ج ١ ـ مطبعة الاديب ١٩٦٩ـ بغداد .

٨ ـ هنري فرانكفورت
فجر الحضارة في الشرق الادنى القديم ـ ترجمة ميخائيل خوري ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٥ .

٩ ــ ارنولد توينبي
تاريخ البشرية ــ ج ١ ــ نقله الى العربية د . نيقولا زيادة ــ الاهليه للنشر والتوزيع بيروت ــ ١٩٨١ .

١٠ــ الدكتور فاضل عبدالواحد ــ الدكتور عامر سليمان
عادات وتقاليد الشعوب القديمة ١٩٧٩ ــ دار الكتاب للطباعة و نشر جامعة الموصل ــ الموصل .

١١ــ الدكتور بهنام ابو الصوف
مجلة سومر ــ م ٢٤ ــ ١٩٦٨ .

١٢ــ روبرت بريدوود
التنقيبات الاثرية في المنطقة الكردية بين ١٩٥٠ ــ ١٩٥١
ترجمة بشير فرنسيس ــ مجلة سومر ــ م ٧ ــ بغداد ــ ١٩٥١

١٣ــ طـه باقـر
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ١ ــ شـركة التجـارة والطباعة المحدودة بغداد ــ ١٩٥٥ .

١٤ــ ترفليـان
English Social History ج ــ م ــ ١ ــ لندن ١٩٤٦ .

١٥ــ د . عدنان مكي عبدالله
نشأة وتطور القرية في العراق / بغداد ــ مايس ــ ١٩٨٣ .

١٦ــ د . عدنان مكي عبدالله
المدينة في التراث العراقي / تشرين الثاني ١٩٨٣ ــ بغداد .

١٧ــ تيومينيف
بلاد ما بين النهرين القديمة ــ ترجمة سليم طه التكريتي ــ مجلة سومر ٣٩ ــ ١٩٧٣ .

١٨ ــ جايلد كوردن
ماذا حدث في التاريخ ــ ترجمة الدكتور جورج حداد / الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة ١٩٤٢ .

١٩ ــ سيتون لويد وفؤاد سفر
Journal of Near Eastern Studies ج ٤ ــ ١٩٤٥ .

١٩ ـ الدكتور سامي سعيد الاحمد
تاريخ العراق القديم ـ ج١ ـ مطبعة الجامعة ، بغداد ١٩٨٠
٢٠ـ الدكتور سامي سعيد الاحمد
المدخل الى تاريخ العالم القديم / القسم الاول / الجزء الاول ، مطبعة الجامعة / ١٩٧٨ ـ بغداد .
٢١ـ فؤاد سفر
حفريات مديرية الاثار العامة في اريدو ـ مجلة سومر ١٩٤٧ .
٢٢ـ اسماعيل حجارة
التنفيب في قالينج اغا ـ اربيل الموسع الرابع ـ مجلة سومر ١٩٧٣ .
٢٣ـ شاه محمد علي الصيواني
اور في الماضي والحاضر ـ دار الحرية للطباعة والنشر ١٩٧٦ .
٢٤ـ فؤاد سفر
حفريات اريدو وسومر ـ مجلد ٤ / ١٩٤٨ .
٢٥ـ فؤاد سفر
حفريات اريدو ـ مجلة سومر ـ المجلد الخامس ـ ج١ / ١٩٤٩ .
٢٦ـ موفق جرجيس سليمان
عمارة البيت العراقي في عصور ما قبل التاريخ ـ رسالة ماجستير قسم الاثار كلية الاداب ـ جامعة بغداد ـ ١٩٧٦ / بغداد .
٢٧ـ لويس ممفورد
المدينة على مر العصور ـ ترجمة الدكتور ابراهيم نصحي / مطبعة مصر ـ ١٩٦٤ ـ ج ١ ـ القاهرة .
٢٨ـ صموئيل نوح كريمر
السومريون . تاريخهم وخصائصهم
ترجمة الدكتور فيصل الوائلي ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ ١٩٧١ .
٢٩ ـ د . تقي الدباغ
الهة فوق الارض . مجلة سومر ، م ٢٣/١٩٧١ .
٢٩ب ـ الدكتور عدنان مكي البدراوي
حول معايير الاسكان الريفي ـ دراسة مقدمة الى ندوة معايير الاسكان في العراق ـ المؤسسة العامة للاسكان ـ بغداد ١٩٨٤ .

٢٩ج ـ دوروثي مكاي
مدن العراق القديمة ـ ترجمة يوسف يعقوب مسكوني . مطبعة شفيق بغداد ١٩٥١

٢٩د ـ الدكتور عبدالرزاق عباس
جغرافية المدن .. مطبعة اسعد ١٩٧٧

30. El-Wailly - F. and Abu-Al-Soof, The Excavations at Tell-es-Swwan - Sumer - Vol. 21-1965.

31. Adams Robert, Patterns of Urbanization in Early Southern Mesopotamia, in, MSSU.

32. Adams Robert, The study of Ancient Mesopotamia, settlements Pattern and Problems of Urban Origion Sumer 25-1969.

33. Lewis Mumford, The Natural History of Urbanization, University of Chicago Press 1958 p. 383.

34. Robert Adams, The Origion of Cities - Scientific American (Sept - 1960) Reprint pp. 6-7.

35. Braidwood, R. From cave to villige in Iraq petroleum Vol. 1, No. 9 London 1952.

36. Soleki, R. The first flower people, New York 1971.

37. Braidwood, R. Pre-Historic Men 1967.

38. Lloyed, S. and Safar, Fu. JNES. Vol. 4, No. 4, 1945.

39. Langdon S. Pictoghraphic inscriptions from jamdat Nasr? Oxford Editions of Cuneform texts Vol. 7, Oxford Universaity Press.

40. Tobler A. Excavation at tepe Gawra Vol. 2, Philadelphia 1955.

41. Al-Adami K.A. 1968 Sumer Vol. 44.

42. Diakonof L.M. Sale of Land in Pre-Sargonic Sumer 1954.

43. Frankfort. H. Sylinder Seals, London 1939 Reprinted 1965.

44. Tobler A. J. Excavation at Tepe Gawra, vol. 2. Philadelphia University of Pennsylvania Press 1950.

45. Contenau. Every-day life in Babylon and Assyria, London. 1954.

46. Redman Charles, Rise of Civilization.

البحث الرابع

المدينة منذ العصر السلوقي حتى ظهور الإسلام

د. واثق اسماعيل الصالحي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تميز تخطيط المدن العراقية بصفات معينة كان لها اثر مباشر علـى اشكالها العامة وعلى طريقة ممارستها لوظائفها التي بسببها قد تأسست ، فتنوعت تبعا لذلك تخطيطاتها وحسب الفترات التاريخية المتعاقبة التي تميزت بخصائص ومميزات سنتناولها حسب تعاقبها الزمني بدأ بغزو الاسكندر المقدوني للشرق حتى ظهور الاسلام وتأسيس مدينة البصرة ، اول مدينة اسلامية في عام ١٦ هـ (٦٣٧ م) حيث شهدت هذه الفترات الزمنية تأسيس العديد من المدن الجديدة وازدهار مدن تاريخية قديمة مرة اخرى ومدنا اهملت وحل بها الخراب وهجرت من سكانها فاختلفت بذلك الدوافع والحوافز وراء ذلك النشاط المعماري •

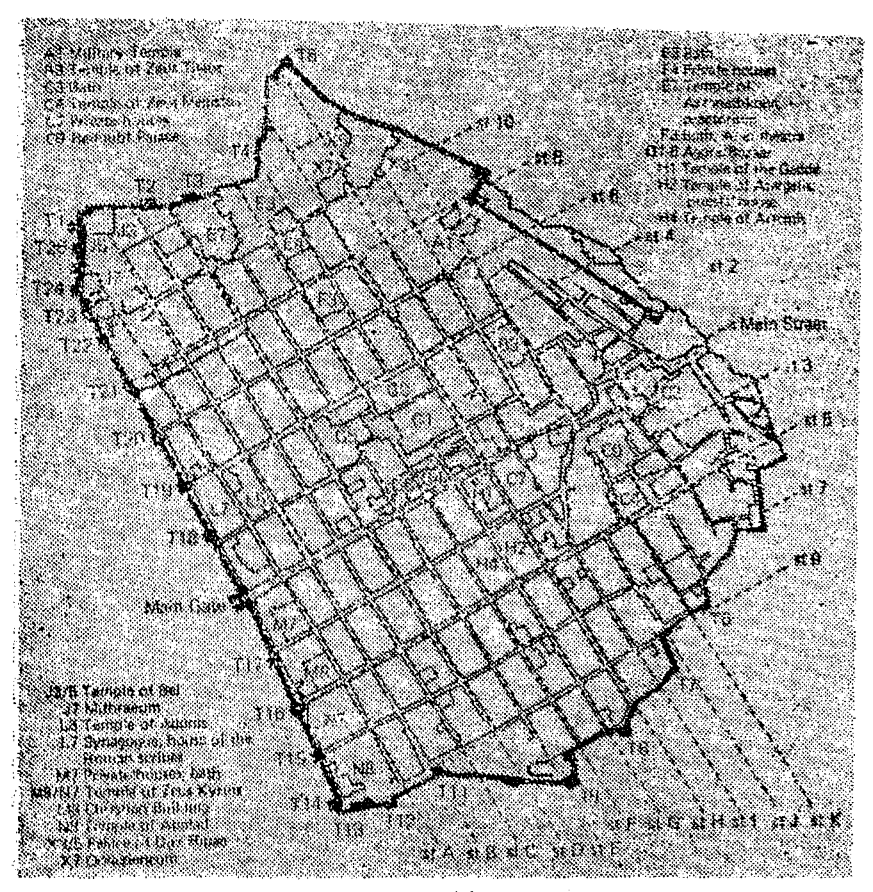
كان الحفاظ على الشكل القديم للمدينة العراقية في وقت غزو الاسكندر المقدوني للمنطقة هو الطابع المعماري الخاص بها حيث فضل المخططون القدماء

وضع مناطق القصور والمعابد والمراكز الادارية والشوارع الرئيسية على خطوط مستقيمة وترك اجزائها الاخرى في شبه فوضى وارتباك فحصل نتيجة لذلك تطور عفوي عشوائي (او في بعض الاحيان اعتباطي) غير منتظم يتميز بشوارع ضيقة وأزقة ومناطق سكنى مزدحمة • واستمرت بعض المدن كبابل واشور بهذا الشكل بعد غزو الاسكندر حيث اغلق قسم من شوارعهما ولذلك لم يعد هناك نظام او ترتيب للسكنى • ولكن الاسكندر قد فهم اهمية المدن من نواحي متعددة تشمل الادارية والاقتصادية والاكثر اهمية هي السوقية (الاستراتيجية) حيث بنى مستعمرات بدوافع معينة على طول الطريق الذي سلكه واطلق عليها اسمه حيث يمثل تأسيسها حركة جديدة للاستعمار ولاسكان المرتزقة والمشردين من الاغريق وجنوده القدماء المقدونيين واستعملت في نفس الوقت ، حصون لاغراض حربية حيث لم يترك حاميات عسكرية في المدن القديمة • وانشاء بعض هذه المستعمرات قد يكون لاغراض تجارية لما تتمتع به المنطقة من خصوصية بهذا الشأن كوقوعها مثلا على طرق تجارية برية او بحرية رئيسية • ومهما يكن من امر فقد شجع الاسكندر تأسيس وتوسيع المدن الاغريقية في الشرق ، وهي سياسة اتبعها ابوه قبله عند غزوه لتراقية ، لغرض السيطرة على مركزية الادارة والاهم منها لغرض نشر الحضارة الهلينية الاغريقية حيث كانت الاداة الفاعلة في الانتشار التدريجي كمفردات الحضارة الاغريقية في الشرق ، واصبحت مراكز اشعاع حضارية للمناطق المحيطة بها • واتبع الملوك السلوقيون سياسة الاسكندر وانشأوا مدنا عديدة سموها باسمائهم واسماء اولادهم وحتى زوجاتهم •

بنيت هذه المدن والمستعمرات والحاميات العسكرية حسب تخطيط المدينة الاغريقية ومبادىء التخطيط المنظم الهيبوديمي Hippodamian الذي يتميز بالشوارع المستقيمة المتقاطعة مع بعضها بزوايا قائمة، ومصمم هذا التخطيط المنظم، او الذي في بعض الاحيان يسمى بالتخطيط حسب رقعة الشطرنج ، هو ايوني

اغريقي من مدينة مايليتوس في آسيا الصغرى الذي اعاد بناء مدينته في عام ٤٧٩ قبل الميلاد بعد ان دمرها الفرس حسب تخطيط منظم اشتهر باسمه • وقد اتبع هذا التخطيط في العديد من المدن الاغريقية والرومانية فعلى سبيل المثال بيرايوس ميناء مدينة اثينا في حوالي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ومدينة ثوري Thurii في عام ٤٤٣ قبل الميلاد • لقد اتبع الاسكندر والسلوقيون من بعده هذا التخطيط لانه يلبي الاحتياجات العملية للمستعمرات والمدن الاغريقية ولان الاغريق كانوا محبين للنظام والانسجام والتناسق فقد كان يتم تخصيص الاراضي لمواقع الابنية مسبقا وحسب الاهمية ، فللاكورا Agora التي هي نواة ومركز حياة المدينة ، خصص عدد من الوحدات المربعة او المستطيلة والتي ضمت بعدئذ معابد المدينة واسواقها التجارية ومراكز لتجمعاتها السياسية ، وتميزت شوارعها بعرض واسع نسبيا وقسم منها رصف بالحصى الناعم وقسمت اراضيها المخصصة للسكنى الى وحدات سكنية متساوية ثم وزعت على المواطنين بطريقة ديمقراطية (شكل ١) •

اسس السلوقيون في حدود عام ٣٠٧ (؟) قبل الميلاد مدينة سلوقية على دجلة حسب هذا التخطيط المنظم ويعتقد بان سلوقية انشئت فوق انقاض مدينة اوبس القديمة وضمت قناة ملكية قديمة ، وتم اختيار هذا الموقع لاعتبارات اقتصادية تجارية تنافس بها مدينة بابل حيث بدأ حينذاك وضع مؤشرات جديدة لاهمية نهر دجلة في التجارة النهرية بكونه يشكل منفذا حيويا الى الخليج العربي ومنه الى بلدان متعددة من اهمها الهند ، وفي الفترات اللاحقة شيدت معظم مدن العراق بالقرب من هذا النهر وما بغداد وسامراء الا خير دليل على ذلك • واصبحت سلوقية من اغنى مدن العراق ومقرا لجالية اغريقية كبيرة وكبقية المدن الاغريقية احتوت على الاكورا وعلى مسرح وملعب • وقد احيطت بتحصينات دفاعية قوية متمثلة بسور مبنى من اللبن مزود



شـكل ـ ١

تخطيط مدينة دورا يوروبس (الصالحية) يوضح التخطيط الهيبوديمي

بابراج مربعة الشكل وضعت في نقاط مهمة مسيطرة على المناطق المحيطة بها وعلى مسافات تحدد حسب الحاجة الدفاعية وقد بيّن الجغرافي الاغريقي باوسينياس Pausanias ميزات بناء السور من اللبن واوضح بانه يقاوم مدفعية الحصار احسن من السور المشيد من الحجر .

لقد حافظت هذه المدينة على تخطيطها المنظم حتى بعد احتلالها في حدود عام ١٣٩ قبل الميلاد من قبل الفرثيين واستطاعت ان تحافظ على طابعها

الاغريقي المتميز لفترة زمنية ثم انطبعت وبشكل تدريجي بالطابع العراقي المعماري السائد في تلك الفترة التي استمرت حتى ٢٢٦/٢٢٧ ميلادي ولكنها هجرت وانتهت قبل ذلك التاريخ بقليل . تميزت الفترة الفرثية بتأسيس مدن جديدة بطريقة مختلفة وباستمرار السكنى في المدن القديمة التي اعيد بناء قسم منها وبازدهار مدن اخرى كآشور مثلا ، حيث تم فيها بناء العديد من الابنية فوق الابنية القديمة ولكن بتنظيم محدود اما سلوقية ذات التخطيط الهيبوديمي المنتظم فقد استمرت في الازدهار كمركز تجاري مهم في بلاد بابل .

اما تخطيط المدن الذي شاع في هذه الفترة فهو التخطيط شبه الدائري فقد شيدت طيسفون العاصمة حسب ذلك بعد ان كانت قرية عسكرية صغيرة في مواجهة سلوقية على دجلة ، فاسوارها ، كما يستدل من اثار الفترة اللاحقة، كانت دائرية الشكل تقريبا وتظهر علاقة واضحة بين التخطيط الدائري للمدينة وبين المعسكر الحربي الاشوري والذي يظهر على المنحوتات الاشورية على شكل مخطط دائري الشكل كما هو معروف من اشكال المعسكرات في الشرق الادنى وهذا يفسر التخطيط الدائري لطيسفون التي اسسها الفرثيون في الاصل لتكون معسكرا لجنودهم وشيدت اسوار مدينة الحضر على شكل شبه دائري ايضا ولهذا الشكل فوائد مهمة منها سهولة الدفاع عن المدينة المدورة ولانها تحتوي على اسوار اقل من اسوار الشكل المستطيل بمقدار ١١٪ وهي فائدة اقتصادية مهمة وهناك امثلة سابقة للتخطيط الدائري للمدن ، فقد احيطت مدينة سنجرلي (سامعال القديمة) باسوار دائرية الشكل ومدينة أبرا في شمال سورية والتي هي Mantineia الاغريقية .

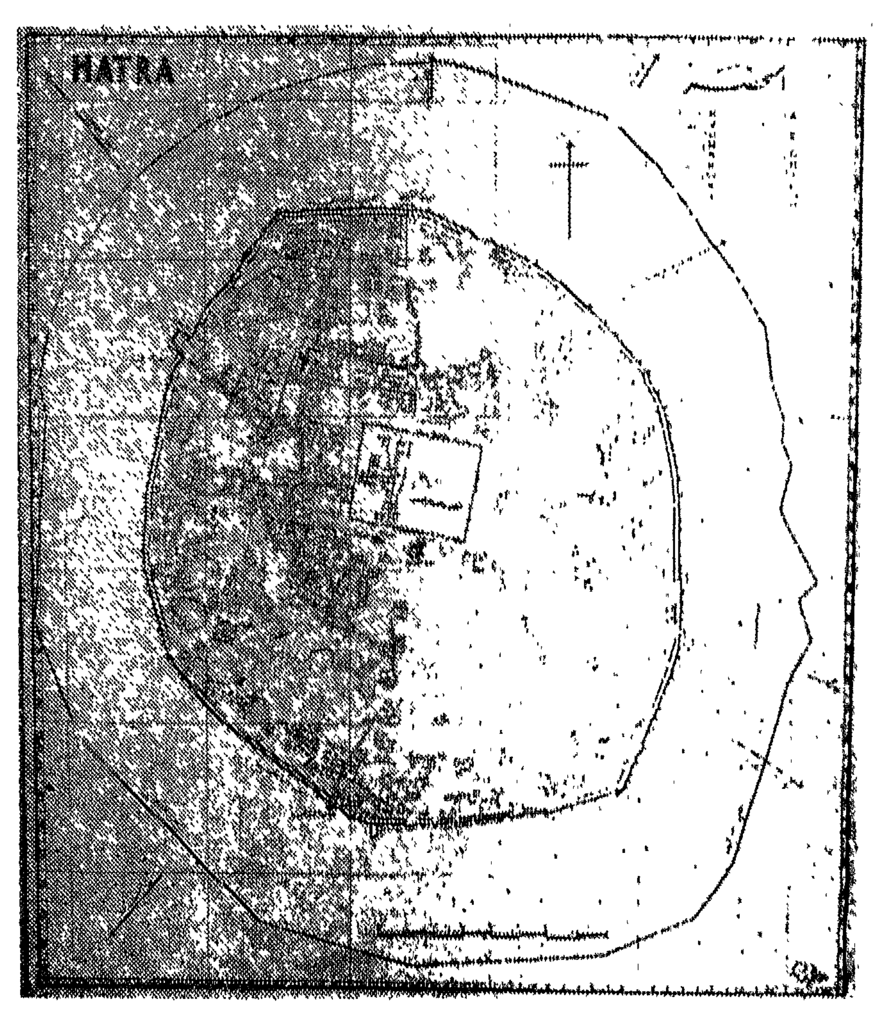
اما الدوافع لتوسيع طيسفون وجعلها مدينة مهمة ثم احدى عواصم الفرثيين فتكمن في عاملين مهمين ، الاول دفاعي لتكون في مواجهة سلوقية المدينة المحصنة والمهمة التي اعلنت الثورة والعصيان لسبع سنوات ثم

استسلمت تلقائيا والعامل الاخر يتعلق في منافسة سلوقية في تجارتها النهرية •
ولم يكتف الفرثيون بذلك فقد قام ولجش الاول (٥١ ــ ٨٠ م) بتأسيس ولجاشية في موقع قريب من سلوقية لتنافسها في اهميتها ، ولا يزال موقعها مجهولا لحد الان •

والدافع العسكري كان وراء تشييد مدينة الحضر في ذلك الموقع الذي يتميز بصفات سوقية (استراتيجية) مهمة منها سيطرته على الطرق البرية التجارية الرئيسية ووفرة المياه العذبة حيث تتجمع مياه الامطار في المناطق المجاورة له وكذلك قربه من وادي الثرثار الذي تكثر فيه المياه طيلة فصول السنة وتقل ايام الصيف فقط • وازدادت اهميتها عند اندلاع الحروب بين الرومان في الغرب والفرثيين في الشرق وبخاصة في الاعوام بين ٦٩ــ٣٦ قبل الميلاد حيث برزت اهمية القبائل العربية التي اتخذت من بادية الجزيرة موطنا لها وشكلت قوة لا يستهان بها لصد هجمات الرومان • وتعاظم قوة القبائل العربية ادى بالضرورة الى ازدياد الاهمية الدينية للمدينة حيث شيدت تلك القبائل معابدها ومزاراتها ووضعت بها تماثيل آلهتها المفضلة التي تسبغ عليها حمايتها وبنت مقابر لدفن امواتها ، فاصبحت للمدينة تبعا لذلك اهمية استثنائية متعاظمة نتيجة تدفق الاموال اليها وانعكس ذلك على اهميتها السياسية مما حفز اباطرة رومانامثال تراجان وسفيروس علىالنيل منها ولكنهم فشلوا كما فشل اردشير الساساني من بعدهم في السيطرة عليها •

شيدت الحضر حسب التخطيط شبه الدائري وتحصيناتها الدفاعية واستحكاماتها العسكرية التي اشتهرت بها لدى المؤرخين الكلاسيكيين تتألف من سور خارجي ترابي ضعيف ، ويليه خندق عريض وعميق مدعم بجدار ساند مبني بالحجر المهندم ومزود بطلعات عديدة لزيادة المنعة ثم السور الداخلي الرئيس الذي بني بعرض ٣. امتار من اللبن على اسس من حجر مهندم ومزود باعداد كبيرة من الابراج والقلاع الحجرية الصلدة ويليه

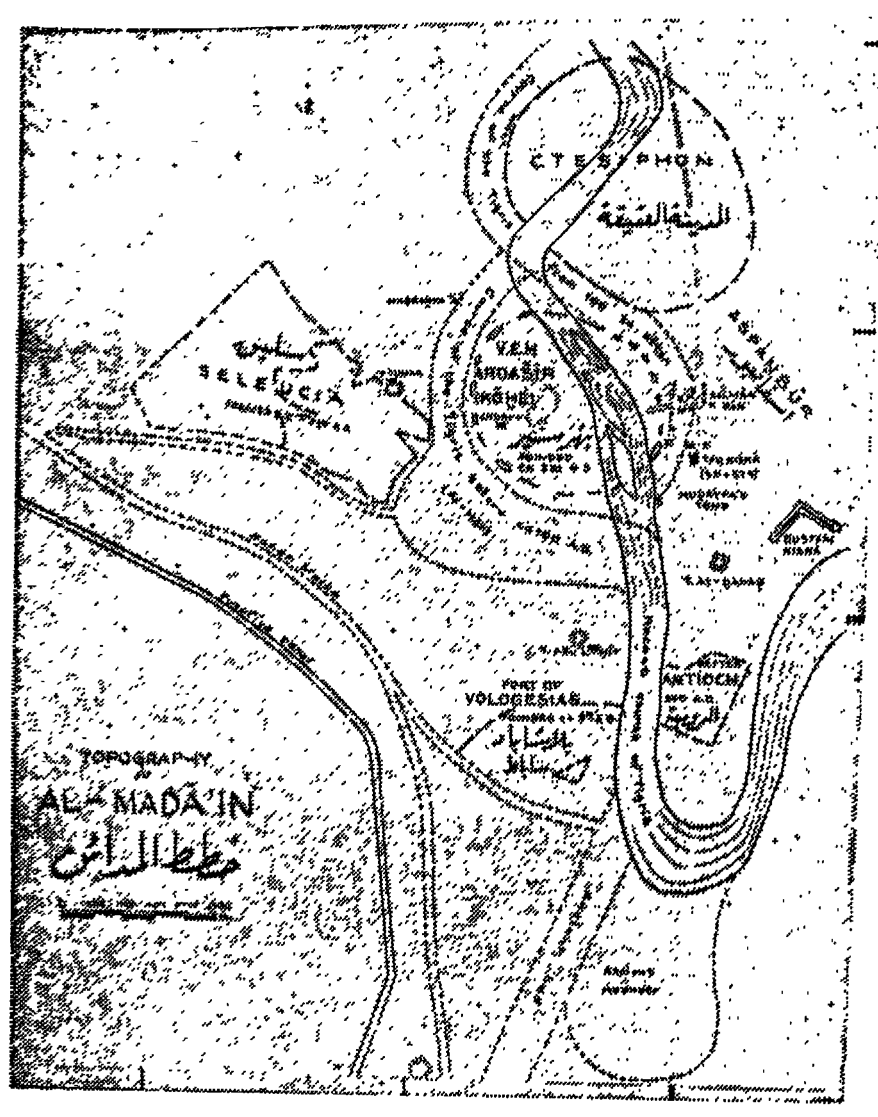
سور داخلي وسنستعرض تفاصيل هـذه التحصينات في فصـل لاحـق •
وللمدينة اربعة ابواب مزورة ضخمة تقع على الاتجاهات الرئيسية (شكل ٢)
تمتد منها اربعة شوارع رئيسية مبلطة بكسر صغيرة من الحجر تؤدي الى
وسط المدينة حيث المعبد الكبير المستطيل الشكل الذي ربما يؤدي وظيفة



شـكل ـ ٢
تخطيط مدينة الحضر

مشابهة لوضيفةالاكورا في المدينة الاغريقية ، فهو يحتوي على المعابد المهمة والاسواق التجارية ومكاتب لمارسة شتى الاعمال اضافة الى مبنى للتجمع السياسي وفندق للزوار • واوضحت الحفائر الاثرية التي اجريت في المدينة وجود ساحات متعددة داخل الاحياء السكنية وتطل عليها بعض المعابد الصغيرة الخاصة • وتشكل هذه الساحات عنصرا هاما في حركة الاشخاص خلال الشوارع الفرعية التي لم تكن بعرض واحد وقد تضيق في بعض الاماكن ، اضافة الىمايوفره المعبد الكبير من سعة في مساحة ساحته الامامية وفيالمساحات التي تفصل بين ابنيته المختلفة ويعطي الحرية من الاماكن المزدحمة للزوار وللحضريين على حد سواء •

وشكلت طيسفون (المدائن) اهم مدن العراق في الفترة الساسانية التي بدأت بسقوط ارطبان الخامس في عام ٢٢٦/٢٢٧ ميلادي وانتهت بالانتصار العربي الاسلامي في ٦٣٧ ميلادي • ولا نعرف الا الشيء القليل عن تخطيط المدن في هذا العصر فلذلك لا نستطيع تحديد مدى تطبيق الاعتبارات الفنية او المعمارية فعندما دحر كسرى آنو شروان مدينة انطاكية في عام ٥٤٠ ميلادي ، بنى مدينة جديدة بالقرب من طيسفون لسكنى الاسرى ، سماها مدينة كسرى انطاكية • وقد شيدها حسب مخطط مدينة انطاكية نفسه وكما يذكر الطبري ايضا انه شيد بيوت السكنى حسب التخطيط السوري واحتوت المدينة على ساحة لسباق الخيل ومرافق عامة اخرى لا تحتويها المدينة الشرقية وقد اطلق الكتاب العرب عليها اسم الرومية ولا تزال آثارها باقية بالقرب من طيسفون وتسمى « بستان كسرى » وتبعد حوالي كيلومترين الى الجنوب الشرقي في ايوان المدائن (شكل ٣) ، وكشفت التنقيبات الاثرية عن سورها الضخم المشيد من اللبن والذي احتوى على ابراج مستطيلة الشكل • ومما يذكر ان مدينة انطاكية نفسها احتوت على ابراج مربعة الشكل ، ولهذا فان تحصينات المدينة قد اتبعت التخطيط الروماني المتأخر او البيزنطي ويستدل من الحفائر



شكل ــ ٣

خطط المدائن

الاثريــة في بستان كسرى ان للمدينة سورا ربما كان مستطيلا او مربعا حسب التخطيط الروماني ايضا • ومع ذلك فاننا نفتقر الى معرفــة تخطيط طيسفون

العاصمة مثلا لان الحفائر الاثرية لم تبيّن لنا تفاصيل تلك المدينة والذي نعرفه ان لها سورا بيضوي الشكل او شبه دائري ، يعود بتاريخه الى تخطيط فترة سابقة ولها ابراج دائريـة الشكل وقلاع ضخمة تبرز عن الجدار بنفس قياس عرضها وقد شيد السور من اللبن والطين وكان بسمك حوالي ١٠ م ووضعت الابراج على مسافات متساوية من بعضها • وعرفت طيسفون في المصـادر التاريخية بالمدينة العتيقة وكانت احدى المدن التـي تألفت منها المدائـن العاصمـة •

وتشير المصـادر العربية الى مدينـة اخـرى سميت « وه اردشير » (Veh - Ardashir) التي يذكر ان اردشير الساساني قد شيدها واطلق عليها اسم كوخـة (Coché) او سلوقية الجديدة حيث يذكر الطبري ان سعد بن ابي وقاص قد بقي فيها بعد انتصاره في القادسية قبل عبوره نهر دجلة ويقال ان اسمها « بهرسير » وقد ورد في رسالة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى مسيحيي بهرسير والمدائن • وقد اثبتت الحفائر الاثريـة التي قامت بها بعثة ايطالية انها شيدت فوق مقبرة تعود بتاريخها الى عصر الاحتلال الفرثي وان بعض اثارها وتشمل السور وبعض الجدران واسلوب تخطيطها يرجع الى عصر اردشير الاول مستندين بذلك الى دلائل اثارية وبخاصة النقود حيث عثر على مجموعة يقدر عددها بحوالي ٢٠٥ مسكوكات • وقد اشارت تقارير المنقبين بان تخطيطها « شرقي » اي مدورة الشكل وشوارعها غير منتظمة وتحتوي على ساحات خاصة ، تطل عليها دكاكين بقالة ومخازن تزدحم فيها الشوارع مما يشير الى اهميتها التجارية وعلى الرغم من ان معظم ابنيتها مشيدة مـن اللبن الا انها احتوت على الايوان الصفة البارزة في العمارة العراقية والتي توضحت في عمارة الحضر • واحتوت على كنيسة سبق شرحها في فصل سابق •

واسبانبر او اسفابور قد وردت في المصادر العربية باحتوائها على ايوان وانها احدى السبع مدائن التي سـميت بها المدائن • وخلاصـة القول ان الاثار التي كشفتها الحفائر الاثريـة لا تكفي لاعطاء صورة واضحة عن معالم هذه المدينة وانها كانت مقصورة على مناطق محددة ، ولم تبين لنا ايضا تخطيط مدينة الحيرة ولم توضح مواقع قصورها الضخمة التي ورد ذكرهـا فـي المصادر التاريخية ومع ذلك فقد اشارت بعض تقارير المنقبين الى التوسـع والنمو الافقي للمدينة نحو الجهة الشرقية وان تلالها الاثرية واطئة ومتعددة وتغطي مساحة شاسعة على خلاف معظم التلال الاثرية في بعض مواقع العراق ترتفع تدريجيا نتيجة اعادة البناء والسكنى في حين احتوت تلال الحيرة على طبقة سكنى واحدة وفي احيان قليلة طبقتين •

ونستخلص مما ورد ان تخطيط المدينة العراقية في هذه الفترة اتبـع التخطيط شبه الدائري الذي ساد في الفترة السابقة وتخطيط مدينة الحضر اوضح واحسن شاهد على ذلك •

المراجـــع

باللغة العربيـــة :

١ ـ الدكتور صالح احمد العلي « المدائن في المصادر العربية » ســـومر ٢٣ (١٩٦٧) ص ٤٧ ـ ٦٥ .

٢ ـ الدكتور واثق اسماعيل الصالحي «الحضر ـ التنقيب في البوابة الشمالية» سومر ٣٦ (١٩٨٠) ص ١٥٨ ـ ١٨٩ .

باللغة الانكليزية :

1- Malcolm College, **Parthian Art,** London, 1977.

2- Malcolm College, **The Parthians,** London, 1967.

3- J. M. Fiey, "Topography of Al-Mada'in" **Sumer** 23 (1967) pp. 3-38.

4- Antonio Invernizzi "Ten Years Research in the Al-Mada'in Area, Seleucia and Ctesiphon" **Sumer** 32 (1976) pp. 167-175.

5- A. V. Pope, **Survey of Persian Art,** Oxford, 1938.

6- D. Talbot Rice, "The Oxford Excavations at Hira", **Ars Islamica,** Vol. 1, 1934, pp. 51-73.

7- F. W. Walbank, **The Hellenistic World**, Glasgow, 1981.

8- R. E. Wycherkey, **How the Greeks Built Cities,** London. **1962.**

المحتوى

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(١٤٩٣) لسنة ١٩٨٥

دار الحريـة للطباعـة ـ بغـداد
١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م

